

خير القدي هادي محمد صلى الله عليه وسلم

مجلد ٢٠

الهدى النبوي

تصديرها ج. س. انصار السنه المحدثه

من سنة ١٣٥٦ هـ الى سنة ١٣٨٧ هـ

ومن كتب فيها

الشيخ احمد محمد شاكر
الشيخ عبد الظاهر ابو السمح
الشيخ ابو الوفاء محمد درويش
الشيخ محمد خليل هراس

الشيخ محمد حامد الفقي
الشيخ عبد الرزاق عفيفي
الشيخ عبد الرحمن الوكيل
الشيخ محب الدين الخطيب

الناس

مكتبة دار النور للنشر والتوزيع
الطبعة الاولى / ١٤٠٦ هـ / ٢٠٢٥ م

مكتبة دار النور للنشر
الطبعة الاولى / ١٤٠٦ هـ / ٢٠٢٥ م

مكتبة دار النور للنشر
الطبعة الاولى / ١٤٠٦ هـ / ٢٠٢٥ م

الهدى النبوي

٢٥

١٣٨٣ هـ

خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم

الهدي النبوي

تصنيف جماعة أنصار السنة المحمدية

الناشران

مكتبة ابن تيمية القاهرة
ت ٣٥٨٦٤٢٤٠

مكتبة منار التوحيد للنشر
المدينة النبوية / ٠٤٨٤٤٥٥٤٢٠

الفهرس

صفحة	
٣	الإفتاحية
٤	التفسير للأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل
١٣	عقيدة القرآن والسنة » محمد خليل هراس
١٨	الشرك للسيدة الفاضلة حرم الدكتور رضا
٣١	نظرات في التصوف للأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل
٣٧	غزوات الرسول » سعد صادق محمد
٤٥	إلى رحمة الله يا أبا الوفاء
٤٦	العام الهجرى الجديد (قصيدة) للأستاذ نجاتى عبد الرحمن
٤٨	أحسن ما قرأت

تذبييه للسادة المشتركين

ترجو إدارة مجلة الهدى النبوى من السادة المشتركين أن يتفضلوا

بتجديد إشتراكاتهم لعام ١٣٨٣

كما ترجو السادة المتعهدين أن يتكرموا بإرسال مالدتهم من أثمان المجلة .

هذا وفى حالة عدم التسديد سنضطر آسفين لقطع المجلة حسب قرار مجلس

الإدارة وقيمة الإشتراك السنوى . ٣ ثلاثون قرشاً بالجمهورية العربية المتحدة
والسودان و . ٤ أربعون قرشاً فى الأقطار الأخرى .

وترسل قيم الإشتراكات باسم مدير المجلة السيد / محمد رشدى خليل

وشكراً

الإدارة

اطلبوا رسالة فى التيمم من كتاب الله وهدى رسوله - من مكتبة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير

عبد الرحمن الوكيل

أصحاب الامتياز : ورثة

الشيخ محمد حامد الفقى

خير الهى محمد صلى الله عليه وسلم

المهدي النبوى

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة انصار السنة المحمدية

مدير الإدارة

محمد رسدى غليل

الاشتراك السنوى

٣٠ - فى الجمهورية العربية

المتحدة والسودان

٤٠ - فى الخارج

المركز العام : ٨ شارع قولة - عابدين القاهرة - تليفون ٧٦٥٧٦

العدد ١

الحرم سنة ١٣٨٣

المجلد ٢٨

افتتاحية العام الثامن والعشرين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستهديه ونستغفره . ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ،
وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له .
وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد نبي الهدى والرحمة ، وعلى آله ومن استن بسنته ،
واتبع سبيله إلى يوم الدين .

وبعد : فبصدور هذا العدد من مجلتنا (الهدى النبوى) تكون قد استكملت سبعة
وعشرين عاماً من عمرها ، وبدأت عامها الثامن والعشرين وهى ثابتة على خطتها ، مستقيمة
على منهجها ، فى الدعوة إلى كتاب الله تعالى ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، لا تحيد عنهما ،
ولا تتحول عن طريقهما . تستظل بفيئتهما الوارف ، وتستضيء بنورهما المشرق ، تسالم من
يسالهما وتعادى من يعاديهما . تحب من يحبهما ، وتبغض من يبغضهما . تناصر من ينصرهما
وتحارب من يحاربهما . لا تخاف فى كلمة الحق تقولها لومة لائم ، ولا نخشى فى الدعوة إلى
التوحيد مبغضاً ولا شائناً .

وإدارة المجلة تشكر السادة القراء والمشاركين لتشجيعهم لها وإقبالهم وحرصهم عليها ، كما تشكر السادة الكتاب على ما يمدونها به من مديجات أعلامهم ، وتناج قرائهم ، وعقولهم وأفئدتهم . ونسأل الله أن يحزيهم جميعاً خير الجزاء وأن يدخر لهم عنده أعظم الأجر والثواب ، على ما بذلوا ويبدلون من جهد ، وسهروا ويسهرون من ليال ، ابتغاء وجه الله ، والتماساً لرضوانه ، من غير من ولا أذى ، ولا إبدال بفضل ، ولا تباهٍ بحميل . والإدارة لا تدعى أن المجلة قد بلغت الكمال ، ولكنها تخاص لأداء الواجب على قدر طاقتها . ونسأل الله السداد والتوفيق ، وأن يهيء لها في عامها الجديد نجاحاً وتقدماً أكثر . إنه سميع قريب مجيب .

نور من القرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال - جل ذكره - : (وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ ، قُلْتَ : مَا شَاءَ اللَّهُ . لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالاً وَوَلَدًا . فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ ، وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ ، فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا ، أَوْ يُصْبِحَ مَاوُهَا غَوْرًا ، فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ، وَأَحِيطَ بِشَمْرِهِ ، فَأُصْبِحَ يَقْلَبُ كَفْنِيهِ عَلَى مَا أُنْفِقَ فِيهَا ، وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا . وَيَقُولُ : يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا . وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةً يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا . هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا . (الكهف : ٣٩ : ٤٤))

« معاني المفردات »

« حُسْبَانًا » : قال الراغب عنه إنه النار والعذاب ، ثم قال : « وإنما هو في الحقيقة ما يحاسب عليه ، فيجازى بحسبه » وجاءت عدة معان في اللسان لكلمة حسابان ، فهي

وإدارة المجلة تشكر السادة القراء والمشاركين لنشجيعهم لها وإقبالهم وحرصهم عليها ، كما تشكر السادة الكتاب على ما يمدونها به من مديجات أعلامهم ، وتحتاج قرائهم ، وعقولهم وأفئدتهم . وتسال الله أن يجزيهم جميعاً خير الجزاء وأن يدخر لهم عنده أعظم الأجر والثواب ، على ما بذلوا ويبدلون من جهد ، ومهروا ويسهرون من ليال ، ابتغاء وجه الله ، والتماساً لرضوانه ، من غير منٍّ ولا أذى ، ولا إدلال بفضل ، ولا تباهٍ بمجمل . والإدارة لا تدعى أن المجلة قد بلغت السكال ، ولكنها تخاص لأداء الواجب على قدر طاقتها . ونسال الله السداد والتوفيق ، وأن يهيء لها في عامها الجديد نجاحاً وتقدماً أكثر . إنه سميع قريب مجيب .

نور من القرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال - جل ذكره - : (وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ ، قُلْتَ : مَا شَاءَ اللَّهُ . لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا . فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ ، وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ ، فَتُضْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا ، أَوْ يُضْبِحُ مَاءً غُورًا ، فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ، وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ ، فَأُضْبِحَ بِقَلْبٍ كَفِينٍ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا ، وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا . وَيَقُولُ : يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا . وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةً يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا . هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا . (الكهف : ٣٩ : ٤٤)

« معاني المفردات »

« حُسْبَانًا » : قال الراغب عنه إنه النار والعذاب ، ثم قال : « وإنما هو في الحقيقة ما يحاسب عليه ، فيجازى بحسبه » وجاءت عدة معان في اللسان لكلمة حُسابان ، فهي

العذاب والبلاء والنار والجراد ، والمعجاج « أى الفبار والدخان » ، وسهام صفار يرمى بها من القسيّ الفارسية ، وهى المرمى مثل المسال الدقيقة فيها شئ . من طول ، وهى حساب ما كسبت يدك^(١) .

« صَعِيداً » : قال الراغب : « الصعيد يقال لوجه الأرض وقال بعضهم : الصعيد ، يقال للفبار الذى يصعد » وجاء فى اللسان : « الصعيد : المرتفع من الأرض . وقيل : الأرض المرتفعة من الأرض المنخفضة . وقيل : ما لم يخالطه رمل ولا سبخة ، وقيل : وجه الأرض .. والأرض المستوية » .

« زَلَّةً » : قال الراغب : « الزلق والزلل متقاربان قال : صعيداً زلقاً : أى دحضاً^(٢) لا نبات فيه » وجاء فى اللسان : « أرض مَزْلَقَة ومُزْلَقَة وزَلَق وزَلِق ومَزَاق : لا يثبت عليها قدم . ومنه قوله تعالى : (فتصبح صعيداً زلقاً) أى أرضاً ملساء لا نبات فيها ، أو ملساء ليس بها شئ . قال الأخفش : لا يثبت عليها القدمان .

« غَوْرًا » : قال الراغب : « الغور المنهبط من الأرض » وفى اللسان : « غَوْرٌ كُلُّ شئ : قعره وعمقه وُبُعده ، وغار الماء غورا وغَوُورا ، وغَوْرٌ : ذهب فى الأرض وسَقَل فيها . وماء غَوْرٌ : غائر وَصَفٌ بالمصدر . والعرب توحد الغور مع المثنى والجمع ، وتذكره مع المذكر والمؤنث ، فيقال : ماء غور ، وماءان غور ، ومياه غور . وقال الطبري : غور ذاهب فى الأرض ، فلا تلحقه الرشا أى لا تصل إليه الدلاء^(٣) .

(١) وقال ابن الأثير عن الحسبان « مطر عظيم مزعج يقلع زرعها وأشجارها . ولهذا قال : يصبح صعيداً زلقاً ، وفى رأى ابن كثير وجاهة . فأنه قد جعل من الوابل ، وهو المطر الشديد عقاباً كما فى قوله سبحانه فى تشبيهه من ينفق ماله رثاء الناس « فثله كمثل صفوان عليه تراب ، فأصابه وابل فتركه صلدا » وقد يكون الحسبان الصواعق كقوله تعالى : « ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء » .

(٢) أى لا تثبت فوقه قدم .

(٣) قال ابن كثير : « غور : يطلب أسفل الأرض عكس النابع يطلب وجه الأرض - وغور مصدر غائر . ووصف به اللبالة » .

« أحيط بشمره » : يقول ابن الأثير عن كلمة أحاط : إنها تفيد الإحداق بالشئ من

جميع جوانبه . وقال صاحب المصباح : أحاط القوم بالبلد إحاطة استداروا بجوانبه وحاطوا به . وجاء في اللسان : « أحيط بفلان : إذا دنا هلاكه » وقال عن قوله تعالى : (أحيط بشمره) أى أصابه ما أهلكه وأفسده .

« يقلب كفيه » : قال الراغب : تقلب اليد كناية عن الندم .

« خاوية » : قال الراغب : « أصل الخوا : الخلا . يقال : خوا بطنه من الطعام يخوى »

وفي اللسان « خوت أى صارت خاوية من الأساس . وخوت الدار : تهدمت وسقطت » .

« عروشها » قال الراغب : « العرش فى الأصل شئ مسقف ، وجمعه عروش » ،

وجاء فى اللسان « عرش البيت سقفه . وخاوية على عروشها : خلت وخرت على أركانها ، وقيل : صارت على سقوفها كما قال عز من قائل : (فجعلنا عاليها سافلها) أراد أن حيطانها قائمة ، وقد تهدمت سقوفها ، فصارت فى قرارها ، وانقرعت الحيطان من قواعدها ، فتساقطت على السقوف المنهدمة قبلها .

« فئة » : قال الراغب : الفئة الجماعة المتظاهرة التى يرجع بعضهم إلى بعض فى التعاضد

وقال الطبرى : الفئة . الفرقة والجماعة من الناس فى الأصل . والطائفة التى تقيم وراء الجيش . فإن كان عليهم خوف أو هزيمة التجأوا إليهم .

« الولاية » : قال بعض أهل اللغة عن الولاية بفتح الواو إنها النصرة ومصدر الفعل

وعن الولاية بكسر الواو إنها السلطان والإسم مثل الإمارة لأنه اسم لما توليته وقت به . وقال ابن الأثير . وكان الولاية بكسر الواو تُشير بالتدبير والقدرة والفعل . وقال الطبرى : الولاية : يعنون الموالاتة لله يذهبون بها إلى الولاية فى الدين والولاية من الملك والسلطان من قولهم : وليت ، ثم قال عن قراءة « هنالك الولاية - بفتح الواو - : « وهى أولى ؛ لأن الله عقب ذلك خبره عن ملكه وسلطانه ، وإن من أحل به نعمته يوم القيامة فلا ناصر له

يومئذ ، فإتباع ذلك الخبر عن انفراده بالملك والسلطان أولى من الخبر عن الموالاة التي لم يجر لها ذكر ولا معنى .

« عُقْبَا » : جاء في اللسان : عقب كل شيء وعقبه وعاقبته وعاقبه ، وعُقْبَتَهُ وعقباه وعُقبانه : آخره . والمُعْقَبِي : جزاء الأمر .

« المعنى »

إن المؤمن ليفار أول وأشد ما يفار على دينه ، فهو ملاك حياته ، وسعادته في دنياه . وأخراه لقد بده الصاحب الكفور صاحبه للمؤمن بما يدل على خمود في الحس وبلادة غليظة في النفس ؛ إذ فضل نفسه عليه بقوله : « أنا أ كثر منك مالا وأعز نفرا » والتفاخر الأسم بالمال والولد شيمة النفس التي ليس لها من دينها وعلمها وخلقها ، وعراقتها في النبل ما تعز به وتفخر . وإذا ما صرفنا الشهور عن الإحساس بمثل هذا الرجل الكافر إلى التدبر في حال المؤمن وجدنا روعة إيمان ، وقوة يقين ، وجلال اعتزاز بأنه مؤمن ، وعزة نفس ربطت مصيرها بإسلام الوجه لله رب العالمين وحده .

كما نلاحظ أن المؤمن قد بادر بردع صاحبه وزجره ورد عدوانه على الله ، وبني جحوده بما من الله به عليه .

وأخر الرد على صاحبه فيما يتعلق به هو . فقد بادر الكافر فمير صاحبه بفقره أو قلة ماله ونفوره ، ثم حكم بعد ذلك بأن جنته لن تبديد ، وبأن مشيئة الله ترتبط بما يشاء هو ، وما ينزوبه هواه . لحكم بأنه - إن كان تمت قيامة - سيجد منقلباً خيراً من جنته عند الله

ورد المؤمن بمحبة الحق وهزة الإيمان ، فنراه يؤخر الدفاع عن نفسه ، ويقدم رد عدوان الباغي الظلوم على حرمان الله سبحانه ، فقال له : « أ كفرت بالذى خلقتك من تراب .. الآية » .

واقعد لحظنا أن الكافر قد نسب قيام الجنة ونضرتها وسرمديتها إلى مشيئته وقوته

وقدرته ، وربط أيضاً بين مصيره ومشيتته ، أعنى أنه ظن أن له المشيئة الغالبة ، والقوة القاهرة .

ولهذا أبى المؤمن - فى عزة من يدين بالحق ، وفى صراحة وشجاعة أدبية رائعة - إلا أن يوبخ صاحبه ويلومه ، ويثير فيه لواعج الندم على ما فرط منه بهذا الأسلوب القوى الزاجر الرادع (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله) أى هلا قلت هذا القول الحكيم المحكم الذى هو تعبير حكيم عن حقيقة تدعن بالسجود لها كل فطرة سليمة لم يدنسها تراث التقليد . تلك هى ، أن مشيئة الله هى وحدها القادرة المهيمنة على مقاليد الملكوت بأزله وأبده ، وعلى أقدار هذا الوجود ومصائرهِ وباطنه وظاهره وسريته وعلايته . وأن قوة الله سبحانه لا تنفك أبداً عما يشاء الله سبحانه . ليكون الأمر كما يشاء الله جل شأنه .

وأن ما شاء الله لا بد أن يكون ، وأن مشيئة الله عدل وحكمة ، وأن قوة الله قادرة على القيام بكل ما يشاء الله .

إن المشيئة بلا قدرة نقص وعجز وسفه ومذلة ، والقوة بلا مشيئة تحكمها جمادية أو حيوانية بهيمية !! .

وربنا - جل شأنه - هو رب المشيئة التى لا تدانيها مشيئة ، ولا تقهرها مشيئة ، لأنها فوق كل مشيئة بقرها القاهر ، وغلبها القادر . وحسبك دليلاً على قوة مشيئة الله ما تفهمه من قوله سبحانه : (واعلموا أن الله يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) . فهل لمشيئة أخرى أثاراً من هذا السلطان الأعظم ١٢ .

وربنا - كذلك - هو رب القدرة الكاملة التامة التى تدين لقيوميتها كل القوى والقدر . ومن صفات القدرة الإلهية أنها قادرة على القيام بكل أمر تتعلق به مشيئة الله ، فمن مشيئة الله كلمة : « كن » . ومن قدرة الله ما تعبر عنه كلمة « فيكون » مشيئة تحكم ، وقدرة تنفذ ، وما انفكت إحداها عن الأخرى .

ولقد ذكر المؤمن صاحبه بهذه الحقيقة التي كان يوجب عليه الإيمان بها أن يقول حين دخل حديثه : « ماشاء الله » أى الأمر ماشاء الله ، أو هذا ماشاء الله ، أو ماشاء الله يكن أو هذا ماشاء الله أن يكون ، فكان ، لا ماشئت أنا . المفروض هنا أن ينسب هذا الذى من الله به عليه إلى مشيئة الله سبحانه ، فإنه حقيقة منها ، لا من مشيئة أخرى ، إن صاحب الجنة أعد الأرض ، وهياها للزراع والفرس ، أما ما حدث بعد هذا ، فليس لمشيئته ، ولا لقوته يد فيه . تدبر قول ربنا سبحانه : (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ . أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ ، أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ . لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا ، فَظَلَمْتُمْ تَفَكَّهُونَ . الواقعة : ٦٣-٦٥) فنسب الحرث إلى مشيئة الإنسان وقدرته ، أما الزرع فنسبه إلى نفسه سبحانه ، وجعل مصيره لمشيئته وحده جل شأنه .

كان الواجب على صاحب الجنة ، أن يعبر بلسانه عن عقيدة تضىء فى أعماقه بقوله : « ماشاء الله » ليشرق بأن يعترف بالفضل لربه ، ويسمو بشكر رب النعمة على نعمه . وكان واجبا أن يبرأ بين يدي الله من أن يفتر أو يعتز بمحوه وطوله ، وأن يقر عن إيمان مطمئن بأن قوة الله هى وحدها القاهرة وذلك بقوله : « لا قوة إلا بالله » فالمشيئة مشيئته سبحانه ، والقوة قوته ، والنعمة نعمته .

أما قوتى التى استعنت بها - هكذا كان يجب أن يقول الكافر - هى إنشائها وعمارتها ، فلم تكن إلا مدداً منه سبحانه ، وتوفيقاً ، ولوائه وكفى إلى نفسى طرفة عين ما استطعت أن أقوم بشيء يقيمى ، أو يقومنى ، أو يكون دليلاً على ارتباط وثيق بين مشيئتي وقدرتي .

« لا قوة إلا بالله »^(١) يقولها المؤمن ، فيطمئن ، وينفى عن نفسه القلق أو الخوف من كل

(١) تدبر الحصر الدقيق المحكم فى الجملة « لا قوة إلا بالله » . وتدبر ما يدل عليه التضرع إلى الله دائماً فى أن يدك بالقوة . ولطمئن دائماً إلى قوة الله ؛ ولتبرأ من الإيمان بقوى الطواغيت وبغيبهم .

قوة أخرى ، ويقولها المؤمن ، فيشمر تمام الشعور أنه لا يستمد قوة ما إلا من الله سبحانه وأنه لا يجوز له أن يزعم أنه قوى بأحد غير الله .

هذا بعض المفهوم من تذكير المؤمن لصاحبه الكافر .

ثم بدأ المؤمن يرد عدوان صاحبه عليه ، بعد أن أدى واجبه في رد البقي الجائر على حرمت الله ، فقال لصاحبه : « إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا . فمسي ربي أن يؤتين خيراً من جنتك » ما عدا بكلمة واحدة في هذه اللحظة على قداسة الإيمان . وعزة جلاله ، بل بقي مع الله سبحانه^(١) . ولم تصرفه ثورة نفسه عن يقينه . أو عما يجب أن يقول ، فربط مصيره أيضاً في غده بمشيئة الله ، وعبر عن هذا بكلمة تفيد أنه ميسور القلب بالرجاء في رحمة الله ، إذ قال . « فمسي ربي » وتلحظ في كلمة « ربي^(٢) » قوة الحب . وقوة اليقين ، وقوة الإيمان ، ونضارة الرجاء . ورجاء المؤمن فسيح رحيب ، لأنه يؤمن بأن الله واسع عليم ، ولهذا نلحظ أن المؤمن يقول : « خيراً من جنتك » . إنه بهذا يؤكد قوة إيمانه بقدرة ربه ، وبأنه غني وبأنه واسع ، وبأنه عليم ، وبأنه يستجيب للمؤمن .

ثم تواعد المؤمن صاحبه بمقاب الله - مهتديا - بهدى سنن الله في الكائنات . فتوعدوه بأن الله سيهلك جنته ، بأن الله سيجرده من هذه النعمة التي جحد بها ، ومغنى ينسبها إلى قدرته ومشيتته ، بأن الله سيحرمه من هذه الأشياء التي يفخر بها الكفور على الناس ، فيصبح ، والمؤمن الفقير معتمراً بإيمانه ، غنى بقناعته ورضاه ، أما هو فالحمرة البالغة والندم القاتل ، فيصبح ، وهو الشاعر بأنه أشد الخلق تعاسة وبؤساً ، وبأن صاحبه المؤمن الفقير أجل منه سعادة وأوفر نعمياً .

وما دل قوله « ويرسل عليها حسبانا من السماء » على حقد أو حسد ، وإنما دل على

(١) في مثل هذا الموقف الثائر قد يقول من لا يأخذ الإيمان بقلبه : « غدا أكون أحسن منك ، أو أغنى منك » وغيره من الأقوال التي لا يعطرها الإيمان .

(٢) في إضافة كلمة « رب » إلى ياء المتكلم اعتزاز أيما اعتزاز .

على غيرة إيمان ، ونوهج خوف من الله ، وثقة كاملة بهدى سننه في الكائنات ، وبأنه - جل شأنه - يُنملي لكافرين ؛ ليأخذهم بكيده المتين .

ولقد ذكر المؤمن الكافر بما يحدث من أقدار الله ، وبما تصنع في مثل هذه الأحوال لعله يخاف ، ويخشى ، ويعود بالتوبة إلى الله . فذكره بالصواعق والأمطار المهلكة التي تنفك بالحدائق ، وتذهب ببهجتها ونضرتها ، وتجعلها أرضاً جرداء لا يستقر فوقها قدم ولتدبر هذه الصورة الرهيبة التي صور بها المؤمن مصير جنتي الكافر ، لعله يشير في قلبه خشية من هذا المصير ، ولكنه أبى إلا عناداً واستكباراً في الأرض .

ثم تدبر الصورة الأخرى التي تبدأ بأن يغور الماء ويصير بحيث لا يناله صاحب الجنة بشيء ما . وإذا بالحديقة تجف شيئاً فشيئاً ، وتذبل رويداً رويداً حتى تحترق وهذا وذاك يحدث . وقد حدث ، ولعل صاحب الجنتين رآه في جنات آخر ، ومع هذا ظل كما هو أسمى القلب لا يأذن لخشية أن تلم به !!

« وأحيط بثمره » والإحاطة بالثمر تفيد أنه هلك كله ، وأن شيئاً منه لم ينج ، وأنه لم يبق منه ما يفيد مطلقاً ، تفيد أن الله أهلك جنتيه ، وأهلك كل ما جمع منهما ، وكل ما عنده من مال وفير . ولا تصرح الآية بالشئ الذي أهلك الله به مال العنيد الجحود ، ولكنه ورود كلمة « أحيط بثمره » عقب تذكير المؤمن لصاحبه بما يهلك الله به مثل جنته ، وهو الحسبان ، وأن يغور الماء ، قد تفهم منه أن الله أهلك جنتيه بهذا ، وبذاك ، فجاءها العذاب من أسفلها ، ومن فوقها ، فأهلكا بالأمرين معاً ، ففار الماء دفعة واحدة ^(١) ، ورميت بالحسبان ، وأهلك ما للرجل من ملاء عريض ، فهلك الجنتان وهلك الثمر ، وصار الماء الذي كان سبباً في حياتها سبباً في هلاكها ، إذا فسرنا الحسبان بأنه وابل شديد .

(١) أقول هذا لقول الله سبحانه « فأصبح يقلب كفيه » فإنه دليل على أن الرجل قد فوجئ بهلاكها في صباح له ، فما مر بين كونها ناضرة ، وكونها خاوية على عروشها إلا ليلة واحدة شأنه في ذلك شأن أصحاب الجنة الذين قال الله عن جنهم : « فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون . فأصبحت كالصريم . سورة ن ١٩٠ - ٢٠ »

« فأصبح يقلب كفيه على^(١) ما أنفق فيها » هكذا فجاء الصباح بهذه النكبة الشديدة ، وحسبنا دليلاً على شدتها هذه الحسرة البالغة التي جعلته مشدوها مشدوداً إلى ما توحى به إليه ، وهو تقلب كفيه ، وحسبنا أيضاً أنها نالت من عناده وجحوده ، فجعلته يلوذ بالندم على أنه أشرك . ومثل هذا السكون العُتْلُ الغليظ الجافى القلب لا يهتز قلبه بندم إلا بصاغة شديدة . ولم يذكر متعلق الإنفاق ؛ ليم كل ما أنفق . فيتناول ما أنفق من مال . وما أنفق من جهد ، وما أنفق من عمره في إنشائها ، والحسرة فعلاً وواقعاً تتناول كل هذه الأمور .

« وهي خاوية على عروشها » تدبر حال الجنة ، وقد تلاصقت قم أشجارها وتشابكت غصونها وفروعها ، حتى ليخيل إليك أن الأرض سقفاً أخضر ، ثم تدبر صورة هذه الحديقة ، وقد احترقت أوراقها ، وتهشمت أغصانها وفروعها ، وتهافت أعجازها ، فلم تعد ترى لها سقفاً . وإنما هي تذكيرٌ ببیت دمرته صاعقة قوية ، فجعلته خالياً من أهله وجعلت جدرانها تنهار على سقفه المنهار . هذه صورة جنّيته بعد أن أحيط بهما ، وبما يملك . أعاذنا الله من عقابه وعذابه .

« ويقول : يا ليتني لم أشرك بربي أحداً » تمنى في مثل هذه الحال شيئاً عظيماً . وهذا التمنى يؤكد لنا أن الرجل كان مشركاً وكافراً . لقد قلت في العدد الماضي ما يفيد أن هذا العتل قد جعل من نفسه لله شريكاً في مشيئته وقوته والأمر كذلك . واسكنه في تمنيه هذا لم يصرح بمن جعله لله شريكاً ، وإنما ذكر كلمة « أحداً » ليبين أنه يتمنى أن لو كان خليفاً من الشرك . لا من جعل نفسه شريكاً . يبرأ من جنس الشرك كله سواء أكان مطلقاً أم كان مقيداً .

« ولم تسكن له فئة ينصرونه من دون الله » هؤلاء النفر الذين اعتز بهم وافتخر بهم على صاحبه لم ينفعوه في وقت كان فيه أشد الناس حاجة إلى من ينصره . كان في حاجة

(١) ضمن الفعل « يقلب » معنى الندم . فجىء بحرف الجر « على » ولم يقل فأصبح « نادماً متحسراً » لأن التعبير بلوازم الشيء عنه تقوى الايمان بوجوده . وبأنه شديد .

إلى من يدفع الضر عن جنته ، أو إلى من يعطيه خيراً من جنته . أو مثلها ، أو عوضاً عنها وكلمة « من دون الله » تناسب كلمة « لا قوة إلا بالله » فما دامت القوة لله وبالله وحده . فإن النصر كذلك ، لأن النصر يتطلب القوة لتحقيقه .

« وما كان منتصراً » ما كان في ماضيه الذي ظن فيه أنه صاحب المشيئة والقوة والحول والطول ، ما كان في ماضيه هذا منتصراً ، بل كان متردياً في الهزيمة ، وهو لا يشعر وهذا من كيد الله سبحانه . لقد مكر به ، فجعله يظن الهزيمة انتصاراً . ولم تكن هزيمته خافية إلا عليه هو . بدليل أن المؤمن كان يراها واضحة جليلة على صاحبه . وهل هناك هزيمة تجر العار والشنار والوبال أكثر من هزيمة هي الشرك ؟ ! .

« هنالك الولاية لله الحق » في مثل هذه الحال يشعر كل إنسان ، ويؤمن بأن السلطان والملك والقهر والغلبة لله وحده ، وفي مثل هذه الحال أيضاً يرغب الجحود الكنود عن جحوده وكفره ، فيتولى الله وحده ، ولكن لا تنفعه ، تدبر قول الله سبحانه : (فلما رأوا بأسنا قالوا : آمنا بالله وحده ، وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا) .

وتدبر قول الله عن فرعون : (حتى إذا أدركه الْفَرَقُ قال : آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل ، وأنا من المسلمين . يونس : ٩٠) .

وهنالك النصرة لنا وحده ، لا يملكها غيره ، ولا يستطيعها سواه . فتكون تقريراً لمفهوم قوله سبحانه « ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله » .

ويصدق القول إذا اعتبرنا قوله سبحانه « هنالك » إشارة إلى القيامة . ففيها يكون أيضاً كل هذا كقوله سبحانه « الملك يومئذ الحق للرحمن ، وكان يوماً على الكافرين عسيراً » وحال الكفرة وواقعهم في الدنيا يؤيد ذلك ، وما حدثنا به الله سبحانه عن الآخرة يؤيد هذا .

وقد وصف الله بأنه الحق ، إشارة إلى ما اتخذ الناس لهم من آلهة باطلة ، لأنها من خلق الله الحق وحده ، أما ألوهيتها ، فن إفاك الأوهام وزور الضلالات كذلك الألوهية التي ينسبها الناس إلى أوليائهم ثم ختمت الآية بما يثير الأمل ، ويذكى ، وذلك في قوله سبحانه

« هو خير ثوابا وخير عقبا » فلا تأس على جنة ، ولا ترهبك العاقبة إن كنت على ثقة بإيمانك الصحيح فالله يقول عن أوليائه « لا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون » . إن الله عنده العاقبة الطيبة الخيرة التي يحبها الملم لنفسه وعنده الثواب الخير الطيب ، فلا تأس على ما تفقد ، ولا تفتر بما تعطى .

ربنا آتنا من لدنك رحمة ، وهيء لنا من أمرنا رشداً

عبر الرحمن الوكيل

عقيدة القرآن والسنة :

توحيد الله عز وجل

ومن أسمائه الحسنی سبحانه (الولى) و (الوالى) ومعناها متقاربان بل لعلهما مترادفان وكلاهما مذكور فى القرآن .

قال الله تعالى من سورة البقرة (الله ولىُّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات) .

وقال من سورة الأنعام (قل أغیر الله أتخذ ولياً فاطر السموات والأرض وهو یطعم ولا یطعم) .

وقال من سورة الأعراف (إن وِلىَّ الله الذى نزل السكتاب وهو یتولى الصالحین) . وقال من سورة یوسف على لسان الصديق علیه السلام (رب قد آتیتنى من الملك وعلمتنى من تأویل الأحادیث فاطر السموات والأرض أنت وِلىَّ فی الدنیا والآخرة توفنى مسلماً والحقنى بالصالحین) .

وقال من سورة الرعد (وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال)

ولعل من المفيد هنا أن نبين أصل اشتقاق هذين الاسمين الكريمين بما يتضح معه معناهما ، فإن الولاية من الألفاظ التي ضل أكثر الناس في فهم مدلولها حتى نحلوا أصحابها من السلطان الغيبي ومن القدرة على التصرف والتأثير مالا ينبغي إلا لله عز وجل .

يقول الراغب في مفرداته عند كلامه على مادة (ولى) ما يخصه :

« الولاء والتوالى أن يحصل شيكان فصاعداً حصولاً ليس بينهما ما ليس منهما ويستعار ذلك للقرب من حيث المسكان ومن حيث الدين ومن حيث النسبة ومن حيث الصداقة والنصرة والاعتقاد . والولاية والولاية تولى الأمر ، والولى والمولى يستعملان في ذلك كل واحد منهما يقال في معنى الفاعل أى الموالى ، وفي معنى المفعول أى الموالى ، يقال للمؤمن هو ولى الله عز وجل ولم يرد مولاة .

وقد يقال : « الله تعالى ولى المؤمنين ومولاهم » .

ويقول ابن الأثير في النهاية :

(فى أسماء الله تعالى (الولى) هو الناصر ، وقيل المتولى لأمر العالم والخلائق القائم بها . ومن أسمائه عز وجل (الوالى) وهو مالك الأشياء جميعها المتصرف فيها وكأن الولاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل ، وما لم يجتمع ذلك فيه لم يطلق عليه اسم الوالى) .

ويقول أبو حامد الغزالي فى كتابه (المقصد الأسنى) : (الولى) هو المحب الناصر ومعنى وده ومحبه قد سبق ، ومعنى نصرته ظاهر فإنه يقمع أعداء الدين وينصر أوليائه قال الله تعالى (الله ولى الذين آمنوا) وقال (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم) . والولى من العباد من يحب الله ويحب أوليائه وينصره وينصر أوليائه ويعادى أعداءه ومن أعدائه النفس والشيطان فن خذلهما ونصر أمر الله ووالى أوليائه الله وعادى أعداءه فهو الولى من العباد .

والذى يمكن أن يستخلص من هذه النصوص أن الولاية من المعانى المشتركة التى يوصف بها الله عز وجل كما يوصف بها غيره قال تعالى (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) .

وقال سبحانه (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) .
وقال (ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراً مبيئاً) .

وقال من سورة الكهف (ألحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء)
فإذا وصف الله عز وجل بها فإما أن يراد بها الولاية العامة فهو سبحانه ولى الخلق ،
كلهم بمعنى المتولى لأموالهم والكفيل بمصالحهم وحاجاتهم ، لا ولى لهم غيره ولا مدبر سواه .
وإما أن يراد بها الولاية الخاصة وهى ولايته سبحانه للمؤمنين والمتقين ، فتكون بمعنى
النصرة والحبة والرعاية والتأييد . فهو سبحانه مقيل عثراتهم وغافر زلاتهم ومقيم أعدارهم
ومصلح فسادهم ، وهو المدافع عنهم والناصر لهم والكفيل بمصالحهم والمنجى لهم من كل
كرب والموفى لهم بوعده ، فهو وليهم الذى لا ولى لهم سواه وهو مولاهم الحق وينصرهم على
عدوهم ، فنعم المولى ونعم النصير .

وأما إذا وصف بها العبد فقيل : ولى الله ، فمعناه المتقرب إلى الله بطاعته والموافقة له
سبحانه فى محابه ومساخطه ، فلا يحب إلا ما أحبه الله من الأشخاص والأعمال والأخلاق ،
ولا يبغض إلا ما أبغضه الله كذلك ، ولا يوالى إلا أولياء الله ولا يعادى إلا أعداءه . كما
فى الحديث الصحيح « من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان »
ويجوز أن يكون الولى من فعيل بمعنى مفعول والمراد به من والاه الله فأحبهه وأدناه لاجتهاده
فى طاعته وتقواه كما فى الحديث الذى رواه البخارى « من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب
وما تقرب إلى عبدى بشئ أحب إلىّ من أداء ما افترضته عليه ولا يزال عبدى يتقرب
إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده
التي يبطش بها ورجله التي يمشى بها . وإن سألنى لأعطينه وإن استعاذنى لأعيننه » .

وقد حدد القرآن الكريم معنى الولى من العباد تحديداً يزيل كل لبس ولا يدع
لأحد مقالا حين قال من سورة يونس عليه السلام (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا
هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل
لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم) فقله سبحانه (الذين آمنوا وكانوا يتقون) تعريف
جامع مانم للأولياء وهو يتضمن لكاملهم فى الناحية العلمية الاعتقادية .

وفي الناحية العملية العبادية : فهو كقوله تعالى في شأن بني إسرائيل من سورة
 ألم تنزيل . (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) فأشار بالصبر
 إلى قوة الإرادة والعمل ، وباليقين إلى كمال العلم والاعتقاد .

على أن هذا الوصف الإجمالي للأولياء قد ورد على سبيل التفصيل في مواضع كثيرة
 من التنزيل ، من أجمعها قوله تعالى من آخر سورة الفرقان (وعباد الرحمن الذين يمشون
 على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما * والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً .
 والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما . إنها ساءت مستقراً
 ومقاما . والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما . والذين لا يدهون مع
 الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق
 أثاماً * يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً . إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً
 فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً * ومن تاب وعمل صالحاً فإنه
 يتوب إلى الله متاباً * والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً * والذين إذا
 ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً . والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا
 وذرياتنا قررة أعين واجعلنا للمتقين إماماً) .

فانظر كيف انتسكت فطر الناس وفسدت عقولهم حين عموا بينه الله ورسوله
 وجروا وراء ما زينته لهم الشياطين ، ففحلوا الولاية من لا علم عنده ولا عمل ، من هؤلاء الجهلة
 المفسدين الذين تجردوا من كل مزية وتحللوا من ربقة الدين والخلق ، ولم يتقيدوا بقيود
 الشريعة الفراء ولم يتأدبوا بأداب السنة المطهرة ، بل كل مؤهلاتهم في نظر هؤلاء الفوغاء
 أنهم منتسبون إلى طائفة من هذه الطرق الصوفية التي ضحك بها الشيطان على هذه الأمة
 ليبددها شيعاً ويمزق وحدتها ويصرفها عن صراط ربها الذي رسمه لها في كتابه وسنة رسوله
 فمتى يفيق المسلمون من رقدهم ؟ ومتى تنكشف هذه الحجب المسدلة على قلوبهم ،
 فيبصروا نور الحق ويعرفوا أن ولاية الله لا تنال إلا بطاعته والوقوف عند حدوده ؟

محمد خليل هراس

المدرس بكلية أصول الدين

الشرك بالله

الشرك بالله أن يجعل العبد شريكاً لله في ألوهيته وفي ربوبيته . وهو تنقيص من قدره تعالى ، ووصف له بما لا يليق به سبحانه ووصف غيره بما لا ينبغي لسواه . ولذلك هجر عنه تعالى بالظلم العظيم والضلال البعيد ، وشدد وكرر فيه الوعيد والتهديد . ولم يمن القرآن بالتحذير من معصية ولا فاحشة كما عني بالتحذير من الشرك . فلا تكاد سورة تخلو من التحذير منه والتنديد به .

وذم الله تعالى الشرك في أربعة أنواع : اتخاذ العباد آلهة من دون الله . والآلهة هي كل ما يعبد من أصنام وأوثان وغيرها . واتخاذهم أرباباً من دون الله ، والرب هو المالك والمنعم والمربي والمدبر . واتخاذهم أولياء من دون الله ، والولي هو الناصر المتولي لأمر العالم والخلائق والقائم بها . واتخاذهم أنداداً لله ، والند هو الشيل والنظير ولو في بعض الصفات ، وجعل الند لله هو تشبيهه غير الله من نبي أو ولي وتسويته به في التقديس والتعظيم والمحبة والخوف .

قال الله تعالى في اتخاذ العباد آلهة من دونه (واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون . ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً) وقال تعالى في اتخاذ العباد أرباباً من دونه : (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) وقال في اتخاذ العباد أولياء من دونه : (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) . وقال في اتخاذ العباد أنداداً له تعالى : (الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) . أي لا تعدلوا به غيره فتجعلوه شريكاً له في فعله أو مثيلاً له في وصفه وأنتم تعلمون أن القوة لله جميعاً وأنه مالك الملك الذي ليس كمثل شيء .

فمن يعلم أن لا حول ولا قوة إلا بالله لا يلجأ إلى سواه ، ومن يعرف الله غنياً كريماً سميماً بصيراً لا يدعو إلا إياه . أما من دعا سواه ولجأ إلى غيره فقد برهن على أنه لم يقدره

حق قدره . وأنه مرتاب في كرمه ورحمته . ولم يشق بقوته وقدرته .

ولذلك هدد تعالى المشرك وساواه بالقاتل والزاني في مضاعفة العذاب المهين والخلود في الجحيم في قوله : (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً) وهدد كذلك بعدم المغفرة في قوله (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك فقد افترى إثماً عظيماً) نفهم من قوله تعالى (ما دون ذلك) أن كل جريمة وكل إثم مهما كان عظيماً فهو أقل جرماً وأخف ظلماً من الشرك بالله تعالى لأن كل ظلم وكل إثم إنما هو اعتداء من الإنسان على الإنسان . أما الشرك فإنه استخفاف العبد الضعيف الحقير باحترام مولاه العلي الكبير .

قال تعالى : (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) .

وبين تعالى أن الشرك يحبط الأعمال ويضيع كل أجر وثواب في قوله (ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) .

ونهى الله عن الشرك في قوله (وأن أقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكونن من المشركين . ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذن من الظالمين) وفي قوله (فلا تدعوا مع الله أحداً) فإن من يدعو مع الله أحداً ويحبه ويخشاه . ويظن أن الولي أو النبي الميت يستطيع أن ينيله ما يتمناه . وأن يشترك مع الله في تنفيذ رجائه وتحقيق دعائه . فقد اتخذ نداءً لله إذ اعتقد أنه حي لم يموت وإن يموت ككل بشر فمثله بالله تعالى الحي الذي لا يموت . وعى عن قوله لرسوله صلى الله عليه وسلم (إنك ميت وإنهم ميتون) وقوله (كل نفس ذائقة الموت) واعتقد كذلك أن الولي يسمعه في أى مكان مهما كان بعيداً فمثله بالسميع البصير الرقيب على أعمالنا وأقوالنا الذي (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعمهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا) .

كأن هذا الميت أسمع من الله حتى يستجيب قبل السميع البصير لدعائه . وكأنه أرحم من الرحمن الرحيم حتى يسارع قبله لتحقيق رجائه . حقاً إن الشرك لظلم عظيم . لأن الذى يلجأ إلى غير الله عند الشدة يستغيث به من الله ويستنصره عليه . ويمتقد أن هذا الولي أو النبي الميت يستطيع بقوته أو بمكره وحيلته . أن يؤثر على الله تعالى فيثنيه عن إرادته أو يحثه على المبادرة إلى تحقيق رغبته . وغفل عن قوله تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون . وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) وقوله (إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) فهؤلاء الأموات لا يسمعون دعاء ولا نداء ولو فرضنا أنهم سمعوا فإن يستطيعوا عمل شيء ويوم القيامة سيتبرأون من شركهم وسيكونون لهم أعداء لأنهم من الأولياء الأتقياء الصالحين الذين يستنكرون هذا العمل الذميم وينفرون من هذا الظلم العظيم .

ومن أعجب العجب أن هؤلاء المشركين يفضبون أشد الغضب إذا قيل لهم إن الرسول صلى الله عليه وسلم وكل أولياء الله ماتوا . ويمعدون الموت خطأ من قدرهم كأنهم ليسوا من البشر . ويقولون إن الرسل والأولياء أحياء عند ربهم يرزقون كما بين تعالى في كتابه الكريم . نعم إن الله سبحانه أخبرنا في القرآن بأنهم أحياء ولكن عند ربهم لا في هذه الدنيا ولا صلة لنا بهم . أحياء عند ربهم لا في قبورهم . والرسول صلى الله عليه وسلم يقول « إذا مات ابن آدم انقطع عمله » أى انقطع عن هذه الدنيا فلا عمل له فيها ولا صلة له بها فكيف يؤدي لنا ما نطلبه منه ويقوم بما تكلفه به وهو في عالم آخر غير عالمنا . بل كيف يسمعنا وهو على هذا البعد منا ؟ إن من يمتقد أن الله تعالى لا يستجيب له إلا إذا استحلّفه بأنبيائه وأصفياه فقد كذب قوله تعالى (ادعوني أستجب لكم) وقوله (وإذا سألك عبادى عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعاني) فإنه تعالى لم يقل في القرآن استحلّفوني . بأنبيائي وأصفياي أستجب لكم لأنه سبحانه لا يعطى الخير ويمنع الشر خوفاً على خاطر

حبيب أو تجنباً للومه كأنه تعالى تنقصه الرحمة حتى لا يرحم ولا يابن إلا بالاستعطاف . وكأنه سبحانه جل وعلا بخيل لا يعطى إلا بعد الإلحاف . ولذا يستعطفونه ويستحلفونه بأنبيائه وأصفياه . وليس من المعقول أن يغير إرادة المولى سبحانه خاطر كل أولياء وأنبياء الأرض ولو أراد تعالى أن نستحلفه بأحبائه في دعائنا لأمرنا بذلك ولما كان الرسول صلى الله عليه وسلم أول من دعاه واستعطفه بالرسول . ولكن الله تعالى قد أمرنا بعكس ذلك وشدد التحذير من ذكر أحد معه في الدعاء في قوله (فلا تدعوا مع الله أحدا) .

وها هو القرآن أمامنا حافل بدعاء الأنبياء والأصالحين وكلهم يدعو الله بلا توسل بأحد لأنه تعالى عادل لا يفضل أحداً على غيره من أجل حبيب ولا يعطى بلا استحقاق إكراماً للخواطر فلم يقبل دعاء نوح عليه السلام ولم ينقذ ولده وفلذة كبده فهلك مع الكافرين . إن التحيز قبيح من الإنسان نستنكره ونعده ظلماً وفوضى . فكيف نرضاه للعادل الحكيم وننسبه إلى الرحمن الرحيم ؟

وأعجب من ذلك اعتقاد هؤلاء بأن الله تعالى لا يطلب منه رأساً وأن هؤلاء الأولياء هم واسطة بينهم وبين الله كما أن الملك من المحال أن تتصل به ولا نستطيع التوصل إليه بلا واسطة رجل عظيم . فيشبهون الله تعالى الذي يعلم السر وأخفى ، يبشر لا يدرى ولا يسمع ما يعمل وما يقال في الحجرة المجاورة لحجرتة . فواعجباً إنهم يزعمون أن الميت ينفع الحي . وأن الضعيف يعين القوى ، وأن الفقير يعطى كالغني . أالله بحاجة إلى وزير أو مشير من البشر ليرشده إلى من يستحق الرحمة والعطاء ومن يستحق القصاص ؟

والأنكى من ذلك أنهم يطلبون من بشر بعد مماته ما كان يعجز عن فعله في حياته بل إنه لم يكن في حياته يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فكيف يملك لغيره شيئاً بعد مماته ؟ ؟ إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يستطع أن يغير قضاء الله ويرد المرض والموت عن نفسه وأولاده وأهله (قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء) (قل إنما أدعوربى ولا أشرك به أحداً . قل إني

لا أملك لكم ضراً ولا رشداً . قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً (فإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم لن ينجيه أحد من الله إلا عمله ولا يملك أن يره ولا لنفسه ضراً ولا رشداً . فكيف يطلبون منه ومن أقل منه وهو ميت ما كان يعجز عنه لنفسه وهو حي ؟؟

قال تعالى (أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون . ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون) هذا توبيخ وتعنيف للمشركين في عبادتهم مع الله تعالى ما لا يخلق شيئا وهو مخلوق . والمخلوق لا يكون شريكاً للخالق في العبادة . والذي لا يستطيع نصر نفسه كيف يستطيع نصر غيره ؟؟ وقال تعالى (إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين) وقال تعالى (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له . إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له . وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب . ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوى عزيز) يقول الله تعالى لكم أيها الناس إن الذين تدعون من دون الله لو اجتمعوا كلهم ليعاونا ويحاولوا أن يخلقوا ذباباً وهو أحقر وأتفه مخلوق . لا يستطيعون مهما كانوا أنبياء وأولياء أو كانوا علماء أذكاء . بل إن هذا الذباب الحقيق الصغير إذا سلبهم ذرة من دمهم أو من طعامهم لا يستطيعون استرجاعها منه ثانية فيفلبهم على أمرهم بالرغم من ضعفه (ضعف الطالب والمطلوب) فكيف يدعون من دون الله القوى العزيز خالق السماوات والأرض من يعجز عن خلق ذبابة وعن اتقاء أذاها ؟؟ حقاً إنهم لم يقدروا القوى العزيز حق قدره . كما أنهم لم يقدرُوا عجز وضعف غيره . وقال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب) يعنى إن هؤلاء الذين ظلموا بأن جعلوا لله أنداداً يحبونهم كحب الله سوف يرون أن القوة لله وحده عندما يذوقون العذاب الشديد . عقاباً على شركهم . وعندما لا ينفعهم ولا ينجيهم من هذا العذاب الشديد حبيبتهم هذا مهما كان

عظيما ومهما كان نبيا أو وليا . ويعلمون حينئذ أن لا حول ولا قوة إلا بالله . وأن حب الله واحترامه يجب أن يكون فوق كل حب وكل احترام لأنه لا يجاريه أحد في صفاته وكماله وأعماله . فينبغي ألا يجاريه كذلك أحد في حبه وشكره وإجلاله . فهو الخالق لكل حبيب وكل ولي . وهو المربي المكمل لكل نبي . وهو المنعم على كل ثرى وكل قوى . فكيف نحب المخلوق كحب الخالق . وكيف نلجأ إلى المرزوق من دون الرازق ؟؟ وفي قوله تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله) تأكيد أنهم يحبون الله حبا عظيما ولكنهم أحبوا غيره كحبه وذلك لا يتأتى من مؤمن يعرف فضل الله عليه ويقدره حتى قدره .

وقال ابن القيم : أخبر تعالى أن من أحب من دون الله شيئا كما يحب الله تعالى فهو ممن اتخذ من دون الله أندادا فهذا ند في الحبة لا في الخلق والربوبية .

وإذا تأملنا من حولنا وجدنا كثيراً من الناس قد اتخذوا من دون الله أنداداً في الحب والتمظيم والإجلال كما قال ابن القيم . فكم من غافل جاهل أفرط في حب ولده أو زوجه حتى أغضب ربه ليرضيهما ، وبخل في سبيله ليعطييهما ، وكم أفرط في حب من يعشق جماله أو في إجلال وتمظيم من يعجب بقوله وعمله ، فذكره قياماً وقعوداً وعلى جنبه ، وسارع إلى طاعته خوفاً من غضبه ، وحلف بحياته كما يحلف بربه ، وكرس لإرضائه كل وقت وقلبه ، وسعى ما استطاع ليحظى بحبه ، إن الحب شعور تدفع إليه دوافع وينشأ عن أسباب شتى ، وهو يختلف باختلاف مواضعه ودوافعه ، فهناك الحب الفريزي نحو الولد والأم والأب والأخ ، وهو حب فطري مشترك بين الإنسان والحيوان ، وهناك الحب الفريزي بين الجنسين ، وهو حب حاجة ومصلحة متبادلة ، وهناك الحب الإعجاب والإحترام والتقدير ، وهو حب عقلي ، وهناك حب الشكر للجميل وتقدير الإحسان ، وهو حب عقلي أيضاً ، ومن الحال أن يكون الحب الجسدى إلا بين الإنسان والإنسان ، أما الحب العقلي أى حب الاحترام والإجلال ، أو حب الشكر

والتقدير ، فيشعر بهما المؤمن نحو ربه أو يشعر بهما الإنسان كذلك نحو غيره .

ومن تأمل فيما يستوجب إحترامنا وشكرنا وإعجابنا وتقديرنا لله تعالى خالقنا ورازقنا من صفات وأعمال ، وما يستوجب ذلك للأنبياء والأولياء والأمهات والآباء والأزواج والأبناء والأصدقاء ، وجد أن حب الله ينبغي ألا يعادله بل لا يقاربه حب ، وأنه خليف بأن بأسر قلوبنا ويتضائل فيها كل حب لغيره ، فيجب ألا ننصرف عن الثناء عليه وذكره إلى ذكر غيره والثناء عليه إلا قليلا ، إذ ما يكون فضل الإنسان مهما عظم عمله وكرم خلقه بالنسبة إلى كرم الله ورحمته وما تكون قيمة أى عمل بجانب أعماله ، وما تكون قيمة أى كمال بجانب كماله ، وما يكون حب غيره واحترامه بجانب حبه وإجلاله ، فإن كل من نحب ونحترم وكل ما يستحق شكرنا من صنع يديه ، فهل يجب الشكر للمصنوع أم لصانعه ، وهل يجب احترام البديع أم مبدعه ؟ .

قال الرسول صلى الله عليه وسلم « لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم » وعن أنس رضى الله عنه « أن ناساً قالوا : يا رسول الله يا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا ، فقال : يا أيها الناس قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان ، أنا محمد عبد الله ورسوله ما أحب أن ترفعونى فوق منزلتى التى أنزلنى الله عز وجل » فـكم استهوى الشيطان بعض الناس فزعموا أن الرسول صلى الله عليه وسلم أول خلق الله وأن آدم خلق من نوره ، وفاتهم أن الله تعالى أكد في كتابة الكريم أن آدم أول خلق الله من البشر وأن الرسول صلى الله عليه وسلم آخر الرسل وأنه خلق آدم من طين لا من نور وقد قص علينا الله تعالى قصة كل نبي في القرآن ، فكيف لم نخبرنا بهذا الأمر العظيم إذا كان حقاً ؟ ، وكيف يصدق عاقل ما يخالف قول ربه ويظن أن الرسول بحاجة إلى أن يكون أول البشر ، ليـكون أعظم الرسل ، فإن عظمة الرسول ليست بتاريخ ميلاده وقديم خلقه ، بل بعظيم جهاده وكريم خلقه .

وكم استهوى الشيطان بعض الجهلاء فعمدوا الرسول من دون الله وجهروا بهذه العبادة

بلا حياة ولا خشية فسموا أبناءهم عبد الرسول أو عبد النبي وزعموا أن الصلاة على الرسول أفضل من تسبيح الله عز وجل ، وأن زيارة قبره أفضل من حج بيت الله ، لأن من زار الرسول صلى الله عليه وسلم فقد وجبت له شفاعته ، فإذا لم يحج نجماً بهذه الشفاعة من عقاب الله فيا للغباء ، إنهم ينسبون إلى الرسول صلى الله عليه وسلم التحيز لمن تزلف إليه وتلقه بالزيارة فيتزلف هو أيضاً إلى الله تعالى ويشفع لعاصٍ مستهين بأمر الله وما فرض عليه ، أى يُخدع الرسول بالتملق فيتملق الله ليعفو عن كافر أثيم إرضاء لخطأه - سبحانه وتعالى عما يصفون ، وبعداً للرسول عما يزعمون .

وكم استهوى الشيطان بعض الجهلاء فنذروا الفذور للأنبياء والأولياء وتصدقوا على حبهم وحلفوا بهم واحتفلوا كل سنة بعيد ميلادهم كما يحتفل النصارى بعيد ميلاد المسيح ، ولم يفكروا في أنهم احتفلوا ببعض ونسوا البعض الآخر ، وذلك ليس من العدل ، لماذا لا يحتفلون بميلاد إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وغيرهم ، وميلاد السيدة خديجة وعائشة وفاطمة وغيرهن كما يحتفلون بميلاد السيدة زينب ، والسيد البدوي وغيرهما ؟ ! ، أفلا يخشون غضب هؤلاء الأنبياء والأولياء لتقصيرهم نحوهم ، إنهم لن يستطيعوا أن يحصوا الأنبياء والأولياء من يوم خلق الله تعالى آدم إلى اليوم ولو كرسوا كل وقتهم ليدكروهم وليحتفلوا بميلادهم لما كفت حياتهم لذلك ولما وجدوا وقتاً ليدكروا فيه خالق ورازق هؤلاء الأنبياء والأولياء ، فهل من العقل والعدل أن ننصرف عن ذكر الله وتسبيحه إلى ذكر غيره وتبجيله وهو يصف المؤمنين بأنهم يذكرونه قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم . من الحال على العقل أن يذكروا شئئين ويتجه وجهتين في وقت واحد ، فكلاماً ذكر غير الله ابتمد عنه فأعرض عن خالقه ليتزلف إلى مخلوقه واختلس من حق الله ليعطى سواه يقولون إننا نحب الأنبياء والأولياء ونذكرهم لأنهم أحباء الله ، فكيف نفعل عن حبيبنا لنذكر حبيبه ؟ وقد أمرنا تعالى بأن نذكره ذكراً كثيراً ونسبحه بكرة وأصيلاً ، ولكن هل أمرنا أن نذكر أحداً سواه ؟ ؟ وهل أمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بالاحتفال والاحتفاء بميلاده أو ميلاد غيره ؟ هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين .

يدعى كثير من الناس أن من يدعو الأنبياء والأولياء وينذر لهم ويخشى بطشهم ليس بمشرك بل هو جاهل شديد الحب للنبي وأهل بيته ، يعتقد أن هذا العمل زيادة في العبادة والورع وأنه يرضى الله بدعائه أنبياءه وأوليائه وأهل بيت رسوله فهو مؤمن بالله ورسوله والقرآن فلا يليق أن نصفه بالشرك وغفلوا عن قوله تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) أفلم يغضب الله على المسيحيين وهم على دين عيسى عليه السلام ولم يشركوا بالله إلا عيسى ومريم والأولياء الصالحين وكانوا يؤمنون بالإنجيل ؟ قال تعالى (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار . لقد كفر الذين قالوا : إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد ، وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم) وقال : (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كإنا يا كلان الطعام ، أنظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون . قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرراً ولا نفعاً والله هو السميع العليم) .

فشركو الماضى كمشركى اليوم تماماً يدعون مع الله الأنبياء والأولياء الصالحين وينذرون لهم ويذبحون الذبائح تكريماً لهم ويطعمون الفقراء على حبهم . مشركو الماضى كانوا يعرفون الله ويتوسلون إليه بالأنبياء والأولياء قائلين (إنما نعبدكم ليقربونا إلى الله زلفى) ويقولون (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) ومشركو اليوم يقولون إنا نعلم أن الله خالق السماوات والأرض وما بينهما وإنما نتوسل إليه بهؤلاء المقربين عنده ليستجيب دعاءنا وإشفعوا لنا يوم القيامة . العمل واحد وشرك اليوم هو شرك الماضى كما أن معاصى اليوم هى معاصى الماضى وإنسان اليوم هو إنسان الماضى .

ومشركو الماضى كانوا يعرفون الله كما يعرفه مشركو اليوم كما أكد تعالى فى قوله (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله

إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره . أو أرادني برحمته هل هن ممسكات رحمته . قل حسبي الله عليه يتوكل للتوكلون) وقوله (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر . فسيقولون الله فقل أفلا تتقون) . وفي قوله تعالى عن عيسى وأمه (كانا يأكلان الطعام) إشارة إلى ضعفهما وحاجتهما إلى الغذاء ليعيشا وإلا لا يكون ضعيفا كالإنسان إذا لم يجد الغذاء والماء والهواء هلك . ومن يأكل الطعام لا بد أن يخرج منه من بدنه وهذه الصفات بشرية لا يليق أن ننسبها إلى من يخلق الطعام وآكله .

وهناك من يزعم أن هؤلاء المشركين جهلاء إن يؤاخذهم الله ولن يعذبهم . أفلم يكن مشركو الماضي جهلاء ومع ذلك هددهم الله بعذاب جهنم ووصفهم بأنهم لا يدرون بأنهم ضالون ويحسبون أنهم محسنون . قال تعالى (أخسب الذين كفروا أن يتخذوا من دوني أولياء إنا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا . قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) إن في هذه الآية الكريمة لحكمة وتحذيرا ووصفا دقيقا لهؤلاء الذين يعملون عمل المشركين وهم لا يشعرون . فهم يخبر بأنهم لا يدرون بضلالهم بل يحسبون أنهم مهتدون . فيسبون إلى أنفسهم وهم يحسبون أنهم يحسنون . فكيف لا توظف هذه الآية الكريمة بوصفها لهؤلاء من غفلتهم وتعمدتهم إلى رشدهم وهم يعملون بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير ولا برهان لديهم على صواب وثواب عملهم وإنما يظنون ظنا ويقعدون غيرهم تقليدا أعمى بلا فهم ولا تبصر (وما ينفع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لا يغني من الحق شيئا إن الله عليم بما يفعلون) فوا عجبا ، كيف يحذر الله من وصفهم ولا ينتبهون وكيف يهدد تعالى على مثل عملهم ثم يصرون . وكيف يقدمون على مريب لم يؤمروا به وهم آمنون (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) .

والشرك على أنواع شتى . فدعاء أحد مع الله تعالى شرك لأن الدعاء عبادة والله تعالى ينهى عن ذلك بقوله (فلا تدعوا مع الله أحدا) والقسم بغير الله شرك كما أكد الرسول

« صلى الله عليه وسلم » بقول « من حلف بغير الله فقد أشرك » واعتماد المرء على تيممة تمنع عنه الشر وتقيه ابتلاء الله شرك لأنه نسب إلى هذه التيممة عمل الله وتصرفه في ملكه . وهو تعالى يقول (وإن يمسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضلته) والرسول صلى الله عليه وسلم يقول « إن الرقي والنمازم والتولة شرك » وكذلك تبرك المرء بشيء أو أحد غير الله شرك . لأن التبرك طلب البركة والبركة ، هي الخير الكثير . والخير بيد الله وحده لا يطلب من سواه إذ لا شريك له في تدبير ملكه وأمور خلقه .

وليس لشيء من الأشياء سلطان على ما خرج عن قدرة المخلوقين . ولا قدرة المخلوق فوق ما وهبه الله من الأسباب ولا شيء سوى الله يستطيع أن يمد العبد بالمعونة فيما لم يبلغه كسبه . فن استشفى من الأمراض بغير الأدوية التي خلقها تعالى وأنعم بها علينا وبغير الأطباء الذين علمهم وهداهم إلى علاجنا فقد أشرك . ومن استعان على السعادة في الدنيا والآخرة بغير الطرق التي شرعها الله . وكذلك من أعتقد أن مخلوقا يعرف الغيب الذي لا يعلمه إلا الله فقد أشرك . قال الرسول صلى الله عليه وسلم « من أتى عرافا أو كاهنا فصدقة بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد » . ومن نذر لغير الله صدقة أو قربانا فقد أشرك . لأن الصدقة والنحر عبادة . والعبادة لا تكون إلا لله وحده ولأن النذر شكر المنعم . والذي أنعم واستوجب الشكر هو الله تعالى . يزعمون أن الصدقة لله والنذر يأكله الفقراء . أو لم تكن ذبائح وصدقات مشركى مكة المقدمة للآلات والعزى تأكلها الفقراء ؟ ألا يتقبل الله تعالى الصدقات في كل مكان وكل زمان ؟ فلماذا إذن يتعمدون التصديق في يوم معين ومكان معين . في يوم مولد هذا المخلوق وبقرض ضريح هذا المدفون . فليس غرضهم إذن التصديق لله وحسب . بل غرضهم تكريم هذا المخلوق والاحتفاء بمولده فأشركوا مع الله في الصدقة هذا الدفين . وفي الحديث أن الله تعالى يقول يوم القيامة لمن ابتغى بعمله غير وجه الله وحده « إذهب إلى من عملت له نخذ منه جزاء هلاك . فليس لك هندی شيء » . وقد حرم الله تعالى أكل ماذبح وأهل به لغيره تكريما لنبي أوولى أوأى مخلوق

بالقرب من قبره أو تحت نعشه أو ماذبح في زار تـكـريـما للجن كما يزعمون . ولم يكن الغرض من ذبحه التصديق لوجه الله وحده طمعا في رضاه لا طمعا في رضا سواه . وذلك تحقيرا لهذا العمل القبيح وتنفيرا للمؤمنين فما تـدنـس بالشرك صار كالميتة ولحم الخنزير قال تعالى (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله) فلأن ما ذبح وأهل به لغير الله شرك به تعالى . اقتضت الحكمة الإلهية أن ينهى عن هذا الإشراك ثم يؤكد التحريم بالنهي عن تناول ماذبح له ليكون فيه منع الإشراك بعدم تعاطي أسبابه . قال الرسول صلى الله عليه وسلم « أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر . فسئل عنه فقال : الرثاء » فـكـل من رأى الناس في عبادة الله فقد أشرك معه حب الأحدثات والظهور بمظهر التقوى . وطلب الاحترام والمدح والثناء عليه . قال تعالى في الحديث القدسي : « أنا أغنى الشركاء عن الشرك . من أشرك معي غيري فهو لشريكي وليس لي منه شيء » .

قال رجل : يا رسول الله . إني أقف المواقف أريد وجه الله وأحب أن يرى موطني . فلم يرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلت هذه الآية (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) وقد احتاط الرسول صلى الله عليه وسلم من أن يشركه مع الله تعالى بكثرة الإطراء والإجلال الذي لا ينبغي إلا لله فقال « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم » وأمر صلى الله عليه وسلم بهدم القبور والقباب وعدم إيقاد السرج على الأضرحة وإبادة الصور والتماثيل ومنع إعلاء الضرائح وتزيينها احتياطا واتقاء للشرك . وقد احتاط من ذلك أيضا عمر رضي الله عنه فـقـطـع شجرة بيعة الرضوان عندما رأى المسلمين يجتمعون تحتها ويفضلونها على غيرها فخشي تطور الحال إلى الشرك والتبرك بهذه الشجرة التي كان المسلمون يبايعون الرسول صلى الله عليه وسلم تحتها . وقال ابن المكرم : اللهم إنا نسألك صحة التوحيد والإخلاص في الإيمان . انظر إلى هؤلاء لم ينفعهم طوفهم ولا تلبيتهم ولا قولهم عن الصنم هولك ولا قولهم تملكه وما ملك . ولا معذرتهم بقولهم إلا ليقتربوا إلى الله زلفى .

ألا فليجتنب العاقل كل عمل مريب أنه شرك كما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » وقوله « الشرك أخفى من ديب النملة » وما دام الشرك أخفى من ديب النملة فلماذا إذن لا نحذر ولا نتقى ما قد يفضى بنا إلى الضلال والهلاك إذا فعلناه . ولا إثم ولا جناح علينا إذا تركناه ، لماذا لا نحرص على نجاتنا من غضب الله والمذاب بابتعادنا عما لم يؤمر به ؟ إننا نقصر فيما فرض علينا . فلم نأتى ما لم يفرض علينا وهو مريب ؟ قال تعالى (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق) كل من تدبر آى القرآن الكريم وجد أن أهم هدف وأعظم غاية يرعى إليها هي توحيد الله عز وجل . وأنه تعالى إنما أنزل كتابه الكريم على رسوله الأمين محمد صلى الله عليه وسلم ليخرج الناس من ظلمات الجهل والشرك إلى نور الإيمان والتوحيد . ويظهرهم من رجس الوثنية التي كانت متغلغلة في قلوبهم لأن التوحيد آية الإيمان الصادق إذ هو أخلص العبادة لله وحده . ومعرفته سبحانه حق المعرفة وتقديره حق قدره ، قال تعالى (الله الذى جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناءً وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلـكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين . هو الحى لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين)

وقال تعالى (يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفـكون) وأكـد الله للناس أن من المحال أن يكون له شريك فى ملكه لأن هذا النظام الدقيق فى هذا الـكون وهذا الإحسان الشامل وهذا الإحكام السكامل . وهذا الخلق المتكرر المتواصل آية وجود إله واحد لا شريك له يعارضه . ولا مثيل له ينافسه . ولا حكم إلا حكمه . ولا إرادة إلا إرادته . ولا سلطان إلا سلطانه . ولا قوة إلا قوته . ولو كان مع الله آلهة كما يقولون لانفرد كل منهم بإرادته ولا اختلاف كل منهم فى حكمه وخلقه ولتفاوت كل منهم فى قوته فعلا بمعضهم على بعض وفسدت السماوات والأرض كما أكـد الله تعالى فى قوله (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا

فسبحان رب العرش عما يصفون . لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) وقوله (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله) إذن لذهب كل إله بما خلق ولعلنا بعضهم على بعض سببحان الله عما يصفون) .

قال الدكتور أحمد زكي : لقد كشف العلم عن عجيب ماصنع الصانع كشفه في النبات وفي الحيوان وكشفه في الإنسان وفي السماء كشف عن قوى كلها تعمل واحدة على اختلاف في الدرجات ولكن على اتحاد في غاية . وهدى المنطق وهدت الفطرة إلى أن صاحب هذه الإتساق لابد واحد . ومجرى هذه القوى لتعمل على هذه الأساليب الواحدة لابد واحد ونسق العلم ما بين الأرض الجامدة وما عليها من أحياء ونسق ما بين الأرض جامدها والحي وبين هذه الشمس وذاك القمر . وأثبت أن الذي صمم عين الإنسان بمدنها ومائها وما وراء الماء من شبكة تلتقي عليها الصور . هو هو لابد الذي صمم هذه الشمس وأخرج منها تلك الأشعة ووجهها إلى الأرض فهذه العين تكون عبثاً لولا هذا الضياء .

(تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً . الذي له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديراً . واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً) صدق الله العظيم .

صرم الدكتور محمد رضا

رحمة الله

٢١ - نظرات في التصريف

« كان الحديث في العدد الماضي عن الحب ودلائله في القرآن

وفي هذا الحديث نتابع الحديث عن الحب »

الله وحده هو المستحق للحب وحده : المؤمن الصادق الإيمان هو من يشعر شعوراً

كاملاً صحيحاً بأن حب الله وحده هو فوق كل حب والذي ينبع منه كل حب في قلبه ويهيمن عليه . هو من يجعل حبه للناس وللأشياء تابعا لحبه لله سبحانه ، فلا يحب نفسه أو ولده أو زوجته ، وماله أو الجلال في ذاته إلا باسم الله جل شأنه .

إن كان يحب نفسه ، ويحب لها الكمال ودوام الوجود ، فאלله سبحانه هو بارىء نفسه ، وهو الذى يهب برحمته لها الكمال والوجود ، وإن كان يحب ولده لأنهم امتداد لبقائه ، وماله لأنه آلة تعيينه على ما ينشده لنفسه ، والناس : لأنهم عون له على ما يريد لنفسه من كمال . إن كان يحب شيئاً من ذلك كله ، فאלله سبحانه هو الواهب لهذه المنن ، والقادر وحده على بسطها أو قبضها . وإن كان يحب الجمال ، فאלله هو الجميل^(١) ، ورب الجمال كله والمانح كل شىء جميل جماله وإن كان يحب المحسن لإحسانه عليه ، وعلى الناس ، فאלله هو الرحمن الرحيم المنان ويمينه ملائى سحاء الليل والنهار ، لا تفيضها نفقة ، تذخاق السموات والأرض . إن المرء لا يحب الشىء إلا لصفة فى هذا الشىء استثارت فى قلبه الحب له ، والله وحده جل شأنه كل صفات الكمال والجلال والجمال . وفوق هذا فإن لله صفتين لا يشرك فى واحدة منهما أحد ، وهما مصدر كل صفة كمال وجلال وجمال . إنهما الربوبية والألوهية . فمن له الربوبية المطلقة سواء ؟ ومن له الألوهية المستحقة للعبادة وخدها غيره ؟ من ربى الوجود كله حالا بعد حال بقدرته ورحمته وإحسانه ؟ إنه الله الحى القيوم رب السموات والأرض ؛ ولهذا كان من يسوى بين الله وغيره فى الحب مشركاً بالله . فهو إما أن يكون قد تسامى بمن أحبه إلى مقام الربوبية ، وإما أن يكون قد ظن فى الله أنه مثل من أحبه من خلق الله !! .

ثم إن الله سبحانه لم يتركنا حيارى شاردين نضرب فى تيه من الحيرة حول أسمائه وصفاته ، بل إنه سبحانه فصل لنا فى كتابه أسماء وصفاته .

لنحبه بما وصف وسمى به نفسه من صفات وأسماء .

لنحبه عن بيضة . فما يتعلق الحب إلا بمعلوم . لهذا كان من يزعم أنه يحب الله بغير أسمائه وصفاته التى بينها ، من عبدة الأوهام أو الظنون أو الأصنام .

إن إله الفلاسفة ليس هو الله ، وإن إله ابن عربى وابن الفارض ومن دان بدينهما

(١) فى أثناء حديث رواه مسلم « إن الله جميل يحب الجمال » .

ليس هو الله . والله الجهمية والمؤولة ليس هو الله وإن كان الجميع يسمونه بهذا . لأن هذا الإله الذى يدين به هؤلاء لا تنسب صفة من صفاته ، ولا اسم من أسمائه إلى صفات الله وأسمائه . فإذا زعموا أنهم يحبون الله ، فهم كاذبون مناققون مرءون ، أو هم - إن أحسننا بنياتهم الظن - جاهلون . ثم إنه سبحانه بين لنا فى جلاء كيف نعبّر عن حبه اعتقاداً وقولاً وعملاً ، حتى تكون عقائدنا وأقوالنا وأعمالنا تعبيراً صادقاً عن حبه .

وأمر آخر نحب أن نبينه .

لماذا نحب محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

لماذا نحب أولياء الله ؟

نحب خاتم النبیین بهذه الصفة التى شرفه الله بها ، وهى أنه رسوله وخاتم أنبيائه ، فحبنا للرسول - صلى الله عليه وسلم - يجب أن ننظر إليه على أنه تابع لحب الله سبحانه ونبي من حبه جل شأنه ، وأن نعتقد أن حبنا الصادق له هو فى اتباع ما أوحاه الله إليه ، ومن أحببه بغير هذه الصفة ، أو بغير هذه الروح ، فهو دعى حُب وحِاس أو هام !!

ونحب أولياء الله ؛ لأنهم أولياء الله ، لا لأنهم : على ، أو محمود أو إبراهيم !! بل لصفة فيهم جعلتنا نحبهم تلك هى : ولايتهم لله سبحانه ، فن أحب هؤلاء لذواتهم ، لا للصفة التى أوجب الله علينا بها حبهم ، فهو عابد أو ثان .

فليتدبر أولئك الذين يزعمون أنهم يحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هم يناهضون سنته بما يعتقدون ، ويتخلقون ، ويعملون !! يظنون أن حبهم له يفرض عليهم هذا الاعتقاد الوثنى فيه . يفرض عليهم أن يؤمنوا بأنه النور الأزلى القديم الذى خلق منه وباسمه كل شيء ، أو هو الحقيقة التى تعيّن فيها الذات الإلهية . أهذا حُب ، أم هذا شرك بالله رب العالمين ؟ ليتدبر الظانون أنهم يحبون أولياء الله ، على حين يعتقدون فيهم أنهم شركاء لله ، يعتقدون أن لهم التصرف فى ما سكوت الله ، والقيام على حفظه والهيمنة على إرادة الله وقضائه وقدره ! لئن كان هذا يسمى حباً ، فإنى أسأل . أين حقد الشرك وطفيفانه ؟

وإين سوء الكفر وبهتانه ؟

من يحبهم الله : ولقد بين لنا الله سبحانه صفات من يحبهم على وجه الإجمال والتفصيل ، فهو يحب المحسنين ، ويحب المتقين ، ويحب التوابين ، ويحب المتطهرين ، ويحب المقسطين ، ويحب الصابرين ، وقد فصل القرآن صفات هذه الزمر الكريمة التي يحبها الله ، فلنتدبر صفاتهم في الكتاب المبين ؛ لنسلك على وضوح نفس السبيل الكريم السوي الذي سلكوه . وكما بين الله صفات من يحبهم ، فإنه سبحانه بين صفات من لا يحبهم ؛ ليكون المؤمن على بينة مما يحبه الله ، ومما ينفضه الله ، ومن يحبهم الله ، ومن ينفضهم الله . وقد ذكر لنا الله سبحانه في القرآن أنه لا يحب الكافرين ، لا يحب الظالمين ، لا يحب المعتدين ، لا يحب كل مختال فخور ، لا يحب كل خوان أنيم ، لا يحب المفسدين ، لا يحب الخائنين ، لا يحب المستكبرين ، لا يحب الفرحين ، لا يحب المفسدين ، فليتدبر المؤمن صفات هؤلاء وغيرهم ممن لا يحبهم الله : ليتجنب مهالكهم ، ليكون جديراً بحب الله .

ثمرة الحب وثوابه . ولقد منَّ الله على عباده ، فأناهم على حبهم له بحبه لهم . وهل هذا إلا الثواب الأعظم ، وهل فوقه من ثواب ؟! ولن نتحدث عن كيفية حب الله وكنهه ، فحبه تعالى ليس كحب البشر . غير أننا يجب أن نؤمن بأن الله سبحانه يحب أوليائه . أما كيف يحب ؟ هذا ما لا سبيل إلى البيان عنه ، أو إلى استشراف العقول إلى سماء قدسه وجلاله .

وفي الصحيحين : « إذا أحب الله العبد دعا جبريل . فقال : إني أحب فلانا ، فأحبه فيحبه جبريل ، ثم ينادى في السماء ، فيقول : إن الله يحب فلانا ، فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض » . يا لجمال الثواب وجلاله !! .

يحب الله عبده ، ويأمر صفوة أوليائه أن يحبوه ، ويلهمهم حبه ، ويرعاه بالخير الأكبر في معاشه ومماده . هذا الثواب الأعظم يجزى به من يحب الله سبحانه . وما من إنسان له عقل أو قلب إلا ويؤمن أنه ربح الدنيا وربح الآخرة .

نعم الحب الإلهي : وإذا أحب الله عبده من عاينه بأعظم النعم في دنياه وفي آخره .

حُب الله لا يضل ولا يشقى ، ولا يمسّه خوف ولا حزن : (٢٠ : ١٢٣ . فمن اتبع هداى ، فلا يضل ، ولا يشقى) (٧ : ٣٥ فمن اتقى وأصلح ، فلا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون)

حُب الله مغفور له : إن محب الله قد يمسّه طائف من الشيطان ، فيتذكر ، فيتبصر للسبيل القويم الذى كان قد انحرف عنه ، فيعود مسرعاً إليه منيباً تائباً . وإنه لبر فياض ورحمة سابغة فياضة أن لا تبعد المحبين ذنوبهم عن محبة الله جل شأنه : (٣ : ٣١ قل : إن كنتم تحبون الله ، فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) .
تفتح عليه بركات من السماء والأرض : (٧ : ٩٦ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) .

أمره يُسرّ ، وله من كل مآزق مُخْرَجٌ : (٦٥ : ٣ ، ٤ ومن يتق الله يجعل له مخرجا) . (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) .

لا يضره كيد عدو له : (٣ : ١٢٠ وإن تصبروا ، وتقفوا لا يضركم كيدهم شيئا)
يهب الله له الحكمة والفرقان الذى يفصل به بين الحق والباطل : (٨ : ٢٩ يأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا) .

حياة تفيض بالبركة ، وقاب مطمئن تغمره السكينة ، ونجاة من كل ضيق ، وتيسير لكل أمر ، ووقاية من كل عدو ، وإلهام من الله يسدّد عقله وفكره ورأيه ، وسلوكه فى الحياة ، هذه بعض نعم الله على من يحبهم .

الله معه : ونستطيع أن نجعل كل هذه النعم الجليلة المظيمة من أنوار هذه النعمة العظيمة التى هى المعية . (١٦ : ١٢٨ إن الله مع الذين اتقوا ، والذين هم محسنون) .

لهم ما يشاءون عند ربهم : (٣٩ : ٣٣ ، ٣٤ والذى جاء بالصدق ، وصدق به ،

أولئك هم المتقون . لهم ما يشاءون عند ربهم . ذلك جزاء المحسنين) إننا لا نرى في المثل العليا التي تحمل بها البشرية ، ولا في القيم السامية التي يقدسها الخالمون بالمدنية الفاضلة ما يأذن بتصور مثل هذه الحقيقة التي قررها القرآن ، والوعد الذي وعد به أحباب الله . هل تصور أن ملكا عظيما واسع الملك فياض الرحمت يقول لمواليه في حب : لكم ما تشاءون عندي ؟ أنتصور أن يرفع مشيئتهم فوق هذا الأفق الرفيع ؟ !

ولله سبحانه المثل الأعلى ؟ !

نحن لا نتصور مثل هذا بمقاييسنا نحن البشر إلا ونحن على ذروة الخيال الفنان المبدع . ولكن رحمة الله سبحانه فوق ما نتصور !!

ألم تتركب وهب الله لأحبابه هذه المنة ، ورفع مشيئتهم فوق قمة هذه الذروة المقدسة . إنها ليست منة ملك على بعض الناس ، وإنما هي منة ملك الناس ، إله الناس ، قيوم السموات والأرض .

من نعم حب الله في الآخرة : جنة عرضها السموات والأرض ، مقام أمين في جنات وعميون ، مقعد صدق عند مليك مقتدر ، (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ٣ : ١٢٣) (إن المتقين في مقام أمين في جنات وعميون ٤٤ : ٥١) (إن المتقين في جنات ونهر ، في مقعد صدق عند مليك مقتدر ٥٤ : ٥٥) هذه بعض من الحب الإلهي . حب الله لعبيده إذا أحبوه .

الْحُلَّةُ : أما الحلة فهي كمال المحبة ، أو هي المحبة التي تخللت روح الحب وقلبه ^(١)

حتى لم يبق فيه موضع لنفير الحبوب . قال شاعر

(١) قال الراغب في مفرداته : « الحلة المودة . إما لأنها تتخلل النفس أي تتوسطها . وإما لأنها تخل النفس . فتؤثر فيه تأثير السهم في الرمية . وإما لفرط الحاجة إليها » وقال ابن فارس في معجمه . « الحلاء واللام أصل واحد يتقارب فروعه . ومرجع ذلك إما إلى دقة أو فرجة . ثم قال . فأما الخليل الذي يخاللك : فمن هذا أيضا كأنما قد نخاللتها كالكسامة الذي يخل)

قد تَحَلَّتْ مَسْلَكَ الرُّوحِ مِنْهُ وَلِذَا سَمِيَ الْخَلِيلَ خَلِيلًا

وقد نال مرتبة الخلّة إبراهيم عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم : قال تعالى : (واتخذ الله إبراهيم خليلاً ٤ : ١٢٥) وقد ورد في الصحيح قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « إن الله اتخذني خليلاً ، كما اتخذ إبراهيم خليلاً » « ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً ، لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الرحمن » ويقول ابن القيم في مدارج السالكين : « وهما - أى هذان الحديثان - يبطلان قول من قال : الخلّة لإبراهيم والمحبة لمحمد ، فإن إبراهيم خليله ومحمد حبيبه » ثم يقول عن مرتبة الخلّة إنه انفرد بها الخليلان إبراهيم ومحمد صلى الله عليه وسلم :

عبد الرحمن الوكيل

« للنظرات يقايا »

غزوات الرسول

صلى الله عليه وسلم

كان عهد الحديبية - كما وصفه الله تعالى حقاً - فتحاً مبيناً للمسلمين . كما كان عهد انتقال الدعوة المحمدية الحقّة من قوة إلى قوة . ومن مجد إلى مجد . إذ بشرهم الله في ذلك الحين بدخول مكة زائرين للبيت . مؤدّين شعائر الله بعد أن أخرجتهم قريش ظلماً وبغياً من وطنهم وديارهم وأهليهم فكان هذا أول مرحلة من مراحل النصر الكبير . ثم أعقب ذلك بقليل فتح مكة حيث بدأت السيادة الإسلامية تبسط جناحيها على شبه الجزيرة العربية وما عداها من الأمصار والأنطار .

المسلمون في المدينة : من يوم أن هاجر النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه إلى المدينة

منذ ست سنوات وهم في جهاد واصل مستمر وغزو دؤوب متواصل لأعدائهم من قريش وغيرهم من اليهود .

لابد أن المهاجرين كانوا أثناء وجودهم بالمدينة يعانون شيئاً من ألم النفي ، وعذاب
الشعور بالجرمان من الوطن والأهل رغم ما أحاطهم به الأنصار من الأخوة والرعاية والحبة .
ولكنهم كانوا يشعرون أيضاً في قرارة أنفسهم أن نصر الله قريب وآت يوماً ما . . يوم
ينصرهم الله على أعدائهم في مكة ، وحينئذ يعودون إلى ديارهم وذويهم ، كما يعودون إلى
ممارسة واجبه الديني المألوف وهو أداء شعائر الحج والعمرة . وكلما مرت السنون كان
الشوق يشتد في نفوسهم ووجدانهم ، والرسول صلى الله عليه وسلم يؤكد لهم نصر الله . فتزداد
ثقتهم ، ويقوى إيمانهم بالله بأن هذا اليوم آت لا ريب فيه .

البيت الحرام ليس لقريش وحدها : إن قريشاً قد بفت أشد البنى على الرسول .

والمسلمين حين قررت منعهم من زيارة الكعبة وأداء الحج والعمرة ، فإن هذا البيت الحرام
كان منذ مئات السنين وآلافها مقاماً للعرب جميعاً وكان معظماً ومكرماً منهم جميعاً على
اختلاف مللهم ونحلهم . ثم جاء الإسلام فزاده تسكريماً وتشريفاً وتعظيماً وطهره من أوثان
المشركين وأصنامهم ، قال تعالى (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً واتخذوا من مقام
إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفتين والعاكفين والركع
السجود . الآية ١٢٥ . البقرة) وقوله جل شأنه (ومن دخله كان آمناً . الآية ٩٧ : آل عمران)
وإذا كان لا ينبغي لأحد أن يجرّد سيفاً ، أو يريق دماً عند البيت الحرام لافي الأشهر
الحرم ولا في غيرها ولا أن يصد أحداً عنه ، فكيف يسوغ لقريش أن تمنع المسلمين من
زيارة البيت وأداء الفريضة ؟ إن قريشاً لا يجوز لها أن تصد المسلمين عن البيت لعداوتها لهم
لأنهم دعوا إلى نبذ الشرك وعبادة الله وحده . بينما تقيح الفرصة لغيرهم من العرب لزيارة
البيت وعبادة أصنامهم ، وخاصة بعد أن حول الله تعالى قبلة المسلمين من بيت المقدس
إلى البيت الحرام كما بين في كتابه العزيز (قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة
ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره . الآية
١٤٤ : البقرة) وكان ذلك بعد ثمانية عشر شهراً من الهجرة .

على أن البيت الحرام لم يكن ملكاً لقريش وحدها حتى تقف هذا الموقف العدائي

من المسلمين في شأن البيت الحرام فتمنع من تشاء من زيارته . وتبيحه لمن تشاء لجرد أنها تقوم بسدانة الكعبة . وسقاية الحاج ورعاية زائري البيت ١١ .

ولقد استفكر القرآن على قريش موقفها الأحق هذا بقوله تعالى (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال^(١) فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله الآية ٢١٧ : البقرة) وقوله جل شأنه (وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه . إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون ، وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون . إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغفلون الآيات . ٣٤ - ٣٦ الأنفال) .

الرؤيا .. والأذان في الناس بالحج : انقضت ست سنوات منذ الهجرة والمسلمون في

شوق متزايد لزيارة الكعبة وممارسة شعائر الحج والعمرة .

وذا صبح كان المسلمون بمسجد رسول الله صلوات الله عليه ، وإذا بالرسول ينبئهم برؤياه الصادقة ، أن الله محقق أملمهم في زيارة البيت الحرام : (لقد صدق الله ورسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون فلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً . الآية ٢٧ : الفتح) .

وما أن سمع المسلمون هذا النبأ السار حتى امتلأت قلوبهم فرحاً وغبطة . وارتفعت

(١) ونزلت هذه الآية أيضاً في شأن عبدالله بن جحش . إذ كان قد خرج في سرية يتحسس أخبار قريش في المحرم عام ٦ هـ فاعترض أناساً منهم وقاتلهم . فعنفه النبي على هذه المخالفة في شهر من الأشهر الحرم .. كما بين الله تعالى في هذه الآية خطأ القتال في الشهر الحرام وأن هذا إثم كبير . ولكن ما عليه المشركون أكبر وأعظم من مجرد القتال في الشهر الحرام . فإن الكفر بالله . وصد المسلمين عن سبيله والمسجد الحرام وإخراج أهله منه وفتنة المسلمين في دينهم . واغرائهم بالوعد والوعيد وتعذيبهم .. كل ذلك أكبر عند الله وهو أحق بالذم والعيب . وأولى بالعقوبة لأنه فتنة .. والفتنة أكبر من القتل .

أصواتهم بالتكبير والتهليل . وسرعان ما طار الخبر إلى سائر أنحاء المدينة وعرفه الناس .
وهنا يقفز إلى الأذهان سؤال يحتاج إلى جواب ، كيف يدخل المسلمون المسجد الحرام
وهذه قريش قد أخرجتهم منه ، وها هو العداء بينهم وبينها قد بلغ مداه ١٩ .. أبحارون
قريشاً ويدخلون مكة عنوة ١ . أم أن قريشاً ستمعيد النظر في علاقتها بهم وتفتح لهم أبواب
مكة ليدخلوها بلا قتال ٢ ؟ .

وجاء الجواب من الرسول صلى الله عليه وسلم لهذا السؤال حين أذن في الناس بالحج
وكان شهر ذى القعدة عام ٦ هـ وهو من الأشهر المحرم فيها القتال - وأرسل رسله إلى
القبائل من المسلمين وغيرهم للاشتراك معه في الخروج لهذه الرحلة الروحية بغير قتال .

وكانت فكرة دعوة العرب من غير المسلمين تدل على حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم
وحسن تدبيره فقد أراد أن تعلم قريش أنه ما خرج في هذا الشهر غازياً . وإنما خرج حاجاً
ليؤدى فريضة الحج كسائر العرب الذين لا يجدون صدقاً ولا منعاً من زيارة البيت . . وأن
اشتراك العرب من غير المسلمين في الرحلة دليل طوية السلام الذي جاء به .

الرسول يخرج إلى البيت الحرام : واستنفر النبي عليه الصلاة والسلام القبائل ، فأبطاء
عليه بعضهم فاستخاف على المدينة نميلة بن عبد الله اللبثي ، وخرج بالمهاجرين والأنصار ومن
لحق به من العرب ، وكان عدتهم جميعاً ألفاً وأربعمائة ^(١) وتقدمهم الرسول على ناقته
للقصواء . وساقوا معهم من الهدى سبعين بدنة وأهل الرسول صلى الله عليه وسلم بالعمرة
ليعلم الناس أنه لا يريد قتالاً ، وإنما خرج حاجاً . . وقد رافقته في الرحلة زوجته أم سلمة
فلما بلغ ذا الحليفة ^(٢) عقص الناس رؤوسهم . ولبوا بالعمرة . وعزلوا الهدى .

(١) وقيل كانوا سبعمائة . وفي الأخبار أن العدد الصحيح هو ألف وأربعمائة . راجع
زاد المعاد للإمام ابن قيم الجوزية ج ٢ ص ٣٠١ ط السنة المحمدية
(٢) قرية على بعد سبعة أميال من المدينة

قريش يبلغها الخبر : وعرفت قريش خبر خروج الرسول عليه الصلاة والسلام وصحبه حاجين . فأوجست منهم خيفة ، وراح زعماءها يتشاورون في الأمر ، فحسبوه حيلة يريد بها الرسول دخول مكة وأخذها عنوة ومع أن خبر خروج النبي صلى الله عليه وسلم حاجا كان قد أذيع في مكة ، إلا أن قريشا لم تصدق الخبر ، وصمت على صده مها باغ الثمن الذي ستدفعه .

لذلك بعثوا خالد بن الوليد . وعكرمة بن أبي جهل على رأس جيش قوامه ألفان من الفرسان إلى ذي طوى ليحول دون الرسول ودخوله مكة . فوصل الجيش هناك وعسكر فيها أما الرسول « صلوات الله عليه » فقد تابع سيره حتى وصل إلى عسفان . وهناك تلقى بشر بن سفيان السكبي فبادره بقوله : يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا وقد لبسوا جلود النمر . ونزلوا بذي طوى يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدا . وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموها إلى كراع النميم^(١) . قال النبي « صلى الله عليه وسلم » وقد تبهم وجهه الشريف « يا ويح قريش ! . لقد أكلتهم الحرب . ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب . فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا . وأن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين . وإن لم يفعلوا قاتلوا بهم وفرة . فما تظن قريش ! . . . فوالله لا أزال اجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه الساقفة^(٢)) .

حرص الرسول على السلم : وجعل الرسول يفسكر في أمر قريش . . . لقد خرج من المدينة محرما يريد البيت الحرام . ولم يخرج غازيا يحمل عدة الحرب . ولعل قريشا قد أدركت ذلك فخرجت برجالها لتتال منه غدرا . وإن حارب الرسول مرغما وهو أعزل فقد تكون العاقبة وخيمة . . . فما عساه أن يفعل والمسلمون لا يحملون من الأسلحة إلا مثل ما يحمل المسافر من سلاح مغممد .

(١) موضع بالقرب من مكة

(٢) الفتى

وفي الوقت الذي كان الرسول « صلى الله عليه وسلم » يقلب وجهاً النظر للخروج من هذا الحرج . تراءت له فرسان قريش . فأدرك أنه لكي يبلغ المسلمون غايتهم لا بد وأن تدور معركة بينهم وبين قريش . . معركة غير متكافئة أرغمته قريش عليها إرغاماً . وحملته عليها إلزاماً .

على أن المسلمين لا يفتقرون إلى الحماية الإسلامية لكي يدافعوا عن كيانهم . فقد تسكفهم ما معهم من أسلحة صفيرة لقتال قريش الباغية . ولكنهم إن هم حاربوها فسيرتكبون إثم القتال في الشهر الحرام الأمر الذي سيجعل قريشاً تتخذ منه ذريعة لتشهير بهم أمام العرب .

إذن فليتمصرف الرسول بحكمته الممهودة ليفوَّت على قريش ما تريد . وليظل هو جانحاً إلى السلم كما خرج عليه من المدينة . لذلك نادى في الناس قائلاً . « من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها » ؟ قال رجل : أنا يا رسول الله . فسلك الرجل بهم طريقاً وعراً أضنى المسلمين وأتمبهم حتى انتهى بهم إلى سهل عند منقطع الوادي ثم أنجموا منه ذات اليمين حتى خرجوا على ثنية المزارع مهيّط الحديبية من أسفل مكة . فسلخوا ذلك الطريق . فلما رأت خيل قريش أن المسلمين قد غيروا طريقهم رجعوا راكضين ليقفوا في مكان يدافعون منه عن مكة إذا هاجمها المسلمون .

ولما وصل المسلمون الحديبية بركت ناقه الرسول « صلوات الله عليه » فقال الناس : خلأت القصواء ظناً منهم أنها جهدت . فقال لهم النبي « ما خلأت . وما هو لها بخلق . ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة . لا تدعوني قريش إلى خطة يسألونني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها » ثم دعا الناس إلى النزول . فقالوا : يا رسول الله ما بالوادي ففرزه في الرمال فأخرج منها من كنفاته وأعطاه لرجل من أصحابه فنزل به إلى بئر بالوادي ففرزه في الرمال من قاع البئر فجاش بالماء . واذ ذاك اطمأن الناس ونزلوا وانتظروا ما تفعله قريش .

رسل قريش إلى النبي : ورأت قريش أن توفد أحد رجالها يقف على قوة محمد

وأخباره . فأرسلت إليه رجالا مع بديل بن ورقاء . فلما اطمأن رسول الله إلى أنهم من خزاعة كلمهم . فسألوه ما الذي جاء به . فأخبرهم أنه لم يأت محاربا . وإنما جاء زائرا للبيت . معظماً لجرمته . فرجعوا إلى قريش يخبرونها بما قال الرسول . لكن قريشا اتهمت بديلا ورجاله وجبهوم وصاحوا فيهم : وإن كان جاء لا يريد قتالا فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبدا . ولا نتحدث بذلك عنا العرب .

ثم بعثت قريشا رسولا آخر هو مكرز بن حفص . فلما انتهى إلى رسول الله سمع منه مثل ما سمع بديل فنقله إليهم . فلم يصدقوه . فعادوا وأوفدوا إليه الحليس بن علقمة سيد الأحابيش . فلما رآه رسول الله قال « إن هذا من قوم يتألهون . فابمشوا الهدى في وجهه حتى يراه » ورأى الحليس الهدى يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده . وقد تأكلت أوبارها من طول الحبس . فتأثرت نفسه لما رأى من دليل السلام . فعاد إلى قريش من غير أن يصل إلى رسول الله . وأخبرهم بالحقيقة ولكنهم لم يصدقوه وقالوا : إجلس فإنما أنت أعرابي لا علم لك .

وغضب الحليس لبغى قريش وتكذيبها إياه وقال يا معشر قريش : والله ما على هذا حالفناكم ولا على هذا عاقبناكم . أيصد عن بيت الله من جاء معظماً له ؟ . فوالذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد . . . نخشيت قريش مغبة غضب الأحابيش فاسترضته وطلبت من الحليس أن ينظرهم حتى يأخذوا لأنفسهم ما يرضيهم .

ثم بعثوا إلى النبي رجلا ثالثا هو عروة بن مسعود الثقفي . لكنه اعتذر لهم لما شاهده من تعنيفهم لمن سبقوه من الرسل جميعا . فطمأنوه وأكدوا له أنه غير متهم عندهم . وأنهم واثقون في حكمته وعدله .

وخرج عروة إلى رسول الله « صلوات الله عليه » فلما أتاها جلس بين يده وقال :

يا محمد أجمعت أو شأب^(١) الناس ثم جئت بهم إلى بيضتك^(٢) لتفضها بهم . أنها لقريش
قد خرجت . قد لبسوا جلود النمر يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة أبدا . وأيم الله
لكأنى بهؤلاء قد انكشفوا^(٣) عنك غدا .

وغضب أبو بكر رضى الله عنه من حديث عروة . وأنكر أن ينصرف الناس عن
رسول الله « صلى الله عليه وسلم » وكان عروة يتناول لحية رسول الله وهو يكلمه . والمغيرة
ابن شعبة واقف على رأس النبي بضرب يدعروة كلما تناول لحية النبي « عليه السلام »
ويقول له : أكفف يدك عن وجه رسول الله .

ورجع عروة إلى قريش بعد أن سمع من النبي مثل ما سمع من سبقوه من الرسل
فقال لهم : يا معشر قريش إني جئت كسرى في ملكه . وقيصر في ملكه . والنجاشي
في ملكه . وإني والله ما رأيت ملكا في قوم قط مثل محمد في أصحابه . لا يتوضأ
إلا ابتدروا وضوءه . ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه . وأنهم لن يسلمون لشيء
أبدا ، فأروا رأيكم . .

(للحديث بقية نواصله في عدد قادم إن شاء الله . .)

سمر صادر محمد

(١) الأخطا . (٢) الأهل والقبيلة والوطن . (٣) انهزموا وتركوك لعدوك .

جميع منتجات الألبان الطازجة وأنخر أنواع البقالة

تجدها عند شركة

شاكر القمبشواوى وعبد المجيد الشريف

(٥١ شارع بور سعيد (بين الصورين سابقا) بالقاهرة

سجل تجارى رقم ٧٥٦٩٣

تليفون ٥٤٤٠٤

إلى رحمة الله يا أبا الوفاء

في يوم الاثنين السادس والعشرين من ذى الحجة عام ١٣٨٢ الموافق للعشرين من مايو عام ١٩٦٣ توفى إلى رحمة الله فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ أبي الوفاء محمد درويش رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بسوهاج . وهكذا تطوى صفحة علم من أعلام السنة في هذا القرن الرابع عشر الهجري ، فقد ظل يكافح ويناضل في ميدان الجهاد في الدعوة إلى الله وإلى كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم حتى سقط شهيداً على طريق سلفنا الصالح من دعاة التوحيد : ولسانه مازال فتياً قويا في الجهر بكلمة الحق - رغم ما تحالف عليه من شتى الأمراض في السنين الأخيرة - ولا زال قلمه مشرعاً حاداً في الذود عن دين الله ، حتى لقي الله بعد أن ناهز السبعين من العمر . فاللهم اغفر له وارحمه رحمة واسعة وأنزله منازل عبادك الصالحين ولا نحسب أن في أنصار السنة المحمدية بالقطر المصري أو غيره من الأقطار الإسلامية من لا يعرف الشيخ أبا الوفاء فقد كان علماً عالياً وطوداً شامخاً أمدم بكثير من المعارف والعلوم على صفحات مجلة (الهدى النبوي) من يوم صدورها . وكذلك في رسائله وكتبه التي أربت على العشرين مؤلفاً وإنهم ليقبلون إقبالا شديداً على كل ما دمجته يراعت له لما امتاز به أسلوبه من القوة والإشراق والسهولة والبلاغة ، وستظل كتبته ورسائله سلاحاً وذخيرة لدعاة التوحيد حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وستظل تدر عليه الحسنات ما انتفع منها أحد أو اهتدى بها مهتد ، وقد كان رحمه الله عنيداً إلى أبعد حدود العناد في الرأي يراه أو يقتنع به ، وما كان أحد يستطيع أن يردعه عنه أو يقنعه بمجاافته للحق ، ولسكن : كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه . لاشك أن الموحدين في كل مكان سيفجعون لهذه الخسارة الفادحة ، فليسألوا الله له الرحمة والمغفرة والفردوس الأعلى في الجنة ، وليسألوه سبحانه أن يعوضهم فيه خيراً .

ويقع على عاتق إخوانه أنصار السنة في سوهاج عبء المحافظة على دعوة التوحيد ، وما أنقله من عبء ، والمحافظة على المنشآت الاجتماعية التي كان يرعاها ويدبرها ، أعانهم الله ووفقهم وجمع كلمتهم .

اللهم اغفر لأبي الوفاء وتجاوز عن سيئاته في عبادك المؤمنين ، اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا وله .

العام الهجري الجديد

ياغرة العام إجلالاً وإكباراً
أطلعتْ بعميم البشر شاملةً
كفأك من حسب عالٍ ومن نسب
أسمي البرية للأنساب ما بلغت
وأرجح الناس عقلاً إن دعت نوباً
لآقى بمكة أهوالاً غداة دعا
ولم يصادفه لما قام ينشرها
في كل وادٍ خلق الشر مؤتمراً
تخلف الدار يبغي طيبة وطناً
فيم الإقامة في دار يكاد له
أمّ المدينة والصديق وانسلت
سارا على بركات الله وانطلقا
جاءا إلى الفار سعياً بعد مجده
واسقما لقصاء الله واصطبرا
وجاهدا في سبيل الله واحتملا
لم يثن عزمهما كيدٌ ولا عنتٌ
فأنمرت بغد أهوال جهودهما

يضيق عن وصفها نثر وأشعار
للكون أم فلأك بالمد دوار
لهجرة المصطفى نحرٌ وإكبار
سموٌ محتده في الكون أقمار
إن النوائب الألباب معيار
ولم يؤازره في دعواه أنصار
إلا عقوقٌ وإعناتٌ وإصرار
وكل آونة رعدٌ وأعصار
لم يثن عزمته أهلٌ وأسمار
فيها ويعرض عن دعواه فجار
عليهما من حجاب الله أستار
كلاهما قرٌّ في الأفق سيار
ففاض بشراً بمن آواها الفار
إن الحق على الأهوال صبار
مالم يُحمّله أطواد وأسوار
ولم يروّعهما في الله كفار
جنّى وطابت لدعوى الحق آثار

* *

يا أيها العام أقبل بالرخاء على
تجلّ يا عام بئاماً فقد عبست
دنياً يعيث بها غدر وإعسار
لنا الليالي وقد ضاقت بنا الدار

أشرق على مصر والإسلام قاطبة
وبالهداية والتقوى أنر سُبُلًا
كفى الحنيفية الذراء مالقيت
كادوا لها أئما كيدٍ فما تركوا
تألبوا ليعولوا دون دعوتها-
ما قيمتى مسلمٌ إسمًا بلا عملٍ
لا فرض أدنى بل لاسنة أتبع
الله في الدين جلّ الدين عن بدع
زأغت عقائدهم في الله فاتجهوا
أهدوا النذور لميت رهن مقبرة
النذر لله والتقربى لمزته
على الساحة قام الدين مرتكزاً
فلنقبه كما نصت أوامره
أليس فيما نراه اليوم موعظة
دالت عروش ودالت بعدها دول
فكم تراق دماء في معالمها
طير النية أنى طار يدرّكهم

* * *

يا شرق كن يقظاً فالغرب مستمر
وأنت يا عام للإسلام كن عضداً
نارٌ تطفى وتخبو بعدها نار
وطائفاً في الذى يرجو ويختار

أحسن ما قرأت

الإسلام ... ومدنية المغرب

تحت هذا العنوان نشرت جريدة الجمهورية بعددها الصادر يوم ١٩٦٣/٥/٩ الكلمة التالية للسيد الأستاذ الدكتور محمد سعاد جلال . وقد بحث بها إيلنا الأستاذ المحاسب محمد سيف الدين سكوري يسأل عن رأى أنصار السنة الحمديدية فيما تضمنتها من الآراء والتوجيهات . فنقول : إن كل ما ذكره الأستاذ الدكتور حقائق ترتكز على كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، وكلها تتفق تماماً مع دعوة أنصار السنة منذ نشأتها ، وهى نفس ما نادى بها علماء الجماعة ، سواء من انتقل منهم إلى رحمة الله أمثال أصحاب الفضيلة المشايخ محمد عبد الحليم الرمالي ومحمد حامد الفقى ومحمد محمد نجيم وأحمد محمد شاكر ، أو من هم على رأس الجماعة الآن . وهى كلمة الأستاذ الدكتور محمد سعاد جلال : —
منهج مستقل

لنا منذ زمن بعيد منهج مستقل فى تفسير الإسلام : يكن أن نفسير على ضوءه الوقائع المستحدثة فى علاقة الإسلام بالمدينة ، كما يمكن أن يستمد منه حلولاً للمشاكل الناشئة عن التطور حيث يظن أنها تصطدم بأحكام الشريعة ، لأنها بالقياس إلى تطبيقات الفقهاء السابقة تبدو كذلك ، ويتكون هذا المنهج من العناصر الآتية .

١ — الإسلام دين الفطرة لقوله تعالى ﴿ فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التى فطر الناس عليها ﴾ ومعنى ذلك أن عقائد الإسلام ، وشريعته ، وآدابه تعبير عن مقتضيات الفطرة الإنسانية وتمثيل لحاجاتها فهى متفاسقة غير متنافرة معها أبداً . واذن فكل ما يلائم الفطرة من الأحكام والآداب والاعتقاد فهو من الإسلام ، وما ليس كذلك فليس من الإسلام .

سنة الله . .

٢ — الاعتراف بأن شئون الكون العلوى والسفلى خاضعة ومسيرة بسنن « نواميس » كونية هى من فعل الله تعالى وقد أودعها الله تعالى فى الكون : فى آفائه المادية :

وعوالمه المعنوية : ليسيره بمقتضاها . قال تعالى ﴿ سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً ﴾ : وغير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى .

٣ - بما أن الله سبحانه وتعالى هو خالق الكون من العدم وخالق نواميسه : فإنه قادر على خرق نواميسه متى شاء وكيف شاء لا معقب لحكمه ولا سلطان لآخر عليه في تمام اختياره لفعله وأنه سبحانه يحكم النواميس والنوميس لا تحكمه ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

وينبنى على هذا الأصل - قبول الاعتراف بمعجزات الأنبياء ، وكرامات الأولياء . كانشقاق القمر ، ونبع الماء بين أصابعه صلى الله عليه وسلم - وحصول الإسراء والمعراج ، وما كان يقع لخواسب المسلمين الأول في حروب الردة ، وفي مغازيهم من خوارق العادات : وشرط ذلك كله عندنا : النقل القاطع بحصول أمثال هذه المعجزات والخوارق : لا تقبل في ثبوت ذلك ظناً ، لأن الأصل اطراد النواميس السكونية في مسارها وعملها : ولا يجوز الحكم بتعطيل هذا الأصل اليقيني - ان ادعى حصوله في حادثة من الحوادث - الا بنقل يفيد العلم اليقيني . .

٤ - نفى أن يكون للقرآن ، أو للسنة ظاهر وباطن : بل القرآن الكريم : كتاب عربي مبين : ظاهره كباطنه وباطنه عين ظاهره وسبيل معرفته ، الفهم السكامن ، والملكية المستحكمة في البصر بأساليب اللغة العربية على ما كان يفهمها به أهلها .

فمن حيث كان العرب يفهمون اللسان العربي يكون فهمنا نحن للقرآن : وقد تتفاوت الأذهان في فهم القرآن - ولكن ذلك كما تتفاوت : قوة وضعفا - على حسب استعدادها - في فهم شعر زهير ، أو لبيد ، أو امرئ القيس ، أو المتنبي ، أو غير هؤلاء : ولا يسمى مجال هذا التفاوت في العمق أو السطحية : ظاهراً ، وباطناً .

٥ - وظيفة القرآن أنه كتاب هداية ، وإصلاح بشري : نفسي واجتماعي ، وبشارة للمؤمنين ، ونذارة للكافرين . ﴿ كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ﴾ : وليس من شأن القرآن أن يبحث في العلوم السكونية - كالطبيعة ، والفلك ، والكيمياء ، وغيرها ، فإن هذا البحث خارج عن حدود وظيفته . وما ورد في آياته السكونية مشتملاً على ذكر شيء من ذلك فإنما هو من قبيل التشبيهات البلاغية ، وضرب المثل لإيضاح الفكرة من حيث كان كتاب بلاغة لا تنفصل عن ذاته خواص الأساليب البلاغية .

هذه هي العناصر الخمسة التي تشخص منهجنا المستقل في تفسير الإسلام تفسيراً يحقق لأحكامه وفكرته التناسق مع تقدم العلم وامتداد التطور ، والكفاية الفردية ، والاجتماعية لتنظيم حياة الإنسان ، في هذه الدنيا .

وقد يتشابه منهجنا هذا مع منهج الأستاذ الإمام محمد عبده ومدرسته في بعض الملامح : ولكنني أرى بين منهجين فروقاً أساسية .

لقد أراد الشيخ محمد عبده أن يوفق بين الإسلام والمدنية الغربية .

الغرب وعقل الإنسان

أما نحن فمنهجنا يقضي بأن يقف الإسلام ثابتاً في موضعه لننقل إلى رحابه للمدنية الغربية . وعلى المدنية الغربية أن تمدل نفسها لتقف في رحاب الإسلام متطامنة الرأس لمهومة الأطراف . وليس على الإسلام أن يمدل موقفه الصحيح لتقاء هذه المدنية أبداً ، لقد بهرت المعرفة الغربية في ختام القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين عقل الشيخ محمد عبده وخصوصاً بالقياس إلى ركود الفكر وتخلف المعرفة في بلاد الشرق الإسلامي لذلك العهد فلم يستطع «العالم الذكي» ، والكاظم الأديب» كما وصفه المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل أن يعمل بمقله على الوهج الساطع لهذه المعرفة الجديدة . بل جعل لها السبيل لتملو هي على عقله . ومن ثم جنح هذا الرجل الفاضل في تأويلات للشريعة غير صحيحة وورثها عنه طائفة من علماء الأزهر ، وفيهم من يمدون أعينهم لزهرة الحياة الدنيا ، ويأهبون برأى غيرهم ، ليمدوا مع فريق المعروفين بالتجديد ، وإليك مثالين مما يبين الفرق بين منهجنا ومنهج الشيخ محمد عبده والملتصقين به .

(١) يرى الشيخ محمد عبده عدم وجود النسخ في الشريعة : مخالفاً في ذلك عامة علماء الفقه ، والأصول ، والتفسير والحديث : عدا واحداً لم ينقل إلينا نص كلامه ، ولم يعرف كل مذهبه : هو أبو مسلم الأصفهاني .

ولا شك عندي أن السبب الذي جنح بالأستاذ الإمام إلى هذا الرأي الشاذ مخالفاً فيه آراء كل علماء الأمة تقريباً - إنما هو الحذر ، والاحتياط دون نقد المستشرقين الأوروبيين الذين يتخذون من مسألة النسخ هذه وإقرارها في الشريعة مطعناً على الإسلام ، فبدل أن يصمد الأستاذ الإمام مع الفكرة الإسلامية نراه ينقل الإسلام إلى ما يوافق الأصح في رأى

المستشرقين : وهو أن عدم وجود النسخ في الشريعة أصح الرأيين ، إذ كان هو الرأي الذي يمنع اعتراضهم على الإسلام . في هذا الموضوع ، إذا آثرنا الأخذ به .

الأصح . . . والحق

وأما مقتضى منهجنا فهو القول بوجود النسخ في الشريعة لأنه هو الأصح ، وهو الحق : من الوجهة الموضوعية الخالصة ، وهو الذي قرره علماء الشريعة من عهد الصحابة حتى اليوم سواء قبل التفكير الغربي هذه القضية أو رفضها .

ولا يجوز أن يصور الإسلام بالصورة التي ترضى مقاييس الفكر الأجنبي : كما أراد ذلك الشيخ عبده والملتصقون به ، بل يتعين أن يصور الإسلام بصورته الموضوعية المجردة : من كل زيف ، وإضافة ، وقصور . .

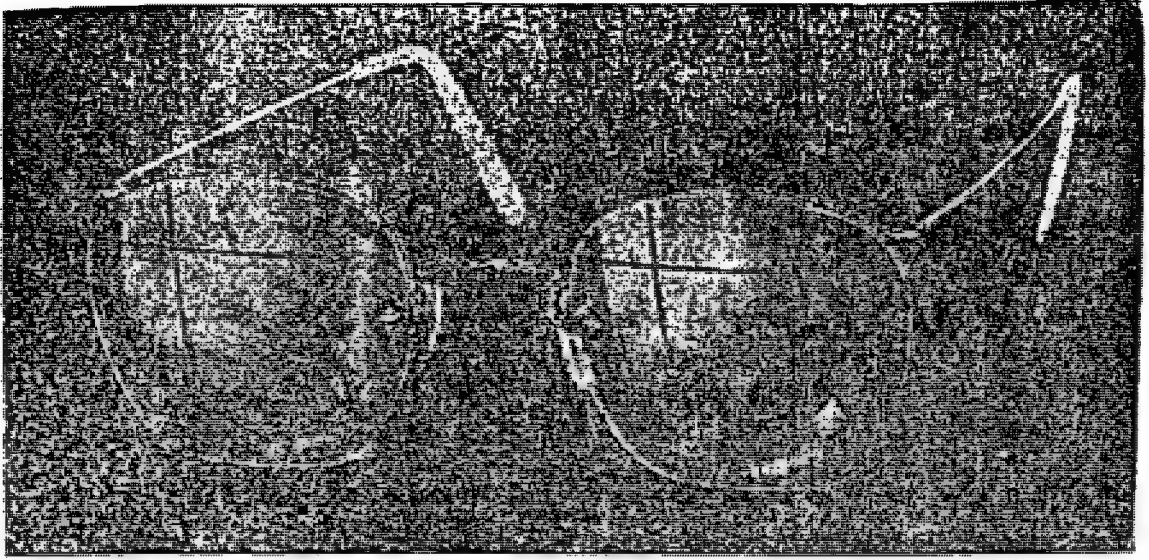
وقد أثبتت هذه المسألة في جلسات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . فتصدى لنفي النسخ رجلان من لصقاء الشيخ محمد عبده : هما الشيخ عبد الجليل عيسى ، والشيخ محمد أبو زهرة وتصدت لإثباته : ثم استقر الأمر في بعض الجلسات على أن أكتب في ذلك بحثاً ، ويتولى الشيخان الفاضلان الرد عليه - ما دامتا متمسكين برأيهما .

وفعلاً كتبت رسالة مختصرة - قاطعة - في إثبات وجود النسخ في الشريعة ولكن الشيخين الفاضلين لم يرد أحدهما على شيء فيها .

الملاك والشیطان

(ب) بحسب منهج الشيخ محمد عبده يرى هو ، أو يرى بعض تلاميذه أن المراد بالملاك ، والمراد بالشیطان : في نصوص القرآن والسنة إنما هو قوة الخير ، وقوة الشر الموجودتان في الإنسان اللتان تتجاذبان نحو الخير أو الشر ، وهذا التأويل منطوق فيه إلى الفكر الغربي المادي : فتأويل القرآن بما يتفق مع هذا الفكر نقل للقرآن عن موضعه إلى موضع المصادقة مع المدنية الغربية على حساب الإسلام .

وبحكم منهجنا - نرى أن الملاك والشیطان ، كائنان مستقلان لكل منهما وظائف وأعمال ذكرها القرآن : وعدم تصور ماهية كل منهما غير مانع من تحقق وجودهما المستقل . لأن فهم هذا المعنى هو الظاهر من لفظ القرآن الكريم ، ولا يجوز العدول عن الظاهر إلا لسبب ظاهر .



أحدث النظارات الرائعة تجدها عند الأخصائي

أحمد محمد خليل

المصري الوحيد خريج جامعة باريس شارع الجوهري

رقم ١ بميدان العتبة والعمارة التجارية القدم شارع ٢٦ يوليو

س . ت ٢٣٤٥ — تليفون ٤١٢٦٢

شركة غريب للساعات والمجوهرات

إدارة : محمد الغريب محمد البار

بشارع محمد بك فريد رقم ١١٧ مصر عابدين

أحدث الساعات في المتانة ودقة الصناعة

والمجوهرات والنظارات — أسعار مذهشة

تساهل في الدفع على أقساط شهرية

بالمحل ورشة فنية للتصليح

﴿ أنصار السنة المحمدية لهم امتيازات خاصة ﴾

العدد ٢

المجلد ٢٨

صفر

سنة ١٣٨٣

خير الهى رضى قديمى الله عليه وسلم

الهذى النبوى

تصنيفه اجساعة انصار السنة المحمدية

رئيس التحرير

عبد الرحمن الكوكبى

مدير الإدارة

محمد رشدى خليل

٣٠ ملبا

مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير
ت ٩٠٦٠١٧

الفهرس

٣	التفسير	لفضيلة للأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل
١٥	عقيدة القرآن والسنة	» » » محمد خليل هراس
١٩	نظرات في التصوف	» » » عبد الرحمن الوكيل
٢٧	الغزوات (عهد الحديبية) . . .	» سعد صادق محمد
٣٤	العبادة في الإسلام	» السيد عبد الحليم ملاقي
٣٩	باب الكتب (ديوان الأستاذ مصطفي بهجت)	للأستاذ سعد صادق محمد
٤٤	أبو الوفاء (قصيدة)	» نجاتي عبد الرحمن
٤٧	الفتاوى	
٤٨	من أخبار الجماعة (فرع طنطا)	
٤٩	قضية المرأة (٣)	للأستاذ عبد الحافظ فرغلي

رجاء

١ - نذكر السادة المشتركين بإرسال إشتراكاتهم للسنة الجديدة .

٢ - نرجو من السادة المتعهدين المبادرة بتسديد ما بههدتهم .

الحوالات تكون باسم السيد / محمد رشدي فليل مدير المجلة

رئيس التحرير

عبد الرحمن الوكيل

أصحاب الامتياز : ورثة

الشيخ محمد حامد الفقى

خير الهى دعى محمد صلي الله عليه وسلم

المهدي النبوي

مجلة شهرية دينية

صدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

مدير الإدارة

محمد رضى خليل

الاشتراك السنوي

٣٠ - في الجمهورية العربية

المتحدة والسودان

٤٠ - في الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله - عابدين القاهرة - تليفون ٧٦٠٧٦

العدد ٢

صفر سنة ١٣٨٣

المجلد ٢٨

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال - جل ذكره - (واضرب لهم مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ ، فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ ، فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ ، وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا . الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا . وَيَوْمَ نَسْفُتُ الْجِبَالَ ، وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً ، وَحَشَرْنَا نَاهُمْ ، فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا . وَعَرْضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا . لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْمَعْلَ لَكُمْ مَوْعِدًا - الكهف : ٤٥ - ٤٨) .

المعنى

« الدنيا » : قال الراغب : الدنو : القرب بالدار وبالحكم ، ويستعمل في المكان والزمان والمنزلة . . ويمبر بالأذن تارة عن الأصغر ، فيقابل بالأكبر نحو : « ولا أدنى من ذلك ولا أكبر » وتارة عن الأزل ، فيقابل بالخير نحو : « أُنْسَبِدِلُون

الذى هو أدنى بالذى هو خير » وعن الأول ، فيقابل بالآخر نحو : « خَسِرَ الدنيا والآخرة » وتارة عن الأقرب ، فيقابل بالأقصى نحو « إذ أنتم بالعدوة الدنيا ، وهم بالعدوة القصوى » ..

اختلط : قال الراغب : الخلط : هو الجمع بين أجزاء الشئين ، فصاعدا سواء أكانا مائعين ، أو جامدين ، أو أحدهما مائع والآخر جامد ، وهو أعم من المزج .

« هشيا » : قال ابن فارس عن أصل الكلمة : إنه يدل على كسر الشئ الأجوف . وغير الأجوف ، والمهشم من النبات : اليابس المتكسر ، ورجل هشيم : ضعيف البدن .

« تذروه » قال ابن فارس في معجمه مقاييس اللغة عن الكلمة إن لها أصليين أحدهما الشئ بشرف على الشئ ويظله ، والآخر : الشئ ينساقط متفرقا .

« زينة » أصل الكلمة يدل على حُسن الشئ وتحسينه .

« الباقيات الصالحات » : يقول الراغب : البقاء : ثبات الشئ على حاله الأولى ، وهو يصاد الفناء . . وقوله تعالى : « والباقيات الصالحات » أى : ما يبقى ثوابه للإنسان من الأعمال . . . ثم اختار الرأى القائل بأن الباقيات الصالحات هى كل عبادة يقصد بها وجه الله تعالى .

« عند » لفظ موضوع للأقرب ، فتارة يستعمل فى المكان ، وتارة فى الاعتقاد ، وتارة فى الزنى ، والمنزلة .

« ثوابا » : قال الراغب : أصلُ الثوب : رجوع الشئ إلى حاله الأولى التى كان عليها ، أو إلى الحالة المقدرة المقصودة بالفكرة ، وهى الحالة المشار إليها بقولهم : أول الفكرة آخر العمل . والثواب : ما يرجع إلى الإنسان من جزاء أعماله .. والثواب يقال فى الخير والشر لكن الأكثر المتعارف فى الخير .

« أملا » : قال ابن فارس عن الكلمة إن لها أصليين : أحدهما يفيد الثبت والانتظار ،

والثانى : الحبل من الرمل .

وقال ابن منظور في لسان العرب الأمل ، والأمل ، والإمئل : الرجاء وقال ابن فارس عن الكلمة إنها تفيد العود والرجوع ، والثواب .

« بارزة » : قال ابن فارس عن أصل الكلمة إنه يفيد ظهور الشيء وبدوه .

وقال الراغب : البراز : الفضاء . وبرز : حصل في براز ، وذلك إما أن يظهر بذاته نحو : « وترى الأرض بارزة » تنبيهها : أنه تبطل فيها الأبنية وسكانها . . وإما أن يظهر بفضله ، وهو أن يسبق في فعل محمود ، وإما أن يكشف عنه ما كان مستورا منه . ومنه قوله تعالى : « وبرزوا لله الواحد القهار »

« حشرناهم » : قال ابن فارس عن أصل الكلمة إنها تعطي معنى حشد ، وفيها زيادة معنى ، وهو . السَّوق والبعث والانبعاث . وأهل اللغة يقولون الحشر : الجمع مع سوق وقال الراغب : الحشر . إخراج الجماعة عن نفهم وإزعاجهم عنه إلى الحرب ، ونحوها . وقال في باب حشد . حشد القوم : اجتمعوا وخفوا في التعاون .

« نقادر » أصل الكلمة يدل على ترك الشيء .

« صفا » الصف أن تجعل الشيء على خط مستو كالناس والأشجار وغيرها .

« زعمتم » : قال الراغب : الزعم : حكاية قول يكون مظنة للكذب ، ولهذا جاء في القرآن في كل موضع ذم القائلون به .

وقال ابن فارس عن الكلمة إنها تدل على القول من غير صحة ، ولا يقين ، وعلى التكفل بالشيء .

« الملعون »

وهذا مثل جديد جليل يضربه الله سبحانه . وموضوعه قصة الحياة الدنيا مع من يفسنيهم حبها ، ويستبد بهم عشقها ، وتأخذ بقلوبهم فتنتها الآثمة ، فتصرفهم عن الله اليها ، وعن مساجده إلى ردة فسوقها ، وحمأة رذيلتها الباغية .

موقف وموقف : والناس مؤمن وكافر ، وقد بين الله - كما ذكرت من قبل - موقف
 الفريقين من أمثاله . وأعيد هنا التذكير بهذا لعل شغاف القلب تظل ريانة المشاعر بهذا
 الهدى الجليل . يبين الله موقف الذين آمنوا من أمثاله التي يضر بها للناس بقوله :
 (فأما الذين آمنوا ، فيعلمون أنه الحق من ربهم) .

أما الذين كفروا ، فيبين الله موقفهم بقوله التي يضر بها للناس : (وأما الذين كفروا ،
 فيقولون : ماذا أراد الله بهذا مثلا) .

ويبين الله الحكمة من ضرب المثل بقوله : (يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا ، وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ،
 وَمَا يَضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ) فنضرع إلى الله أن يجعلنا ممن يهديهم بأمثاله ، وأن يباعد
 بيننا وبين من يضلهم بها ، فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون . ولقد أكد لنا
 القرآن التحذير من فتنة الدنيا في كثير من آياته المحكمات ، فيقول جل شأنه :
 (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ، وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ -
 فاطر : ٥) (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور - الحديد : ٢٠) . ثم يهدي إلى حقيقة
 ما فيها من نعيم ، فيؤكد أنه شيء نزر يسير يتمتع به إذا قيس بنعيم الآخرة ، فيقول
 جل شأنه : (وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع - الرعد : ٢٦) ويفصل - جل شأنه -
 متاعها تفصيلا جليلا محكما ، فيقول : (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ، ولهو ، وزينة ،
 وتفاخر بينكم ، وتكاثر في الأموال ، والأولاد ^(١) - الحديد : ٢٠) .

وما في الحياة الدنيا لمن يريدونها شيء آخر غير ما ذكر ، وما شيء مما ذكر سمة الخلود
 أو لحة من جلاله المزمدة !!

(١) وما أظن أنك في حاجة إلى أن أذكرك بأن الإسلام لا يحرم أبدا أن يتمتع
 الإنسان بزينة الله التي أخرجها ، وبالطيبات من الرزق ، وإنما يحرم ما حرم من فتنة
 الحياة ، وبيننا أن تصرفنا عن وجهه ، فاستمتع بطيبات الحياة ، وأنت تراها نعمة من الله
 يجب أن تشكره عليها : (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق
 - الأعراف : ٣٢) .

كما يقارن بين الحياة الدنيا ، وبين الحياة الآخرة ، فيقول - جل شأنه - (وما هذه الحياة الدنيا إلا لهوٌ ولعبٌ ، وإن الدار الآخرة أسمى الحَيَوانِ ^(١) لو كانوا يعلمون - العنكبوت : ٦٤) .

كما يبين جل شأنه أن كل ما نُعْطَى في هذه الحياة إنما هو متاع فاني ، فلا ينحرف بنا عن سواء السبيل (فما أُوتِيتُمْ من شَيْءٍ ، فمتاع الحياة الدنيا ، وما عند الله خيرٌ وأبقى للذين آمنوا ، وعلى ربهم يتوكلون - الشورى : ٣٦) كما يبين - سبحانه - أن لدينا حَرثًا ، وأن للآخرة حَرثًا كذلك وأنه يترك لعبده حرية الاختيار ، وأنه يعطيه ما يريد : أى ما يريد عبد الله - سبحانه - فيقول : (مَنْ كَانَ يَرِيدَ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ، وَمَنْ كَانَ يَرِيدَ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ، وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ - الشورى : ٢٠) كما يقول : (مَنْ كَانَ يَرِيدَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا ، وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَشُونَ - هود : ١٥) .

نم بحكم حكما عادلا على هؤلاء الذين يحبون العاجلة ، يحبون الحياة الدنيا مفضلين إياها على الآخرة ، وذلك في قوله : (الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ، أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ - إبراهيم : ٣) . هكذا ترى القرآن في جلال هدايته لا يترك من شَيْءٍ يَهْدِي إِلَّا وَيَهْدِيهِ . وعلى هَدًى من هذا النور الإلهي أسير في بيان الآية ، وأضرع إلى الله أن يكون بيان حقٍّ وصدق .

لقد غرَّ أولئك المترفين ترفُّهم ، وهفا بهم عن صراط الله المستقيم ولجَّ بهم في متاهات الباطل والضلالة . أولئك الذين حاولوا صَرَفَ الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن الذين

(١) الحيوان مصدر حيي ، وبه سُمي ما فيه حياة حيوانا . وفي كلمة حيوان معنى لا يوجد في كلمة حياة ، وهو أن في هذا الوزن فعلان ، ما يدل على الحركة كالحِجَابِ والفلِجان . فأفادت كلمة حيوان أن الحياة في الآخرة حياة مستمرة دائمة لاموت فيها ، لأن الموت سكون والحياة حركة .

يدعون ربهم بالفداء والعشّي ، فأمره الله أن يصبر نفسه معهم . وقريب منا ذكرُ هذا الذي أعطاه الله جنتين عظيمتين ، ففرته دنياه الباغية ، حتى كفر بالله سبحانه ، وظن أن الساعة ليست قائمة .

فجاءت هذه الآيات التي أفسرها هنا مبينة حقيقة هذه الحياة الدنيا التي حملت أولئك وصاحب الجنتين وأمثالهم على الكفر بالله . وبتدبر المثل نراه يقص علينا بكلام الله بداية الحياة الدنيا في بهجتها ووشى زينتها ، ويقص مصيرها الذي يصدم العاطفة بالمبرة القوية فتقريث ، لتري المصير ، وتمتبر . ترى هذه الدنيا التي كانت أمس تحفل بفنون شتى من المتاع . هنا ، وهناك على مدّ البصر والسمع زينة وبهجة ونفَمّ ساحر الفبرات أخاذ الأصدقاء ثم .. ماذا !؟ .

مأسة نباتٍ اختلط بالماء فصار رَدْغَةً من طين ، ثم لفحته الشمس ، ثم داسته الأقدام ، فصار هشياً تذروه الرياح . وهل تستطيع أن تأخذ من الريح هشياً تذروه ؟ وهل في هشيم تذروه الرياح غناء ومتاع ؟ وهل في منظر الهشيم - وأنت تعرف أنه كان ورداً وريحاناً ونباتاً نضراً - إلا ما يثير اللوعة والأسى ؟ .

هكذا الحياة الدنيا : متاع وفير ، ثم مصير ، وياله من مصير ! .

ثم تدبر في شأن المثل والقصة تجد الأمر كله خيراً وقيماً كثيراً . وهل الماء الذي جعل الله منه كل شيء حي إلا خير ؟ وهل النبات الذي هو من قوام الحياة إلا خير ؟ فإذا نظرت إليهما هذه النظرة الصادقة التي يتألق فيها نور الإيمان زادك الله هدى ونوراً وبصراً بأمور دنياك ، فلا يفرك ما تمطاه ، وتجسبه هو المنة الباقية ، والنعمة الخالدة ، فهذا أنت ترى الماء ، وهو من أجلّ النعم ، والنبات ، وهو آية نعمة وقدرية يجعل الله منهما محنة وبلاء كبيرين

إن القصة والمثل مكونة من أمور لا يثير كل أمر منها على حدة في القلب فزعاً أو مخافة . فهي مكونة من ماء ينزله الله من السماء ، والماء من أسباب الحياة ، ومن نبات

يخرجه الله من الأرض ، وهو غذاء ونماء ، ولكن قدرة الله سبحانه جعلت من سبب الحياة والبقاء سبباً للموت والفناء . فلا يخذلك أمر الحياة الدنيا . فتقول : أَوْ مَنْ يَعطى كل هذا الخير يكون منضوباً عليه من الله ! أو تقول : لا أرى فيما آتاني الله من متاع إلا دليل رضوانه عني . أو تقول : أو ينتج الخير شراً ؟

وتدبر قول الله سبحانه : (أَلَيْسَ جُؤُنُكُمْ أَلَيْسَ نَعْمُ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ نُسَارِعِ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ؟) بل لا يشعرون - المؤمنون ٥٥ ، ٥٦) وتدبر قوله جل شأنه . (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا . وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا . وَبَيْنَ شُهُودًا . وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا . ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ . كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا . سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا - المدثر ١١ ، ١٧) .

وخلاصة المثل كما أفهم : هي أن الله يشبه حال الدنيا بحال المطر الذي ينزله الله من السماء ، فتختلط به نبات الأرض^(١) ، فيصير بهذا الاختلاط الذي نظن أنه سبب نمائه وحياته هشياً تحمله الرياح إلى أعلى ثم تسقطه متفرقا في أمكنة شتى . وفي الكلام إيجاز بليغ رائع تجده بعد قوله سبحانه : « فاختلط به نبات الأرض » ويفيده قوله جل شأنه : « فأصبح هشياً » وهو مختلط بالماء ؛ إذ يكون طريا ، وإنما يصير كذلك بعد أن تسقطه شدة المطر على الأرض ، فتجعله مختلطاً بترابها ثم يجف بعد هذا ، ثم يفتكسر ، أي يصير هشياً تحمله الرياح معها إلى أعلى ، ثم تسقط به في أماكن متباينة . وهذا مثل للدنيا ينهل غناها وترفها على صاحبها ، فلا تكون له سبباً من أسباب السعادة ، وإنما تكون له سبباً

(١) أفهم في ذكر « فاختلط به نبات الأرض » بدلا من (فاختلط نبات الأرض به) الإشارة إلى أن النبات كان يطلب الماء ويحتاج إليه ، فكأنما طلب ما فيه هلاكه وموته هذا إذا فسر المثل بما نفسه هنا أولا ، أما إذا فسرناه بالتفسير الثاني ، فيكون المراد أيضا أن حب الأرض كان في حاجة ماسة إلى الماء ، ليصير نباتا والمعروف أن نسبة الفعل للمشرك إلى أحد الخليطين يفيد نسبته إلى الآخر ، فنسبة الاختلاط إلى النبات ، تفيد نسبته إلى الماء

من أسباب الشقاء والتعاسة . شأنها شأن المطر الوابل يظل يضرب النبات في تدفقه ، حتى يميته ، وهو سبب من أسباب حياته .

هذا إذا أخذنا المثل كما هو في هذه الآية ، فالمثل هنا يفيد أن نبات الأرض اختلط بالماء ، فصار النبات هشياً ، والعطف بالفاء يفيد التعاقب ، وهذا التفسير يناسب قصة صاحب الجنتين ؛ إذ كان الغنى الوفير بالنسبة له قاتلاً ومميتاً ، كالمطر الدقاق المنهمر بالنسبة للنبات .

أما إذا حملنا مثل الحياة الدنيا هنا على مثلها في آية أخرى ، فيكون للمثل توجيه آخر . وقبل أن أذكره ، أذكر القرية التي ذكر فيها المثل الآخر . (إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء ، فاختلف به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام ، حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت ، وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً ، فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَّمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ . كذلك نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ - يونس : ٢٤)

فالمثل هنا يفيد أن المطر أحيا نبات الأرض ، فَرَفَّ وزها وسطعت نضرتة ، وأعطى ما يرجوه أصحابه منه ، فظنوا أنهم صاروا على قدرة من حصاده وجنيه .

ولكن قدر الله القاهر ، يحصد آمالهم ، ويحني أحلامهم ، ويأتي الأرض يحصدها ببلائه ، فتصير وكأن لم تكن تحمل من النبات شيئاً ! ! .

فإذا حملنا مافى سورة الكهف على مافى سورة يونس صار المثل مثلاً واحداً ، ويكون في المثل الموجود في سورة الكهف إجمال وإيجاز ؛ إذ ترك الحديث عن حال الزرع بعد نزول المطر ، وقبل صيرورته هشياً .

وبتعبير موجز أقول : إذا جعلنا المثلين مثلاً واحداً ، صار المثل خاصاً بقصة النبات منذ أن كان حباً في جوف الأرض إلى أن يصير هشياً . أما إذا فصلنا بين المثلين ، صار مثل سورة الكهف خاصاً بقصة النبات النضير الزاهى يصيبه المطر بالتلف ، حتى يصير هشياً

أى يصير المثل فى سورة الكهف مختصاً بقصة النهاية ، وقص النهاية يثير فى الأرض قصة البداية ، ويصير المثل فى سورة يونس مختصاً بقصة البداية والنهاية .

« وكان ^(١) الله على كل شىء مقتدراً ^(٢) » لا أحد - كما يفعل المفسرون - هذا الشىء الذى اقتدر الله عليه ، فالآية لم تجيء بتحديد ، وإنما أكدت أن كل ما يقال عليه إنه « شىء » هو تحت قدرة الله . وطُوع قوله كن ، أن يجعل الميت مثلاً حياً ، والحي مثلاً ميتاً . وأن يجعل العدم وجوداً ، والوجود عدماً ، وأن يجعل من أسباب الحياة أسباباً الموت ، ومن أسباب الموت أسباباً للحياة .

« المال والبنون زينة الحياة الدنيا » إن الآية تتكلم عن زينة الدنيا . لهذا جاءت بالمال أولاً . فالبنون بلا مال هم لا زينة ، ولأن الآية تتكلم عن زينة أيضاً جاءت بالبنين ولم تتحدث عن البنات . ولا تفيد الآية أن المال أعظم من البنين ، أو أن البنات أقل شأنًا من البنين . إنما تفيد الآية أن المال والبنين هما « زينة » الحياة الدنيا . وتدبر مرة أخرى قصة المترف الذى كفر . والذى كلمنا الله عنه فى سورة المدثر (ذرني ومن خلقت وحيداً . وجعلت له مالا ممدوداً . وبنين شهوداً) فجاء أيضاً بالمال أولاً . وبالبنين ثانياً .

« والباقيات الصالحات » قيل إنها لا إله إلا الله ، وسبحان الله ، والحمد لله ، والله أكبر ، ولا حول ، ولا قوة إلا بالله . وقيل إنها الصلوات الخمس ، أو الصدقة . والعق والجهاد . أما القرآن فيعمم ، ولا يخص ، فيذكر أن كل عمل يبقى للمسلم ثوابه عند الله فهو من الباقيات الصالحات . إنها كل عمل يقصد به وجه ، وكل كلمة ، وكل نية صالحة . وكل طرفة عين ، وكل همسة ونبسة . وخاطرة وبادرة واردة . وليس لها من شىء

(١) التعبير بكان يفيد الثبوت وتحقيق وجود الاقتدار ،

(٢) مقتدر « اسم فاعل » من الفعل (اقتدر) وهذا البناء يفيد المضاعفة أى لا يفيد القدرة على الفعل ، فحسب ، وإنما يفيد أيضاً أن المفعول به طاموع الفاعل ، أو أن قدرة الفعل تحققت ، وحدث مفعولها

يقومها ، ويبقى ثوابها سوى أنها لله سبحانه . إن ما يرجع إلى الإنسان من جزائها ، وما يؤمله الإنسان من ورائها خير من متاع الدنيا كله . قاله يقول عنها « خير عند ربك ثوابا ، وخير أملا » فلا تأمل خيراً من شيء أشركت به مع الله ولياً ، أو نبياً !!

« ويوم نُسِِّرُ الجبال ، وترى الأرض بارزة » مضى الحديث عن الدنيا ، وعن ذكر الباقيات الصالحات ، ويأتى هنا ذكر الآخرة . ومن آياتها أمران : أن تسير الجبال وأن ترى الأرض بارزة . فليس فوقها بناء . ولا تلال ولا جبال ، وليس فيها وهاد ولا ربوات ، وتدبر قول الله سبحانه (ويسألونك عن الجبال ، فقل : ينسفها ربي نسفاً . فيذرهما قاعاً صفصفاً ، لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً . ^(١) - طه ١٠٤ - ١٠٧ » .

وحسبى هذا ، والله يوفق لبيانه في مكان آخر .

« وحشرناهم ^(٢) » وجمعناهم مسوقين إلى المسكان الذي نريد ، وتدبر قول الله : (يومئذ ينبعون الداعي لا عِوَجَ له ، وخشمت الأصوات للرحمن ، فلا تسمع إلا هَمْسًا . - طه : ١٠٨) .

« فلم تغادر منهم أحداً » . فلم نترك واحداً منهم . وقد وردت كلمة « واحد » نكرة في سياق النفي بكلمة « لم » فأفادت عمومًا وشمولاً . وتدبر قول الله سبحانه : (إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا . لَقَدْ أَحْصَاهُمْ ، وَعَدَّهُمْ عَدًّا ^(٣) . وكَلَّمَهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا - مريم ٩٣ ، ٩٥) .

(١) يجعل الجبال رمالا ؛ وتحملها الريح حتى لتظنها صوفاً منفوشاً . والصفصف : المستوى . والآمت : التواء البسير . وقد نفى عنها العوج - مع أنه لا يكون إلا في المعاني - ليبين لنا أنه ينفي عنها العوج الذي يدق عن الإدراك .

(٢) ورد الفاعلان « نسير . وترى » مضارعين . وورد الفعل « حشر » ماضياً . ويذكر الزحشرى علة هذا بقوله : « فَإِنْ قُلْتَ لَمْ جِئْ بِحَشْرِنَاهُمْ ماضياً بعد نسير ، وترى ؟ قلت : للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير ، وقبل البروز ؛ ليعاينوا تلك الأهوال العظائم كأنه قيل : وحشرناهم قبل ذلك » .

(٣) تدبر أنت إحصاء أفراد البشرية وعدم جميعاً منذ خلق الله آدم إلى يوم القيامة . ثم قل : سبحانه من لا تخفى عليه خافية .

« وعرضوا على ربك صفًا » إنه سبحانه مالك يوم الدين ، وسيمرض خلقه جميعاً عليه كما يعرض الجنود على سلطانهم القوي الأعظم . ثم ذكر حالهم وهم في عرضهم بقوله : « صفًا » مصطفين في استواء ظاهرين لا يخفى منهم أحد ، ولا يحجب أحدهم من بجانبه ، وتدبر قول الله سبحانه (يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ ، لا يخفى على الله منهم شيء ، لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار - غافر : ١٦) .

ثم يقول سبحانه : « لقد جئتمونا » وتدبر مع هذه قول الله في سورة الأنعام : (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة ، وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم ، وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم ، وضل عنكم ما كنتم ترهبون ^(١) - ٩٤) .

وقول الله في سورة مريم : (كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مداً . ونرى ما يقول : ويأتينا فرداً . واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا . كلاً سيعفرون بعبادتهم ويكونون عليهم خيلاً - مريم : ٧٩ : ٨٢) .

هذه الآيات تبين أنه يقال ذلك تقريباً وتوبيخاً لهذا الصنف الذي يزعم أنه سيكون له عند الله شافع يوم القيامة يحامى عنه ، ويدافع ، ويعينه باسمه ورسمه . ومن يتدبر قول الله : « وكلهم آتية يوم القيامة فرداً » يعلم أن كل امرئ سيأتي الله كذلك ، وليس معه آخر ، إذ لو كان ثم آخر لصار شفعاً ، وإن يكون ثم آخر أو شافع إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ، ويرضى ، وسيأتيه المشركون فرادى ، ليس معهم مال ولا ولد ، ولا ولي ولا حميم ولا شافع : (مالا ظالمين من حميم ولا شافع يطاع - غافر : ١٨) . فهل يتدبر الذين يدعون الموتى من دون الله ؟ !

(١) فرادى : أى منفردين ، وقيل : لأنها جمع على غير قياس . وقيل : هى جمع فردان وفردى . مثل سكارى فى جمع سكران وسكرى والآنثى فردة - خولناكم : تفضلنا به عليكم فى الدنيا من مال وولد وغيرهما . تقطع بينكم : وقع التقطع بينكم .

« كما خلقناكم أول مرة » إما أن يكون معناها : وحالكم يوم الحىء كحالكم يوم خلقناكم أول مرة حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا ^(١) « أى غير مختونين » .
 وإما أن يكون معناها : جثتمونا أحياء . وتدبر قول الله : (كما بدأنا أول خلق نعيده) .

وإما أن يكون معناها : جثتمونا فرادى كما كنتم كذلك يوم خلقت أول فرد منكم ، وهو آدم . وما كان ثَمَّتْ معه غيره .

« بل زعمتم ألنَّ نجعل لكم موعداً » هذا تفریع وتوبيخ للذين ينكرون يوم القيامة ، فلا يزعم هذا الزعم مسلم ، وإنه ليثير فى نفس من يقال له هذا ندماً وحسرة وخوفاً رهيباً ، وفزعاً شديداً ، إذ يرى ما كان ينكره متحققاً واقعاً فى يوم لا تنفعه فيه شفاعاة ولا عدل ولا مال ولا بنون .

أضرع إلى الله أن يجعل وقوفنا بين يديه وقوف المؤمن الخاشع التقي الذى يأمل الخير ويرجو الثواب فى الجنة

عبر الرحمن الوكيل

أى العمل أفضل ؟

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل : أى الأعمال أفضل ؟ فقال « إيمان بالله ورسوله » ، قيل ثم ماذا ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله ، قيل ثم ماذا ؟ قال : حج مبرور » رواه البخارى .

الجمعية العمومية بالمركز العام

تقرر أن تجتمع الجمعية العمومية بالمركز العام للجماعة فى دورتها العادية فى الساعة السابعة من مساء يوم السبت ٢٢ صفر سنة ١٣٨٣ الموافق ١٣ يوليه سنة ١٩٦٣ إن شاء الله .

(١) ورد هذا المعنى فى بعض الأحاديث .

توحيد الله عز وجل

ومن أسمائه الحسنی سبحانه «الودود والشكور» وكلاهما وارد في القرآن الكريم قال تعالى من سورة هود على لسان شعيب عليهما السلام (واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربى رحيم ودود) .

وقال من سورة البروج (إن بطش ربك لشديد . إنه يبدىء ويعيد . وهو الغفور الودود . ذو العرش المجيد . فعال لما يريد) .

وقال تعالى من سورة التغابن (إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويفر لكم والله شكور حلیم . عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم) .

أما الودود فقد قال الراغب في المفردات : .

« الود محبة الشيء وتمنى كونه ، ويستعمل في كل واحد من المعنيين على أن التمنى يتضمن معنى الود لأن التمنى هو تشهى حصول ما توده »

وقوله (وجعل بينكم مودة ورحمة) (سيجعل لهم الرحمن ودأ) إشارة إلى ما وقع بينهم من الألفة المذكورة في قوله (لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم) : الآية ومن المودة التى تقتضى المحبة المجردة في قوله (إلا المودة فى القربى) وقوله (وهو الغفور الودود — إن ربى رحيم ودود) فالود يتضمن مادخل فى قوله (فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه الخ) ا هـ .

وفى (النهاية) لابن الأثير « فى أسماء الله تعالى الودود هو فعول بمعنى مفعول من الود بمعنى المحبة يقال وددت الرجل أوده ودأ إذا أحببته . فالله تعالى مودود أى محبوب فى قلوب أوليائه ، أو هو فعول بمعنى فاعل أى أنه يحب عباده الصالحين بمعنى أنه يرضى عنهم » .

وما أحسن قول العلامة (ابن القيم) في نونته .

وهو الودود يحبهم ويحب به أحابه والفضل للننان
وهو الذي جعل المحبة في قلوبهم وجازاهم بحب ثاب
هذا هو الإحسان حقاً لاماً وضة ولا لتوقع الشكران
لكن يحب شكورهم وشكورهم لا لاحتياج منه للشكران

فاسمه تعالى (الودود) متضمن للمعنيين جميعاً ، فهو الواد لأوليائه وأهل طاعته بمعنى
الحب لهم وذلك لقيامهم بما يستوجبون به تلك المحبة من الإخلاص له والإكثار من
ذكره والإنابة إليه وقوة التوكل عليه والتقرب إليه بالفرائض والنوافل وحسن المتابعة
لأنبي صلي الله عليه وسلم ظاهراً وباطناً . كما قال تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحبكم الله) وهو سبحانه الودود لهم فهم يحبونه أشد الحب بل لا شيء أحب إليهم منه
فحبته عندهم سابقة لكل محبة وغالبة على كل محبة بل كل محبة غيرها فهي تابعة لها .

يقول الشيخ السعدي رحمه الله .

« ومحبة الله هي روح الأعمال وجميع العبودية الظاهرة والباطنة ناشئة عن محبة الله ،
ومحبة العبد لربه فضل من الله وإحسان ، ليست بحول العبد ولا قوته فهو الله تعالى الذي
أحب عبده ، فجعل المحبة في قلبه ثم لما أحبه العبد بتوفيقه جازاه الله بحب آخر فهذا
هو الإحسان المحض على الحقيقة إذ منه السبب ومنه المسبب ليس المقصود منها المعاوضة
وإنما ذلك محبة منه تعالى للشاكرين من عباده ولشكرهم فالمصلحة كلها عائدة إلى العبد .
فتبارك الذي أودع المحبة في قلوب المؤمنين ، ثم لم يزل ينميها ويقويها حتى وصلت في قلوب
الأصفياء إلى حالة تتضاءل عندها جميع الحباب وتسليمهم عز، الأحاب وتهمون عليهم
المصائب وتلذذ لهم مشقة الطاعات وتثمر لهم ما يشتهون من أصناف الكرامات التي أعلاها
محبة الله والفوز برضاه والأنس بقربه .

فحبة العبد لربه محفوفة بمحبتين من ربه فحبة قبلها صار بها محباً لربه ومحبة بعدها شكراً من الله له على محبة صار فيها من أصفياه الخالصين « ٥١ » .

ولكن ينبغي أن لا يفهم من هذا أن اسمه تعالى (الودود) مرادف لـكونه مُحِباً للمؤمنين أو محبوباً لهم ، بل هو متضمن لمعنى زائد على مجرد المحبة وهو تودده إليهم بإفاضة النعم والخيرات التي كلما ذكروها امتلأت قلوبهم من محبته . وكذلك توددهم إليه بالطاعات التي هي سبب قربه ومحبته لهم ، فالمودة تتناول المحبة كما تتناول جميع الأسباب المفضية إلى نموها ودوامها .

هذا ولا بد من التنبيه هنا إلى ما فعله المعطلة من أرباب الكلام الجاهلين بهذا الاسم الجليل حيث حرفوا معناه وألحدوا فيه لأنهم لا يؤمنون بمحبة متبادلة بين الله وبين أصفياه . بل يفسرون تلك المحبة بلوازمها من الإحسان وإرادة الخير ونحو ذلك . وإليك ما يقوله الغزالي أحد أئمة التعطيل في تفسير هذا الاسم الكريم :

(الودود هو الذي يحب الخير لجميع الخلق فيحسن إليهم ويثني عليهم وهو قريب من من الرحيم لكن الرحمة إضافة إلى مرحوم والمرحوم هو المحتاج والمضطر وأفعال الرحيم تستدعي مرحوماً ضعيفاً وأفعال الودود لا تستدعي ذلك بل الإيناع على سبيل الابتداء من نتائج الود . فكما أن معنى رحمته تعالى إرادته الخير للمرحوم وكفايته له وهو منزّه عن رقة الرحمة فكذلك وده إرادته الكرامة والنعمة وإحسانه وإنعامه وهو منزّه عن ميل المودة لكن المودة والرحمة لا تراد في حظ المرحوم والمودود إلا لثمرتها وفائدتها لا للرقة والميل فالفائدة هي لباب الرحمة والمودة وروحهما وذلك هو المقصود في حق الله تعالى) « ٥١ » .

وأما اسمه تعالى (الشاكر - الشكور) فقد قال الغزالي في تفسيره (هو الذي يجازى بيسير الطاعات كثير الدرجات ويعطى بالعمل في أيام معدودة نعيماً في الآخرة غير محدود ومن جازى الحسنه بأضعافها يقال إنه شكر تلك الحسنه ومن أثنى على المحسن أيضاً يقال إنه شكره .

فإن نظرت إلى معنى الزيادة في المجازاة لم يكن الشكور المطلق إلا الله تعالى ، لأن زيادته في المجازاة غير محصورة ولا محدودة فإن نعيم الجنة لا آخر له والله تعالى يقول (كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية) .

وإن نظرت إلى معنى الثناء فثناء كل من على غيره . والرب تعالى إذا أثنى أعمال عباده فقد أثنى على نفسه لأن أعمالهم من خلقه (١٥١) .

والشكر من الصفات المشتركة بين الله عز وجل وبين العبد ، فإذا وصف به العبد كان معناه اعتراف العبد بنعمة الله عليه وثنائه عليه بها واستعماله إياها في طاعته ومرضاته . وأما إذا وصف به الرب فمعناه قبوله سبحانه لعمل العبد ورضاه عنه وإثابته عليه ، فهو لا يضيع سمى العاملين لوجه بل يضاعفه أضاعفا مضاعفة ، وقد أخبر في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم بمضاعفة الحسنات الواحدة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، كقوله تعالى في شأن المنفقين في سبيله (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) .

وكقوله (إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لکم والله شكور حلیم) وفي الحديث الصحيح الذي رواه ابن عباس رضى الله عنهما « أن الله تعالى كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فإن عملها كتبت له عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة وإن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه فإن عملها كتبت سيئة واحدة » فأى شكر لأعمال العباد أعظم من هذا . فبمعنائه سبحانه ما يتحمل المتحملون لأجله ومن فعل شيئاً لأجله أعطاه فوق حقه ومن ترك شيئاً لأجله عوضه خيراً منه . وهو الذى وفق المؤمنين لمرضاته ثم شكرهم على ذلك وأعطاهم من كراماته مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . وكل هذا ليس حقاً واجباً عليه وإنما هو الذى أوجبه على نفسه ، جوداً منه وكرماً .

قال العلامة (ابن القيم رحمه الله) .

وهو الشكور فلن يضيع سعيهم . لكن يضاعفه بلا حساب
 ما للعباد عليه حق واجب هو أوجب الأجر العظيم الشأن
 كلا ولا عمل لديه ضائع إن كان بالإخلاص والإحسان
 إن عذبوا فبمدله أو نعموا فبفضله والفضل للمنان
 نسأل الله أن يجعلنا من أهل وده وشكره بفضله وكرمه .

فهر خليل هراس
 المدرس بكلية أصول الدين

٢٢ - نظرات في التصوف

« تمهيد » تسلمت عن الحب . حب الله لعبده ، وحب العبد لربه وذكرت آيات
 ذلك من الكتاب . ولكن الصوفية تتكلم عن العشق ، فنزعم - كما أكد ابن عربي
 وابن الفارض - أن الله عاشق وممشوق - وجل جلال الله - وفي هذا المقال نتكلم عن
 العشق ، وهل يجوز إطلاقه على الله ؟ .

عبد الرحمن الوكيل

العشق : جاء في لسان العرب : « العشق فرط الحب ، وقيل هو عجب الحب بالمحبوب .
 يكون في عفاف الحب ودعارته » ثم يقول : « وسئل أبو العباس أحمد بن يحيى عن الحب
 والعشق : أيهما أحد ؟ فقال : الحب ؛ لأن العشق فيه إفراط ، وسمى العاشق عاشقا ؛
 لأنه يذيل من شدة الهوى كما تذبل العشقة إذا قطعت ، والعشقة شجرة تخضر ثم تدق
 وتصفّر » وقال ابن فارس في معجمه : « العين والشين والقاف أصل صحيح يدل على تجاوز
 الحبة . . وزعم ناس أن العشقة اللبلابة . قالوا : ومنها اشتق اسم العاشق لذبوله » .
 وبما قدمنا يتبين لنا أنه لا يجوز مطلقا تسمية حب الله لعبده بالعشق ولا تسمية حب

العبد لربه ؛ لأمرين . أولهما : أنه لم يرد هذا الإطلاق لا في الكتاب ، ولا في السنة .
والآخر : لما يكتنفه من نقص وخسة . فما للصوفية تفخر وهي تنعت ابن الفارض بأنه :
سلطان العاشقين أو رابعة بأنها شهيدة العشق الإلهي ؟

واقد ذكر القشيري على لسان أبي علي الدقاق قوله : « لا يوصف الحق سبحانه بأنه
يعشق » فهل يقتنع الصوفية ، وقد جاء الحق مرة على لسان قطب كبير منهم ؟ !

قد يقول من يحبون دائماً الاعتذار عن الخطايا والوثنية . فلنجد « العشق » مما يدل
عليه من معنى لا يليق بجلال الله سبحانه وكأله . وقد يقولون أيضاً : وهل من الواجب
أن نتقيد فيما نخبر به عن الله بما بين الشرع ؟ !

فإننا نؤكد لهؤلاء الذين لا يحبون إلا تلصص المذرة لخطيئة الإلحاد وعمه الوثنية أن
اللفظ إذا جرد من معناه ، صار لا مفهوم له ، ولا يجيز العقل ولا الدين ، بل ولا العرف
الذي يحكمه ضمير أن نطلق على الله ما ليس له معنى ولا دلالة ! ! أو نقول على الله ما ليس
لنا به علم ، أو أن نصفه ونسميه بغير ما وصف وسمى به نفسه .

ثم ما بالنا نكدر وننصب في سبيل دعم هوى وشهوة ، ونسد قلوبنا عن الطمأنينة ،
ونغلقها دون الهدى الذي بين الله في كتابه ؟ عجبا يثير الدهشة ، ويتساءل عن الكوامن
الخفية وراء هذا ؟ عجبا من استهانة هؤلاء بجلال الله ، فيبيحون لأنفسهم أن يطلقوا عليه
ما زينت الشهوات ، وغليل الحرمان ، على حين يرونها خطيئة كبرى أن نسمى الأشياء بغير
أسمائها في المذاهب الأدبية أو الفنية أو ما شاكل ذلك ، بل حتى في الأمور العادية
أحيانا يحرمون علينا أن نطلق على الشيء غير ما تواضع عليه الناس بأعرافهم وتقاليدهم ! !

ترى لو أننا أطلقنا على فلسفة أرسطو أنها تصوف أو فيلونية ، وأطلقنا على تصوف ابن عربي
أنه فقه ، أو على الحلول أنه وحدة الوجود ، أو على الشعر الغزلي أنه رثاء ، أو على حانة الخمر أنها
معبد . لو أننا فعلنا هذا كان يغفر لنا أولئك الذين يبيحون لأنفسهم أن يخبروا عن الله بما شاءوا ؟

كلاً : بل سيدمفونتنا بالضلال أو الخباله ؛ لأن ما اصطالحوا عليه يوجبون له القداسة والجلالة أما ما هدى الله إليه ، فلتعصف به الأهواء ، وليلقوا عليه ظلالاً قائمة من الريب الخثون ! ! أما عن الأخرى ، فقد ذكرنا طرفاً من الرد عليها في الأولى ، ونقول كذلك إن الاعتصام بما وصف الله أو سمى به نفسه ، أو وصف به وسمى صلة عبادته به وصلته بعباده هو من أسس التوحيد القوي الصادق ، ومقوم أصيل من مقومات الإيمان ، تقويم الحروف بكلمة ، فاللهوى شرع ، ولا للشهوة حكم على ما نصف أو نسمى به الله رب العالمين ، ولا على ما نسمى به صلة عبادته به ؛ إذ الحكم في هذا كله لله وحده ؛ فهو سبحانه العليم الخبير بما يحق لجلاله ، وقد أهلكنا - سبحانه - وأخبرنا بما لا نحتاج مطلقاً بعده إلى علم أو خبر ، وبما يطمئن إليه كل قلب مؤمن ، فلنقطع له سبحانه قاتنين ! !

الحب عند الصوفية : يقول الطوسي : « أهل المحبة على ثلاثة أحوال : فالحال الأول :

محبة العامة ، يتولد ذلك من إحسان الله تعالى إليهم ، وعطفه عليهم » ثم تحدث عن شرط هذه المحبة ، فنقل مما ذكره سهل بن عبد الله عنها : « موافقة القلوب لله ، والتزام الموافقة لله واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم مع دوام الاستهتار^(١) بذكر الله تعالى ، ووجود حلاوة المناجاة لله عز وجل » .

« والحال الثاني من المحبة : وهو يتولد من نظر القلب إلى غناء الله وجلاله وعظمته وعلمه وقدرته ، وهو حب الصادقين والمتحققين » وبين أن شرطها ووصفها ، هو انحاء إرادات الحب وصفاته .

« وأما الحال الثالثة من المحبة : فهي محبة الصديقين والعارفين تولدت من نظرم ومعرفتهم بتقديم حب الله تعالى بلا علة ، فكذلك أحبوه بلا علة » وقد سئل الجنيد - كما يذكر الطوسي - عن هذه المحبة فقال : « دخول صفات المحبوب على البذل من صفات الحب » وقال عنها ذو النون إنها : « سقوط المحبة عن القلب ، والجوارح حتى لا يكون

(١) من معانيه الولوع بالشيء والإفراط فيه ؛ وفقدان العقل من الكبر .

فيها المحبة ، وتكون الأشياء بالله وقه ، فذلك الحب لله^(١) .

إن المرتبة الأولى التي ذكرها الطوسي هي أسنى المراتب وأعظمها ، وشرطها كما ذكر الطوسي هو حسن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتزام الطاعة لله والخشية منه غير أن الصوفية تحكم على هذه المرتبة بأنها مرتبة العوام . تحكم على قول الله (قل إن كنتم تحبون الله ، فاتبعوني يحببكم الله . بأنه تعبير عن حب العوام) لماذا تحتقر الصوفية هذه المرتبة ؟ لأنها تفرض على العبد أن يعبد الله بما أمر أن نعبد به ، والصوفي الحق قد لا يقوم بعبادة ، ولا يلتزم بطاعة ؛ لأن العبادة والطاعة تستلزم التفرقة بين الرب والمربوب . تستلزم الإيمان بوجود عابد ومعبود ، أو مطيع ومطاع ، وفي هذا ثنائية تمتعها الصوفية . والمرتبة الثانية لا يرتضيها الصوفية أيضا ؛ لأن فيها حلول إرادة الله وصفاته محل إرادة العبد وصفاته ، وهذا الحل يستلزم أن يشعر السالك بأنه غير وسوى ! ! لأنه يكون شاعرا بإرادة فانية هي إرادته ، وأخرى باقية هي إرادة الله . شاعرا بصفات قد أئحت هي صفاته ، وأخرى قد ثبتت له هي صفات الله ، وهذا الشعور يناقض صرافة الوحدة أما المرتبة الثالثة ، فهي : مرتبة الحب الصادق ؛ لأنها توحد بين ذات الحب وذات المحبوب ، أو تجعل من الذاتين ذاتا واحدة ؛ ومن الاثنين واحداً يوصف بالخالقية والخلقية ! ! وهذا معنى قول ذي النون : « سقوط المحبة من القلب والجوارح حتى لا يكون فيها المحبة » فالمحبة تقتضي وجود اثنين : محب ومحبوب ، وسقوطها يقضي على هذه الثنائية ؛ إذ ما ثم في هذه المرتبة الصوفية إلا محب يحب نفسه ، لا غيره ، أما القشيري ، فلم ينح منحى هذا التقسيم ، وإنما ذكر لنا عن شيوخ الصوفية أكثر من تعريف للحب بعضها يوافق المرتبة الأولى عند الطوسي ، وبعضها للثانية ، وأكثرها يوافق المرتبة الثالثة . ومن هذه التعريفات : « محو الحب بصفاته ، وإثبات المحبوب بذاته ، حقيقة المحبة أن يذسى العبد حفظه من الله عز وجل ، ويذسى حوائجه إليه . حقيقة المحبة قيامك مع محبوبك بخلع أوصافك . لا تصح المحبة ، لا بالخروج عن رؤية

الحبة إلى رؤية المحبوب ؛ بفناء علم الحبة . الحبة هتك الأسفار ، وكشف الأسرار . الحبة استهلاك في لذة ، والمعرفة شهود في حيرة ، وفناء في هيبة . الحبة محو الإرادات ، واحتراق جميع الصفات والحاجات . الحبة سكر لا يصحو صاحبه إلا بمشاهدة محبوبه ، ثم السكر الذى يحصل عند الشهود لا يوصف .

وأصرح من هذه التعريفات التى تدندن بالوحدة بين العبد والرب هذا القول : « الحبة توجب انتفاء المباينة » . وينقل الجنيد عن السرى السقطى قوله : « لاتصح الحبة بين اثنين حتى يقول الواحد للآخر : يا أنا^(١) » يقول الرب لعبده : يا ربى ، ويقول العبد لربه يا عبدى ، أو يقول الله للعبد : يا الله يا أنا . ويقول العبد لله : يا عبدى يا أنا ! ! فالعبودية والربوبية وجهان أو وصفان لحقيقة واحدة ، هى حقيقة الذات الإلهية ! !

قد يستخفنا منهم سحر القول عن الحب ويسطو بعواطفنا ، فيشدها بالنشوة الحاملة إليه . لكننا النشوة التى يتراءى فيها جسد غانية مرهف الفتنة ، جيشاش الأنوثة . وقد هريقت بين يديها الدموع والجراح ، وهى فى كبرياء فتنتها تقتل بالصد ، وتفتك بالحرمان ، وتصرف أهواء النفوس المشتبهة برفيف الفتنة على شفقيها الحالمين ، أو الظمأ الملتهب فى عينيها النجلاوين .

آية صور فى النفس يثيرها التعبير بالسكر عند شهود المحبوب ؟ !

إنها صور المشق المحروم من المشوق على صاحبه بموعده خلى . صور عاشق ملهوف موجع مضنى كان يتقرب فى لفة منذ أمد طويل من حجر وحرمان ، وعاشقة تقبل عليه فى فيوض غامرة من الحسن والروحة والكبرياء وفجر ندى خلى ، ثم احتراق جسد بجسد ! ! أليسوا يعرفون الحبة بأنها ، استهلاك فى لذة ؟ ! إن هذا الحب الذى يصوره هؤلاء السكرارى ليس هو الحب ، وإنما هو عشق رجل لامرأة ، عشق ذكر لانتى ، لاحب

(١) انظر فصل ، المحبة ، من رسالة القشيري ص ١٤٣ وما بعدها ؛ وفصل الحب فى اللع

عبد لرب وفي . حياة هؤلاء الخائيل السكارى قصص عشق عفيف مرير عصف به النى ،
وأوجعه الحرمان ، حتى خلع على الأنثى التى دوخت شهوته صفات الربوبية والألوهية ، لعله
يستزل قدم الغانية المعشوقة ، ولكنه لم ينل منها إلا عنف الصد ، وقسوة الهجر ؛ لأنها
تؤمن بما يستمر فى أعماقها ، لا بمكر العاشق المفتون ولآمته ، تؤمن بأنها أنثى ، وليست ربا ،
ولا إلها !!

فراح العاشق المهجور يزعم - ليستر خزي ذله وصغار مهاتته - أن غزله ليس إلا غزلا
فى الحقيقة الإلهية للتجسدة فى صورة هذه المرأة . وإنك لتلاحظ أن من سمات شعر الصوفية
الغزلى إطلاق الأسماء المؤنثة على الله سبحانه ، فترام يسمونه « لىلى - أميمة - بثينة -
لبنى - سعاد » ومن يطالع أشعارهم تطالع هذه الحقيقة !! .

ولقد ذكر ابن عربى فى مقدمة شرح ديوانه « ترجمان الأشواق » قصة الفتاة التى
أضنته وعذبت بهواها ، ومن أجلها تغزل ونفث فى شعره أساء وحرمانه ، وقد غارها
الوحش الصوفى ابن عربى .

وهى مَنْ ؟

إنها ابنة أستاذه وشيخه مكين الدين الأصفهانى . وأين كان هذا العشق والغزل ؟
فى حى جياذ بمكة المكرمة حيث كانت تعيش الصبية مع أبيها !! .

وإليك القصة بقلم ابن عربى نفسه :

« كان لهذا الشيخ - رضى الله عنه - بنت عذراء طُفَيْلة هيفاء ، تقيد النظر ،
وتزين المحاضر ، وتحير المناظر . . . ساحرة الطرف عراقية الطرف . . . عليها مِسْحَة
مَلَك ، وهمة مَلِك . . فراعيننا فى صحبتها كريم ذاتها ، مع ما انضاف إلى ذلك من محبة
العمة والوالد ، فقلدناها من نظمنا فى هذا الكتاب أحسن القلائد بلسان النسيب الرائق ،
وعبارات الغزل اللائق ، ولم أبلغ فى ذلك بعض ما تجده النفس ، ويثير الأنس من كريم
ودها ، وقديم عهدا ، ولطافة معناها وطهارة مغناها . إذ هى السؤل والمأمول والعذراء

البتول ، فأعربت عن نفس تواقه ، ونهبت على ما عندنا من العلاقة . وإليك من غزله
في هذه الفتاة الصغيرة الحسنة .

مَرَضِيٍّ مِنْ مَرِيضَةٍ الْأَجْفَانِ	عَمَلَانِي بِذِكْرِهَا عَمَلَانِي
بَأَبِي طِفْلَةٍ لِعُوبٍ تَهَادِي	مِنْ بَنَاتِ الْخُدُورِ بَيْنَ الْغَوَايِ
طَلَمْتُ فِي الْعِيَانِ شَمْسًا ، فَلَمَّا	أَفَلَّتْ ، قَلْتُ أَشْرَقَتْ بِحَنَانِي
يَا طُلُولا بِرَاحَةٍ دَارَسَاتِ	كَمْ رَأَتْ مِنْ كَوَاعِبِ وَحْسَانِ
بَأَبِي ، نَمِ بِي غَزَالٌ رِيْبِ	يَرْتَمِي بَيْنَ أَضْلَى فِي أَمَانِ
يَا خَلِيلِي عَرُجًا بَعْنَانِي	لَأُرَى رَسْمَ دَارِهَا بِعِيَانِي
فَإِذَا مَا بَلَّغْتُمَا الدَّارَ حَطَا	وَبِهَا صَاحِبِي ، فَلْتَبْكِيَانِي
وَقَفَا بِي عَلَى الطُّلُولِ قَلِيلًا	نَتَبَاكِي ، بَلْ أَبْكِي مِمَّا دَهَانِي
الْهَوَى رَاشِقِي بِغَيْرِ سَهَامِ	الْهَوَى قَاتِلِي بِغَيْرِ سَنَانِ
عَرَفَانِي إِذَا بَكَيْتَ لَدَيْهَا	تَسْعِدَانِي عَلَى الْبُكَاءِ تَسْعِدَانِي
وَإِذَا كَرَأَلِي حَدِيثَ هَنْدٍ وَلَبْنِي	وَسُلَيْمِي وَزَيْنَبَ وَعَنْثَانِ
ثُمَّ زَيْدًا مِنْ حَاجِرٍ وَزُرُودٍ	خَبْرًا عَنْ مَرَاتِعِ الْفُزْلَانِ
وَأَنْدَبَانِي بِشِعْرِ قَيْسٍ وَلَيْلِي	وَبِمَيِّ وَالْمُبْتَلَى غَيْلَانِ
طَالَ شَوْقِي لَطْفَةِ ذَاتِ نَثَرِ	وَنَظَامِ وَمَنْهَرِ وَبِيَانِ
مِنْ بَنَاتِ الْمُلُوكِ مِنْ دَارِ فَرَسِ	مِنْ أَجْلِ الْبِلَادِ مِنْ أَصْبَهَانِ
هِيَ بِنْتُ الْعِرَاقِ بِنْتُ إِمَامِي	وَأَنَا خُذَهَا سَلِيلَ يَمَانِي
هَلْ رَأَيْتُمْ يَا سَادَتِي أَوْ سَمِعْتُمْ	أَنْ خُصِدِينَ قَطْ يَجْتَمِعَانِ
لَوْ تَرَانَا بِرَامَةٍ تَتَعَاطَى	أَكُوسًا لِلْهَوَى بِغَيْرِ بَنَانِ
وَالْهَوَى بَيْنَنَا يَسُوقُ حَدِيثًا	طَبِيبًا مَطْرَبًا بِغَيْرِ لِسَانِ
لَرَأَيْتُمْ مَا يَذْهَبُ الْعَقْلُ فِيهِ	يَمَنُّ وَالْعِرَاقُ مَعْتَقَانِ

ولم يستطع ابن عربى بهذا الغزل المهتوك أن يستزل قديم الفتاة الصغيرة ، فنوى فى شرح الديوان ، وراح يزعم للفتاة الصغيرة أنها الحقيقة الإلهية فى صورة أجمل أنثى ، ولكنها ظلت تؤمن بأنها يجب أن تذود عن شرفها هذا الصوفى الذى يسعى إلى تدنيسه باسم الدين ، ويزعم أنها الحقيقة الإلهية !! فأهلكته ، وسجلت فى تاريخه بقلمه قصة عاشق محروم قضى حياته كلها يتخذ جسد فتاة رباً له ومعبوداً !! .

هذا هو الشيخ الأكبر ، والكبريت الأحمر محبى الدين بن عربى فى دعارته الصوفية التى يحاول بهض الناس أن يفرضها علينا ديناً !! أتصدق أنه يزعم أنه يتفزل فى الحقيقة الإلهية ؟ .

وهل يقال عن الحقيقة الإلهية : إنها طفلة لعوب مريضة الأجفان ، أو إنها غزال ربيب ؟
لئن جوز عقل هذا ، فلن يدهشنا حين نراه يجوز اقتراف الخطيئة فى المحارب
وكان من إنشاد النصراباذى .

ومن كان فى طول الهوى ذاق سلوة فإنى من « ليلى » لها غير ذائق
وأكثر شئ نلته من وصلها أمانى لم تصدق كلمحة (بارق)
« للنظرات بقايا »

عبد الرحمن الوكيل

جميع منتجات الألبان الطازجة وأنخر أنواع البقالة

تجدها عند شركة

شاكر القهشبشاوى وعبد المجيد الشريف

٤٥١ شارع بور سعيد (بين الصورين سابقا) بالقاهرة

سجل تجارى رقم ٧٥٦٩٣

تليفون ٩٠٧٤٠٤

غزوات الرسول

صلى الله عليه وسلم — عهد الحديبية (٢)

في العدد السابق من (الهدى النبوى) تكلمنا عن عهد الحديبية ، وختمنا الجزء الأول منه بالكلام عن الدور الذى قام به رسل قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم الذين نقلوا إلى قريش حقيقة ما أراد الرسول من خروجه إلى مكة وهو زيارة البيت الحرام وأداء شعائر العمرة .

سفير النبي إلى قريش : أما الرسول صلى الله عليه وسلم فقد رأى أن يرسل من جانبه من يقنع قريشاً بالحقيقة ، فدعى إليه خراش بن أمية الخزاعى وبعثه إليهم لهذا الغرض . وما كاد سفير النبي صلى الله عليه وسلم يصل إلى قريش حتى عقروا ناقته وأرادوا قتله ، لولا أن تدخلت الأحابيش ومنعتهم من قتله نخلوا سبيله .

عدوان من قريش . . وعفوم النبي : واستبد الحق بقريش ، فأوعزت إلى بعض سفرائها بالتحرش بالمسلمين بقذف عسكرهم بالحجارة ليلاً ، عل هذا العمل يثير حفيظة المسلمين فيدخلوا في حرب مع قريش فينهى الموقف ، ولما لم يفلح التحرش عن طريق السفهاء خرج أربعون رجلاً منهم للعدوان على المسلمين ، ولكنهم وقعوا جميعاً في قبضتهم وسيقوا إلى مخيم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأراد رسول الله أن يقدم لقريش دليلاً آخر يثبت أنه لم يخرج غازياً ، بل خرج حاجاً ، فعفى عن رجال قريش ممن وقعوا في قبضة المسلمين وخلي سبيلهم .

وانتهت قريش لدليل السلام الذى قدمه لها النبي ، وبهذا انهارت كل حجة يمكن أن تزعم بها قريش أن المسلمين جاءوا غازين ، كما أن هذا العمل أثار عطف العرب على النبي ، وزاد من اقتناعهم بحسن نواياه .

رسول آخر إلى قريش : ورأى النبي صلى الله عليه وسلم أن يرسل إلى قريش رسولا

آخر يقنعها بالعدول عن موقفها العدائي ، فدعى إليه عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) كي يخبر قريشاً بحقيقة مجيئه ، فقال عمر : يا رسول الله إني أخاف قريشاً على نفسى ، وليس بمكة من بنى عدى بن كعب أحد يمنعنى ، وقد عرفت قريش عداوتى إياها وغلظتى عليها ، واسكنى أدلك على رجل أعز بها منى : عثمان بن عفان .

ودعى النبي إليه عثمان بن عفان (رضى الله عنه) ليقوم بهذا الأمر ، فخرج إليهم عثمان ، فلقى أبان بن سمود بن العاص عند مدخل مكة ، فأجاره حتى يفرغ من أداء مهمته . وانطلق عثمان بن عفان إلى زعماء قريش فأبلغهم أمر النبي وأصحابه فقالوا له : يا عثمان إن شئت أن تطوف بالبيت فطف . قال عثمان : ما كنت لأفعل حتى يطوف رسول الله ، إنما جئنا لنزور البيت العتيق ، ولنعظم حرمة ، ولنؤدى فرض العبادة عنده ، وقد جئنا بالهدى معنا ، فإذا نحرناها رجعنا بسلام ، ولكن قريشاً أصرت على منع الرسول من دخول مكة هذا العام عنوة وطال حديث عثمان مع قريش في هذا الصدد دون جدوى .

بيعة الرضوان : وقلق المسلمون بالحديبية على عثمان بن عفان ، وخافوا على مصيره ، فقد تمثل لهم غدر قريش المعروف ، وأيقنوا أنها لن تتورع عن قتل عثمان في هذا الشهر الذى لا تجيز فيه أديان العرب كلها لأحد أن يسفك دم عدو فى حرم الكعبة أو فى مكة . لذلك دخل فى روع النبي ومن معه أن قريشاً قد غدرت بمن ذهب إليها مسالماً فى رسالة موادة وأمان ، وشاع فى الناس أن عثمان قد قتل فقال « لا نبرح حتى نناجز القوم » . فدعا إليه أصحابه ووجههم تحت شجرة تقع فى ذلك الوادى ، فبايعوه^(١) على ألا يفرؤا حتى الموت . . . بايعوه ، وقلوبهم ملؤها قوة الإيمان وصدق العزيمة ، والحماس الفياض للانتصار لقضية الإسلام والقضاء على قريش ومن على شاكلتها من أهل الباطل ، فنزل قوله تعالى فى شأن هذه البيعة . بيعة الرضوان (أقرضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ، فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً) الآية ١٨ : الفتح .

(١) يروى أنهم كانوا ألفاً وأربعمائة رجلاً .

بايع المسلمون الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم يتخلف أحد منهم سوى الجذ بن قيس أخو بني سلمة ، فكان جابر بن عبد الله يقول عنه : والله لكانى أنظر إليه لاصقا بإبط ناقته قد ضباً^(١) إليها يستتر بها من الناس ، وعند ما أتم الرسول البيعة ضرب بإحدى يديه على الأخرى بيعة لعثمان — كأنه قد حضر معهم بيعة الرضوان ، واستعد المسلمون للنزول إلى ساحة الجهاد والتضحية تنفيذاً للبيعة ، ووضع كل منهم نصب عينيه أحد أمرين : إما الظفر . . وإما الإستشهاد في سبيل الله .

وبيناهم على هذا الحال جاءهم الخبر أن عثمان بن عفان لم يُقتل ، ثم لم يطل بهم الوقت حتى دخل عليهم عثمان ، ولكن بيعة الرضوان لم ينته مفعولها عند هذا الحد ، بل ظلت وثيقة نصر وأخوة ثابتة خالدة مع الزمن ، مؤكدة للروابط بين النبي وأصحابه .

قريش لا تزال عند موقفها : ونقل عثمان بن عفان للنبي ما قالته قريش . . وكان رأى زعمائهم يتلخص في أمرين .

أولها : إن قريشاً لا تستطيع منع أحد من العرب عن الحج والعمرة .

ثانيهما : أنها بعثت خالد بن الوليد يرحلها لقتال النبي وصدده عن دخول مكة ، فإن هي سمحت له بزيارة البيت الحرام هذا العام فسيعد هذا تراجعاً منها ، الأمر الذي يُضعف من مركزها أمام العرب وينال من هيبتها وكبريائها .

لذلك فإن قريشاً لا تزال عند موقفها من محمد ، تمنعه من دخول مكة هذا العام .

المفاوضات بين الفريقين : وعادت المفاوضات بين الفريقين مرة أخرى حول دخول

النبي مكة ذلك العام . بعثت قريش سهيل بن عمرو وقالت له : أنت محمد فأصلحه ، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع ، عنا عامه هذا ، فوالله لا تحدث العرب عنا إنه دخلها علينا عنوة أبداً .

(١) التصق بها واستتر .

وذهب سهيل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآه مقبلاً قال « قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل » ، وعندما انتهى سهيل إلى رسول الله جرت بينهما مفاوضات للصلح وشروطه . فـكادت الحادثات بينهما توشك أن تنقطع حيناً . ثم تتصل حيناً آخر عندما يحرص الفريقان على نجاح الاتفاق . وكان المسلمون يجلسون حول النبي صلى الله عليه وسلم ويسمعون ما يدور بينه وبين سهيل . فتضيق صدورهم لتشدد سهيل وتساهل النبي في المفاوضات . لكن ثقة المسلمين في رسولهم صلوات الله عليه وإيمانهم به جعلهم يرتضون ما يوافق عليه الرسول في الصلح . ويظهر ذلك عندما تمت الحادثات ولم يبق إلا تحرير الصلح . حين ذهب عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إلى أبي بكر ودار بينهما الحديث التالي :

قال عمر : يا أبا بكر أليس هو رسول الله ؟ قال : بلى .

قال عمر : أولسنا بالمسلمين ؟ قال :

قال عمر : أليسو بالمشركين ؟ قال : بلى .

قال عمر : فعلام نعطي الدنيا^(١) في ديننا ؟ قال أبو بكر : يا عمر إزم غرزه^(٢)

فإني أشهد أنه رسول الله . . قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله .

ثم أتى عمر رسول الله وتحدث معه بمثل ما تحدث به مع أبي بكر والغضب يعلو وجهه .

فقال له النبي في ختام الحديث « أنا عبد الله ورسوله . لن أخالف أمره ولن يضيعني » . فكان عمر يقول بعد ذلك : ما زلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق مما صنعت يومئذ مخافة كلامي القدي تكلمت به حتى رجوت أن يكون خيراً .

كتاب عهد الحديبية : ودعا رسول الله على بن أبي طالب ليـكتب عهد الحديبية

وقال له « اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم » فقال سهيل : امسك . لا أعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم . فكتبها على .

(١) الذل والأمر الخسيس .

(٢) أى الزم أمره .

ثم قال رسول الله « اكتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو » فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك . ولكن اكتب اسمك واسم أبيك . فقال رسول الله « اكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو . اصطالحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين ^(١) يأمن فيهن الناس . ويكف بعضهم عن بعض . على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه ردّه عليهم . ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه ^(٢) عليه . وأن بيننا عيية مكفوفة ^(٣) . وأنه لا إسلال ^(٤) ولا إغلal . وأنه من يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه » .

القبائل . . وعهد الحديبية : وفي أثناء توقيع العهد قالت خزاعة : نحن في عقد محمد وعهده . كما قال بنو بكر لرسول الله : نحن في عقد قريش وعهدهم . وانك ترجع عنا عامك فلا تدخلها علينا بمكة . وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثا . معك سلاح الراكب السيوف في القرب لا تدخلها بغيرها .

وما كاد العهد يمر بالتوقيع حتى أقبل أبو جندل بن سهيل بن عمرو على المسلمين وهو يرسف في الأغلال وطلب أن يفضم إليهم ويسير معهم . فلما رأى سهيل من ابنه ذلك واجهه وأخذ بتلابيبه ^(٥) ثم قال : يا محمد قد لجت القضية ^(٦) بيني وبينك قبل أن يأتيك

(١) وستنان في قول الواقدي .

(٢) كان رأى الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا أن من خرج عن الجماعة الإسلامية مرتدا ولجا إلى قريش لم يكن خليفاً بأن يعود إلى حظيرة الاسلام . ولا جديراً بأن يكون في عداد المسلمين .

(٣) أصل العيبة : وعاء من جلد يكون فيه المتاع ، ومكفوفة ، عقدت عراها على مافها وأثقلت ، وقد ضرب ذلك مثلاً للقلوب التي طويت على ما تعاقد عليه أصحابها .

(٤) السرقة الخفية .

(٥) أى جمع عليه ثوبه عند صدره وقبض عليه بجره .

(٦) تم الحكم .

هذا . قال الرسول « صدقت » فجعل سهيلُ يجمع ثوب ابنه أبي جندل ويجره منه ليرده إلى قريش . بينما الابن يصرخ بأعلى صوته ويقول : يا معشر المسلمين أأردُّ إلى المشركين يفتنوني في ديني ؟ ! فكان ذلك يثير نفوس المسلمين . ويزيد من عدم رضاهم عن شروط الحديبية . والتفت الرسول عليه السلام إلى أبي جندل وقال له « يا أبا جندل : اصبر واحسب فان الله جاعل لك ولن مملك من المستضعفين مخرجا . إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله . وإنا لانقدر بهم » .

وبهذه الكلمات طمأن الرسول أبا جندل . وأكد احترامه للعهد وعدم الاختلال به مهما كانت الأسباب . فوثب عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع أبي جندل ومشى إلى جانبه ويقول له : اصبر يا أبا جندل فإنهم المشركون وإنما دم أحدهم دم كلب . وعاد أبو جندل إلى قريش تنفيذاً لعهد النبي ووعده . وقام سهيلُ عائداً إلى مكة . أما الرسول صلوات الله عليه فقد قام إلى هديه فخره ثم جلس لخلق رأسه . فلما رأى الناس ما فعله توابوا ينحرون ويحلقون .

العودة إلى المدينة : فلما فرغ الرسول عليه السلام من أمر الحديبية انصرف عائداً إلى المدينة ليرجع إلى مكة في العام المقبل تنفيذاً للعهد . وبينما هو في طريقه بين مكة والمدينة أنزل الله تعالى سورة الفتح فتلاها النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً . ليفرق لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً . وينصرك الله نصراً عزيزاً) الآيات من ١ - ٣ : الفتح .

فلما سمع ذلك عمر بن الخطاب قال لرسول الله : أوفتح هو يارسول الله ؟ قال « نعم » قال الصحابة : هذا لك يارسول الله فما لنا ؟ . فأنزل الله تعالى قوله (هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم) الآية ٤ : الفتح .

صدق قول النبي للمسلمين من قريش : الحق أن الحوادث قد أثبتت صدق قول النبي لأبي جندل حين قال له « . . إن الله جاعل لك ولن مملك من المستضعفين مخرجا »

كما أثبتت أن الإسلام أحرز كسباً عظيماً من صلح الحديبية أكثر مما كان يظنه بعض الصحابة . فبعد أن عاد الرسول والمسلمون إلى المدينة جاء أبو نصير - وهو من قريش - إلى النبي مسلماً وينطبق عليه العهد برده إلى قريش لخروجه منها بغير إذن مولاه .

وأرسلت قريش في طلبه . وبعثت بكتاب مع رجل من بني عامر ومعه مولى لهم ، قالت فيه للرسول : العهد الذي بيننا وبينك . فاضطر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يبلغ أبا نصير أنه ما زال يحترم العهد ولا يمكن أن يتحلل منه . ونصحه بأن يعود إلى قومه إلى أن يجعل الله له وللمستضعفين خرجاً . ودفع الرسول أبا نصير إلى الرجلين فخرجا به حتى إذا كانوا بذى الحليفة أخذوا يأكلون من تمر لهم . ثم سأل أبو نصير رسول قريش أن يريه سيفه لأنه جيد . فأعطاه السيف ليشاهده . وما أن تمسكنت قبضته من السيف حتى هوى به على هامة العامري فقتله . أما مولى قريش فقد خرج يعدو ناحية المدينة . حتى إذا رآه النبي قال : « إن هذا رجل قد رأى فزعاً فلما مثل الرجل بين يديه قال له : قتل صاحبك صاحبي . »

ثم ما لبث أن جاء أبو نصير إلى رسول الله متوشحاً بالسيف وقال : يا رسول الله قد أوفى الله ذمتك . رددتني إليهم . فأنجاني الله منهم . فقال عليه السلام « ويلُ أمه ، مسمر حرب لو كان له أحد » .

فلما سمع أبو نصير كلام النبي عرف أنه سيرده إلى قريش . فخرج ناحية سيف البحر وهو طريق قريش إلى الشام .

أبو نصير ورهطه : وعرف أبو جندل ما فعل أبو نصير فلاحق به إعجاباً بما قام به من عمل ضد قريش . كما كان كل من يخرج من قريش مسلماً لحق به إعجاباً بعمله . حتى تجمع عنده رهط كبير ممن أسلموا وتركوا دين قريش .

وهناك بدأ عمالهم في قوافل قريش . فأتت قافلة من طريق سيف البحر إلا اعترضوها وقتلوا رجالها وأخذوا أموالهم . واستغاثت قريش بالنبي . وبعثت إليه تسأله بالله

وبأرحامها أن يؤوى إليه من دخلوا في الإسلام منها حتى يتركوا طريق تجارتها آمناً . .
وبهذا سقط الشرط الذي تمسك به سهيل بن عمرو : من أن كل من خرج من قريش
مسليماً بدون إذن وليه يردّه الرسول إلى قريش مرغماً . وهو الشرط الذي أثار غضب عمر
غزيرة على كرامة الإسلام وهزته .

مكاسب عهد الحديبية : ألا وإن عهد الحديبية قد حقق للمسلمين مكاسب عظيمة
جديرة بأن نحتّم بها حديثنا عنه .

أولها - إنه أنشأ علاقة جديدة بين الرسول وقريش . إذ أمّن كل جانب صاحبه
مما يضر له .

ثانيها - دخول النبي مكة بعد صلح الحديبية بمام زائراً للبيت . ومعظماً لشعائر الله في
ثوب السلام والأمن بعد أن كان الدخول إليها لن يتحقق إلا بعد معركة تراق فيها دماء .
ويسقط في ساحتها شهداء .

ثالثها - إن عهد الحديبية كان يمثل أولى الخطوات التي خطاها المسلمون في عتبة
النصر الذي تم بعد ذلك وتحقق في فتح مكة . .

— سر صاوي محمد

العبادة في الإسلام

العبادة في نظر الإسلام وسيلة لتطهير النفس والعمل ، والناس إنما هم عباد الله ، وهو
خالقهم وسيدهم ، وإليه مصيرهم ، فسمى التوجه منهم إليه بالمنساجاة والتعظيم والإذعان ،
باسم العبادة

وي جميع الأديان -- حتى الوثنية -- عبادات تختلف في أشكالها وشرائطها وغاياتها .
فمنها : ما يجعل العبادة انقطاعاً عن متع الدنيا وانعزالاً عن الحياة ، ومنها : ما يشترط

للعادة أما كن خاصة كالمعابد المخصصة ، فلا تصح العبادة إلا فيها . ومنها ما يجعل العبادة غير صحيحة إلا بقيادة فريق من الناس وهم رجال الدين ، فليس للناس عندهم أن يمارسوا العبادات المفروضة عليهم بأنفسهم وفي أما كنهم دون أن يتأمرهم أو يقودهم فيها رجال الدين . وهكذا تختلف الديانات في معنى العبادة ومراسمها .

أما الإسلام فإن نظريته تقوم على اعتبار أن أساس الحياة الصالحة هو صلاح العقل ، والنفس والعمل ، فقد جعل الإيمان بالله الواحد المتصف بكل كمال ، تطهيراً للعقل الإنساني من درن الوثنية ، وتحريراً له من خرافياتها التي ترد العقل إلى خيال ، أو خيال . فإن الوثنية انحطاط بالعقل البشري إلى درك لا يليق بالإنسان . وقد حارب الإسلام الوثنية في شتى صورها ودرجاتها حتى الخفية التي قد تخفى على فريق من أهل الديانات الذين قديقيمون عن شبه وثنية وهم لا يوقنون بها . حتى لقد حرم على المسلم أن يقف للصلاة وأمامه قبر . وجعل من حلف بغير الله في عداد المشركين ، وذلك إبعاداً له عن مواطن الشرك والوثنية .

ولما رأى عمر — رضى الله عنه — أن الناس بدأوا يتبركون بالشجرة التي وقعت تحتها بيعة الصحابة للنبي — صلى الله عليه وسلم — على الموت يوم الحديبية^(١) ، خاف — عمر — على عقيدة الناس فقطعها ، وبذلك قطع الإسلام طريق الشبهة التي يتخبط فيها العقل البشري ، وأخرجه من جو الوهم والخيال إلى محيط الحقائق ، فالعبادة جعلها الإسلام طريقاً مؤدية إلى تطهير القاب والجوارح ، وأقامها على أسس كفيلة بهذا التطهير إذا حسنت ممارستها ، وحافظ على جوهرها .

والإسلام قد حرر العبادة من الوساطة بين العابد والمعبود ، وجعلها صلة مباشرة بين العبد وربّه .

(١) هي بيعة الرضوان والتي نزل فيها قوله تعالى : (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) الآية — سورة الفتح .

فعلما الذين ليسوا وسطاء بين العبد وربّه ، وليس عن طريقهم قبول العبادة أو رفضها — كما يدعى المتصوفة الوثنيون — بل هم وغيرهم سواء أمام الله تعالى ، وإنما هم مكلفون بتعليم من لا يعلم ، وأن لا يكتفوا العلم عن طالبه ، فهم أكثر مسئولية أمام الله تعالى عن أنفسهم وعن غيرهم ممن لا يعلمون ، فليست لهم سلطة دينية تخولهم إياها الشريعة على غيرهم ، وإنما هم مرشدون ، وأصل هذا قوله تعالى لنبيه الكريم (ليس لك من الأمر شيء) .

وقد حررها^(١) أيضاً من قيد المكان ، فكل مكان صالح للتعبد مالم يكن مقابر لموتى أو أصناماً فوق أولياء !!! .

ومفهوم العبادة واسع في الإسلام ، فليس التعبد في نظره مقصوراً على الصلوات والأذكار التي يقف فيها الإنسان موقف المناجاة والعبودية مع ربّه ، بل جعل كل عمل صالح يصاحبه إخلاص وامتثال لأمر الله وابتغاء لمرضاته عبادة يثاب عليها ثواب المتعبدين .
فالأكل والشرب والنوم والنزهة البريئة وسائر الأعمال الحيوية التي تتطلبها طبيعة الإنسان وله فيها حظ ولذة إذا فعلها بنية دينية بأن ينوى أنه إنما يفعلها امتثالاً لأمر الله تعالى فيما أباح له ، وسمياً في كفاف نفسه بالحلال ، وإعفافها عن الحرام ، تصبح عندئذ بهذه النية الصالحة « عبادة » . فيتقرب الإنسان بها إلى الله زلفى وهو في بحبوحة حظه وامتعة ، لأنه قد توجه بنيتة الصالحة فيها إلى الله تعالى ، وسخرها في سبيل مرضاته ، فكان في هذه الحظوظ والمتع في طاعة وإذعان ، وتوجه إلى الله ، وهذا معنى العبادة .

فالإسلام لا يحرم على الإنسان حظوظه الطبيعية ، وشهواته الغريزية ، بل ولا يجعل زهده فيها وإعراضه عنها أفضل من ممارستها ، وإنما يريد الإسلام الإنسان أن يسلك بهذه

(١) أى خمر العبادة .

الحظوظ والمتع سبيلا مباحة ومشروعة ، لا تتجاوز فيها ، ولا عدوان على حقوق الناس ، أو على حدود الفضيلة ، أو على مصالح المجتمع !! .

والإسلام له في هذا التوسيع لمفهوم العبادة نظرات عميقة ، فهو يريد من الإنسان . أن يكون قلبه دائماً الصلة بربه ، غير غافل عنه ، كثير المراقبة لنفسه ونزواتها ، حتى يجعل دنياه وسيلة لآخرته (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة) فإذا عرف أن حظوظه وملذاته يمكن أن تصبح عبادات بحسن النية ، وطيب الطوية ، كان ذلك عليه يسيراً ، لأن العبادة الدائمة لا تسكفه — عندئذ — حرمانه من الحظوظ ، وشقاوة الحياة ، وإنما يكفيه رأس مال لها النية الصالحة ، والمراقبة الدقيقة لله عز وجل ، كي تجعل هدفه ، طاعة الله ، وابتغاء لمرضاته ، فلا تطفئ عليه شهوته فتذسيه بربه ، وتدفع به إلى الفرق في لجة المفسد ، مع كل فاسد .

وإذا كان الإسلام قد وسع معنى العبادة فشمّل به سائر الأعمال الحيوية التي تمارس بفكرة الامتثال والانقياد لأمر الله تعالى حتى استباحة المباحات ، والتمتع بالطيبات ، فليس ذلك بمن عن القيام بفرائض العبادات ، من صيام وصلاة ، وحج وزكاة ، لأن هذه الفرائض — في نظر الإسلام — هي المراكز الأساسية الثابتة للاتصال بالله ، وإن نية الامتثال في سائر الأعمال هي من الأمور الباطنة ، فلا يتميز بها من يتبع الدين عن سواء ، والدين ظاهر يراه الناس وباطن لا يطالع عليه إلا الله ، وليس باطناً فقط !! .

فمن الفرور والعجز ، والتضليل بالباطل ، ما يقوله المتساهلون في فرائض العبادة : إن الأساس طيب القلب ، وصلاح النية والعمل ، وليس الدين بالصلاة والصيام ، فمؤلاه يسيئون الفهم عمداً منهم وكسلاً ، وفي طريقةهم هذه بترك الفرائض بهذه الحجج الواهية ، هدم لمعالم الدين وحقائقه ، فقد يدعى كل جاحد — عندئذ — أنه أعبد العابدين — وهو — في الحقيقة أجدد الجاحدين ، وأكفر الكافرين !! .

هذا وإن الإسلام بهذا التعميم في معنى العبادة ، إنما يهدف بذلك إلى جعل الدين

والإيمان طريقاً عملياً لإصلاح الحياة البشرية ، ومجابهة الإنسان لمصاعبها بصبر كريم ،
وصدر حلیم ، وسعى للتغیر المشترك ، ومكافحة للفساد .

ومن ثم كان الإسلام بهذه المبادئ — محارباً للفلسفة الانهزامية الانعزالية ، التي
سماها العلماء بالنسك الأعجمي ، وهو النسك الخاطيء الذي يقوم على التزُّوت ، واجتناب
وسائل الحياة ، واعتزال العمل ، وتهذل القوى ، فذلك ليس من الإسلام في شيء ، بل هو
انهزام في معتزك الحياة التي تحتاج إلى القوة والفنى ، والعمل في ذلك المعتزك الذي يجب
فيه حسن التوجيه ، حتى تصرف هذه القوى في الخير العام . وهذا ما تكفل به الإسلام
في أسلوب « العبادة » التي تضمن هذا التوجيه بقدر الإمكان .

وقد روى عن عائشة — رضى الله عنها — أنها رأت رجلاً خافكاً متماوتاً منحنياً من
الضعف ، والناس ترمقه ، فسألت : ما شأنه ؟ قالوا : هذا زاهد ، فاستنكرت عائشة هذا
النوع من الزهد وقالت : « كان عمر بن الخطاب أزهد الناس ، وكان إذا قال أسمع ، وإذا
مشى أسرع ، وإذا ضرب أوجع » .

أين هذا من الصوفية وضلالها ، والمتصوفين وإفكهم !! . نضرع إلى الله أن يظهر
المجتمع الانساني من مبدعات المتصوفين وضلالهم ، حتى ترتفع راية التوحيد خفاقة
في العالمين .

الشيخ عبد الحلیم ملائى

إمام وخطيب — مسجد ابن عنان — بتل جوبن شرقية

العدل أولاً

كتب أحد الولاة إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز يطلب منه مالا يمينه على بناء سور
حول عاصمة الولاية ، فأجابه عمر بن عبد العزيز : وماذا تنفع الأسوار ؟ حصنها بالعدل ،
ونقّ طر يقها من الظلم .

بَابُ الْكِتَابِ

عندما توحى الليالى

شعر الأديب الأستاذ مصطفى بهجت بدوى^(١)

بقلم الأديب سعد صادق محمد

تفضل الأديب الكبير الأستاذ مصطفى بهجت بدوى فأهدى إلينا ديوانه الجديد « عندما توحى الليالى » وهو ديوان مطبوع طبعة أنيقة فريدة فى نوعها . ويقع فى ١٠٤ صفحة من الحجم المتوسط .

والديوان عبارة عن عدة قصائد نظمها شاعرنا الأديب فى سنوات مختلفة . وتناول فى كل قصيدة منها حدثا من الأحداث التى كانت تمر به والتى تفاعلت معها نفسه . وتأثر بها وجدانه وحسه . وهى أحداث مختلفة دولية ، أو وطنية ، أو اجتماعية . غير أنك تجد فى كل منها الصدق فى التعبير فى عبارة جريئة تعتمد على المعنى الدقيق واللفظ الرشيق والصورة البارعة ، وتوحى لك بأن شاعرنا الكريم يملك ناصية البيان .

(١) الأستاذ الكبير مصطفى معروف جدا لإخواننا أنصار السنة فى الإسكندرية فقد تربي معهم فى فجر شبابه تربية إسلامية صحيحة ظهر أثرها جليا فى أخلاقه وسلوكه وعملة . وليس أدل على ذلك من كلمة حق قالها الأستاذ موسى صبرى فى يوميات الأخبار فى مايو عام ١٩٦٣ وهو يتحدث عن ديوانه حيث قال : عندما تحين الساعة الموعودة . واقف فى رحاب الله لا عترف بفضله سأقول : اننى خرجت من حياتى بعدد من الأصدقاء الأوفياء الممتازين . أضع فى صفهم الأول الأخ الفاضل مصطفى بهجت بدوى .. إلى أن يقول : .. فهو رمز نادر صادف حياتى للخلق القويم . وأمانة الضمير . ووفاء القلب الطاهر » وليس أدل على هذا من وفاته العظيم لأستاذه الشيخ إسماعيل السمكرى أحد أجلاء إخواننا فى الإسكندرية . رحمه الله .

ويستهل الشاعر الديوان بقصيدة اهداء يبين فيها أحاسيسه نحو شعره فيقول :
 نظمت روى وأفكارى وتبيانى فى طاقة سُمها - إن شئت - ديوانى
 وما تكلفتُ إلا فى طباعته - ولا تكلف فى طبعى ووجدانى
 لو لم يكُ الشعرُ قبلى كنت أنظمه فما أحاكى بشعرى أىَّ إنسان
 وإنك لتلمح فى قصائده الإنسانية البارة المؤمنة المحبة للغير المظوف التى تشعر أنها
 جزء من كل . وتتجلى إنسانيته هذه فى بنوته ، فى أخوته ، فى صداقته ، فى أبوته التى تفيض
 رقة وبراً ومحبة . اسمع إليه يخاطب ابنته « ناجية » :

وقفت إلى مهدك المستطاب وأنت بفردوسه غافية
 أطيل الوقوف ، واست أمل وإن كنت أستبدل الزاوية
 ثم يقول :

وكم تأمرين ، فأصنى إليك وتعرض عن أمرى اللاهية
 ثم يقول :

هموى ترهقنى بالنهار وإن عدت تبعدها ناجية
 أحسن إلى قلبه من لماها حنينى إلى نعمة العافية

إن فى كلمة . . فردوس ، وحدها فى البيت الأول دليلاً قوياً على مدى الحب العميق
 الرقيق الذى تمتاز به هذه الأبوة . وتأمل هذه الصورة الرائعة التى تبدو فى التشبيه الرائع
 فى البيت الأخير .

وتجيش بقلبه الكبير عاطفة البنوة البارة ، وهو يزور قبر أمه ، فينظم هذه القصيدة
 الرائعة بعنوان « مدينة للعظات » ومنها :

أتى . . وهل مثلُ أُمى قلب يبارك عمـرى ؟
 المعطف أصدق عطف والصدر أرحب صدر
 والنور أطهر نور والبرُّ أكرم بر

ثم لا يفوت حسه الرقيق المؤمن أن يستلهم العظة والعبرة وهو في زيارته لقبر أمه
الغالية ، فيقول :

مدينة للقبور وللفناء المرير
أسمى إليها وثيدا مفكرا في مصيرى
هنا ختام الأمانى هنا حطام العصور
هنا الحقيقة ولى عنها متاع الفرور

بوارق الإيمان تلمع من هذه الأبيات التى تفيض بالعبرة والخشيه !!
ويتجلى بر البنوة الصادق فى رثائه الشجى لوالده ، فيقول فى قصيدة له بعنوان «أبى» :

أبّ سمح رعانى . . كم رعانى بلغت الأربعين وكنت طفلة
أراه فتشرق الدنيا بقلبي شموسا نيرات كن ظله
ويسحر مسمى . . . أصفى إليه ويسحره . . . وهم يروون فضله

ونلاحظ فى هذه القصيدة أن الشاعر كان محبا لوالده الجليل أياحاب .

وأى قصائد تسمو إليه ولو صيغت محلفة روائع ؟
ولا يخفى شاعرنا عواطفه نحو أحد اصدقائه . فتراه يفضّل لفائب كتب مقالا اعتبر
عبيا فى الذات الملكية ويسجن من اجله . فيسجل الشاعر غضبته فى قصيدة بعنوان
« فى الذات الملكية » يقول فيها فى شجاعة أدبية .

غضب القوم فائند فى نضالك واطرح النيل يا أخى عن خصالك
واكنتم الحق كى تضج الاباطيل تباهى بعروشها والممالك
إن أساءوا فقل أصابوا وطابوا وبع النور بالظلام الخالك

وفى أبياته هذه من التهمك المرير والسخرية اللاذعة بالملك وأعوانه ما فيها ، ولا سيما
فى البيت الأخير . ثم نرى الشاعر يساهم مع أبناء وطنه فى معركة التحرير بتنظيم القصائد

الوطنية ليحمس الشباب المدافع عن بلاده ضد المحتل . فيسجل كفاحه . ويكتب قصيدة إلى صديق له متطوع بعنوان « خذني معك » يقول فيها .

تطوعت يا صاح ما أشجعك وأوفى هواك . . . وما أروعك !
ويتجاوب الشاعر مع أبناء وطنه في الفرحة الكبرى باتفاقية الجلاء فيكتب قصيدة بعنوان « أعظمها شأنًا » يبر فيها عن مشاعره نحوها فيقول :

وحرية نلنا بها خير ما نلنا وقد صادفت أهلا يصونونها صونا
وحرية حزننا بها المجد خالصا فأنعم به مبني . . وأكرم به معنى
ألا لم تجيء عنوا وإن طال بينها وما كان عدلا بينها ذلك البينا
وظلت جيوش الغاصبين بدارنا سنين ولكن لم تذق بيننا أمنا

فاذا ما وقع العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ بعد اتفاقية الجلاء ينظم الشاعر قصيدة من وحى معركة القنال^(١) بعنوان « في المعركة » يقول فيها .

طائرات الأعداء فوق سمائه ومصير الأعداء تحت حذائه
طائرات كم تقذف النار لكن أشعلته حماسة في عدائه
ثم يخاطب شعب بور سعيد في هذه القصيدة بقوله :

إيه يا شعب « بور سعيد » سلاما يا حمى النيل يا أعز لوائه
أنت أدبت « مجرم الحرب » فاهتز وحطمت مدعى كبريائه
أنت قاومت باسلا عصابة الشر وأسطولة وهول اعتدائه

وفي قصيدة بعنوان « تاريخ ملك » يتحدث الشاعر عن أيام فاروق وما كان يسودها من ظلام وفساد . ثم يصور الشاعر أحاسيسه ومشاعر البشر وخاوفهم وحيرتهم من القنبلة الذرية فيقول في قصيدة بعنوان « أيد غير مأمونة » .

(١) سبق أن أصدر الأستاذ الشاعر ملحمة عن معركة القنال عام ١٩٥٨ بعنوان « القناة والمعركة وأخى »

ألا بافتنة الذره تركت الكون في حيره
فأنت الهول بين الصحف أنت السيرة المره

وبعد : فهذه مختارات قليلة من القصائد التي حواها ديوان الأستاذ مصطفى بهجت بدوى . وعرض لنا فيها ما أوحى به الالهي . فنال التوفيق والإعجاب . ولـكـنـنا لـاحـظـنا أن الديوان قد خلا من قصيدة عن الشيخ اسماعيل السيد اسماعيل - رحمه الله - الذي صحبه الشاعر فترة طويلة من الزمن في محيط جماعة انصار السنة بالإسكندرية وتأثر به كثيرا .

ومع أنه رثاه في كلمة له نشرت بالمساء في مطلع عام ١٩٥٩ بعنوان « رائدى الذى رحل » إلا أننا كنا نحب أن يكتب عنه شيئا منظوما . . غير أن الوفاء والعرفان بالجليل اللذين يحفظهما الشاعر لمرشده جملاه يذكره في كلمة التصدير في هذا الديوان بقوله : إلى استاذى الشيخ اسماعيل السيد اسماعيل الذى أكرمى الله به في مطلع شبابه فعملنى من آيات الدين الهادية ما أرجو أن أحفظ به وأعمل حتى آخر عمرى .

« الهدى النبوى » : كنا نود أن نفسح المجال أكثر عن هذا الديوان الشعرى القيم لنكشف عن أمرين . أعظمهما بالتقدير والإجلال هذه الروح المؤمنة الخاشعة التى تسيطر على الديوان فى ألفاظه وعباراته وصوره وأخيلته ، فلا تجرد لفظا يחדش حياء ، أو يغمر فضيلة ، أو ينال من نسك دينى أو شعيرة كما يفعل الكثير من الشعراء ، والشاعر الكبير تحس أنه لا يتكلف هذا ، لأنه يصدر عن روح مؤمنة تستحوذ على قلبه وقلمه . ثم هو لا ينجح إلى مبالغة ، ولا تهويل ، وإنما هو يلتزم الصدق فى التعبير عن مشاعره وواقع دنياه .

الأمر الآخر : الأصالة التى برز عنها هذا الديوان ، فلا ترى تقليداً فى تعبير أو تصوير . كنا نود ذلك ، ولكن لصحيفتنا عذرها ، وأخونا الكبير خير من يتلص العذر . وننتهز هذه المناسبة لنقدم الشكر العظيم للأخ الكبير على مانوه به فى صحيفة الجمهورية بتاريخ ١٠ / ٦ / ١٩٦٣ فى يوميات « كتاب التحرير » من تاريخ إمامنا الراحل العظيم الشيخ محمد حامد الفقى رحمه الله . وهو صنيع سنظل نشكر الأخ الكبير عليه .

أبو الوفاء

أستاذي الجليل العالم العامل :

هذا رثائي خذه من كبدي ومن قلبي ومن شموري ووجداني جزاء ما قدمت من عمل
طيب للدين والدنيا . والله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

فقيّد العلم قد وجب الرثاء وحق على بني الوطن البكاء
فما للموت طبّاً أو دواء فإن حُمّ القضاء انقطع الرجاء

بكاء العلم والدين الحنيف ويبكي بالدم الرجل الشريف
هو حصن من التقوى منيف وركن العلم هدمه القضاء

أصابك من يد الأقدار سهم وأمر الله لم يدركه فهم
فلم تجزع ، وكيف براع سهم بشوّة إلى الله اللقضاء

وحين رحلت أدميت القلوبا وأوشكت الجوانح أن تذوبا
ولم يطف البكاء بها لهيبا ولا أجدى التجلّد والعزاء

يمر العمر كالبرق السريع وما الموت من واقٍ شفيع
تساوى الشيخ بالطفل الرضيع وإن كليهما فيه سواء

إمامٌ ودّع الدنيا وداعا ويعلم أنها كانت متاعا
فلما أن دعا الداعي أطاعا ولبي ، لم يروعه النداء

نكأت «مسجد الله»^(١) الجراحا وجلّله الأسي ساحاً فاحا
وقد قلبت مواظبه نواحا وفي رمس الثرى حل الوفاء

(١) المسجد الذي أقامه بسوهاج وأطلق عليه «مسجد الله»

يَعِزُّهُ عَلَى الْمَسَاجِدِ أَنْ تَصَابَا وَتَفْجِعَ فِي الَّذِي رَفَعَ الشُّبَابَا
تَرْسَمُ بِالْهَدَى نَهْجًا صَوَابَا لَهُ كَالسَيْفِ فِي الْهَيْجَا قَضَا
طُوتَ أَيْدَى الْمُنُونِ لَهَا سَجَلَا أَقَادَ وَغَيَّبَتْ بَدْرًا مَطَلَا
طُوتَ أَسْتَازَهَا الشَّيْخُ الْأَجَلَا فَالَ عَمَادَهَا وَخَبَا الضُّمَيَا
تَحْجِبُ لَيْثَهَا وَخَلَا الْعَرِينِ وَطَاحَ بِهِ قَضَا لَا يَلِينِ
غَرَّاسُ يَدَيْكَ طَالَ بِهَا الْحَنِينِ إِلَيْكَ وَأَنْتَ طَالَ بِكَ الثَّوَانِ
فَقِيدَ الْعِلْمَ إِنْ بَنَّا حَنِينَا وَمَا جَاوَزْتَ يَوْمًا أَوْ مَثِينَا
فَكَيْفَ إِذَا النُّوَى صَارَتْ سَنِينَا فِرَاقَ الْمَوْتِ لَيْسَ لَهُ انْتِهَاءُ
جَنَحَتْ إِلَى الْهَدْوِ بِبَطْنِ لَحْدِ كَسِيفَ مَعْدٍ فِي جَوْفِ غَمْدِ
وَمَلَتْ إِلَى السَّكُونِ بَدَارَ خَلْدِ وَلَمْ يَعْجِبْكَ فِي الدُّنْيَا الْبَقَاءُ
رَحَلَتْ يَحْفُ بِالنَّعْشِ الْجَلَالِ وَتَفَمَّرَ مِنْ الْمَوْلَى ظِلَالِ
عَلَى الْأَعْنَاقِ تَحْمِلُهُ رِجَالِ كَرَامٌ آلَ فَضْلِ اتَّقِيَاءِ
كَرَامٌ شَيَعُوا شَيْخًا كَرِيمًا وَوَارَوْا فِي التَّرَابِ أَبَا رَحِيَا
وَمَنْ يَعْظُمُ يَعْشُ وَيَمُتُ عَظِيمَا يَمُطِرُ ذَكَرَ سِيرَتِهِ الثَّنَاءُ
نَشَأَتْ عَلَى الْهَدَايَةِ وَالصَّلَاحِ وَعَشَتْ تَسِيرَ فِي سَبْلِ النُّجَاحِ
شُعَارِكَ كَانَ حَيًّا عَلَى الْفَلَاحِ كَمَا انْتَهَجَ اتِّقَاءَ الْأَوْلِيَاءِ
غَذَوْتَ الْعِلْمَ مِنْ عَقْلِ سَلِيمِ وَجَدْتَ عَلَيْهِ بِالْفَضْلِ الْعَمِيمِ
وَمَرَّتْ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمِ قَوِيمِ النُّهْجِ مَا فِيهِ الثَّوَانِ
غَرَامُكَ أَيْبَعْتَ وَدَنَا جَنَاهَا وَأَوْرَقَ ظِلُّهَا وَمَرَى شَذَاهَا

إذ الآجال قد بلغت مداها من الساعات عاجلها الفناء

مصابك لا يقاس به مصاب ورزؤك دونه يعي الجواب
أبعد المنبر العالي تراب ؟ تعالى الله يفعل ما يشاء

أبكى الحلم فيك أم الصلاحا وأبكى الفضل أم أبكى السماحا
وأبكى العلم أم أبكى الفلاحا ودمع المـين أفناء البكاء

تقى كنت للفتيا أمينا مجيبا ناصحا دنيا ودينا
بكاك الدين منتحبا حزينا وناح على فضائلك الولاء

حياة كلها تقوى وبر وتسبيح لمولاه وشكر
وعند الله للأبرار أجر وحسب أولى النهى منه الرضاء

نجاتي عبد الرحمن

الجيزه

(الهدى النبوى) ووردت قصيدة أخرى من الأستاذ محمد عبد الكريم أحمد بالاسكندرية
في رثاء فقيدنا العزيز الأستاذ الشيخ أبى الوفاء محمد درويش قد ننشر أبياتاً منها في عدد قادم
إن شاء الله كما وردت كلمة من الأخ الأستاذ محمد على حسين باشكاتب المساحة ببلييس يبدى
فيها تأثيره العميق بموت فقيد الإسلام ويذكرنا بالأستاذين فضيلة الرائد الأول للجماعة
محمد حامد الفقى والأستاذ محمد صادق عرنوس وجهاد الثلاثة رحمهم الله في سبيل نشر دعوة
التوحيد بالخطابة وبالكتابة . ونسأل الله أن يجزيهم خير الجزاء ، وأن يغفر لنا ولهم . كما
وردت تعازى من الإخوان : مكى أحمد جرفى من بلانه ببلاد النوبة ، وأنور عبده داود
وعثمان الحاج ومحمد طه مندول بوادى حلفا ، وجماعة أنصار السنة الحمديدية بالنهود سودان ،
والأستاذ محمد زكى بالحلة الكبرى ومحمد عبدالظاهر بالدكة ببلاد النوبة ومن الأستاذ عبد الرحمن
ذهب بالسوكى - سودان . وكلها تعبر عن الحزن والأسى لفقد هذا الركن الشديد من
أركان دعوة التوحيد . ونسأل الله أن يتغمده فقيدنا برحمته الواسعة ، وينزله منازل الأبرار
في جنات النعيم .

بَابُ الْفِتَاوَى

السُّؤَال

نرجو إفادتنا مشكورين عن حكم الشرع الإسلامى الحنيف فى رجل طلق امرأته مكرهاً وتحت ضغط فى يوم ١٥ مارس سنة ١٩٦٣ طلقة أولى رجعية ، ثم طلقة ثانية فى ١٨ إبريل سنة ١٩٦٣ ، ثم طلقها طلقة ثالثة بعد يومين من هذا التاريخ أى فى يوم ٢٠ إبريل سنة ١٩٦٣ . ولا نعلم إذا كانت هذه الطلقات وقعت منه فى طهر أم فى حيض . فنرجو التكرم بإفادتنا عن مشروعية هذا الطلاق من عدمه .

الجواب

- ١ - أخرج البخارى فى ترجمة باب : « كل طلاق جائز إلا طلاق المعتوه والمسكره »
- ٢ - وأخرج البخارى أيضاً فى ترجمة باب آخر : « ليس لمسكره أو مجنون طلاق »
- ٣ - وروى الترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كل طلاق جائز إلا طلاق المعتوه والمفلوب على أمره » .
- ٤ - وروى البخارى ومسلم أن ابن عمر رضى الله عنهما طلق امرأته وهى حائض ، فذكر ذلك عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتغيظ رسول الله ثم قال : « ليراجعها ، ثم يمسكها حتى تطهر ، ثم تحيض فتطهر ، فإن بداله أن يطلقها فليطلقها قبل أن يمسها ، فتلك العدة كما أمر الله عز وجل » ويشير بذلك إلى قوله تعالى : (يا أيها النبى إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة) .

ونقول إنه يستفاد من النصوص الثلاثة الأولى أن طلاق هذا السائل لا يعتقد به ولا يقع منه شيء مطلقاً لأنه كان مكرهاً مفلوباً على أمره ، ويستفاد من النص الرابع أنه على فرض أنه لم يكن مكرهاً ولا مضطواً عليه ، فإنه يمكن أن تحسب الطلقة الأولى واعتبارها وقعت فى طهر لم يمسها ويمكن أيضاً أن تحسب الطلقة الثانية لأن الفترة من ١٥ مارس إلى ١٨ إبريل تكفى لأن تحيض المرأة وتطهر فيها ، أما الطلقة الثالثة فلا يمكن احتسابها بأى حال من الأحوال لأن اليومين من ١٨ إلى ٢٠ إبريل لا يمكن أبداً أن يتم فيهما مراجعة ثم حيض ثم طهارة ، وللرجل فى هذه الحالة أن يراجع زوجته ، وتبقى معه على تطليقة واحدة باقية . والله أعلم .

اخبار الجماعة

تضامن أخوى رائح

أقام فرع جماعة أنصار السنة بطنطا حفلا بمناسبة ذكرى الهجرة في يوم الأحد السابع عشر من المحرم سنة ١٣٨٣ ، وقد أرسلت الدعوة إلى فرع الجماعة بالحلة الكبرى لحضر منهم وفد كبير يتقدمهم فضيلة الشيخ أبى سالم واعظ الحلة ، كما حضر فضيلة الداعية الكبير الشيخ إبراهيم شعبان على رأس وفد من كفر أبى حجازى ، وما أن حل موعد الحفل حتى كان السراشق قد غص بالمستمعين ، وابتدىء الحفل بتلاوة آيات من كتاب الله ، ثم أعطيت الكلمة لفضيلة الشيخ إبراهيم شعبان الذى عبر عن مشاعره وأحاسيسه نحو دعوة الحق ، وعاهد الله على أن يظل وفيا لمبادئها التى تستمد من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم قام الأستاذ عبد الفتاح سلامة وكيل الجماعة بطنطا فبين سمو دعوة أنصار السنة عن العصبية والأشخاص ، وأنها لا تعرف إلا زعما واحداً هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أفاض فى الحديث عن الهجرة وناقش بعض الروايات التى تجرى على الألسنة ودعا إلى الأخذ بالصحيح منها ففیه كفاية وغنية ، ثم تلاه فضيلة واعظ الحلة فأفاض فى الحديث عن تمجيد الإسلام للعمل وأنه الدين الذى يتمشى مع واقع الحياة فيعطى لأرواح حقها وللجسد حقه وتنتظم شئون الدين والدنيا . ثم قام فضيلة رئيس الجماعة الأستاذ الدكتور محمد خليل هراس فاستخلص العبرة من حديث الهجرة وبين ما يجب أن يكون عليه الدعوة إلى الحق من التغالى فى نصرته والصبر على ما يصيبهم فى سبيله . ثم ختم الحفل كما ابتدىء بتلاوة القرآن الكريم ، وقد ودع الفرع ضيوفه الكرام بمثل ما استقبلهم به من الحفاوة ، وقد التقت القلوب المؤمنة على موائد المحبة والإخلاص ، وقد طلب فرع الحلة من الرئيس زيارتهم لإلقاء محاضرة بالفرع فوعد بذلك .

٣ - قضية المرأة

كان الكلام فيما كتبناه من قبل في (الهدى النبوى) تحت عنوان : قضية المرأة كالمقدمة والتمهيد لما سنشرع فيه من الحديث في هذه المسألة التي جعلها الناس همهم الأكبر في أيامنا هذه . حتى كاد ينسيهم ماهية المرأة ولم خلقت ؟ وهل هي أصل أو فرع أو متبوع أو تابع ؟ وهذا ما سنلم به في هذا المقال والله المستعان .

المرأة خلقت للرجل :

إن الذي سلمت فطرته من الناس ، وسلم من الانعكاس والارتكاس ، يعلم يقينا أن المرأة لم تخلق إلا للرجل ، ولم تخلق مساوية له ، لا في تكوينها الجسمى ولا العقلى ولا النفسى . يشهد لذلك أولا أصدق الشهود : كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . ويشهد لذلك ثانيا ، سنة النبي صلى الله عليه وسلم التي هي خير الهدى . ويشهد لذلك ثالثا . فطرة المرأة . وفطرة الرجل . ويشهد لذلك رابعا . الاستقراء والنظر في أحوال المجتمعات ووضع المرأة فيها .

شهادة القرآن :

ويقول سبحانه (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) ، المخاطبون هنا جنس الذكر بدليل الآية الأخرى (هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليكن يديها) فالنفس الواحدة التي خلق منها الناس هي نفس آدم ، وخلق من هذه النفس زوج لها ، وعلم الله سبب الخلق بأنه للسكون كما في الآية الأولى . فكما امتن الله على الناس بالخلق الكثير الذى خلقها لهم وبخير ما في السموات والأرض لهم . امتن عليهم كذلك بخلق المرأة . ولا نفهم من ذلك إلا أن

المرأة نعمة أنعم الله بها عليه . ويشهد لذلك قول الله سبحانه . (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ) إِنْ لَخِ الْآيَةِ . فوضع الله سبحانه في هذه الآية المرأة في وضعها الذي يذنب أن تكون عليه .

ويشهد القرآن أيضا . أن خطاب الله للملائكة أن يسجدوا لآدم لم يرد فيه على كثرته في التنزيل ذكر النوع الآخر . وتعليم الله أسماء كل شيء . إنما كان لآدم . وسجود الملائكة إنما كان لآدم . وقيام الخصومة من إبليس إنما كانت لآدم . كل هذا يفهم منه أن المرأة ليست إلا ظلالا للرجل يذنب أن يكون مكانها الطبيعي البيت وأن تكون رعية للرجل تنجب له الذرية ، ويسكن إليها من اضطرابه في الحياة وضربه في الأرض . فإذا شاء الذين انسلخوا من فطرة الله المستقيمة أن يعطوا المرأة وظيفة الرجل ، وأن يعطوا الرجل وظيفة المرأة . فهم الذين كفروا بربههم وبتدبيره وحكمه . وأولئك الأغلال في أعناقهم .

ومثلهم كمثل الذي جعل قيادته بيد دابته . وقد جعل الله الرجال قوامين على النساء . ويشهد القرآن أيضا . أن الله لم يختار امرأة رسولا ولا نبيا . ولا حاكما . ولا قاضيا . بل وصفها بأنها تضل ، أى صاحبة هوى . فأضاف إليها غيرها في الشهادة حتى تصح شهادتها^(١) . وقص علينا من خبرها حين كانت ماسكة أنها كانت مثلا في الضعف والهوان . فلم تلبث حين جاءها النذير أن استسلمت ، وسعت بقدميها إلى الفأخ ، من غير أن يشمر في وجهها سلاح ولا يحلب عليها بخيل ولا رجل .

بل ورد في كتاب الله ما يشعر ضمنا أن المرأة لا تصلح في ما لم تخلق له . يقول الله سبحانه عن جنس المرأة مخبرا عن طبيعتها (أَوْ مِنْ يُنْشَأُ فِي الْحُلِيِّمَةِ) وهو في الخصام غير مبين) معناه كيف تكون الأنثى وهى التى لا ترى لنفسها كمالاً إلا بالحلية والزينة ،

(١) إشارة إلى قوله تعالى (واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى) الآية من سورة البقرة .

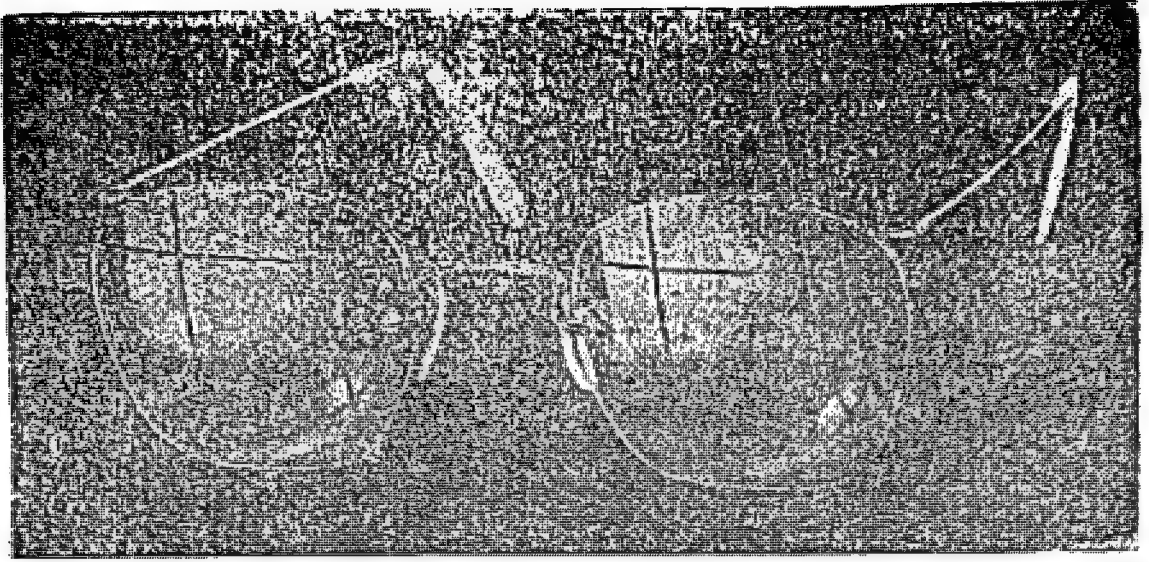
وتعيش عمرها كله في تزيين نفسها ، لأنها تحس في قرارة نفسها أنها تشعر بالنقص دائما . كيف يتأتى لها أن تكون خصما بينا في خصومته ، والبيان في الخصومة لا يكون إلا نتيجة للقوة وهي ضعيفة حسا ومعنى . وإذا كانت ضعيفة في بيان خصومتها فهي بالأولى تكون ضعيفة في إدارتها أو تكون مشغولة عن إدارتها بزيينتها . ونعلم وغيرنا يعلم أن المدرسة أو الكاتبة أو أية امرأة تصنف شعرها وتنظر في المرأة وتعامل في هندامها ، وهي في العمل ، أكثر مما تصنف ورقها إن كانت كاتبة ، أو تنظر في نقدها إن كانت صرافة ، أو تعنى بتلاميذها إن كانت مدرسة . ولا لوم عليها في ذلك أبداً . فأحوالها هذه إنما تصدر عن طبيعتها . ولكن اللوم على أولئك الذين نهجوا لها هذا المنهج ، وسلكوا بها هذا المسلك . فوزعوها بين واجب فطرتها وواجب آخر فرضوه عليها ، إما عمداً وإما من تفريطهم وإفراطهم وجهلهم .

إن من الخير للناس أن يستعملوا ما خلق الله لهم على الوجه الذي أراده لهم هو ، لأنه أعلم بمصلحة عباده ونرى في حياتنا هذه أمثلة لهذا المعنى كثيرة : نجيدنا الآلة من بلاد أوروبا أو غيرها ويحىء معها الذي صنعها أو من ينوب عنه . فتتعلم منه كيف نستخدم هذه الآلة وكيف ننتج ، وكيف نصلحها إذا فسدت . فلو أننا خالفنا عن أمره وتصرفنا في استخدامنا تصرفا على عكس ما علمناه من صانعها . فلن نجنى إلا الخسران . وما ظلمنا الصانع ولكن ظلمنا أنفسنا ، حين لم نذبح ما فيه مصاحبتنا وفي مثل مسألة المرأة التي خلقها الله لنا لتكون سكنا لنا ، أيدينا أن نطيع أمر الله فيها . فلم ننتفع بها ولم تعد سكنا لزوجها ولا لأولادها ، وإنما صارت على عكس ما أريد منها . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

عبد الحافظ فرغلي

زيارة

قام فضيلة الرئيس العام الأستاذ عبد الرحمن الوكيل ، والأستاذ رشاد الشافعي المراقب العام ، بزيارة فرع الجماعة بسوهاج ، وذلك لمواساة أنصار السنة وأسرّة فضيلة الشيخ أبي الوفاء محمد درويش - رحمه الله - وقد وعد الأستاذ رشاد الشافعي بكتابة مقال تفصيلي عن هذه الزيارة في العدد القادم ، إن شاء الله .



أحدث النظارات الرائعة نجدها عند الأخصائي

أحمد محمد خليل

المصري الوحيد خريج جامعة باريس شارع الجوهري
رقم ١ ميدان العتبة والامر التجاري القدم شارع ٢٦ يوليو
س . ت ٢٣٤٥ — تليفون ٩٠٨٢٦٢

شركة غريب للساعات والمجوهرات

إدارة : محمد الغريب محمد البار

بشارع محمد بك فريد رقم ١١٧ مصر عابدين

أحدث الساعات في المتانة ودقة الصناعة

والمجوهرات والنظارات — أسعار مذهشة

تساهل في الدفع على أقساط شهرية

بالمحل ورشة فنية للتصليح

﴿ أنصار السنة المحمدية لهم امتيازات خاصة ﴾

العدد ٣

المجلد ٢٨

ربيع الأول

سنة ١٣٨٣

خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم

الهدي النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير

عبد الرحمن الوكيل

مدير الإدارة

سليمان مومني

٣٠ ملها

مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير
ت ٩٠٦٠١٧

الفهرس

صفحة	
٣	التفسير لفضيلة للأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل
١٢	عقيدة القرآن والسنة » » » محمد خليل هراس
١٥	نظرات في التصوف » » » عبد الرحمن الوكيل
٢٢	دائرة معارف وحدي » عبد الحافظ فرغلي
٢٤	خطبة منبرية » سليمان رشاد محمد
٣١	حول منهج في تفسير الإسلام » محمد المفتي الجزائري
٣٦	تعليقات على الصحف » سعد صادق محمد
٤٤	الفتاوى » سليمان رشاد محمد
٤٨	بدعة مولد الحسين » رجب صابر احمد
٥١	أخبار الجماعة »

مدير المجلة

نلفت نظر السادة القراء والمشاركين والمتعهدين بتوزيع (الهدى النبوي) ووكلائها إلى أنه قد تقرر إسناد إدارة المجلة إلى الأخ السيد / سليمان حسونه . كما أسندت أمانة صندوق الجماعة إلى الأخ السيد / محمد رشدي خليل . كما هو منشور في غير هذا المكان من هذا العدد .

والمرجو لإرسال جميع الحوالات وقيم الاشتراكات والذمات المتأخرة لدى المتعهدين بإسم السيد / سليمان حسونه . مدير المجلة . ولهم شكرنا ما

اطلبوا رسالة في التيمم من كتاب الله وهدى رسوله - من مكتبة أنصار السنة الح

خير الهى عدوى محمد صلى الله عليه وسلم

مدير الإدارة

سليمان مسونه

الاشتراك السنوى

٣٠ - فى الجمهورية العربية

المتحدة والسودان

٤٠ - فى الخارج

الهدي النبوى

مجلة شهرية دينية

صدرها جماعة انصار السنة المحمدية

رئيس التحرير

عبد الرحمن الوكيل

أصحاب الامتياز : ورثة

السبح محمد حامد الفقى

المركز العام : ٨ شارع قولة - عابدين القاهرة - تليفون ٧٦٥٧٦

المجلد ٢٨

ربيع الأول سنة ١٣٨٣

العدد ٣

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال - جل ذكره - ﴿ وَوَضِعَ الْكِتَابُ ، فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ رِمًا فِيهِ ، وَيَقُولُونَ : يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَفِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أُخْصَاهَا ۚ ﴾ ،
وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ، وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۝ ﴾ - الكهف : ٤٩ .

« معانى المفردات »

« المجرمين » : أصل الجرم قطع الثمرة عن الشجر . والجرم والجريمة للذنوب ؛
لأنه كسب ، والكسب اقتطاع .

« مُشْفِقِينَ » : قال الراغب : الإشفاق عناية مختلطة بخوف ؛ لأن المشفق يحب المشفق
عليه ، ويخاف ما يلحقه . فإذا عدى بمن فمعنى الخوف فيه أظهر ، وإذا عدى بعل ،
فمعنى العناية فيه أظهر .

« يا ويلتنا » : قال ابن الأثير في النهاية : الويل الحزن والهلاك والمشقة من العذاب ، وكل من وقع في هلكة دعا بالويل ومعنى النداء فيه : يا حزني ويا هلاكى ويا عذابى أحضر ، فهذا وقتك وأوانك ، فكأنه نادى الويل أن يحضره لما عرض له من الأمر . . وقد يرد الويل بمعنى التعجب .

« أحصاها » : قال الراغب : الإحصاء : التحصيل بالعدد . قال الله تعالى ﴿ وأحصى كل شيء عدداً ﴾ حصّله ، وأحاط به .

المعنى

هدانا ربنا - سبحانه - إلى أننا سنعرض عليه فرادى يوم القيامة . والمؤمن بقدرته الله ، وجلاله وسعة ملكوته ، يؤمن بهذا العرض دون أن يحمله الجمل بكيفيته على الكفر به ، أو الارتياب في شأنه ، أو تحمله مُتَتَرِّضَاتِ العقل البشرى ، وما يبتدعه من مُسْتَلْزَمَاتٍ على ذلك^(١) ، إذ لا يجوز للعقل أن يحكم على الله بما يحكم به على قدرة البشر ، أو يظن في الله ظنه في البشر ؛ فليس من قوى البشرية ، أو قدرها كلمة كُنْ ، وليس من مقدوراتها ، ولا من عزة قهرها أن يكون ما تقول له : كن .

ثم يهدينا الله سبحانه وتعالى إلى بعض ما سيكون بعد هذا في يوم القيامة .

أولاً : وَضَعَ الْكِتَابَ :

وأى كتاب ؟

إنه الكتاب الذى سجل فيه كل صغيرة أو كبيرة فعلمها الإنسان في دنياه : وأقول إنه هو هذا اهداء بما جاء في آيات آخر ساذ كرك بها إن شاء الله .

ولقد أفرد الكتاب ، ولم يجرى جمعا ، لأنه يُراد به جنس الكتاب ، ولم تذكر

(١) فيقول كيف نعرض ونحن ألوف ألوف ألوف ، والعرض يستلزم تحديد الله ومواجهة ومكانا ، وغير ذلك ، ويجعل مثل هذه الأمور حائلا بينه وبين الإيمان بنجر الله ، أو يتخذ منها وسيلة للتأويل ، وتجند تأويله شراً من صريح الكفر .

الآية مَنْ سِيُضَعُ الْكِتَابُ ، لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ مَعْرُوفٌ لَا يَحْتَاجُ أَبَدًا أَنْ يُصَرِّحَ بِاسْمِهِ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَمْلِكُ هَذَا الْيَوْمَ سِوَى وَاحِدٍ . إِنَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ .

متى يوضع الكتاب ؟ : إن الكتاب من الغيب ووضعه من الغيب ، ولهذا لا يجوز لامرئ أن يقتحم قدس الغيب ورجومها وإنما له - فحسب - أن يذكر ما ذكر الله . يقول ربنا سبحانه ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ، وَوُضِعَ الْكِتَابُ ، وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشَّهَدَاءِ ، وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ ، وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ - الزمر - ٦٩ . وهذا بعد أن تكون النفخة الثانية في الصور ، إذن يوضع الكتاب بعد النفخة الثانية ، وبعد قيام الناس من قبورهم ، وبعد مجيء الله يوم القيامة ، هو وملائكته وإشراق الأرض بنوره سبحانه ، واكبح جماح الهوى أن يستبد بعقلك ، فتضل في متاهات وتهلك في شعاب ينوشك في كل شعب منها شيطان .

لنتمتلي باليقين من مجيء الله ، ومن إشراق الأرض بنوره ، ومن حل الملائكة لعرشه ، ومن أنهم سيكونون حافين من حول العرش مسبحين بحمد الله .

لا تسلفني : كيف ؟ .

ولا نسل نفسك : كيف ؟ .

ولا تقل إن الإيمان بهذا يستلزم أن يكون الله في حيز ، وأن يكون محدوداً ، وأن يكون محمولا ، وأن يكون جسماً متناهياً .

احذر مثل هذه الهمسات التي تظل تُراودك عن إيمانك حتى تفكك به ، وقل : إن الذي خلقتني وعلمني البيان ، ويدلم كل شيء ما كان ، لا يخفى عليه أبداً مثل هذا ، وهو يتكلم بهذا الكلام القدسي المعجز بلاغةً وفصاحةً ولم يرفها يتكلم به نبلاً من عزة جلالة ، وجلالة كبريائه ، وإلا فقد كان يستطيع - جل شأنه - أن يذر هذا الكلام ، وأن يأتي بغيره ، أو أن يقول : هذه إيماءات أو إشارات إلى معاني آخر .

إن الحيز والجهة ، والكم ، والكيف ، وغيرها من مصطلحات الفلاسفة . ومخانيثهم علماء الكلام لن يراها المسلم أبداً بديلاً من هدى الله ، ولن تحول مفهوماتها بينه وبين الإيمان بما يقول الله .

إن الفاليسوف يعبد أرسطو وأذنا به .

والمتكلم يعبد مبدع دينه الكلامي .

والمسلم يعبد الله سبحانه .

ولن تجد مسلماً تقل حقيقته لله عن حمية عبّاد الفلسفة وعلم الكلام . فاختر لنفسك مكانها ، فلن يرغمك الله في اختيارك هذا على شيء . ولكن احذر غائلة الفلسفة ، واحذر موبق علم الكلام ، وكن على بصيرة ورضوان روى بهدى الله وحده .

بأى لغة كتب الكتاب : تتشوف النفس إلى اكتناه المجهول ، ولو علم الله أن في بيان هذا المجهول خيراً في الدين ، لذكره ، فلنؤمن بأن ما في الكتاب سيكون بحيث يستطيع صاحبه أن يقرأه ، وإن كان في دنياه أمياً لا يقرأ ، ولا يكتب ، وهذا مفهوم من الآيات التي سأذكرك بها .

متى تكتب هذه الكتب ومن الكتابون ؟ : يقول ربنا سبحانه : ﴿ إِن رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا نَمُنُّكُونَ - يونس : ٢١ ﴾ ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ، بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ - الزخرف : ٨٠ ﴾ ﴿ وَإِن عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ . كِرَامًا كَاتِبِينَ . يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ - الانفطار : ١٠ ، ١٢ ﴾ ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ ، وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ . إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ . مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ . ^(١) - ق : ١٦ ، ١٨ ﴾ .

(١) الوريد في اللغة عرق يتصل بالقلب فيه مجرى الدم والروح ، ولا يبعد كثيراً تعريف الطب له عن هذا . رقيب : يرقب عمله - عتيد : حاضر معد لهذا .

هذه الآيات تقرر أن من الملائكة - وقد جعلهم الله رسلا - من يوكل إليه كتابة ما يعمل الإنسان ، وأن من طبيعة هؤلاء علم الكتابة ، وعلم ما يفعل الإنسان ، وأن لكل امرئ متلقيا يقعد عن يمينه ، وآخر عن شماله ، ليكتب كل منهما ما يفعل صاحبهما ، وأن من عمل هؤلاء الملائكة حفظ صاحبهما ، وحفظ ما يصدر عنه . ولقد وصفهم الله بأنهم كرام ، وفي الكريم سماحة وأريحية تأذن له عن أمر الكريم أن يكون كريما مع صاحبه .

ولقد وردت في الآيات آيات تهديدك إلى حقيقة إيمانية يجب أن بسطع نورها في عقلك وقلبك تلك هي أن الله عليم بكل ما تفعل وبكل ما تقول سرا وعلانية ، حتى لا تظن أن الله محتاج إلى هؤلاء الكتبة ليعلموه بما يفعل عباده . تدبر «أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم» ثم ورود ذكر كتابة الرسل بعدها . وتدبر «ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد» ثم ورود تلقى التلقين عن صاحبهما . أقول هذا ، لأن الفلسفة بأوهامها وضلالها تقرر أن الله يعلم الكلّيات ولا يعلم الجزئيات . أى لا يعلم هذه الأمور التي تقع من الإنسان وله ، ومن الحيوان وله ، ومن الجراد وله . إذ يزعمون أن هذه أمور حادثة ، والله لا يتعلق علمه بالحوادث .

مرة أخرى نجد العقل في غلواء حماقة يحكم على الله بالسفه والكذب ! ! تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا . وتدبر ما مضى ، ثم تدبر قوله تعالى (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ، ولا رطب ، ولا يابس إلا في كتاب مبين) - الأنعام : ٥٩ - وتدبر النص على علم سقوط الورقة ، حتى تزداد إيمانا بأنه لا يقع في ملكوت السموات والأرض أمر صغير صغر سقوط الورقة ، أو كبير إلا والله يعلمه . بل حتى ما تأكل الأرض من أجساد الموتى ، فأنه يعلمه (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم ، وعندنا كتاب حفيظ - ق : ٤) فهل يعتبر عبید الفلاسفة ؟ لقد قرر العقل البشري بمقاييسه أن من تنزيه الله نفي العلم بمثل

هذه الجزئيات عنه . ولكن يقرر كلام الله غير ذلك ، فلتوقن أن القيم الدينية فوق القيم العقلية ، وأن هذه قد لا تكون قِيَمًا ، وإنما تكون ربما !!

كل شيء مكتوب قبل وجوده : ولا يظنّ ظان أن هذه الكتابة تنفي الكتابة الأزلية ، أو علم الله الأول بما سيحدث ، وبما سيكون . فالله يحيط بالشيء علماً قبل حدوثه ، وعند حدوثه وكل شيء كتب قبل وقوعه ، ويكتب عند وقوعه ويطابق علم ما يحدث العلم به قبل أن يحدث ، لأن العلم لله سبحانه . تدبر قول الله سبحانه (وما يعزُب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ، ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ، ولا أكبر إلا في كتاب مبين يونس : ٦١) ووردت آية قريبة منها في أول سورة سبأ .

(ما أصاب من مُصيبةٍ في الأرض ، ولا في أنفسكم إلا في كتابٍ من قبل أن نبرأها^(١) . إن ذلك على الله يسير) - الحديد : ٢٢ (وكلّ شيء أحصيناه كتاباً) - النبأ : ٢٩ .

وقد يَعْتَلُّ من يبهتون قدر الله بالظلم بمثل هذه الآيات كما اعتل المشركون بمثل ما قصه الله عنهم (لو شاء الله ما أشركنا ، ولا آباؤنا ، ولا حرّ منا من شيء) ولقد رد الله عليهم في نفس الآية بقوله : (كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ، قل : هل عندكم من علمٍ فتخرجوه لنا ، إن تتبّعون إلا الظنّ ، وإن أنتم إلا تخرصون)^(٢) الأنعام : ١٤٨ .

الله كتب ما سيكون ، والله كلف رسله أن يكتبوه عندما يكون .

فهل تجد لمقالة البشرية مثل هذه القداسة والجلالة ؟ !

(١) نبرأها نخلقها .

(٢) تقولون كذبا لا يستند إلى علم .

عَوْدَ إِلَى الْكَتَبِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : ولقد أكد القرآن في غير ما آية أن كل إنسان سيجد يوم القيامة كل ما قدم من خير ، واقترب من شر ، وأنه سيُخبر بكل هذا ، وأنه سيؤتى كتابا فيه كتب كل هذا . وتدبر هذه الآيات : (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُخَضَّرًا ، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً^(١) بعيداً ويحذركم الله نفسه ، والله رؤوف بالعباد) : آل عمران : ٣٠ (يُنَبِّئُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ ، وآخر) القيامة ١٣٠ - (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ، وإن كان مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ، وكفى بنا حاسبين^(٢) الأنبياء : ٤٧ .

(وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه^(٣)) ، ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا . إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) - الإسراء : ١٣ ، ١٤ .

(يوم ندعو كل أناس بإمامهم ، فَمَنْ أُوْتِيَ كتابه يمينه ، فأولئك يقروون كتابهم ، ولا يُظلمون فتيلًا^(٤) - الإسراء : ٧١) .

(يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ، فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كتابه يمينه ، فيقول : هَؤُلَاءِ^(٥) أَقْرَبُ أَكْتَابِيهِ) ثم تجد الآيات عن الفريق المقابل : (وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كتابه بشماله ، فيقول : ياليتني لم أوتَ كتابيهِ . ولم أدر ما حصابيهِ . ياليتها كانت القاضية . ما أغنى عني ماليهِ . هَلَّاك عَنى سُلْطَانِيهِ) - الحاقة : ١٨ ٢٩ (فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كتابه يمينه ، فسوف

(١) غاية أو مدة لها حد مجهول .

(٢) قسط — عدل . مثقال حبة — وزنه وزن حبة ، والخردل — حب صغير بلذع اللسان لحرافته .

(٣) ما يطير عنه من أعمال .

(٤) الفتيل ما يكون في شق النواة أو ما يقتل بين الأصابع من الوسخ .

(٥) هازم — خذوا ، فكلمة ها صوت يصوت به ، فيفهم منه معنى « خذ » .

يحاسب حساباً يسيراً . وينقلب إلى أهله مَسْرُوراً . وأما مَنْ أوتى كتابه وَرَاءَ ظَهْرِهِ ، فسوف يدَعُو نُبُوراً . ويصلى سعيراً^(١)) - الانشقاق : ١٢ ، ٧ .

أصحاب اليمين يفخرون ، ويسعدون بكتابهم ، حتى لينادى كل فرد منهم من بشره الغامر ، وسعادته الوفيرة : أقبِلوا أيها الناس وخذوا كتابي ، واقرءوه وأصحاب الشمال ينادُونَ من وراء ظهورهم ، لتفجأهم الداهية القاصمة ، ويسمهم هذا بمحقاتهم ، وأنهم مجرمون وثمت يقولون ما يقولون ، جعلنا الله - وإياكم - من أصحاب اليمين .

حال المجرمين عند وضع الكتاب : ترى الذين أجزموا ، وقد مارت قلوبهم بالخوف على نفوسهم مما سَجَّلَ في الكتاب « ويقولون : يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يفادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها » أنراهم يقولون هذا إلا بعد أن يطالعوا مافي الكتاب ، فيتجلى لهم بوضوح أنه لم يترك صغيرة أو كبيرة - ولا أحدد الصغيرة أو الكبيرة ، فالأمر عام - إلا وأحاط بها عدداً وكتابة ١٩ .

وثمت يصيِّحون صيحة هي مزيج من دهشة وعجب وألم وحسرة عميقة : ما لهذا الكتاب لا يفادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . إنهم حينئذ سيدكرون كل ما عملوا ، وسيرون أن ما هو مكتوب هو عين ماذكروه ، وعين ما فعلوه ، فطابق المكتوب الذي وقع ، ولتندبر هنا معاً قدرة الله ، وآياتها في تذكر الإنسان صفائره وكبائره ، وفي التتطابق التام بين المذكور والمكتوب .

يقين في عدالة الله : وتلاحظ أن هؤلاء المجرمين لم يشكوا مافي الكتاب ، فلم يرتابوا ، ولم يبهتوا الكتاب بظلم ، وكيف ، وقد تبين لهم بما لا يستطيعون معه ممارسة أو مجادلة ، أو إثارة من محاولة لرمي الكتاب بالظلم ، أن ما كتب فيه هو عين ما فعلوا .

(١) الثبور - الهلاك . أى يتمنى الهلاك ، ويدعو على نفسه به . يصلى سعيراً - يحترق بالنار الشديدة .

إنما شكا هؤلاء دقة الكتاب في الإحصاء والإحاطة بما عملوا ، وتمنوا لو أنه أغفل شيئاً ١١ .

« ووجدوا ما عملوا حاضرا » وجدوا كل أعمالهم مشهودة لا يغيب منها شيء ، ووجدوا كذلك الجزاء ، فليس الأمر أن يجد العمل ، فحسب ، وإنما الأمر أن يجد العمل وجزاء العمل معاً .

« ولا يظلم ربك أحداً » والظلم قد يكون بنقص ، وقد يكون بزيادة . والله لا ينقص من عمل عبده شيئاً ، ولا يزيد عليه . اللهم إلا أن يزيده ثواباً فضلاً من عنده . وكلمة « أحداً » تشمل وتعم ، لا يظلم مؤمناً ، ولا كافراً ، لا يظلم موحداً ، ولا مشركاً ، لا يظلم مسلماً ، ولا يهودياً ، ولا نصرانياً ، ولا مجوسياً ولا صوفياً : فالله قد حرّم الظلم على نفسه . أضرع إلى الله سبحانه أن يهب لنا حياة أصحاب اليمين في الدنيا ، وفي الآخرة ، إنه هو السميع العليم ، إنه هو التواب الرحيم ؟ .

عبد الرحمن الوكيل

وصية أبي بكر لعمر رضى الله عنهما

« إني مستخلفك من بعدى ، وأوصيك بتقوى الله ، إن الله عملاً بالليل لا يقبله بالنهار ، وعملاً بالنهار لا يقبله بالليل ، وإنه لا تقبل نافلة حتى تؤدي الفريضة ، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلاً ، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم . وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفاً . إن الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم ، ونجاوز عن سيئاتهم ، فإذا ذكرتهم قلت إني أخاف أن لا أكون من هؤلاء . وذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ، ولم يذكر حسناتهم ، فإذا ذكرتهم قلت إني لا أرجو أن لا أكون من هؤلاء . وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ليكون العبد راغباً راهباً ، ولا يتمنى هلى الله غير الحق ، ولا يلقى بيده إلى التهلكة ، فإذا حفظت وصيتى فلا يكن غائب أحب إليك من الموت وهو آتيك ، وإن ضيقت وصيتى فلا يكن غائب أبغض إليك من الموت ، ولست بمعجز الله » .

توحيد الله عز وجل

ومن أسمائه الحسنی سبحانه (المقسط والجامع) .

أما المقسط فهو اسم فاعل من أقسط بمعنى عدل وأصله من قسط بمعنى جار وظلم قال تعالى (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً) فالهمزة في أقسط لسلب معنى الجور والظلم ولم يرد هذا الاسم الكريم بلفظه وإن كان ورد معناه في آيات كثيرة كلها تنفي عن الله سبحانه كل شائبة ظلم وتصفه بكمال النصفة والعدل في حكمه وقضائه وفيما قدره من أجزية على أعمال العباد بمثوبة وعقوبة . وذلك مثل قوله تعالى في سورة آل عمران : (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط) .

وقوله من سورة النساء (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً) .

وقوله من سورة الأنعام : (وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً)

وقوله من نفس هذه السورة : (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون) .

وقوله من سورة الأنبياء : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) .

وقوله من سورة الزلزلة (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) .

وورد كذلك معناه في كثير من الأحاديث الصحيحة كقوله عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه عز وجل : (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا) ، وقوله في دعائه المشهور (اللهم إني عبدك وابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك) إلخ .

وهو سبحانه لكآل عدله ينتصف لكل مظلوم ممن ظلمه ويأخذله بحقه حتى إنه يقتص للبهائم بعضها من بعض كما قال عليه السلام « لتؤدين الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجمحاء من الشاة القرناء » .

وفي الحديث الآخر يقول النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « أندرون من المفلس ؟ فيقولون : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فيقول : لكن المفلس من أمتى من يأتي يوم القيامة بحسنات كثيرة ولكنه قد ضرب هذا وشم هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا . فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته حتى إذا لم يبق له حسنة أخذ من سيئاتهم فطرح عليه حتى يطرح على وجهه في النار » .

ولكن العبد إذا تاب إلى الله عز وجل وأحسن الإقبال عليه بعمل الصالحات والإكثار من نوافل الطاعات وبقيت عليه مظالم لم يستطع ردها إلى أصحابها فإن الله سبحانه فضلا منه وكرما يرضى عنه خصومه يوم القيامة ويعطيهم من أنواع النعيم والكرامة ما يرغبهم في العفو عنه كما ورد بذلك الحديث .

وأما اسمه تعالى (الجامع) فهو اسم فاعل من الجمع بمعنى التأليف بين الأشياء وضم بعضها إلى بعض . ولهذا الجمع مظاهر متعددة فهو سبحانه بقدرته يجمع بين المتباينات فكجمعه في هذه الأرض بين الهواء والبحار والجبال والأنهار وأنواع الحيوانات والنباتات والمعادن المختلفة على ما بينها من التباين والاختلاف في الأشكال والألوان والطعوم والأوصاف .

وكجمعه في بدن الحيوان بين العظم والعصب والعروق والعضل والرباطات والأوردة والشرابين والمانخ والبشرة والدم وسائر الأخلاط المختلفة المتباينة .

وأما جمعه بين المتضادات فكجمعه بين الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة في أمرجة الحيوانات مع كونها أمورا متعادلة متنافرة .

ولكن أعظم مظاهر جمعه سبحانه هو ما أخبر عنه القرآن الكريم من جمعه الناس

في عرصات القيامة لفصل القضاء بينهم . قال تعالى في أول سورة آل عمران على لسان الراسخين في العلم : (ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه) . وقال من سورة الواقعة (قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم) .

وقال من سورة التغابن (يوم يجمعكم ايوم الجمع ذلك يوم التغابن) .

وقال في سورة المرسلات : (هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين) .

وفي حديث الشفاعة الذي رواه الشيخان عن أبي هريرة قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تمجبه فنهش منها نهشة ثم قال : « أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهل تدرون مم ذلك ؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد يسمعون الداعي وينفذهم البصر » إلخ الحديث .

وكذلك جمعه تعالى الرسل لسؤالهم عما أجابتهم به أمهم كما قال تعالى من سورة المائدة (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتهم ؟ قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب) .

وكذلك جمعه لرفات الموتى وتأليفه سبحانه بين ماتحال من أبدانهم في النشأة الأخرى ثم يعيد إليهم أرواحهم ويبعثهم من قبورهم أحياء .

قال تعالى من آخر سورة يس (أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين . وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) .

وقال من سورة القيامة : (أيعسب الإنسان أن لن نجعل عظامه ، بلى قادرين على أن نسوى بنانه) .

ثم آخر ذلك أن يجمع الله أهل طاعته وولايته في دار رحمته ومستقر كرامته ، وأن يجمع أعداءه وأهل معصيته في دار غضبه ونقمته . نسأل الله أن يجعلنا من الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

٢٣ - نظرات في التصوف

تمهيد : « تكلمت عن الحب عند الصوفية ، وذكرت طرفاً من غزل محبي الدين بن عربي وغيره ، مستشهداً به بالحقيقة التي تقول : إنه غزل جسد بجسد ، وشهوة بشهوة ، لا حب عبد لرب ، وقد اختار كل منهم اسم امرأة خاص يزعم أنه يعبر به عن إلهه . وفي هذا المقال تقمة الحديث » .

أما الصوفي عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليافعي ، فيسمى الحقيقة الإلهية - في زعمه - سلمى ، وإليك غزله فيها :

سلا عن حُنى سلمى ، وعن أهله الغُرُ	عسى خبرٌ يلقا كما طيب الذكر
يجيء به من نحوها عذبُ منطقٍ	يفوح به من ريحها طيب النثر
يخبّر عن سلمى ، وعن ذلك الحمى	وقول لسان الحال في نظمه الدرى
رعى الله عهداً مرَّ مع جيرة الحمى	يباهى رياضاً ناضرات به زهر
سقتنا بها سلمى من الراح عندما	بدت فأضاء السكون من جانب الخدر
سلماء تسقيه الخمر في خدرها المشرق ! !	

ومن سلمى ؟ إنها الحقيقة الإلهية ، أتصدقون ؟ !

أما عبد الغنى النابلسي الصوفي المعتقد ، فيقول :

دخل القلب ديرة عشق سُلَيْمى	يحتسى من لقائها الإسفَنطاً ^(١) .
فرأى ثم نسوة طالعَاتٍ	عن بحار الجلال يسكن شطا
ناظرات من الظبا بعيون	ناعسات من البواتر أسطا
في قدودٍ كأنهن رماح	جمعت قتل من بها هام شرطا

(١) نوع من الخمر الفارسي أو الرومي .

أيذكرك هذا العهر الصوفي بنفحات الروح الطهور ، أم تراه يصور لنا شيئاً آخر
لا ينتسب إلى فضيلة ؟ !

وهكذا نجد الحب الصوفي في كل ما يعبر به عن نفسه عشقاً متوهج الغليل ، محموم
الشهوات يبحث هنا وهناك عن ليلة وخر وجسد ومخدع !

وإلا فأروني من هدى النبوة ، وروحانية القديسين ، وطهارة الصديقين كلمة واحدة
عن الحب تشم منها رائحة خمر ، أو توحى إليك بصورة كأس ؟
إننا لن نتلمس للخطيئة عذراً نجعلها به تقسامي إلى قدس الفضيلة .

مطالعة هذه الحقيقة :

وليذكر من يتكلم عن الحب الإلهي أنه عبد الله في الدنيا والآخرة ليذكر جلال الله
وكبريائه وهيمنة قدرته على الملوكوت ، وليذكر أنه يتكلم عن حب الله ، وثمت يفتي . إلى
ذل العبودية القائمة ، ويشعر أن سمادته الكبرى ، ونعيمه الروحي الأعظم في هذه العبودية
الخالصة التي ترجو وتخاف ، فهي تعمل المعروف وتأمربه ، وتنتهي عن المنكر وتنتهي عنه ،
أما إن جعل نعب عينيه — وهو يتكلم عن الحب — امرأة ألهمت جسده ، واستثارت
حوى عواطفه وشهواته — فلْيَنْتَهَ عن اقرار خطيئة هي أشنع الخطايا ، تلك هي زعمه
أنه يتغزل في الذات الإلهية ، وليعترف في شجاعة الخطائين أحياناً أنه عبد امرأة ،
لا عبد الله ! !

إننا ندقق في اختيار الكلمات التي نخاطب بها العظماء ، وما أظن أن عظماء يرضيه أن
أسميه بسماد أوليل ، وما أظن أن رجلاً يرضيه أن أصور حبي له بالتصوير الذي أصور
به حبي لامرأة ، فكيف — والله المثل الأعلى — نستبيح السفه من القول وسقطه وضلالة
إنه ، ونحن نتكلم عن الله جل شأنه ؟ !

متى ينسى الحب حظه من حبيبته ، ومتى ينسى حوائجها إليه ؟ لقد عبر صوفي كبير عن
حب العبد لربه بهذا التعبير الذي أدجنناه في هذا السؤال ، فقال أبو يعقوب السومري :

« المحبة أن ينسى العبد حظه من الله عز وجل وينسى حوائجه إليه » إن ذلك لا يكون إلا عند يأس يأس من توهم الأمل ، أو عند الغنى عنه بغيره ؟ فهل يجوز في عرف الدين والعقل والقلب أن نعبّر عن حبنا لله بمثل هذا ؟ واليأس من روح الله كفر ، والناس جميعاً فقراء إلى الله ، والله لا تفقد خزائنه ، ولا نعمه ، ولا تفرغ حاجة عبد إليه ؟ أروني رسولا نسي حاجته إلى الله . ما من نبي أو رسول ذكره القرآن إلا وذكر عنه القرآن أنه كان دائماً يذكر حوائجه إلى الله ، ويضرع إليه بها !

تري أكان سليمان عليه السلام غير محب لله حينما تضرع إلى ربه أن يهب له ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ؟ وأروني آية واحدة تبيح للمسلم أن ينسى حوائجه إلى الله ؟!

غير أننا نقول : إن الصوفي الكبير لا يقصد من هذا التعبير ما يدل عليه في الظاهر فله دلالة أخرى هي من أشنع ما توهم إليه إشارة الجوسية من ضلالات ! إنه ينسى حظه وينسى حوائجه ؛ لأنه لم يعد يطلب حظاً ولا حاجة بعد أن أصبح هو الله ! أو يقول الجنيد بعد أن « انكشف له الجبار من أستار غيبه ^(١) »

سوء أدب : يقول الجنيد الذي يقولون عنه : إنه سيد الطائفة : « إذا سحت المحبة بين اثنين سقطت شروط الأدب ^(٢) » ولا تعرف الإنسانية صلة تسقط فيها شروط الأدب إلا تلك الصلة النجسة الدنسة التي تكون بين عشيقين . والتي يسمونها حبا . هذه الصلة المسهورة النزوات الملقاة الشهوات هي التي تسقط فيها شروط الأدب ، أما الحب المشرق فكما قوى ازداد الحب فيه أدباً وتأدباً . ولا تغتفروا لسيد الطائفة عذراً عن سقطته ، فهو لم يكن بالمعبي ، وإنما كان من الذين يملكون ناصية البيان ويقصدون ما يقولون ، ويصوب إلى هدف معلوم !

(١) هذا وما قبله ص ١٤٧ الرسالة

(٢) ص ١٤٧ ، ١٤٥ الرسالة .

الحب عند الغزالي ^(١) : والغزالي في نظر الجمهور حجة الإسلام !! ! فلعل كلامه إذن هيمنة ساطية على الأفكار والقلوب ، أليس هو حجة الإسلام ؟ ! ، وقد تكلم الغزالي عن حب العبد لله ، وعن حب الله لخلقه . وفي كلامه عن المحبين لمات من نور الحق ، ولكنهم منمشاة بصوفية كثيفة لظلام . يقول عن حب الله لخلقه : « لا يكون له — أى الله سبحانه — إلى غيره نظر من حيث أنه غيره ، بل نظره إلى ذاته وأفعاله فقط ، وليس في الوجود إلا ذاته وأفعاله ؛ ولذلك قال الشيخ أبو سعيد الميهني رحمه الله تعالى لما قرىء عليه قوله تعالى (يحبهم ويحبونه) . فقال : بحق يحبهم ؛ فإنه ليس يحب إلا نفسه على معنى : أنه الكل ، وأن ليس في الوجود غيره ، فمن يحب إلا نفسه وأفعال نفسه وتصانيف نفسه ، فلا يجاوز حبه ذاته وتوابع ذاته ، من حيث هي متعلقة بذاته ، فهو إذن لا يحب إلا نفسه ، وما ورد من الألفاظ في حبه لعباده ، فهو متأول ، ويرجع معناه إلى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه ، وإلى تمكينه إياه من القرب منه ، وإلى إرادته ذلك به في الأزل ، فحبه لمن أحبه أزلى مهما أضيف إلى الإرادة الأزلية ^(٢) » .

أيقول هذه الصوفية حجة الإسلام ؟ ماذا يعنى بقوله : إنه سبحانه لا يحب إلا نفسه على معنى أنه الكل ، وأن ليس في الوجود غيره ؟ »

(١) ينقم مني الأستاذ الكبير الدكتور محمد يوسف موسى « أن أتعرض لنقد الغزالي ولقد كنت أولى من الأستاذ الجليل أن يثبت لي أن ما أنقله عن الغزالي - وهو كثير - ليس خطأ في الدين ، أو ليس صحيح النسبة إليه ، ويزداد خطأ الغزالي شناعة وخشاً حين تذكر لقبه التاريخي « حجة الإسلام » وأرجو أن يذكر الأستاذ الكبير أنه كان يدرس لي فلسفة الاخلاق عند منكرى الإسلام في شعبة التوحيد والفلسفة ، وكان يلح علينا أن نقرأ وننقد ، وليذكر أن كتابه هذا كان أول دليل يهديني إلى عرار الصوفية ، ولن أرجع عما أدين به بإذن الله .

يعنى عين مايعنيه الحلاج فى حلوليته ؛ يعنى أن الله حين يحب خلقه فإنما يحب نفسه ؛ بنفسه لأنهم عينه . أولآنه هو الكل فما فى الوجود غيره ١١ (١) .

ما أظن مسلماً يعتصم بكتاب الله يجرؤ لسانه على أن يحذف هل ربه بمثل هذا القول ١١ لو كان الغزالى يريد : « ما فى الوجود رب غيره لقالها » ولا سيما وهو الرجل القوى الساحر البيان ، فلا يعتذر عنه بأنه أخطأ التعبير الصائب ؛ إنه يعنى مايقول ويعيه جيداً .

ثم يتكلم عن حب الله ، وعلامته . فيقول : « علامة المحبة كمال الأنس بمناجاة المحبوب وكمال التقنم بالخلوة به ؛ وكمال الاستيحاء من كل ماينفص عليه الخلوة . ويعوق عن لذة المناجاة وعلامة الأنس مصير العقل والفهم كله مستغرقاً بلذة المناجاة كالذى يخاطبه مشوقه ويناجيه . . بل يستغرق الأنس والحب قلبه حتى لا يفهم أمور الدنيا مالم تُكرَّر على سمعه مراراً مثل العاشق الولهان (٢) » .

ومرة أخرى يلفح وهج من سمير العشق . عشق امرأة استبدت كبرياؤها بعشاقها إليهم . فماشوا تصور لهم الخيالات معها مناجاة وخلوة وجلوة فى لقاء على الليل ومع الخمر . ولكننا لا نلح أبداً لحمة من نور الحب . إن فى كل تمبير لوعة من حريق الظما الجنسى . ومن توفد الشهوة . تأمل قوله « كمال التقنم بالخلوة به ، وكمال الاستيحاء من كل ماينفص عليه الخلوة » وتأمل ما يحدثه ذلك الحب المزعوم من ذهول وخبل وانقطاع عن الخلق وخدمتهم ، أنجد فى شيء من هذا كله دليلاً على أنه حب عبد لله ١٢ .

أين الحب الصحيح لله يبالغ ذروته حين يصدق المرء فى اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعمل ويكافح ويقاقل ويقوم على خدمة الناس باسم الله ، وهو فى كل ماياتى أويذر شاعر تمام الشعور مرید صادق الإرادة غير مذهول ولا مخبول .

(١) إن قالوا : هى شطحة ، قلت : لا يكون الشاطح فى دين الله قدوة ، ولا حجة للإسلام ، ولا تظن أن الغزالى لا يقصد ما يوحى به التعبير ، فهو دقيق فيما يعبر به ، ويقصد من كل كلمة يقولها معنى ؛ لأنه يملك ناصية البيان المعبر .

(٢) ص ٢٨٥ ج ٤ الإحياء .

(أرايت الذى يكذب بالدين . فذلك الذى يدعُ اليقيم . ولا يحضُ على طعام المسكين) :

(وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان) الآية ٤ : ٧٥ .

(إن الذين آمنوا ، وهاجروا ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض ٨ : ٧٢) ومن قول عبد الرحمن كما وصفهم الله (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرّة أعين ، واجعلنا للمتقين إماما) ٢٥ : ٧٤ : ووصف الله أنصار الله بقوله : (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) . فهل ترى انصرافاً عن خدمة الخلق ، أو أنك ترى هذه الخدمة وقد بلغت مبلغ حد التضحية بالنفس فى سبيل المستضعفين ؟ هل ترى استيحاشاً من الخلق ، أو ترى أنسا بنعم الله المتمثلة فى زوج صالحة وذرية صالحة ، وضراعة إلى الله سبحانه أن يجعل من هذه النعم قرّة أعين ؟ !

ثم متى كانت خدمة الخلق باسم الله منفصلة عن عبادة الله ، ومن يزعم ذلك ؟ ! . إنها من أجل أنواع العبادة ، وأكثر آيات القرآن تدعو إلى الإخاء والتعاطف ، والتراحم والتعاون والقيام على مصلحة الجماعة بالعدل والإحسان ، أليس المؤمنون إخوة ؟ أليس المؤمنون بعضهم أولياء بعض .

فهل بالانقطاع عن خدمتهم تتحقق أخوة أو تتحقق ولاية أو إثارة ؟ ! .

ليس الإسلام دين مخادع ، أو ترهب فى البيع والصوامع ، إنما هو السعى فى الحياة باسم الله ، دين العمل الصالح والعلم النافع ، والجهاد الذى يستلهم روعة التضحية وجلال القداء ، وبهذا الإيمان والفهم الصحيح بنى أنصاره أعظم دولة قامت فى التاريخ لخير الإنسانية وسلامتها .

أما ذلك الحب الذى يصوره الفزالى فهو الحالم بالخدع بخلافه بالمعشوق ويستغرق

بكلية في النظر إليه ويستشعر كراهيته لا يخلق جميعاً خشية أن يقطعوا عليه خلوته بالغانية ، أو خشية مشاركتهم له في مخدعها الآثم ؟ .

ثم ماذا تستفيد الحياة الصالحة والمؤمنون الصالحون والسلاح المشرع للزيادة عن دين الله . ماذا يستفيد هؤلاء جميعاً من رجل مذهب مخبول لا يفهم أمراً إلا إذا كرر عليه مرراً ؟ وهل هؤلاء المحبين - أو السكارى الخبولين - ينتصر الإسلام ، وتقوم دولة ؟ تخيلوا عاشقة نافرة ، وعاشقاً يسخر كل دنياه هذا العشق ، تخيلوا هذا ، وثمت تعرفون حب الغزالي الذي اتخذ منه « الغنوصية » مبشراً أعظم بمبادئ الهدامة ، فصور حب العبد لربه في هذه الصورة ، ودعا الأمة إلى أن تعيش للبلاهة والفقر الحطمة ، ألم يبهت الغزالي رسول الله بأنه قال : « أكثر أهل الجنة البله ؟ » .

إن مثلنا الأعلى في حب الله هو محمد - صلى الله عليه وسلم - ولم يكن أبداً في هذه الصورة التي يصورها الغزالي ، ولم ينتسب إليها بأثارة من دنياه كلها . ألا وإن حياته مع الناس ، ومع صحبه وزوجه وولده تعطينا أرفع وأروع المثل للبطولة المجاهدة الواعية المدركة لكل ماحولها والعمل العظيم في سبيل إسماع الناس . « للنظرات بقايا »

عبد الرحمن الوكيل

من لم ينفعه الحق ضره الباطل

من خطبة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : « أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وأذنت بوداع ، وأن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع ، وأن المضمار اليوم والسباق غداً ، ألا وإنكم في أيام أمل من ورائه أجل ، فمن أخلص في أيام أملة قبل حضور أجله ، فقد نفعه عمله ولم يضره أملة ، ومن قصر في أيام أملة قبل حضور أجله فقد خسر عمله ، وضره أملة ، ألا فاعملوا لله في الرغبة كما تعملون له في الرهبة ، ألا وإني لم أركأ لجنّة نام طالبها ، ولا كالنار نام هاربها ، ألا وإنه من لم ينفعه الحق يضره الباطل ، ومن لم يستقم بالهدى ، يجرى به الضلال ، ألا وإنكم قد أمرتم بالظمن ، ودلائم على الزاد ، وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل . »

دائرة معارف وجدى

وما فيها من الأغلاط

بين يدي الجزء الثانى من المجلد الأول من دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدى . ولقد انتهيت إليه بعد ما قرأت الجزء الأول . وكان يمر بى من الكلام ما يكره قلبى وتشمئز منه نفسى لعلنى بأن الأمر ليس كما قال . ولا أنكر أن فيه صوابا وحقا . إن المتأمل فى الكتاب الآنف ذكره يتبين له بوضوح شخصية المؤلف العلمية ومنعاه فى تلمس المعارف ومصادرها . إنه يعتمد على المؤرخين الأوربيين اعتمادا كبيرا . ويبدو من عباراته أنه يراهم أعرف بتاريخ المسلمين والشرق من المسلمين والشرقيين أنفسهم ، وهذا دالا قد ابتلى به كتاب الشرق الذين اتخذوا من أوروبا إماماً لهم . وقد يهون النقل عنهم فى مسائل لا تتعلق بالدين . أما أن يقولوا فى الدين فلا . الأوربي المستشرق له عقيدته وله اتجاهه الخاص وله لغته وعاداته وتقاليده . فليس من الصواب أن يتكلم عنا ونُصفى إليه ونستجيب له ونصوب كل آرائه . كيف نجعل للمستشرق سلطانا علينا يحكم على ديننا بالتناقض ، وعلى نبينا بالخطأ ، وعلى تاريخنا بالكذب وعلى رجالنا بالظلم ؟ وكأننا متهمون وهم القضاة .

إن الخطأ الذى هو خطيئة من صاحب الدائرة هو عند كلامه عن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام ، فقد قال بعد أن أورد كلاما كثيرا عنه « هذا ما نقلناه من الكتب القديمة . ويظهر لنا أن فى هذه الروايات ضعفا . بل إن أكثر هذه الروايات مخلوطة بالخرافات فلا يعقل أن نبيا جليلا من أولى العزم كإبراهيم يلقى بامرأته وابنه فى واد قاحل لازرع فيه ولا ماء . ويلوح لنا أن إبراهيم لم يطوح بامرأته وولده إلى هذا الحد . بل انتقل بامرأته الثانية إلى جهات مكة لغرض من الأغراض بدليل أنه كان زار بلاد العرب مرارا » انتهى .

هذا كلامه بنصه ، وما أراه إلا قد نقله عن واحد من المستشرقين ممن اتخذهم له إماماً ، فمن أى مصدر من مصادر العلم نقلت هذا ؟ وأى مقدمات أدت بك إلى هذه النتيجة ؟ أمن كتاب الله ؟ وهو الذى يقول الله فيه على لسان إبراهيم عليه السلام (ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذى زرع عند بيتك المحرم) أنت أعلم أم الله ؟ أكنت مع إبراهيم أنت ومستشرقوك أم كان الله معه ؟ (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضالين عضداً) .

ومن علام الخذلان أن نجىء كلمة (زرع) فى عبارة صاحب الدائرة وهو ينفى عن إبراهيم أن تطوع له نفسه أن يترك أهله فى هذا المكان . وهى نفس الكلمة التى أثبتتها القرآن فى صفة المكان . وجاء فى الصحاح أن السيدة هاجر قالت لإبراهيم : لمن تتركنا ؟ أى فى هذا المكان الجذب الذى لاماء ولا زرع ولا أنيس فيه . قال : إلى الله . قالت : إذا لا يضيعنا . وجاء فى الصحاح أن الله فجر لها ولولدها من الأرض بئر زمزم . فهل يعقل ذلك المستشرقون وأولياؤهم ؟ .

وفى عبارة صاحب الدائرة خطأ ثان ، وهو قوله « بل انتقل بامراته الثانية إلى جهات مكة لغرض من الأغراض » وكأنه ما قرأ كتاب الله ، أو أنه قرأه ولكن لم يتمكن من قلبه حتى يحضره عند الكلام فى هذا الأمر ، فالحمد لله سبحانه وتعالى قال مبيناً الغرض الذى من أجله ذهب إبراهيم عليه السلام بزوجه وولده إلى ذلك المكان (ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم) . نقول (ليقيموا الصلاة) ذلك هو الغرض وتلك هى العلة التى أغفامها صاحب الدائرة ، وقال إنها غرض من الأغراض .

وقد ورد فى هذه الدائرة أغلاط كثيرة ، على أننى لم أقرأ منها إلا المجلد الأول . ولا أدري ماذا فى بقيتها ولعلنى أعود إليها فى أعداد قادمة إن شاء الله .

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي وعد المتقين بالجنات والعيون ، وبشر المحسنين بالسعادة والرضوان ، وامتّن على الخالصين بالتوبة والغفران .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، العليم بذات الصدور ، الخبير بما تكنه القلوب ، القائم على كل نفس بما كسبت ، وهو الرقيب الشهيد .

وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله ، وصفيه وخليله ، وخيرته من خلقه ، أرسله الحكيم الخبير لإخراج الناس من ظلمات الشرك والفساد إلى نور الإيمان والصلاح ، ومن سبل الفی والضلال إلى طريق الرشاد والفلاح ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً .
أما بعد : فإن الله سبحانه وتعالى يقول وهو أصدق القائلين : (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة . وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) .

هذا أمر الله سبحانه وتعالى لعباده ، أن يعبدوه مخلصين له الدين ، فإن الإخلاص روح الأعمال ، وكل عمل لا يصحبه إخلاص عمل ميت لا يقبله الله ولا يرتفع إلى ملكوت السماء . روى عن الفضيل بن عياض رحمه الله أنه قال في قوله تعالى (ليبولكنكم أحسن عملاً) : أخلصه وأصوبه ، فقل له : ما أخلصه وأصوبه ؟ قال : إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل ، حتى يكون خالصاً صواباً . فالخالص : ما كان لله والصواب : ما كان على السنة .

إخلاص العمل لله سبحانه أن لا يكون في قلبك إرادة مدح الناس لك أو ثناؤهم عليك ، إنما تعمل العمل ترجو به وجه الله ، وتبتغي به رضوانه ، وتدخره عند من لا يضيع عنده أجر من أحسن عملاً ، في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .
إن القلب إذا سلم من آفات الرياء والسمعة والشهرة ، وجّه كل أعمال الجوارح إلى طاعات وقربات ، سواء أكانت تلك الأعمال للدنيا أو للدين ، سواء أكانت عبادة مثل

الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد ، أم كانت سعيًا للرزق وكسبًا للعيش لنفسه ولمن يعمل ، وللد يد العون للفقراء واليتامى والمساكين .

إن النية وحدها هي التي تقوم عمل الإنسان ، وقد روى البخاري ومسلم عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه » . والنية سر بين العبد وربّه ، فليَنظر كل منكم إلى سريرته وما تنطوي عليه نفسه ، وليحاسبها قبل يوم الحساب لعلنا نستطيع أن نصلح من فسادها وخبثها وضلالها ما أفسدت به أعمالنا ، وضلت به سعيّنا ، ولعلنا نستطيع أن نفرس فيها شجرة الاخلاص والإيمان والتقوى ، مستعينين بالله على ذلك ، ضارعين إليه في كل لحظة وكل طرفة عين أن يصلح فساد قلوبنا ، وخبث نفوسنا ، وأن يحول حالنا إلى أحسن الأحوال ، وهو سبحانه القريب الجيب لمن أخلص الدعاء ، ورفع إليه أكف الرجاء ، في ذلة وضراعة وخضوع ، وفقر وحاجة وخشوع .

المخلصون هم أولياء الله وخاصته ، وحمل رعايته وعنايته ، يكاؤم بحفظه وينظر إليهم برحمته . يحيطهم بلطفه ، ويسدد خطاهم بتوفيقه . ذلك لأنهم أخلصوا دينهم لله ، وأخلصوا قلوبهم لله وأخلصوا نواياهم لله ، وأخلصوا عملهم لله . ظاهرهم كباطنهم : انقياد لأمر الله ، ورضى بقضائه ، واتباع لنبيه صلى الله عليه وسلم ، وحب لأوليائه ، وكره لاعدائه . موالاته للموحدّين ، وبنفض لعبدة القبور المشركين .

أمرهم الله بالإخلاص بقوله تعالى : (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين ، ألا لله الدين الخالص) فامتثلوا وأطاعوا وأخلصوا وقالوا : بأعمالهم وألسنتهم : (قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين) وقالوا : (قل الله أعبد ملخصاً له ديني) فأعد الله سبحانه وتعالى لهم من النعيم والقرب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فقال تعالى : (وما تجزون إلا ما كنتم تعملون . إلا عباد الله المخلصين . أولئك لهم رزق معلوم . فواكههم مكرمون . في جنات النعيم . على سرر متقابلين) نسأله سبحانه أن يجعلنا وإياكم منهم .

أيها المسلمون : إن الشيطان على كيدته وعتوه وتمرده ياتى سلاحه مهزوماً مدحوراً أمام العبد المخلص الذى أخلص قلبه ودينه لله ، وليس ذلك لقوة توكل العبد واعتماده على ربه ومولاه فحسب ، وإنما أكثر من ذلك لحفظه سبحانه له وعنايته به فلا يسلمه إلى عدوه أبداً . اسمعوا لقول إبليس واعترافه بمعجزه عن اغواء المخلصين ، وهو يحلف أنه سيفوى جميع طوائف بنى آدم : (قال : رب بما أغويتنى لأزینن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين . إلا عبادك منهم المخلصين) ويقسم على ذلك بعزة الله فى الآية الأخرى (قال : فبعزتك لأغوينهم أجمعين . إلى عبادك منهم المخلصين) .

ليس الاخلاص أمراً شاقاً ، ولا هو ملكة فى قلوب بعض الناس بالخلق والطبع ، إنما هو من السجایا والاخلاق التى يستطيع كل منّا أن يكسبها بشيء يسير من جهاد النفس الأمارة بالسوء . فأول خطوة لذلك أن تحب الخير للناس وأن تفرح لفرحهم وتسر لسرورهم وتتألم لألمهم وتحزن لحزنهم وتحاول بعد ذلك وقبله ومعه أن تنزع من قلبك الحقد والحسد والبغض والكراهية للناس . بل تسارع إلى مشاركة الأهل والجيران وذوى القربى فيما هم فيه من أفراح وأتراح ، لا تنطوى على نفسك أبداً ولا تعزل الناس بل اندمج فيهم واختلط بهم . أجب دعوتهم وأدعهم إليك ، ووطن نفسك فى كل ذلك وأن تسدى نصحك لهم فى إخلاص وأن تقوم معوجهم وتهدى الضال منهم ، وتفتح أعينهم إلى التوحيد الذى غمى على أكثر الناس . قد يكون عملك فى هذا السبيل فى أول أمرك تكلفاً وتصنعاً ، ولكن ثق أنه بالاخلاص وبمرور الأيام سيصبح سجية وطبيعة وخلقاً لك . وعند ذلك سيكون من السهل عليك أن تميز بين الطيب والخبيث والمؤمن الصالح والكافر المفسد فى الأرض ، ويكون حبك ومودتك لله وفى الله وكراميتك وبفضلك الآخر لله وفى الله ، لا لحظ نفسك ولا لغرض من أغراض الدنيا .

إن أول الأعمال وأيسرها تكون ثقيلة فى ميزان أعمالك بصدق النية وإخلاصها لله ، ولا يكون للعمل الكثير وزن ولا قيمة عند الله إذا خالطه الرياء والعجب وملاحظة غير الله ، فإنه سبحانه يحاسب على النوايا وهو القائل (وقد منّا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً) ذلك لأنه لم يكن خالصاً لله . وهو سبحانه القائل : (لن يبال الله لحومها

ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) فمناط قبول العمل عند الله التقوى وطيب النية وخلص القلب والعمل له سبحانه (إنما يتقبل الله من المتقين) .

الرياء يحبط العمل ، ويمحق البركة ، ويوقع في الشرك . روى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندى من المسيح الدجال ؟ قالوا بلى ، قال : الشرك الخفى ، يقوم الرجل فيصلى فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل » وجاء في الحديث القدسي الذي رواه مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه « قال الله تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيرى تركته وشركه » .

أيها المسلمون : إن العمل ليزكو ويزكو ، ويرتفع ويرتفع ، حتى يكتب في عليين ، ويدخر لصاحبه من الأجر والثواب مثل الجبال ، وذلك بحسن نيته وإخلاصه وتقواه وإرادته وجه الله . وإن العمل ليخبث ويسفل حتى لا يرتفع عن موطئ قدمي صاحبه ، وذلك بسوء طويته وخبث نيته وريائه ونفاقه ونظره إلى الناس . وقد روى عن بعض السلف أنه قال : إن كتف الرجل وجسده ليلتصق بكتف الرجل وجسده في الصلاة ، وبين صلاتهما بعد ما بين السماء والأرض . أما أحدهما فقد تعلق قلبه بالله حباً وخشوعاً ورغباً ورهباً وإخلاصاً فتقبلت صلاته وصعدت إلى السماء كما قال تعالى : (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) جعلنا الله وإياكم منهم . وأما الآخر - ونعوذ بالله أن نكون منهم - فقد تعلق قلبه بالدنيا وانشغل بها عن صلاته ، فحضر بجسده وغاب بقلبه وروحه ، فلم يذق طعم الحب والخشية والإخلاص لله ، فأخذ إلى الأرض فكان من الغاوين الغافلين .

إن الإخلاص سبب الفلاح والفوز والسعادة في الدنيا والآخرة ، الخاص يتقن عمله ويتقى الله فيه ، فلا يفسد ولا يخون ولا يكذب ولا يخاف الوعد ولا يفدر ولا يسرق ، بل يكون على العكس من ذلك أميناً صادقاً وفياً غنياً ، مؤمناً بأن الله رقيب شهيد حسيب على كل كلمة يقولها ، وعلى كل عمل يؤديه ، وكل خطرة تهمس بها نفسه ، وكل خلعة تحيك في صدره . فهو في ذكر دائم لربه لا يفتر لحظة خوفاً على نفسه من الشيطان أن ينتهز ثغرة من الغفلة أو النسيان فيوقعه في حباله واغوائه ، واضعاً نصب عينيه قوله تعالى : (وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) .

نسأله سبحانه وتعالى أن يجعلنا بمنه وكرمه وفضله من المؤمنين المتقين المخلصين الذين يخشونه ولا يخشون غيره . وصلى الله عليه وسلم وبارك على نبينا محمد وآله أجمعين .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، نحمده سبحانه على سوابغ نعمه ، ومتتالي منته وجوده وفضله وكرمه ، لا نحصى ثناء عليك ياربنا ، أنت كما أنثيت ، على نفسك .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك ، يتقبل التوبة عن عباده ، ويعفو عن السيئات .

وأشهد أن نبينا محمدا عبده ورسوله ، أعرف الخلق بالله ، واخشاهم الله ، سيد المتقين المخلصين . صلى الله عليه وعلى آله أجمعين ، وجعلنى الله وإياكم من آل هذا الرسول وحزبه المفلحين فى الدنيا والآخرة .

أما بعد : فقد روى البخارى ومسلم عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال : « إن الله كتب الحسنات والسيئات ، ثم بين ذلك ، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله تبارك وتعالى عنده حسنة كاملة . وإن هم بها فعملها كتبها الله عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة . وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله تعالى عنده حسنة كاملة . وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة » .

انظروا أيها المسلمون إلى رحمة الله وكرمه وإحسانه إلى عبده ، واستحقاقه وحده سبحانه للحمد والشكر ، وإخلاص العبادة والرجاء لما عنده ، فإنه سبحانه تفضلا منه وتكرما يكتب الحسنات لمن نوى الإحسان ولو لم يستطع أن يحقق ما في نيته ، فإن حققها ضاعف له الأجر الثواب لحسن نيته وأفعله الحسنة . وهو سبحانه يكتب الحسنات لمن نوى السوء ثم رده عن فعله الخوف من الله ، أما ذلك النكد الذى لم يكن لله فى نفسه الوقار والهيبة فاجترأ على تنفيذ نيته السيئة فان الله بهدله يكتبها عليه سيئة واحدة (وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان) (وجزاء سيئة سيئة مثلها) .

يقول الله سبحانه وتعالى : (إن تخفوا ما فى صدوركم أو تبدوه يعلمه الله) فهل ينفعنا

أن نبدي للناس مودة وحبا ، ونخفي لهم بغضا وحسدا وحقدا وكرها ؟ هل يمدينا شيئا أن نظهر الصلاح والایمان والتقوى والإخلاص ، ونبطن النفاق والرياء ؟ إن الله عليم بما نخفي وما نعلن ، وما نظهر وما نبطن ، وهو سبحانه محاسب عليهما جميعا . فلنعمل على تطهير ظاهرنا وباطننا ، واصلاح قلوبنا وأعمالنا . وقد روى مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » .

فكم من ظاهر جميل لطيف ظريف ينطوى على أخبث قلب وأنكد وأحقده ، وكم من متورع لا يكاد يكف عن وعظ الناس وزجرهم ونهيهم عما لم ينههم الله ولا رسوله عنه من عمل أو قول ، بل عما قد يكون مباحا لهم . ثم هو بعد ذلك إذا فشت عن دخائله ، وسبرت غور تورعه تجده هباء منثورا . لا يثبت على فضيلة ، ولا يستطيع أن يعطى أقرب الناس إليه ، ولا أن يزجره ، ولا أن ينهيه ، ولا حتى أن ينصحه . بل إنه في خاصة نفسه لا يلتزم ما يقوله للناس . لمثل هؤلاء يقال الله تبارك وتعالى : (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) نعم إنهم لا يعقلون ، ولو أنهم كانوا يعقلون ما فعلوا ذلك ولسكتوا عن وعظ الناس حتى لا يكون وعظهم عليهم حجة ، وعقابهم عند الله أشد وأعظم . إن المؤمن العاقل هو الذى يعمل فى نفسه وفى أقرب الناس إليه أولا بما يأمر به الناس . وقد روى البخارى ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار ، فتندلق أفتاب بطنه (أى امعاؤه) فيدور بها كما يدور الحمار فى الرحى ، فيجتمع عليه أهل النار فيقولون يا فلان ، مالك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : بلى ، كنت آمر بالمعروف ولا آتية ، وإنهى عن المنكر وآتية » . وروى الطبرانى « أن أناسا من أهل الجنة ينطلقون إلى أناس من أهل النار ، فيقولون بماذا دخلتم النار ، فوالله ما دخلنا الجنة إلا بما تعلمنا منكم ؟ فيقولون : إنا كنا نقول ولا نفعل » وهذا أيها المسلمون عاقبة عدم الاخلاص فى العمل فاسألوا الله دائما أن يرزقنا الصدق والإخلاص .

إن طائفتين من الناس لا يرجى منهم خير : الخلفاء عن جهل فإنه يتخبط في الظلمات ويظن أنه على نور وهدى ، ولا يزال يضرب في ظلمات الجهل والضلال حتى يتخذ من دون الله الانداد من الموتى ويسميه لهم الشيطان الأولياء والصالحين ، وأهل الله ، ولا خوف عليهم ولا يحزنون . ولا يزال يجره في الضلال والشرك حتى يخلعه من الإسلام خلعاً فيكون من : (الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) . والطائفة الأخرى : العالم الذي حرم الإخلاص فإنه يكون شراً على المجتمع لا يزال ينفت فيه سمومه حتى يحقق به الدمار والهلاك . ولذا كان سفيان الثوري رضى الله عنه يستعين بالله من فتنة العابد الجاهل وفتنة العالم الفاجر ، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون .

أيها المسلمون : إن الله سبحانه وتعالى قد وعد المؤمنين الخالصين أن يكتب لهم من الأجر عند مجزئهم مثل ما كان يكتب لهم في شبابهم وصحتهم ، روى البخارى ومسلم أن جابر ابن عبد الله الأنصارى رضى الله عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة فقال : « إن بالمدينة لرجالا ما سرتهم مسيرا ، ولا قطعتم واديا ، إلا كانوا معكم ، حبسهم المرض » فيكتب الله سبحانه وتعالى لهم مثل أجر هؤلاء المجاهدين ، إنهم لم يبالوا تلك الدرجة إلا باخلاصهم وصدق نواياهم .

اللهم إنا نسألك من فضلك العظيم ، ورحمتك الواسعة ، أن ترزقنا التقوى والإخلاص في أقوالنا وأفعالنا ، وأن تجعلنا مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، ربنا اغفر لنا ولأخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا ألك رؤوف رحيم . وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله أجمعين .

حول منهج في تفسير الاسلام

في العدد الأول من المجلد ٢٨ شهر المحرم سنة ١٣٨٣ نشرت مجلة الهدى النبوى مقالا عن منهج في تفسير الإسلام للسيد الأستاذ الدكتور محمد سعاد جلال . وقالت المجلة « إن كل ما ذكره حقائق ترتكز على كتاب الله وسنة رسوله وكلها تتفق تماما مع دعوة أنصار السنة وهي نفس ما نادى به علماء الجماعة سواء من انتقل منهم إلى رحمة الله أو من هم على رأس الجماعة الآن » .

وهذا المنهج يتكون من خمسة عناصر الأربعة الأولى منها مسلمة أما العنصر الخامس « وظيفة القرآن » : فلي عليه تعقيب وهو :

قال الأستاذ الدكتور « وظيفة القرآن أنه كتاب هداية واصلاح بشرى نفسى واجتماعى وبشارة للمؤمنين ونذارة للكافرين وليس من شأن القرآن أن يبحث فى العلوم الكونية فإن هذا البحث خارج عن حدود وظيفته . وما ورد فى آياته الكريمة مشتملا على ذكر شيء من ذلك فإنما هو من قبيل التشبيهات البلاغية وضرب المثل لإيضاح الفكرة من حيث كان كتاب بلاغة » .

القرآن والعلوم الكونية

والسكنا نجد القرآن قد جاء بعدة آيات فى غير ماسورة تناول فيها أبوابا من العلوم الكونية فتحدث ، على سبيل المثال : عن خلق السماء والأرض وأنها كانتا رتقا ففصل بعضه عن بعض وبدأ خلق الأرض فى يومين ، ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات طباقا فوقنا ، وجعل فيها الشمس ضياءً والقمر نورا فى يومين ، والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها وقدر فيها أقواتها والجبال أرساها وذلك فى يومين ، فتتمت الأيام ستة : اثنان للسموات وأربعة للأرض سواء للسائلين — وتحدث عن جريان الشمس وتقدير القمر منازل وأنها بحسبان لفعل عدد السنين والحساب ، وأنه رفع السماء ووضع

الميزان فلا تخرج الأجرام الفلكية عن مساراتها كل في فلك يسبحون — وكما تحدث القرآن عن خلق هذا العالم أخبر أن له أجلا مسمى يحل بقيام الساعة بالنفخ في الصور وتحدث عما يكون يومئذ من انفطار السماء وتسكوير الشمس وانتثار الكواكب الخ مايقع ، يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات .

وكذلك تحدث القرآن عن عالم الأحياء فقال وجعلنا من الماء كل شيء حي ، وألقى في الأرض رواسي أن تمتد بكم وبث فيها من كل دابة . وعن خلق الإنسان وأنه لم يكن شيئا مذكورا فبدأ خلقه من تراب من طين لازب صلصال كالفخار ، ثم نفخ الله فيه من روحه وجعل له من نفسه زوجا وبث منهما رجالا ونساء ، وبين كيف يكون نسل الإنسان وأطوار خلقه في بطن أمه وأنه في ظلمات ثلاث الخ .

وتحدث كذلك عن عالم الجن وأنه خلقهم من مارج من نار واستماع نفر منهم للقرآن فأمنوا به .

وظيفة القرآن

وهكذا يتحدث القرآن عن مسائل من أخص موضوعات العلوم الكونية ثم هو يحضنا على النظر والتفكير فيها — وكان ذلك كذلك لأن الكون جملة وتفصيلا آيات بينات على وجود الخالق ووحدانيته . ومن ثم كانت دراسة العلوم الكونية من شأنها الدلالة على تلك القدرة العظيمة وذلك الإبداع والتقدير وذلك الترتيب وتلك النواميس والقوانين والسنن الثابتة التي يقوم عليها هذا الكون ونظامه الحكم المتناسق المؤلف لوحدة مترابطة بعضها ببعض مما يفضي العلم به إلى الإقرار بخالقه والاعتراف بوحدانيته . وهكذا اعتبر القرآن النظر في الكون والتفكير فيه سبيلا ووسيلة إلى الهداية للإيمان والإسلام .

ومن ثم كان البحث في العلوم الكونية في الصميم من وظيفة القرآن . ذلك أن الهداية تتضمن ضرورة دخول وسائلها في نطاق وظيفتها — ثم إنه لا تعارض بين الهداية وذكر

القرآن بعض الحقائق الكونية عن هذا العالم الذى نحن فيه . فإن السؤال عنه هو من أول ما يتبادر إلى الفكر الإنسانى : من أين وإلى أين نحن وهذا الكون ؟ وإذا فليس بدعا ولا عجباً أن يحجب القرآن بجواب هذا السؤال الفطرى ، رحمة من ربك ، بل قال فعلاً أنه جواب حيث يقول فى صدد خلق الأرض (فى أربعة أيام سواء للسائلين) .

ولعل الرغبة فى حماية القرآن وصيانته خشية وقوع خلاف بينه وبين العلوم الكونية هى التى تحمل بحسن نية على إخراج العلوم الكونية من وظيفته — ولا محل لهذه الخشية فإن الحق كل الحق هو القرآن الذى لا يأتیه الباطل ، فلا يمكن أن يتصور المسلم أن علم البشر — الذى يعترف بأخطائه وتغير مفاهيمه من حين إلى آخر — يمكن أن يفتصب معارضا لعلم الخالق . وفى الواقع ليس هناك عالم يزعم أن ما وصل إليه هو الحقيقة التى مابعداها حقيقة ، ولو سلم جدلاً افتراض شبهة تعارض بين نظرية علمية وآية من القرآن فلقصور فى الأذهان إما عن درك العلم الصحيح وإما عن فهم القرآن فهمه الصحيح . أما قصور العلم فسلم به من العلماء أنفسهم قال تعالى « وما أوتيتهم من العلم إلا قليلا » .

وأما قصور الفهم فالأذهان تتفاوت : منها الألى ومنها دون ذلك ، قال تعالى (ولوروده إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) ولما سئل الإمام على هل خصهم الرسول صلى الله عليه وسلم بشىء من العلم قال : لا ولكن فهم يؤتیه الله عبداً فى كتابه .

الآيات الكونية والتشبيه البلاغى

إن القرآن لما أراد التشبيه جاء به صريحاً كقوله تعالى (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) وقال (إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب) وفى آيتين أخريين (زينا السماء الدنيا بمصابيح) ، وكقوله (يوم تكون السماء كالمهل — وتكون الجبال كالعهن المنفوش . يكون الناس كالفرش المبثوث) أما سائر الآيات الكونية فإنها آيات محكمات بينات المفهوم فى اللسان العربى الواجب فهم القرآن بمقتضاه على ما قرره بحق الأستاذ الدكتور فى العنصر الرابع من منهجه . ثم أين هى مظنة التشبيه فى ما ورد بالقرآن من بدء

الخلق وعدد السموات وخلقها هي والأرض في ستة أيام وعن بدء خلق الإنسان ؟ الخ .
وهكذا يتبين أن القول بأن كل الآيات الكونية من قبيل التشبيه البلاغي لا ينطبق
على واقع القرآن .

الأيام الستة

رب قائل يقول عن تلك الأيام أن ذلك من قبيل التشبيه ، وإلا فما هي ؟ تلك
الأيام ليست قطعاً كأيام هذه الأرض المكون يومها من ليل ونهار متعاقبين مدى
أربع وعشرين ساعة . فإن يومنا مرتب على دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس ،
وقد نص القرآن على خلق الأرض في يومين قبل خلق السموات التي قال أنه جعل فيها
الشمس والقمر وذلك يفيد أنه لم تسكن هناك شمس في هذين اليومين الأولين من الأيام
الستة وبالتالي لم يكن هنالك أيام من أيامنا .

قال تعالى « وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون » وتكرر هذا النص في القرآن
فعلما أن اليوم عند الله هو مقدار ألف سنة مما عندنا - فماذا يكون المفهوم من لفظ الأيام
في قول القرآن أن خلق السموات والأرض في ستة أيام ويكرر ذلك غير مرة .

إن المفهوم الظاهر الجلي المتبادر إلى الأذهان أنها أيام من تلك الأيام التي عند الله
أي مدى ستة آلاف سنة قمرية وهي السنة التي يعرفها العرب المخاطبون بالقرآن . وأن
هذه الأيام هي مقدار الزمن الذي خلقت فيه السموات والأرض ، ثم استوى الله تعالى
على العرش يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ، ألا له الخلق والأمر - أما ما هو مدى
الدهر الذي انقضى من بعد الأيام الستة حتى قول الله للملائكة إني جاعل في الأرض
خليفة ثم هبوط أبينا آدم إلى الأرض ، ثم ما بال القرون الأولى من بعد هذا الهبوط ؟
علمها عند ربى في كتاب لا يضل ربى ولا ينسى .

هذا وقد بدت منذ حين نزعة إلى استبعاد مفهوم بعض القرآن بزعم أن غايته مجرد
الهداية لا البحث في العلوم ويكون ما جاء به من القصص والتاريخ ليس من أغراضه

فلا يؤخذ على أنه حقيقة الواقع - وقد رد الأستاذ الدكتور مثل هذا الزعم في آخر مقاله حيث تحدث ، أفاده الله وأفاد به ، عن مسألة الملك والشیطان وكان رده حقاً شافياً كافياً . وردنا هذا شاف كافٍ أيضاً في مسألة الآيات الكونية ووجوب تفهمها الحق في اللسان العربی .

التمسك بالكتاب

القرآن هو الحق فهو حاكم غيره ولا يحاكم إلى غيره .

(فاستمسك بالذي أوحى إليك إنك على صراط مستقيم - ولا يصدّئك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك - واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك) .
ونقول : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير .

محمد المفتي الجزائري
وزير الأوقاف سابقاً

إلى فرع الجماعة بالبتانون

ترجو إدارة المجلة أن يتفضل الأخ السيد قطب أحمد جاد بالبتانون البلد - بإرسال مبلغ ٩ جنيه و ٨٠٠ ملياً ، وذلك قيمة المتأخر طرفه من حساب مجلة الهدى النبوى ، كتمليات وزارة الشؤون الاجتماعية .

هذا وترسل النقدية باسم السيد سليمان حسونه مدير المجلة .

تعليقات على الصحف

إمامنا الناحل

السبح محمد حامد الفقى

فى يوميات كتاب التحرير

« ولد - رحمه الله - بقرية جزيرة نكلا العنب القابعة لمركز شبراخيت عام ١٨٩٢ . وكان أبوه زميلا للإمام محمد عبده بالجامع الأزهر . أما أمه فكانت السيدة الوحيدة التى تحفظ القرآن الكريم فى القرية . فكان بينه بيت علم ساعده على التفقه وتحصيل العلوم المختلفة .

تأثر بمدرسه للإمام أحمد بن تيمية . وابن قيم الجوزية . ومحمد بن عبد الوهاب وغيرهم من العلماء السلفيين . ومن هنا لاح له النور الذى أضاء له الطريق إلى الكتاب والسنة .

التف حوله نفر ممن آمن بدعوته عندما نادى بها . فآلف مع الصحبة المؤمنة عام ١٩٢٤ جماعة تسمى « جماعة أنصار السنة الحمديدية » واتخذ داراً لها بحى عابدين بالقاهرة . ومن هذه الدار أخذ يرسل شماع الهدى من كتاب الله وأحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم على من كان يقبل عليه من طلاب الحق .

حارب دعة الباطل من الشيوخ والعامية . كما جارب القصر الملكى لعيبه فى الملك . وتعرض للنقل والاضطهاد . ولكنه صمد للأحداث .

خلف وراءه جماعات من مدرسته فى كل قطر إسلامى حملت الشعلة من بعده . كما خلف مكتبة إسلامية ضخمة ستبقى منارا لطلاب الهدى والحق .

توفى - رحمه الله - بالقاهرة عام ١٩٥٩ عقب عملية جراحية .

« الجمهورية يوم ١٠/٦/١٩٦٣ »

• • نشرت صحيفة الجمهورية هذه الترجمة القصيرة لحياة فضيلة الإمام الراحل في يوميات كتاب التحرير الذي يصدره دار التحرير للطبع والنشر كل أسبوع .

وإنه لعمل جليل ذلك الذي قام به دار التحرير وعلى رأسها أخونا الأديب النبيل الأستاذ مصطفى بهجت بدوى وقد أضاف الأستاذ بهجت إلى صنيعة هذا مكرمة جديدة حين جعل الرمز الذى يشتري به كتاب الأغاني لأبى الفرج الأصفهاني - وهو سفر أدبي جليل - رقم ١٦ الرمز الذى يحمل صورة الإمام الراحل .

وليس هذا بأول صنيع مشكور للأستاذ بهجت . فقد سبق أن تفضل فأفرد الصفحة الأخيرة كلها من صحيفة المساء الصادرة يوم ١٩٦١/٤/٦ لمقال عن حياة الإمام أحمد بن تيمية بمناسبة الاحتفال بأسبوع الفقه الإسلامى بدمشق آنذاك . كما منحه الصفحة نفسها لكلمة أخرى مطولة كتبها أحد إخواننا عن حياة الإمام الشيخ محمد حامد الفقى رحمه الله . فكان للمقالين صدى كبير محمود فى جميع أوساط أنصار السنة .

وإن ما قام به الأستاذ الأخ مصطفى بهجت هو فى الحقيقة تقدير منه للإمامين المجاهدين الراحلين على ما قاما به من الجهاد فى سبيل إعادة الأمة الإسلامية إلى حظيرة التوحيد الخالص . وإيمادها عن حياة البدع والخرافات . ومرة أخرى نكرر شكرنا وتقديرنا للأخ الأستاذ مصطفى بهجت على جميل صنعه .

* * *

الصوفية .. والمنحرفون

أجرت مجلة آخر ساعة تحقيقاً صحفياً مصوراً عن الصوفية وشيوخها ومريديها لتبين للعالم الإسلامى ضلال هذه النحلة . فكتبت فى صدر التحقيق تقول « إن آخر ساعة بنشرها لهذا التحقيق الجرىء إنما تريد أن تساهم فى تنقية الصوفية من الذين انحرفوا عن صفوفها ، والذين استغلوا البدع والخرافات فى التأثير على السذج والجهلاء من الناس .. وهى تلقى لأول

مرة^(١) الأضواء على الحياة الغربية التي يعيشها ٦٣ شيخ طريقة لهم من الأتباع ما يقرب من أربعة ملايين .

« آخر ساعة الصادرة في شهر يونيو ١٩٦٣ »

ونحن نذكر هنا شيئاً عما أورده التحقيق عن الحياة الغربية التي يعيشها ٦٣ شيخ طريقة فقد كتب وما زال يكتب عنهم بإفاضة فضيلة الشيخ عبد الرحمن الوكيل الرئيس العام للجماعة في « نظرات في التصوف » التي تنشرها الهدى النبوى كل شهر . فإن فضيلته يكشف لنا بقله الرصين في هذه المقالات القيمة الستار عن حقيقة شيوخ الطرق الصوفية وحياتهم الغربية بأدلة دامغة لا تحتاج إلى مزيد أو إيضاح . . إننا لن نذكر هنا شيئاً من هذا ولكننا سنقف عند عبارة وردت بمقدمة تحقيق آخر ساعة لئلا نرد عليها . ونضع الحق في نصابه نقول آخر ساعة في هذه المقدمة « ... إنما نريد أن نساهم في ترقية الصوفية من الذين انحرفوا عن صفوفها ... إلخ » .

وهذا كلام يوم القارىء الذى يجهل أمر التصوف أن الصوفية تابعة من الإسلام ، وأن بعضهم قد خرج عن مبادئها فانحرف ، وأتى بهذه المنكرات التي نراها اليوم .

ولكى نزيل هذا الوهم من ذهن القارىء سنكشف له عن أمر هذه الفحلة حتى يقف على حقيقتها ولا ينخدع بأمرها . فالصوفية أصلاً مذهب خارج عن الإسلام . ودخيل عليه والدليل على ذلك أن المؤرخ ابن خلدون سجل فيما سجله من حقائق التاريخ عن التصوف فقال في مقدمته : التصوف من العلوم الحادثة في الملة وأصلها الكوف على العبادة والانقطاع عن العمل .

(١) لعل آخر ساعة نسيت أنها نشرت بتاريخ ٢٠/٨/١٩٥٨ تحقيقاً صحفياً عن قصة ضريح الشيخ الدياصى الموهوم بحجة كداسة . وأبانت فيه فساد ورجال الطرق الصوفية واستحوذهم على عقول السذج . وطالبت المستواين بالقضاء على الطرق الصوفية لأنها تفسد على الناس عقائدهم ، وتشوه جمال دينهم .

ومما يؤيد قول ابن خلدون عن أصل هذه الصوفية المستحدثة أن العلماء المحققين ذكروا أن التصوف نشأ في الهند وقام على مبدأ الجوع والفقر والزهد ، والهروب من عالم الواقع إلى عالم الخيال والوهم .

هذا ما سجله التاريخ الصادق عن نشأة التصوف وأصله . أما عمل الصوفية ودورها في المجتمع الإسلامي فهو يهدم ما جاء به الإسلام من السمو والجد والكرامة .

فإن للوالد التي تقام طوال العام ونرى فيها الغناء الشركي الذي يلقى في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم من النساء والرجال . . والحلقات التي يعقدونها ويسمونها ذكر الله . وغير ذلك من المنكرات التي تحدث في الموالد . . والبدع والأباطيل التي يدين بها الناس اليوم كل ذلك من فعل الصوفية ومشايخهم .

فليس في الصوفية إذن فئة منحرفة ضالة . وأخرى جادة مهتدية ، بل الصوفية كلها بقضها وقضيضها منحرفة ودخيلة وضالة عن سبيل الإسلام .

على أن كتاب الله وسنة رسوله - وهما شريعة الله للناس في الأرض - ليس فيهما كلمة الصوفية ، أو أية إشارة توحى بوجود هذا الإسم حتى يختاره هؤلاء الناس ويتسمون به ويدينون بتعاليمه .

إن معرفة صاحب تحقيق (آخر ساعة) للتصوف هي معرفة سطحية تحتاج إلى دراسة عميقة لمعرفة حقيقة ما فيطالب بالقضاء على كل الطرق الصوفية لأنها إقطاع روجي فتاك .

من الذي يملك المطر ؟

(دقت أجراس الكنائس في جزيرة سنغافورة منادية جميع المسيحيين إلى الركوع أمام هيكل كل كنيسة . في حين اندفع آلاف البوذيين في الجزيرة إلى معابدهم للضراعة والابتهاال إلى الإله بوذا . كما تجمهر أبناء طائفة الهندوس حول تمثال امرأة دميمة . . أما في هونج كونج فقد ذهب الصينيون الذين يدينون بالكونفوشية يقدمون القرابين . .

كانوا جميعاً يصلون من أجل أمر واحد هو المطر . . فقد تعرضت أجزاء كثيرة من آسيا لقحط شديد خلال الأشهر الأربعة الماضية أدى إلى جفاف الزرع وموت الماشية . . الخ)
 « ملحق الأهرام الأسبوعي الصادر في يونيو ١٩٦٣ »

. . تحت عنوان (من الذى يملك المطر ويمنعه من النزول) نشرت الأهرام هذا الخبر . وكأن الصحيفة ذاتها أثبت أن تنشره دون تساؤل . ساخرة متمجبة من هذه الأعمال السقيمة التى يفرع أصحابها إلى آلهتهم العاجزة لتزيل عنها القحط . وتأتى لها بالمطر ؟ . .

وإنه لأمر يثير التساؤل والسخرية حقاً . . فن الذى يملك المطر ويمنعه من النزول ؟ . هل هم هؤلاء الذين ماتوا فئات حواسهم وفنيت أجسامهم . أم الله الحى القيوم السميع البصير الذى خلقهم وخلق آلهتهم . والذى يسير هذه السحب المشبعة بقطرات الماء فى السماء . ثم يأمرها بالنزول فنزل بأمره اتسكروا هذه الأنهار العظيمة ؟ ! .

واسمع إلى كتاب الله وهو يحدثنا عن الذى يملك إنزال المطر وإسماكه (وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون) الآية ٥٧ : الأعراف (والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا الأرض بعد موتها كذلك النشور) الآية ٩ : قاطر .

هذه آيات بينات نخبرنا عن من بيده الأمر لأنه بيده ملكوت السماء والأرض . . ولكن الناس غفلوا عن آيات الله .

وقد ورد فى كتب السنة أن المسلمين كانوا إذا قحطوا يصلون صلاة الاستسقاء ويسألون الله ويتضرعون إليه فيستجيب لهم لأنهم لجأوا إلى الله وحده . ولم يلجأوا إلى أموات احتواهم جوف الأرض فصاروا لا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً .

معنى الإشراك بالله

قال تعالى : « ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تلقى به الريح

في مكان صحيح) . وأشد الناس حيرة واضطرابا وذلا في هذه الدنيا من يشرك بالله . وليس الشرك فقط أن تجعل مع الله إلها آخر . بل المراد ما هو أخص من ذلك . وهو أن تعتقد أن لنير الله من مَلِك أو سلطان أو غنى أو ولي أو نصير أو زوجة أو ولد أو إنس أو جن أو مَلَك في حياتك أو في الكون المحيط بك فعلا مؤثرا . إن اعتقدت أن لواحد من هؤلاء فعلا فالتفتت نفسك لجهته خوفا أو طمعا فهذا هو الشرك الخفي . فإن أصيب بهذا الشرك أحد يدعى الإيمان قضى حياته بين من اتخذهم شركاء ممزق النفس والعرض والكرامة كأنما قذف به من السماء فمزقته جوارح الطير أو أسقطته الريح في أسفل الأرض . وهكذا تصور الآية أروع تصوير حالة الرعب والوحشة والظلام التي يحياها من يجعل لله شريكا في ذاته أو أفعاله .

« الجمهورية يوم ٢١ - ٦ - ١٩٦٣ »

ورد هذا التفسير القيم في سلسلة المقالات التي تنشرها الصحيفة كل يوم بقلم الدكتور محمد سعاد جلال ويتناول فيها تفسير آية أو حديث نبوي . ولا شك أنه تفسير جليل لهذه الآية يدل على فهم عميق . وإدراك صحيح لمعنى الشرك على عكس ما رسخ في اذهان الناس اليوم . فإن السائد عند جمهور المسلمين في هذا الزمن أن الشرك هو ما كان عند الأتباع الماضية والذي كان يتمثل في عبادة التماثيل والأصنام . أما الانصراف إلى الزوجة . أو الأولاد . أو الأصدقاء . أو جماعة من الناس لأغراض دنيوية أو إشباع شهوة مما يعطل أداء حقوق الله . . أما السعى وراء المال والجاه مما ينسى العمل لرضا الله . فكل ذلك ليس عندهم شركا يجب الاعتماد عنه . ولذلك فإن سواد الناس يعيشون اليوم في الشرك ليل نهار بما هم فيه من تأليه الفرد وعبادة الشهوات ثم يدعون أنهم يحسنون صنعا .

إن المسلمين اليوم في حاجة شديدة إلى مثل هذه المقالات التي تنشر في الجرائد اليومية السيارة ، ليتضح لهم معنى الشرك الذي جرم إليهم التقليد ومقابلة الشيطان ، والتعلق بحياة المدنية الزائفة . فإن مثل هذه المقالات لها أثر كبير . وتنبيه أكثر من نشره في المجلات الدينية الشهرية التي لا تصل إلى أيدي الناس إلا في حدود ضيقة جدا . فليكثر دعاة

الحق من علمائنا الذين تتاح لهم فرص الكتابة في الصحف اليومية . ليكنزوا مأجورين من الإهتمام ببيان هذا النوع من الشرك الخفى .

نظام الدفن الرجعى

نشرت صحيفة الجمهورية فى يومياتها التى تنشرها كلمة للأستاذ إبراهيم الوردانى أشار فيها بالذم إلى طريقة دفن الموتى بمناسبة حضوره دفن أحد أصدقائه الممثلين مات أخيراً . فقال فى كلمته أنه شاهد عملية الدفن كاملة وتنبه لأول مرة إلى المنظر الرجعى غير المحترم لطريقة دفن الموتى وعلق على ذلك فقال (. . .) وكأننا نلقى سباحا فى جوف الأرض . كأننا نلقى نفاية شئ فى مخزن عفن) ثم تساءل قائلاً (أليست هناك وسيلة إنسانية متحضرة لإحترام رفاة موتانا وإيوائهم المثوى الأخير غير تلك الطريقة ؟ . ماذا يفعل الناس بموتاهم فى أوروبا ؟ هل يتركون الجسد فى أيد جلفه - كما رأينا - تمزق كرامته . فى حركات بدائية منحطة وهى تهيل عليه الطوب والتراب والطين ؛ . . إلخ)

« يوميات الجمهورية بتاريخ ١٩٦٣/٧/٥ »

هذا ما كتبه السيد المعارض فى حق القبور الشرعية . فإذا يريد هذا الكاتب أن يفعل الناس لدفن موتاهم غير الطريقة الحالية ؟ إذا كان سيادته يريد أن نكفن الموتى بالحريز . ونضعهم فى قبور مشيدة بالرخام - كما تفعل أوروبا - بل ومبطنة بالقطيفة والديباج فانه مخطئ . وواهم إذا تصور أن جسد الميت وكل مامعه سيبقى كما هو دون أن يبلى أو يتحلل ! ولا نخال - وهو الرجل الذى نال قسطاً وافراً من التعليم ودرس شيئاً من علم الأحياء والجيولوجيا - أنه يجمل أن أجسام بنى آدم إذا زابتها الروح تحللت وعادت إلى أصلها الأول وهو التراب مصداقاً لقوله تعالى (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى - الآية ٥٥ : طه) .

ثم إن الطريقة التى دفن بها صديق الكاتب والتى يعيها هى نفسها الطريقة الشرعية التى يدفن بها كل بنى آدم من يوم أن أهبطه الله إلى الأرض حتى يومنا هذا وإلى أن يرث

الله الأرض ومن عليها .. حتى رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وهو صاحب أطهر جسد في الوجود على الإطلاق . فهل مزقت هذه الطريقة الرجعية - كما يزعم الكاتب - كرامة النبي وجرحته كبريائه ؟ ! .

إن المطلوب من الحنئ أن يفعله تجاه الميت هو ألا يمثل بجسده . ولا أن يعبث به لأى غرض من الأغراض . وأن يتولى غسله وتكفينه بالطريقة الشرعية . ثم يصلى عليه ثم يحمل إلى مثواه الأخير وهو الأرض التى خلق منها . وهذا هو إكرام الحنئ لجسد الميت واحترامه له أما مصير الجسد بعد وضعه فى القبر فسيكون غذاء للودود ثم يصير عفنا ثم ترابا . فهل يتوقع الكاتب أن يصير جسد الميت بعد ذلك إلى غير التراب ؟ .
هذه هى سنة الله التى تجرى على جميع الموتى ولو كره الكاتب المعترض . . بل ولو كره الناس جميعاً !!! . . .

سمر صادق محمد

أقام فرع الجماعة بالحلة الكبرى حفلا رائعا بمناسبة ذكرى الهجرة دعا إليه فضيلة الأستاذ محمد خليل هراس رئيس فرع الجماعة بطنطا ونائب الرئيس العام للجماعة وألقى محاضرة (من وحى الهجرة) .

وقد ألفت كلمات قبل المحاضرة من الأساتذة إبراهيم شعبان وعبد الحفيظ سارى وافظ الحلة وعبد الفتاح سلامه وكيل الجماعة بطنطا .

ثم أخذ الأستاذ فى إلقاء محاضرته فأشاد بما فى الهجرة من عبر وعظات يجب أن يعيها المسلمون وأنها كانت فى سبيل المبدأ والعقيدة ثم أفاض فى بيان العقيدة الإسلامية وما تقوم عليه من أثبات الصفات التى نطقت بها النصوص من الكتاب والسنة الصحيحة .

وكانت ليلة نصر الله فيها الحق وأهله وخذل الباطل وحزبه إن الباطل كان زهوقا .

بَابُ الْفِتَاوَى

سؤال

هل يجوز صلاة العصر مع الظهر جمع تقديم لمقيم ؟ .

عبد الجواد عبد الله فايد
زاوية البقل منونية

الجواب

١ لم يثبت في حديث صحيح ولا ضعيف صلاة العصر مع الظهر جمع تقديم لمقيم ، وكل ما ورد في هذا المعنى فإنما هو للمسافر ، وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما تقديمًا يوم عرفة ، لأنه أولا كان مسافرا ولأنه ثانيا أراد التفرغ للوقوف بعرفة للدعاء والتلبية ، ولا حجة في ذلك لمقيم . أما ما ورد بأنه عليه الصلاة والسلام جمع بين الظهر والعصر ، وبين المغرب والعشاء من غير سفر ولا مطر ، فإنه جمع تأخير ، أي أنه صلى الظهر والعصر في أول وقت العصر ، وصلى المغرب والعشاء في أول وقت العشاء .

أسمئلة

- ١ - هل يجوز للمالك أن يؤجر بيته لمن يتخذ خمارا أو مكانا لمأخرة ؟ .
- ٢ - هل يجوز إلقاء خطاب على الناس بعد صلاة الجمعة لإرشاد المسلمين إلى أحكام الدين ؟ علما بأنه لم يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الجمعة إلا صلاة أربع ركعات أو ركعتين .
- ٣ - هل يجوز للمرأة المسلمة أن تهب أو تصدق من خالص مالها بدون إذن زوجها ؟ .

محمد الحصى عبد القادر
كلا : سودان

أجوبة

- ١ - يحرم على المالك تأجير بيته لمن يتخذة خماراً أو لزناء، لأنه إعانة على الإثم والعدوان ومعصية الله ورسوله ، وقد نص على ذلك الإمام ابن تيمية في فتاويه .
- ٢ - السؤال غير واضح ، فإذا كان المقصود إلقاء خطبة كخطبة الجمعة فهذا غير جائز ولم يقل به أحد من المسلمين ، وإن كان المقصود القيام إلى الناس لشرح بعض أحكام الدين لهم - سواء أكان ذلك من الإمام أم من غيره ، فهذا جائز ومما ندب إليه الدين ، خصوصاً في مثل هذا الجمع الذي قلما يظفر العالم بمثلهم . أما صلاة الأربع ركعات أو الركعتين بعد الجمعة فإن محلها البيت بعد العودة من صلاة الجمعة فقد روى البخاري : « أن ابن عمر رضي الله عنهما كان إذا صلى الجمعة انصرف فسجد في بيته سجدتين ، ويحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك » .

- ٣ - روى في السنن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر النساء بأداء زكاة حلين وأن يتصدقن منها ، وقد أثنى الله تعالى على (المتصدقين والمتصدقات) ، فللمرأة أن تعطى السائل واليتيم من خالص مالها ومن مال زوجها أيضاً . ولكن ليس لها أن تهب من مالها إلا بإذن زوجها ، فقد روى أبو داود والنسائي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يجوز للمرأة عطية إلا بإذن زوجها » .

أسئلة

- ١ - ما حكم الدين في الصور الشمسية (الفوتوغرافية) ؟
- ٢ - هل يجوز تشييع جنازة المشرك والصلاة عليه ؟

عبد الرحيم محمد صالح - على قدر
أرتبها

الأجوبة

- ١ - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون يقال لهم أحيوا ما خلقتم » وذهب بعض العلماء إلى أن هذا الوعيد الشديد قاصر على التماثيل

والنحت وكل ما هو بارز أو له ظل ، وقالوا إن كلمة صورة لا تعطى إلا هذا المعنى لقوله تعالى (هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء) وقوله تعالى : (وصوركم فأحسن صوركم) ، وقوله تعالى (فى أى صورة ما شاء ركبك) ثم ألحقوا بالتماثيل ما كان من عمل اليد من الصور ، وما كان باطلاً فى ذاته كتصوير الملائكة أو الشيطان ، لأنه من صنع الخيال ، أو كتصوير إنسان أو حصان أو غيرها بأجنحة ، أو غير ذلك من الصور التى لا تمثل الواقع الحقيقى .

أما الصور الشمسية فقالوا لأنها لا عمل للإنسان فيها ، بل هى إمساك للضوء أو الظل ، ونقل للصور على ما خلقها الله سبحانه وتعالى ، وأنها أصبحت من الضروريات فى إثبات الشخصية ، سواء كان ذلك فى جوازات السفر أو البطاقات أو غيرها ، علاوة على لزومها فى التعليم والوقوف على أنواع البشر والحيوانات والنباتات وغيرها .

والرأى عندى — والله أعلم — أن النوع الأول محرم قطعاً ، أما النوع الثانى — وهى الصور الشمسية — فينبغى عدم تعدى ما هو ضرورى منها كالحالات التى ذكرتها ، ولا يصح تجاوزها وتكبيرها وتعليقها بجدران الغرف ، فقد تدخل فى عموم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة » .

٢ — اختلف العلماء فى جواز تشييع جنازة المشرك الذى يعبد غير الله عز وجل ويدعوه ويترك الصلاة والعبادات الأخرى ، وأكثرهم على جوازه على قدر ما يكفى فى حمله ومواراته فى قبره لأن ذلك ضرورة حتمية على الأحياء ، وهذا هو الأرجح ، وقد أضاف بعضهم لذلك سبباً آخر وهو مجاملة ذرى قرياء من المسلمين . أما الصلاة عليه فغير جائز باتفاق المسلمين ، ويكفى فى ذلك أن الله تعالى يقول : (ولا تصل على أحد منهم مات أبداً) ، وأنه يقول : (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى) .

سؤال

وجه إلينا أحد إخواننا هذا السؤال . قال : لى ابنة خالة لها أخ أكبر منها رضع من والدتى ، فهل يجوز لى الزواج من ابنة خالتي هذه ، علماً بأننى لم أقرب ثدى أمها ، وهى كذلك لم تقرب ثدى والدتى . أفقونا بما يبعث الطمأنينة ويدفع الشك والريبة .

محمد على الحاج
رئيس فرع البتانون

الجواب

يجوز للسائل أن يتزوج بنت خالته المذكورة ، لأنها لم ترضع من والدته ، ولأنه لم يرضع من والدتها ، فليس بينهما أخوة من الرضاع . وأخوها الذى رضع من والدته هو وحده الذى لا يحل له أن يتزوج أحداً من أخوات السائل لأنهن جميعاً يصبحن أخوات له من الرضاع .

سليم بن رعد محمد

الخطيئة والضييف

كان الخطيئة (الشاعر) يرعى غنماً ، فمر به رجل فقال ياراعى الغنم ما عندك ؟
قال : هجرا من سَلَمَ (يعنى عصاه) قال : إني ضيف .
قال : للضيفان أعددتها .

من شرفات التاريخ :

« بدعة مولد الحسين »

يزعم كثير من الصوفية والعامّة أن إقامة الموالد ما هي إلا تعبير عن حبهم لأصحاب الموالد والقباب وأنها سنة سنها السابقون ، ولو أن أحدهم فكر في حقيقة هذه البدعة وكيف بدأت لعرف أنها لم تكن إلا دسيسة من دسائس الاستعمار الصليبي للقضاء على نقاء الدين الإسلامي ، وبث الفتنة فيه ، وزعزعة عقائد المسلمين ، ولقد أورد المؤرخ المعروف عبد الرحمن ابن حسن الجبرتي في الجزء الثالث من تاريخه عن كيفية بدء بدعة من هذه البدع وهو مولد من الموالد التي تعتبر من أشهر الموالد في هذه الأيام في القاهرة وهو مولد الحسين رضي الله عنه .

يقول عبد الرحمن الجبرتي في تاريخه لهذه البدعة : أنه في يوم الأحد السادس من شعبان سنة ١٢١٣ هـ الموافق للثالث عشر من يناير سنة ١٧٩٩ ميلادية .

« نادى القبطان انفرنسي الساكن بالمشهد الحسيني على أهل ذلك الحى وما جاورها بفتح الحوانيت والأسواق لأجل مولد الحسين وقد شدد في ذلك وأوعد من أغلق حانوته بتسميره وتفريجه عشرة ريالات فرنسية .

وكان السبب في ذلك والأصل فيه أن هذا المولد ابتدعه السيد بدوى بن فتحيح مباشر وقف المسجد فكان قد اعتراه مرض الحب الإفرنجي (الزهري) فنذر على نفسه هذا المولد إن شفاه الله تعالى . فجعلت له بعض الإقامة فابتدأ به وأوقد في المسجد والقبعة فناديل وبعض الشموع ورتب الفقهاء يقرأون القرآن بالنهار وآخرين بالمسجد يقرأون بالليل دلائل الخيرات لأجزولى . وزاد الحال وانضم إليهم الكثيرون من أهل البلاغة كجماعة العفيفي ، والسمان ، والعربي ، واليسوية فمنهم من يتخلق ويذكر الجلالة ويحرفها وينشد له المنشدون القصائد والمولات ، ومنهم من يقول أبياتاً من بردة المديح للبوصيري ، ويجاوبهم آخرون مقابلون لهم بصيغة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وأما اليسوية . فهم جماعة

من المغاربة ومن دخل فيهم من أهل الأهواء ينسبون إلى شيخ من أهل المغرب يقال له سيدى محمد بن عيسى وطريقتهم أنهم يجلسون قبالة بعضهم صنفين ويقولون كلاما معوجا منفوماً وبين أيديهم طبول ودفوف يضربون عليها ضرباً شديداً مع ارتفاع أصواتهم وتقف جماعة أخرى قبالة الذين يضربون الدفوف فيضعون أكتافهم في أكتاف بعض لا يخرج واحد عن الآخر ويلتوون وينتصبون ويرتفعون وينخفضون ، ويضربون الأرض بأرجلهم وكل ذلك مع الحركة العنيفة والقوة الزائدة وبحيث لا يقوم هذا المقام إلا كل من عرف بالقوة ، وكانت تلك الحركات والإيقاعات على نمط الضرب بالدفوف فيقع بالمسجد دوى عظيم وضحكات عالية . هذا مع ما ينضم إلى ذلك من جمع الدوام وتحلقهم بالمسجد للحديث والهديان وكثرة اللفظ والحكايات والتلفت إلى حسان الغلمان الذين يحضرون للتفرج والسعى خلفهم والافتتان بهم ورمى قشور اللب والمكسرات والمأكولات على الناس وطواف باعة المأكولات فيه ، فيصير المسجد بما اجتمع فيه من القاذورات والنفوش ملتحقاً بالأسواق الممتلئة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وزاد الحال على ذلك بقدم جماعة الأشياخ من الحارات البعيدة والقريبة وبين أيديهم المناور والقناديل والجوامع العظيمة التي تحملها الرجال والشموع والطبول والزمور ويتكلمون بكلام محرف يظنون أنه ذكر وتوسلات وينسبون من يعترضهم أو يلومهم إلى الاعتزال والخروج والزندقة ، وغالبهم من السوق وأهل الحرف السافلة ومن لا يملك قوت ليلة . فتجد أحدهم يجتهد بقوة سميه ويبيع متاعه ويصرف ثمنها في وقود القناديل وأجرة الطبالاة والزمارة وكل يجتمع عليه ما هو من أمثاله من الحرافيش ثم يقطع ليلته مهراً . وبصبح كسلاناً ويظن أنه بات يتعبد ويذكر ويجهد .

واستمر هذا المولذ أكثر من عشر سنين ولم يزد النادر لذلك إلا مرضاً ومقتاً واستجاب خدمة الغريب ما لاح لهم من ضعاف العقول مثل الشمع والدراهم واتخذوا ذلك حيلة لأكل أموال الناس بالباطل .

فلما حصلت هذه الحادثة عصر (الحملة الفرنسية) ترك هذا المولد في جملة المتروكات
ثم حصلت الفتنة التي حصلت وسكن هذا الفرنسي في خط المشهد الحسيني لضبط تلك
الجهة وفيه مسامرة ومداينة وصار يظهر المحبة للمسلمين ويلاطفهم .

ثم يقول الجبرتي إن جماعة من اليهود الجحش من ذوى الخلاعة زينوا لهذا الفرنسي
إعادة هذا المولد ، ففعل وزاده مجوناً وفساداً .

ومهما حاولنا اليوم أن نصف هذه الموالد وما فيها من مفسد وأضرار وما فيها من
مجون وتهريج فلن نستطيع أن نصفها بأكثر مما وصفها به هذا المؤرخ الدقيق الذي استطاع
أن يعلم حقيقة هذه البدعة المذمومة ويحذر منها والذي أوضح أنها مكيدة فرنسية .

حقاً إن في التاريخ لمبرأ وعظات ودلائل لا تقبل الشك على أحقية الحق وبطلان
الباطل وزيفه . وفقنا الله إلى تعرف الحق واتباعه ، وإظهار الباطل واجتنابه ،
والله ولي التوفيق .

رجب صابر أصم
ليسانس آداب - تاريخ

من حكم لقمان

قال لقمان لابنه وهو يمشي : يا بني زاحم العلماء بركبةيك ولا تجادلهم فيمقتوك ، وخذ
من الدنيا بلاغك وأنفق فضول كسبك لآخرتك ، ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون
عيالاً ، وعلى أعناق الرجال كلا ، وصم يوماً يكسر شهوتك ، ولا تصم يوماً يضر
بصلواتك ، فإن الصلاة أفضل من الصوم ، وكن كالأب لليتيم ، وكالزوج للأرملة ،
ولا تحاب القريب ، ولا تجالس السفهية ، ولا تخالط ذا الوجهين ألبتة .

اخبار الجماعة

المركز العام

بمؤن الله تعالى وتوفيقه اجتمعت الجمعية العمومية للجماعة بالمركز العام مساء يوم السبت ٢٢ صفر سنة ١٣٨٣ الموافق ١٣ يوليو سنة ١٩٦٣ برئاسة فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل الرئيس العام للجماعة الذي ألقى كلمة الافتتاح والترحيب بالأعضاء وحثهم على التمسك بدعوة التوحيد ونشرها بكل ما أوتوا من قوة . ثم عرض السكرتير أعمال مجلس الإدارة كما عرض أمين الصندوق الميزانية العمومية :

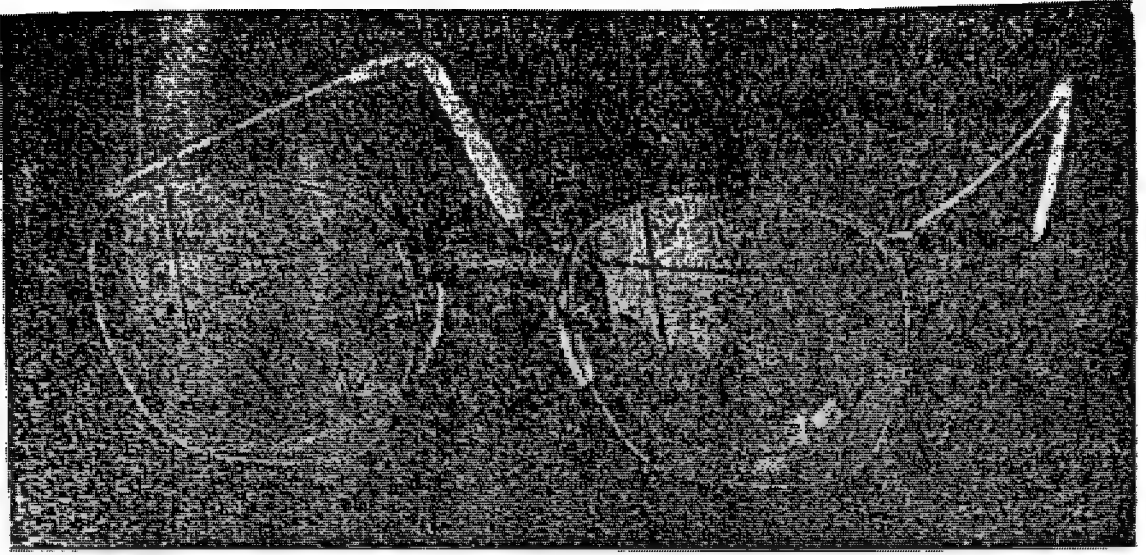
وختم الاجتماع بكلمة من فضيلة الأستاذ الشيخ محمد خليل هراس نائب الرئيس وقد تحدث عن انتشار دعوة التوحيد في الأقاليم والاستعداد الفطري لدى العامة لتقبلها وأن ذلك مما يبشر بخير .

ثم أجرى انتخاب أعضاء مجلس الإدارة .

وتم بعد ذلك تشكيل مجلس الإدارة على الوجه الآتي :

- | | |
|--------------------------------------|--|
| ١ - الأستاذ عبد الرحمن الوكيل رئيساً | ٢ - الأستاذ محمد خليل هراس نائباً للرئيس |
| ٣ - » عبد اللطيف حسين وكيلاً أولاً | ٤ - » سيد محمد رضوان وكيلاً ثانياً |
| ٥ - سليمان رشاد محمد | ٦ - محمد رشدي خليل أميناً للصندوق |
| ٧ - محمود عبد العزيز | ٨ - سليمان حسونه مديراً للمجلة |
| ٩ - رشاد الشافعي | ١٠ - إبراهيم محمد قنديل عضواً |
| ١١ - عبد المجيد محمد رضوان | ١٢ - محمد صالح سعدان » |
| ١٣ - محمد سليمان فضل | ١٤ - محمد غريب الباز » |
| ١٥ - أمين محمد إسحق | ١٦ - أحمد طه نصر » |
| ١٧ - حسن محمد كرار | » |

كما اختارت الجمعية العمومية الأستاذ مصطفى عبد الجواد مراقباً مالياً للجماعة .



أحدث النظارات الرائعة تجدها عند الأخصائي

أحمد محمد خليل

المصري الوحيد خريج جامعة باريس شارع الجوهري
رقم ١ ميدان العتبة والممر التجارى القديم شارع ٢٦ يوليو

س . ت ٢٣٤٥ — تليفون ٩٠٨٢٦٢

شركة غريب للساعات والمجوهرات

إدارة : محمد الغريب محمد البار

بشارع محمد بك فريد رقم ١١٧ مصر عابدين

أحدث الساعات فى المتانة ودقة الصناعة

والمجوهرات والنظارات — أسعار مذهشة

تساهل فى الدفع على أقساط شهرية

بالمحل ورشة فنية للتصليح

﴿ أنصار السنة المحمدية لهم امتيازات خاصة ﴾

العدد ٤

المجلد ٢٨

ربيع الآخر

سنة ١٣٨٣

خير اللهى خدى محمد بنى الله على وسلم

المذكرى النبوية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

مدير الإدارة

سليمان مـونـه

رئيس التحرير

عبد الرحمن الوكيل

٣٠ ملما

مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير
ت ٩٠٦٠١٧

الفهرس

صفحة	
٣	التفسير للأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل
١٧	بل رفعه الله إليه » عبد اللطيف حسين
٢٧	عقيدة القرآن والسنة » الشيخ محمد خليل هراس
٣٠	جواب خاطيء » محمد صالح سعدان
٣٥	أمة التوحيد تتوحد تعليق للهدى النبوى
٣٧	أسئلة وأجوبة للأستاذ الشيخ على نور الدين الصومالى
٤٨	غزوات الرسول (صلى الله عليه وسلم) للأستاذ سعد صادق محمد

مدير المجلة

نلفت نظر السادة القراء والمشاركين والمتعهدين بتوزيع (الهدى النبوى) ووكلائها
إلى أنه قد تقرر إسناد إدارة المجلة إلى الأخ السيد / سليمان حسونه . كما أسندت أمانة
صندوق الجماعة إلى الأخ السيد / محمد رشدى خليل .

والمرجو إرسال جميع الحوالات وقيم الاشتراكات والذممات المتأخرة لدى بعض
المتعهدين باسم السيد / سليمان حسونه . مدير المجلة . ولهم شكرنا ما

خير اللهى قدسى محمد بنى الله على وسلم

مدير الإدارة

سليمانه مومنه

الاشتراك السنوى

٣٠ - فى الجمهورية العربية

المتحدة والسودان

٤٠ - فى الخارج

الهدي النبوى

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير

عبد الرحمن الوكيل

أصحاب الامتياز : ورثة

السبح محمد حامد الفقى

المركز العام : ٨ شارع قولة — عابدين القاهرة — تليفون ٧٦٥٧٦

المجلد ٢٨

ربيع الآخر سنة ١٣٨٣

العدد ٤

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال - جل ذكره - (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ : اسْجُدُوا لِآدَمَ ، فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ، فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ، أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِى ، وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ، بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا) - السكهف : ٥٠ .

« معانى المفردات »

اسجدوا : قال ابن فارس إن لكلمة أصلاً واحداً يدل على تطامنٍ وذل ، يقال سجد : إذا تطامن ، وكل ماذل ، فقد سجد ، قال أبو عمرو : أسجد الرجل إذا طأطأ رأسه وانحنى . ويرى الراغب أن أمر الملائكة بالسجود معناه التذلل لآدم ، أو القيام بمصالحه ومصالح أولاده .

إبليس : قال ابن فارس عن أصل الكلمة إنه يدل على اليأس . ومن ذلك اشتق اسم

إبليس ، كأنه ينس من رحمة الله . ويقول ابن الأثير : للباس الساكت من الحزن أو الخوف . وقال الراغب : الإبلّاس الحزن المعترض من شدة البأس^(١) .

الجن : أصل الكلمة يدل على السر ، والتستر ، وسمى الجن بهذا ؛ لأنهم مستترون عن أعين الخلق « عن ابن فارس » . وقال الراغب : أصل الجن : ستر الشيء عن الحاسة . والجن يقال على وجهين : أحدهما للروحانيين المستترين عن الحواس كلها بإزاء الإنس ، فعلى هذا تدخل فيه الملائكة والشياطين ، فكل ملائكة جن ، وليس كل جن ملائكة . وعلى هذا قال أبو صالح : الملائكة كلها جن . وقيل بل الجن بعض الروحانيين ، وذلك أن الروحانيين ثلاثة : أخيار وهم الملائكة ، وأشرار وهم الشياطين ، وأوساط فيهم أخيار وأشرار ، وهم الجن .

فَسَقَ : الفسق الخروج عن الطاعة ، تقول العرب : فسقت الرطبة عن قشرها ، إذا خرجت . ويقول الراغب : والفسق يقع بالقليل من الذنوب والكثير ، وأكثر ما يقال : الفاسق لمن ألزم حكم الشرع ، وأقرّ به ، ثم أخل بجميع أحكامه ، أو ببعضه . وقيل عن الفسق إنه الاتساع ، وإنما سمي الفاسق فاسقاً لاتساعه في محارم الله .

ذريته : قال ابن فارس عن أصل الكلمة : إنه يدل على لطافة وانتشار . وقد تكون الذرية من ذراً الله الخلق أى خلقهم ، وقد تكون من الذرّ بمعنى التفريق . والذرية اسم يجمع نسل الإنسان من ذكر وأنثى .

(١) أما القطب الصوفي الكبير عبد الكريم الجيلي فيزعم في عريضة الضلالة : ولما خلق الله آدم عليه السلام ، وأمر الملائكة بالسجود له التبس الأمر على إبليس ، فظن أنه لو سجد لآدم كان عابداً لغير الله . . ولهذا امتنع ، وما سمي إبليس إلا لتسكنة هذا التلبس الذي وقع فيه .

ويقول في مكان آخر : « إن الحق دعاه إبليس وهو مشتق من الالتباس » . ص ٤١ ج ٢ الإنسان الكامل ط ١٢٩٣ هـ ، وشتان ما هما : فيبليس من أبلس ، وأما التلبس فن لبس .

بئس : كلمة تستعمل في جميع المذام ، والأكثرية على أنها فعل ماضٍ جامد يستعمل للذم .

بدلاً : قال ابن فارس : إن أصل الكلمة يدل على قيام الشيء مقام الذهاب . وقد يقال التبديل للتغيير مطلقاً ، وإن لم يأت ببدله .

المعنى

تمهيد في قصص القرآن : يقول الله سبحانه : (لقد كان في قصصهم عبرةٍ لأولئى الألبابِ ، ما كان حديثاً يُفترى ، ولكن تصديق الذى بين يديه ، وتفصيل كلِّ شيء ، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) - يوسف : ١١١ . ووصف الله لقصصه بأنها ليست حديثاً مفترى يؤكد أنها أحداث وقعت ، وأنها كانت صواب الحس ، وأن كل ما قصه الله سبحانه من فعل أو قول قد فعل وقيل . فإذا ما أخبرنا الله أنه قال للملائكة : اسجدوا لآدم ، وأنهم سجدوا إلا إبليس ، فإنه يجب علينا الإيمان بوجود هذه القوى التى كونت أفعالها وأقوالها هذه القصة ، وبأن الله قال ما قال للملائكة ، وأنهم قالوا ما قالوا لله حقيقة لا مجازاً ، فما أخبرنا الله أن قصته هذه ضرب من ضروب التمثيل ، أو فن من فنون المجاز . فالحكم عليها بهذا قول على الله بغير علم .

يجب أن نؤمن بما كان بين الله وبين الملائكة ، وأنه حدث وأنه كان ، وأنه وقع بكل مقوماته وبداياته ونهاياته ، فإذا ما استرَبنا فى شيء من هذا أوردنا نفوسنا موارد الكفر الأحمق ، وإذا نسبنا إلى الله التخيل ، والعبث بما فى بيانه ، فقد تردينا فى حماة الجحود بالله سبحانه .

إن قصص القرآن كله حق ولا ريب . وكل جزء من أجزاء القصة سواء أكان فعلاً أم قولاً أم مكاناً أم زماناً أم غير ذلك حقيقة ثابتة نبوت اليقين .

إنه ليس قصصاً فنياً مبتدعاً مخترع الأحداث بتخيّل الأفعال والأقوال يتحدث عن أشياء لم يكن لها وجود إلا في الذهن ، كلا ، وإنما هو قصص حقّ يخبر عن أشياء كان لها وجودها الخارجى . وكانت لها نفس الأسماء والصفات والأمكنة والأزمنة والأفعال والأقوال والمصائر التى ذكرها الله في القرآن .

أؤكد هذا ، وأكرره بمؤكداته القرآنية ؛ لأنّ منافريقاً التهم فكره وقلبه أحقاد الصليبية والصهيونية ، فما وجدوا غير القرآن يحاولون إطفاء شمسهِ المتوهجة بأنفسهم المنجسة ، فبهتوه بما بهتوا ، وما بهتوه به أن قصصه ضرب من ضروب التمثيل ، وفنّ يصنعه الخيال !! وبهت القرآن .

هذه جريمة قديمة اقترفها الباطنيون ، ولا سيما إخوان الصفا والإسماعيليون والدروز . وقد سرق البهائيون هذا الكفر ونسبوه إلى أنفسهم معترزين به .

ونحن المسلمين لا يعنينا أمر هؤلاء بقدر ما يعنينا أمر شيوخ لهم مكاتهم في نفوس المسلمين ، وذلك حين يحاولون سلوك هذا الدرب الموحش ، أو الوقوف على شفا هذه الهاوية . وعلى رأس هؤلاء الأستاذ الشيخ محمد عبده في تفسير سورة البقرة ، فقد نسب إليه الشيخ الجليل محمد رشيد رضا في تفسيره المنار ، قوله عن قصة آدم ما يأتى : « وقد ذهب الأستاذ إلى أن هذه الآيات من المتشابهات التى لا يمكن حملها على ظاهرها ، لأنها بحسب قانون التخاطب إمّا استشارة ، وذلك محال على الله تعالى . وإما إخبار منه سبحانه للملائكة ، واعتراض منهم ومحااجة وجدال ، وذلك لا يليق بالله تعالى أيضاً ، ولا بملائكته ولا يجمع ما جاء به الدين من وصف للملائكة ككونهم (لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون) .

والقصة لا نستلزم أبداً ما قال الأستاذ ، فإنّ هي هذه الاستشارة ؟ والآيات تثبت — فحسب — أن الله قال لملائكته قبل أن يفعل الشيء أنه سيفعله ، فما ورد فيها ما ينم عن أنه كان يستشير ، وإنما ورد أنه فعل ذلك ليبتلى ملائكته ، وليبين لهم أنهم

لا يستطيعون معرفة الغيب ، وأنه جل شأنه هو علام الغيوب . وأما المجادلة فقد أثبتنا الله خليله العظيم إبراهيم . وتدبر قول الله عن إبراهيم : (فلما ذهب عن إبراهيم الروع ، وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط) ومع هذا وصفه الله عقب هذا بقوله : (إن إبراهيم لحليم أواه منيب --- هود : ٧٤ ، ٧٥) فبه جدارا كجدال إبراهيم الذي اتخذ الله خليلا . والله لم ينسب هذه الخلقة إلى الملائكة . والمجادلة لم تمل بإبراهيم عن الخلقة ، ولا عن كونه حليما أواها منيبا . . ثم أين هو الأمر الذي قام الملائكة بمعصيانه ؟ كيف نخلط بين الخبر والإنشاء ؟ ! ويسوى بين الإخبار والأمر ؟ ! . والحقيقة أن الآية تثبت أنهم فعلوا ما أمرهم الله به .

هذا الذي قاله الأستاذ الشيخ يثبت لنا مدى سطوة الشبهات الصليبية ، و بطش القوى التي كانت تعينها حتى لتدفع رجلا جليلا نابها كالشيخ الكبير إلى أن يدفعها بمثل هذا القول الذي لا يدفع الشبهة ، وإنما يثبتها . ثم إنك ترى الشيخ الكبير — على ذكائه بل نبوغ ذكائه — يعتل بعمل مضطربة واهية لا تجاوب ما هو معروف عنه من نبوغ الذكاء مما يثبت لنا أنه أخذ بالشبهات أخذاً شديداً أقوى مما أخذ بشعور الميل إلى القضاء عليها ، فلم ينف الشبهة ، وإنما نفى القصة وبهت القصة بأنها لا يمكن حملها على ظاهرها يجر إلى إبطال كل قصص القرآن ، وإلى إبطال أسماء الله وصفاته ، فما من قصة إلا ويمكن اختراع مثل هذه اللوازم ليحاول بها الفاتنون إبطالها ، وما من اسم إلهي أو صفة إلهية إلا ويمكن للمهوى المصوف أن يابج على حقها بباطله بما يخترع من لوازم أيضاً .

ماذا نفعل مع الصفات والأسماء إن سلكنا هذا الذي سلكه الشيخ الكبير ؟

إن القرآن أكبر ، والله أكبر ، فلنترك قلوبنا لا لبشر وإنما لخالق البشر .

المناسبة : بالمعير الأبدى ذكرنا الله فيما سبق التذكير به من آيات الله ذكرنا بالآخرة و ببعض ما سيكون فيها . وفي هذه الآية يذكرنا ببداية الآدمية مع الله ثم مع الشيطان ، يذكر أبناء آدم بما فعله الشيطان مع أبيهم ، بالعداوة الحقود السماء المحمومة الغل والفيظ .

من إبليس لأبيهم الأول . ومركز في الفطرة البشرية التي لم تتبدل خصائصها كراهية
عدو الأب ، ثم هي تذكير بمصدر الشر في الإنسان ، وأنه حين يتهدى يهتدى الفطرة
يسلك السبيل السوي وأن الشر ليس من طبيعته ، ولا جبلته ، وإنما هو أمر طارئ .
تدبر قصة آدم قبل أن يفقته الشيطان ، إنه لم يحاول اقتراف الشر ، ولم يسع إلى اقترافه ؛
لأنه كان لا يعرف الشر ؛ ولأن فطرته لا تهدي إلى شر ، فجاء الشيطان ففتنه ، فدعى .
إن هذا يهتدى إلى أن الشر ليس فطرياً في نفس الإنسان أو إلى أن الفطرة ليست شراً ،
ولا نزاعة إلى الشر ، وإنما يميل بها إليه في أمر خارج عنها .

فالآدمية براءة صافية . - والإبليسية شر يقوده المـسكر اللثيم ، فهي تذكير إذن -
بالفطرة في نقائها وصفائها ، وبما دنس الشيطان به هذه الفطرة ، ثم تطهير الله لها بالتوبة
النصوح لتظل مشاعرنا وعواطفنا دائماً مرتبطة الأسباب بحب من مَن علينا بالنجاة من
التهلكة ، وهو ربنا ، وبكراهية من يسعى دائماً إلى أن يتردى بنا في الهاوية ،
وهو إبليس

وهي تذكير بفضل الله وحمه لنا - كما ترى - ، وبكراهية إبليس ومقته لنا .
وهي تذكير بأولئك العباد المـكرمين الذين سجدوا طوعاً بأمر الله لأبينا ، لنحب
هؤلاء الأحبة .

ومن منا يحب عدوه ويمقت حبيبه ؟ !

إنه الذي لم تبق فيه أثارة من إنسانية !

وهكذا جاءت هذه الآية لتبين البداية ، وكانت التي قبلها نقص النهاية .

من الملائكة ؟ هم من خلق الله ، وهم غيب لا نعرف عنهم شيئاً إلا ما قاله عالم الغيب
وقد قال الله عنهم (جاعل الملائكة رُسُلًا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع) وعاب قول
الذين بهتهم بأنهم إناث . وأن منهم حملة للعرش ، وأنهم سيجيئون مع الله يوم القيامة وغير
هذا مما بين الله سبحانه ، وإنه ليعطينا هنا بيان أنهم من رسل الله سبحانه الذين يبلغون

كل ما يأمرهم به ، ويفعلون كل ١٠ يكلفهم به ، وقد جعل الله منهم من يقومون بأمر الإنسان وحفظه وتذير ما يقوم وجوده بأمر الله .

السجود لآدم : تدبر قول الله سبحانه (فإذا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوْحِي ، فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ - الحجر : ٢٩) . وهذا يبين لنا أن الله لم يطلب من الملائكة السجود لآدم إلا بعد نفخ الروح فيه ، ليهدينا إلى أن الإنسان إنسان بروحه ، وإلى أن قيمته في هذه الروح ، فما للناس يقدسون أجساد الموتى ، وقد كان جسد آدم قبل نفخ الروح فيه من صلصال من حمأ مسنون . ومع هذه الكيفونة لم يطلب الله من أحد سجوداً لآدم . وليست روح آدم إلا خلقاً من خلق الله لا جزءاً من روح الله كما تفهم الصوفية ، وكما نسبت الصليبية إلى عيسى عليه السلام .

ولقد وجه الله الأمر بالسجود حقيقة ، وقال هذا القول حقيقة رغم أنف المعطلة والمؤولة .

وأصل السجود كما ترى هو الذل والتطامن ، وقد يُعَبَّرُ عن هذا الذل بالمخناة من الرأس أو بوضع الجبهة على الأرض كما نفعل في الصلاة ، فكيف عبر الملائكة عن سجودهم ؟

لا يضربنا أبداً في ديننا جهل كيفية سجودهم فالحقيقة التي يجب علينا الإيمان بها هي أن هؤلاء الملائكة قد سجدوا وكان لسجودهم هيئة خاصة لا ندري ما هي . على أن هذا السجود استلزم القيام بمصالح آدم ومصالح أولاده . وهذا من لوازم السجود لا حقيقة السجود كما يقول الراغب .

لقد وصف الله هيئة سجود الذين أوتوا العلم بقوله : (يَخْرُونَ لِلْأُذْقَانِ سَجْدًا) فالخروج للأذقان ليس هو عين السجود ، وإنما هو تعبير عن السجود . ولكنه — جل شأنه — لم يصف لنا كيفية سجود الملائكة ، فلنقف عند حد ما ذكر .

شبهة : يتساءل بعض الناس : كيف يسجد الملائكة لآدم ، والسجود لا يكون

والحقيقة - حين تدبرها - تؤكد لك أنه سجد لله فعلاً ، فما سجدوا لآدم إلا عن أمر الله سبحانه ، إن الله هو الذى يحكم على الشيء بأنه حلال أو حرام ، وقد حرم الله على بنى إسرائيل أموراً جعلها حلالاً لنا ، فإذا أمر الله بشيء فالواجب طاعته ، وإذا نهى عن الشيء ، فالواجب طاعته . فأمره حق ونهيه حق .

والأمر بالسجود لآدم كان ابتلاءً عظيمًا ، فهو أمر بالسجود لخلق من خلقه . أمر بحسب المرء أنه ينال من كبريائه ، من كرامته ، من حقيقة وجوده . أمر يثير فى غير نفس المؤمن التمرد عليه ؛ لأن القيام به يتطلب صبر الإيمان وجماله وقوته وطاقته . ونجح من نجح فى الاختبار ، وسقط واحد هو إبليس .

هكذا ترشدنا القصة إلى أن الله أن يأمر بما يشاء ، وإلى أن علينا أن نطيع حتى إن وجدنا فيما نؤمر به شيئاً يخالف مقاييسنا ، وما تعارفنا عليه من قيم ، فأمر الله يهدى للى هى أقوم . فلا يجوز لنا أن نقول : كيف يأمر بالسجود لغيره ، وهو شرك ؟ لأنه صاحب الأمر ، والقيام بما يوجبه أمره هنا طاعة لا معصية ولا شرك .

« فسجدوا إلا إبليس » تؤكد الآية وغيرها أن الله أمر جميع الملائكة بالسجود ، وأن الملائكة جميعاً - على اختلاف أنواعهم - قد سجدوا إلا واحداً منهم هو إبليس . يقول ربنا سبحانه (فسجد الملائكة كلهم أجمعون . إلا إبليس أى أن يكون مع الساجدين - الحجر : ٢٠ ، ٣١) تدبر مجيء كلمتى « كلهم و أجمعون » وهما يفيدان تأكيد إحاطة وشمول نعم تدبر مجيء الاستثناء عقبهما مباشرة ؛ انتهدى إلى الحقيقة الساطعة التى تؤكد أن إبليس كان من الملائكة .

وحق ما يقول ابن عباس : لو لم يكن من الملائكة لم يؤمر بالسجود . وإنه لفخر للأدمية وتكريم عظيم لها أن يمن الله عليها بهذا عند بدء حياتها لتطمئن إلى أن الله سخر ملائكته لابر بالآدمية ، والقيام بصالح البشر ، وقد جاء سجودهم جميعاً أصدق وأعظم تعبير عملى عن هذه الحقيقة .

وإن كل الآيات التي جاءت بقصة هذا السجود تؤكد أن إبليس لم يعتذر بأنه ليس من الملائكة . فلو إنه ليس من الملائكة لقال مثلاً لله سبحانه حين سأل عما منعه من السجود : لست من الملائكة ، أو لقال : إنك لم تأمرني ، أو إنك أمرت الملائكة ، ولم تأمرني . ولم يأت في آيات الله شيء من ذلك ، بل جاء ما يؤكد أن إبليس كان من الملائكة تدبر قول الله سبحانه في سورة الأعراف (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ، فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين . قال : ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك) .

تدبر مجيء قوله سبحانه : « إذ أمرتك » بعد قوله سبحانه : « قلنا للملائكة : اسجدوا لآدم ، فسجدوا إلا إبليس » فهذا قول محكم يقطع بأن إبليس كان ممن أمرهم الله بالسجود ، وجيء بكلمة « أمرتك » تأكيداً لهذا بعد أن عبر عنه بالاستثناء . ويقطع أيضاً بأن الله أمر إبليس فيمن أمره من الملائكة بالسجود لآدم ، ثم استثناه جل ثناؤه من الملائكة الذين أمروا فسجدوا ، فأثبت لكل الملائكة السجود ونفاه عن واحد منهم هو : إبليس ولهذا قال محمد بن إسحاق : « أما العرب فيقولون ما الجن إلا كل من أجنَّ فلم يرَ ، وأما قوله : إلا إبليس كان من الجن أي كان من الملائكة ، وذلك أن الملائكة اجتنوا ، فلم يروا . وقد قال الله جل ثناؤه - (وجعلوا بينه وبين الجنة سبباً ولقد علمت الجنة أنهم لم يحضروا) .

وذلك لقول قریش : إن الملائكة بنات الله^(١) .

ولقد جاء الطبري بشبه القائلين بأن إبليس لم يكن من الملائكة ، ثم رد عليها ، وإليك هذه الشبه لقد أخبر الله أنه خلق إبليس من نار السموم ، ولكنه لم يقل هذا عن الملائكة . ثم أخبر عن إبليس في سورة الكهف أنه من الجن . ثم إن لإبليس نسلاً

(١) وأذكرك بقول الله يرد هذه الفرية : (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ، أشهدوا خلقهم ، مستكتبين شهادتهم ، ويستلون - الزخرف : ١٩) ولعل في النص على أنهم « عباد الرحمن » إشارة إلى إخراج من ليس منهم من عباد الرحمن ، وهو إبليس .

وذرية ، والملائكة لا يتناسلون ، ولا يتوالدون . وإليك رد ابن جرير الطبري على هذه الشبهة « وهذه علل تنبئ عن ضعف معرفة أهلها ، وذلك أنه غير مستفكر أن يكون الله جل ثناؤه خلق أصناف ملائكته من أصناف من خلقه شتى ، نخلق بعضاً من نور ، وبعضاً من نار ، وبعضاً مما شاء من غير ذلك . وليس فيما نزل الله جل ثناؤه الخبر عما خلق منه ملائكته ، وإخباره عما خلق منه إبليس ما يوجب أن يكون إبليس خارجاً عن معنهم . إذ كان جائزاً أن يكون خلق صنفاً من ملائكته من نار كان منهم إبليس وأن يكون أفراد إبليس بأن خلقه من نار السموم دون سائر ملائكته ، وكذلك غير مخرجه أن يكون كان من الملائكة بأن كان له نسل وذرية لما ركب فيه من الشهوة واللاذة التي نزعته من سائر الملائكة لما أراد الله من المعصية . وأما خبر الله عنه أنه من الجن . فغير مدفوع أن يسمى ما اجتن من الأشياء عن الأبصار كلها جناً . وما أستشهد بابن جرير على كتاب ربي ، وإنما آخذ منه شهيداً لكتاب ربي سبحانه . وإليك ما يقوله شاهد آخر ، وهو البيضاوي في تفسيره لسورة البقرة ، « والآية تدل على أن آدم أفضل من الملائكة المأمورين بالسجود له ولو من وجه ، وأن إبليس كان من الملائكة ، وإلا لم يتناوله أمرهم ، ولم يصح استثناءه منهم ، ولا يرد على ذلك قوله سبحانه وتعالى (إلا إبليس كان من الجن) لجواز أن يقال : « إنه كان من الجن فعلاً ، ومن الملائكة نوعاً ، ولأن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - روى أن من الملائكة ضرباً يتوالدون يقال لهم الجن ، ومنهم إبليس » ثم يقول « وإن من الملائكة من ليس بمعصوم ، وإن كان الغالب فيهم المعصمة كما أن من الإنس معصومين ، والغالب فيهم غير المعصمة . ولعل ضرباً من الملائكة لا يخالف الشياطين بالذات ، وإنما يخالفهم بالعوارض والصفات كالبررة والفسقة من الإنس والجن يشملهما ، وكان إبليس من هذا الصنف كما قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، ولذلك صح عليه التفسير عن حاله والهبوط من محله كما أشار إليه بقوله عز وعلا (إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه) والذي جعل الأثرية من مفسري السلف يقولون إلى هذا هو أن جميع الآيات التي وردت فيها هذه القصة تثبت

أن الله أمر الملائكة بالسجود ، وأنهم سجدوا إلا إبليس . فأكد الاستثناء أنه منهم .
ولقد حاول آخرون إثبات أن إبليس لم يكن من الملائكة ، وأجابوا عن هذا
الاستثناء بأجوبة تافهة . منها أنه نشأ بين الملائكة ، وكان مغموراً بالآلوف منهم ،
فغلبوا عليه . ومنها أن الجن كانوا مأمورين بالسجود مع الملائكة ، ومنها أن الاستثناء
منقطع أى لا يستلزم أن يكون ما بعد إلا من جنس ما قبلها . وما ساقوه قول بلا بيئة ،
وطمن في فصاحة القرآن وبلاغته وهديه فكيف بينا نقف في وجه الحق المحكم المشرق ،
وفى تدره عبرة تثير في النفس .

الخوف من سوء العاقبة ، وتدفعها إلى التطامن والخشوع والخضوع وعدم الفرور
بما قدمته من طاعات وتحملها على مقت هذه الصفة المقتية . صفة التكبر التي جعلت
من إبليس شيطاناً بعد أن كان مَلَكاً ، وتحملها على الإيمان بأنه لا ينفع الإنسان
في دينه نسبه ، ولا حسبه ، فهذا إبليس كان منتسباً إلى الملائكة ، ثم تعالى على الله ،
فرجته لعنة الله سبحانه أبداً^(١) فلم ينفعه نسبه .

« كان من الجن » جاء في ابن كثير عن ابن عباس « آى من خزان الجنسان
كما يقال للرجل : مكى وعدنى وبصرى . ونسب إليه تفسيراً آخر « كان من حى يسمون
جناً » وآخر . « إن من الملائكة قبيلة من الجن ، وكان إبليس منها » ونسب إلى سعيد

(١) ومع ذلك يزعم أقطاب الصوفية أن إبليس عظيم ، وأنه من أعلم الناس بالأدب
الذى يجب أن يكون لله . يقول الجبلى في كتابه (الإنسان الكامل) ص ٤٦ ج ٢ ط ١٣٩٣
ما يأتى : « خلق إبليس وأتباعه من حيث صفات الجلال والظلة والضلال من نفس محمد
صلى الله عليه وسلم » ويعقب على جواب إبليس الذى قصد الله وهو قوله : (أنا خير منه)
فيقول : « وهذا الجواب يدل على أن إبليس الذى من أعلم الخلق بأداب الحضرة ، وأعرفهم
بالسؤال وما يقتضيه من الجواب » ويفسر الجبلى لعنة الله لإبليس تفسيراً صوفياً ثم يقول
« فإذا انقضى يوم الدين فلا لعنة » ثم يقول : « فلا لعنة بل قرب محض فحينئذ يرجع
إبليس إلى ما كان عليه عند الله من القرب الإلهى » .

ابن جبير قوله : « كان من الجنانين الذين يعملون في الجنة » ثم يقول ابن كثير ، « وقد روى في هذا آثار كثيرة عن السلف ، وغالبها من الإسرائيليات التي تنقل ؛ لينظر فيها والله أعلم بحال كثير منها ، ومنها ما قد يقطع بكذبه لمخالفته للحق الذي بأيدينا ، وفي القرآن غنية عن كل ما عدها من الأخبار المتقدمة » . وهي كلمة طيبة من ابن كثير .

أما قوله تعالى « كان من الجن » فأصوب قول قيل هو : أى كان من الملائكة ولا سيما وأن القرآن قد أطلق على الملائكة أنهم جنة ، وأقول : أصوب ؛ ليوافق المعنى المفهوم من الاستثناء . فإن ما نخرجه بأداة الاستثناء ^(١) ألا يكون من جنس ما قبلها اللهم إلا في الكلام غير الفصيح .

« ففسق عن أمر ربه » فخرج عن طاعة الله بالمعصية ، أو عدل عن سواء السبيل إلى طريق آخر يلعن الله من يسلكه ، أى جار عن القصد ، ومال عن الاستقامة . وهذا القول يفيد أن إبليس كان على صراط مستقيم ، ثم عدل عنه إلى غيره . وقد خرج إبليس إلى معصية وكفر من طاعة وإيمان .

« أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني ، وهم لكم عدو » الهمزة للإنكار وللتعجب فالفطرة التي لم تجر عن قصدتها ، ولم تأذن للشر أن يدنسها تحب الخير وتكره الشر تحب من يحبها ، وتبغض من يبغضها ، تحب من يحسن إليها ، وتمقت من يسيء إليها .

والآية تذكر « الله » ثم تذكر الشيطان وذريته « ثم تذكر عداوة الشيطان وذريته للأدمية ، وقد جاء التصريح بهذه الصفة بمثابة التوكيد المفهوم من الآية ، فإباء إبليس عن السجود ، وردة الحاقد الجاحد يقرر عداوته ، ولكن أبى الله إلا أن يزيدنا بهذه الصفة بصراً . فذكر « وهم لكم عدو » ، وذكر « الله » يذكر بالآية ، يذكر بالنعمة الأولى ،

(١) يفيد الاستثناء إخراج مالولاه ، لدخل ، ويصح دخوله ، فهل يصح دخول إبليس إن نفينا عنه كونه من الملائكة ؟ ١٢ .

وهى الخلق ، يذكر بأعظم تكريم ، وهو خلق آدم بيديه ، يذكر بإسجاد الملائكة له
يذكر بفضلته ورحمته فى تعليمه الأسماء كلها ، دون الملائكة ، يذكر بفضلته ورحمته فى
تعليمه لآدم كلمات يتوب بهن ، يذكر بفضلته فى قبول التوبة .

« وذكر الشيطان وذريته » يذكر بالعداوة المستمرة والبغضاء الجحود المقيتة ، والحمد
الحموم والى الكيد الدنى ، والتكبر على الخلاق العظيم ، والسكد فى سبيل تدمير معالم
الإنسانية ومفوماتها الإيمانية والخلقىة والفكرىة التى مَنَّ الله بها عليها . . . مقارنة يتضح
فيها الحق انضاحاً عظيماً مشرقاً « وذكر الولاية » يدفع إلى التفكير فيمن هو أحق بها
وأولى ، وعقل المؤمن وقلبه لا يتردد لحظة واحدة فى الإيمان بأن الله وحده هو الولى وبأنه
الأحق بموالاته الخلق له .

أما من يتردد فى هذا أو يرتاب ، أو ينسب الولاية إلى غيره ، أو يوالى سواه ، فهو
— ولا ريب — يثير العجب ، ويدفع إلى الإلكار عليه ، لأنه بهذا يثبت أنه كفور ،
أو أنه ليس بآدمى .

قد ذكر الله بنعمه وحبه ، وذكر الشيطان بفقره وفخشائه وعداوته ، مقارنة بين اثنين
لا يتردد آدمى أبداً فى الإيمان بأن أحدهما هو الله هو الذى يستحق أن يُعبَد وحده
ويُوالى وحده .

وذرية إبليس هم شياطين الإنس والجن ، أى كل من سلكوا طريقه ، ودعوا
بدعوته ، سواء أكانوا من جنسه أم من غير جنسه . (وكذالك جَمَعْنَا لكل نبي عدواً
شياطين الإنس والجن ، يوحى بعضهم إلى بعض زُخْرُفَ القول غُروراً ، ولو شاء ربك
ما فلبوا ، فذَرَهُمْ وما يفترون . وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفئدةُ الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وليرضَوْهُ ،
وَلِيَنْتَرِفُوا ما هُمْ مُقْتَرِفُونَ الأنعام : ١١٢ ، ١١٣) .

وابس معنى هذا نفي أن يكون لإبليس ذرية من جنسه . فالآية تفيد هذا وذاك ،
ولكن كيف يتناسل إبليس ؟ لن أجيب ، لأن الأمر غيب ، وأمر الغيب عند عالم الغيب
ورب الغيب والسموات والأرض ، وحسب المؤمن طمأنينة وسكينة .

« بئس للظالمين بدلا » إن كلمة « بدل » وحدها تعطي الحكم على هؤلاء الظالمين بأنهم ظالمون لأنفسهم قبل كل شيء . فقد جعلوا الشيطان وذريته أولياء بدلا من جعل الله سبحانه ، فاتخاذ الشيطان وذريته هو البديل المذموم بقوله سبحانه « بئس » ١١ .
الله جل جلاله .

والشيطان لعنه الله .

لقد جاء الظالمون ، وأبوا ولاية الله ، وجعلوا الشيطان لهم وليا ، فكان يايئس ، وياشؤم البديل ، تصور رجلا فقيرا بائسا تفسا يعطى قصرا منيعا في جنان ناضرات مشمات ، ثم هو تعرض عليه قصة أرض صفراء جرداء تصفر فيها ريح السموم ، وتدوى في جوائها أصوات منكرة مفزعة من هيبه من فحيح الثعابين وعواء الذئاب ، ونعيب يوم فيأخذ هذه بدلا من قصره وجنانه .

تصور هذا ثم احكم عليه .

وتدبر اتخذ الشيطان وليا بدلا من اتخذ الله .

« فاطر السموات والأرض أنت إلهي في الدنيا والآخرة ، توفي مسلما ، وألحقني بالصالحين » .

عبد الرحمن الوكيل

داء الكلام

قال أبو نواس :

مت بداء الصمت	خير لك من داء الكلام
إنما العالم من	ألم فاه بلجام
ربما استفتح	بالمزح مغاليق الحمام
والنبايا آكلات	شاربات للأنعام

بل رفعه الله إليه

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . وبعد فإن الله تبارك وتعالى يتعرف إلى عباده بأسمائه وصفاته ، ويوضح في معرض بيان قدرته على كل شيء أموراً تنصب على عقول العباد وتضطدم بما اعتادوه من السنن العادية في الحياة إذالم يدرعوا بالإيمان والتصديق والإذعان بما لله تعالى من قدرة لا يدركها عجز ولا وهن .

ومما قصه الله تعالى دليلاً على شامل قدرته وعظيم سلطانه حياة عبده الصالح عيسى ابن مريم عليه السلام ، وما اكتنفها من أولها إلى يوم رفعه ، من عجائب الخلق وغرائب الإعجاز .

فإن مما استقر في أفهام الناس وثبت في يقينهم بعد الخلق الأول (آدم وحواء) أن الكائنات لا توجد إلا من ذكر وأنثى (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) ولم يدر بخلد أحد من العقلاء أن حياً يخلق في دنيا الناس من أحد زوجي الكائنات الحية . والله تبارك وتعالى واضع السنن وهو موجد قوانين الحياة ورأسم طريق سيرها ، ولذلك أراد سبحانه أن يبين أن السنن والقوانين لا تقف في طريق إرادته لأنه هو واضعها ومقررها . ورهن الله تعالى عملياً على ذلك فإنه تعالى خلق آدم على غير مثال سابق بغير حاجة إلى ذكر ولا أنثى كما خلق حواء من ذكر بغير أنثى (خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها) .

أما عبد الله ورسوله عيسى عليه السلام فإنه خلقه من أنثى فقط ، بخالفاً في ذلك ماجرت عليه سنة الخلق منذ فجر الحياة إلى يوم الناس ذاك .

فبينما الطاهرة الصالحة مريم ابنة عمران محتمية في مكان شرقي ، لتتوفر على ما كرت له حياتها من عبادة الله تعالى ، إذ فاجأها الملك من قبل ربها متمثلاً بشراً (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً . فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا

إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً . قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً . قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم اك بغيا . قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً . (فصلته) سورة مريم .

فأذهلت المفاجأة أمة الله الصالحة ، فكان من مقتضى رحمة الله بها زيادة فى طمأننتها وإسكان جأشها أن جاءت الملائكة تؤنسها وتبشرها بما سيكون لها فى بطنها من شأن وأى شأن . (إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً فى الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلم الناس فى المهد وكهلاً ومن الصالحين . قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) سورة آل عمران .

وبينا مريم الصديقة بين عالمى القهول من المفاجأة الغريبة والفرح بالبشرى العظيمة ، إذ أحست بالحمل فى بطنها يتحرك كسائر الأجنة فى بطون أمهاتها — ذلك أنه لما كان حملها بدون عمل على غير مألوف سابق ، كان من أسباب اطمئنان قلبها أن يكون حملها ووضعها مغايراً فى كل أطواره ما اعتاده الناس — فلم يكن بين الحمل والولادة وقت يسمح لبنى إسرائيل أن يظهروا على أمرها ، فإنه لو كان حملها عادياً ومكثت تنتظر الولادة بعد تسعة أشهر ، لما خفى أمرها على أهلها ومرتادى المسجد من غير أهلها ، وكان من انتشار نبأ حملها من أسباب الإساءة إليها ما أراد الله تعالى أن يجنبها إياها ، وهكذا لم يكن بين الحمل والولادة وقت يسمح لأحد باكتشاف أمرها ، ماراعهم إلا أن أتت به قومها تحمله . فاسمع إلى قوله تعالى :

(فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً . فأجاءها الخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً . فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريباً . وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً . فكلى واشربى وقربى عينا فإما ترين من البشر أحداً . فقولى إني نذرت للرحمن صوماً فإن أكلهم اليوم إنسياً) . سورة مريم .

وبهذه الطريقة الفذة في الحل والوضع ، وتحقيق بشارة الملائكة من تكلم الوليد في المهد مهدتاً من روح أمه ومطمئناً لها - وبذلك كله سكن روح مريم وأنت به قومها تحمله وهي مطمئنة تماماً إلى تحقيق سائر ما بُشِّرَتْ به .. يقول ربنا سبحانه :

(فأنت قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جنّتي شيئاً فرياً . يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً . فأشارت إليه ا قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً . قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً . وجعلني مباركاً أين ما كنت وأرسلني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً . وبرا بوالدي ولم يجعلني جباراً شقياً . والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً) سورة مريم .

فأسقط في يد بني إسرائيل وركبهم الغيظ كسابق شأنهم . وبدأ كيدهم من يومه ذلك إلى يوم أحس عيسى منهم الكفر ، ونادى من أنصارى إلى الله .

وهكذا كان قدوم المسيح عيسى بن مريم إلى هذا العالم مغابراً ومخالفاً لمألوفات السنن الجارية فإنه خلق من أنثى وخلق الناس من ذكر وأنثى ، وفي يوم أو بعض يوم كان حمله وخلقه امرأ مقضياً ، فأجاءها الخاض وتم وضعه غلاماً زكياً ، يكلم الناس في المهد وينطق بالحكمة وفصل الخطاب إثباتاً لقدرة الله تعالى على ما يشاء ومتى يشاء وكان من آيات الله الكبرى كما يقول الله تعالى (وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناها إلى ربوة ذات قرار ومعين) سورة المؤمنون .

(إن مثّل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) سورة آل عمران .

وبرأ الله تعالى ساحة مريم من بهتان بني إسرائيل وافتئاتهم وطهرها عما افتروه عليها من باطل الاتهام .

ولكن بني إسرائيل لم تنكسر حدة غيظهم وحسدهم ، فكذبوا بآيات ربهم وأصروا

على عنادهم جاحدين رسالة عيسى عليه السلام المدعمة بأغرب المعجزات . ومن ذلك ما يقصه الله تعالى حيث يقول :

١ - (وإذا قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصداقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد ، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) سورة الصف .

٢ - (ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ، ورسولا إلى بني إسرائيل أنى قد جئكم بأية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ، وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله ، وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين) سورة آل عمران .

٣ - (وإذا قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلاً ، وعلمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ، وإذا تخلى من الطين كهيئة الطير بإذنى ، فنفخ فيه فيكون طيراً بإذنى ، وتبرئ الأكمه والأبرص بإذنى ، وإذا تخرج الموتى بإذنى ، وإذا كففت بنى إسرائيل عنك إذ جئهم بالبينات ، فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين) سورة المائدة .

وهكذا اكتنفت غرائب الآيات سيرة عيسى عليه السلام ، فى حمله ، وطفوانه ، وكهولته ، حجة على مخالفيه وتثبيتاً لمن آمن به واتبعه ، حتى سألته الخواريون ما قص علينا القرآن الكريم فى سورة المائدة :

(إذ قال الخواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟ قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين . قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقنا ونكون عليها من الشاهدين) .

(قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا

وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين . قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين) .

فكانت النتيجة الحتمية لهذه السلسلة المتصلة من الخوارق للنعمة أن لجأ بنو إسرائيل إلى محاولة الخلاص من هذا الداعى القوي بتحريض حكام الرومان عليه .
وهى حيلة سائر معاندى الحق فى كل المصور مع كل رسول .

فلما أحكموا تدبيرهم وظنوا أنهم قد أدركوا غايتهم وأعدوا من أدوات الفتك والتفكيك ما شاءت لهم طبيعتهم الإجرامية ، وأحاطوا بالمكان الذى آوى إليه المسيح عليه السلام ، وصاروا منه قاب قوسين أو أدنى وأيقنوا أن لا محيص له من الوقوع فى براثنهم !

هنالك قهر تدبير الله تدبيرهم ورد كيدهم وبشر الله رسوله أنه لا سبيل لهم إليه ، وكانت النهاية خاتمة المعائب والغرائب فى تلك السلسلة الطويلة من المفاجآت المذهلة . يقول سبحانه (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين . إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا ، وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة) سورة آل عمران .

ويقول تعالى :

(وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا . بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكماً) سورة النساء .

يبين الله تعالى فى هذه الآيات أنه أطلع على ما بيته أعداء عيسى عليه السلام من السكيد الإجرامى وما أرادوه من قتله وصلبه تفالياً فى محادة الله فى شخص رسوله عيسى عليه السلام .

ولما كان كل هم بنى إسرائيل منحصراً فى التخلص من للسبيح بقتله وصلبه ، وكان حقاً على الله نصر المؤمنين ، أنفذ الله تعالى عبده ورسوله من المصير المؤلم الذى بيته أعداء الله

وذلك مصداق قوله تعالى : (وما قتله بقينا . بل رفعه الله إليه) في سورة النساء ، تأكيداً وتوضيحاً لقوله تعالى (يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا) من سورة آل عمران . .

وفي تفسير هذه الآيات اجتمعت كلمة مفسري السلف على أنه إنما رفع حياً بجسده وروحه مع اختلاف بسيط في معنى التوفى ، فمنهم من قال إن التوفى هنا معناه الإنامة كما في قوله تعالى : (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى) .

ومنهم من فسر التوفى بالقبض من الأرض والرفع إلى السماء . وأن عملية الرفع نفسها هي التوفية وأغلب السلف على هذا القول .

ومنهم من قال : الآية فيها تقديم متأخر لأن العطف بالوار لا يفيد الترتيب وعلى هذا يكون المعنى : إني رافعك وإني متوفيك عند انتهاء أجلك ، ولن ينال خصومك منك شيئاً . وقلة منهم ذهب إلى القول بأن متوفيك معناها مميتك وأضاف أصحاب هذا القول أنه أميت ثلاث ساعات من نهار حتى رفعه الله إليه .

ولا يؤثر هذا الاختلاف الجزئي في العقيدة التي أجمع عليها سلف الأمة وهي رفع عيسى عليه السلام حياً ، إنقاذاً وتطهيراً له من أعدائه الذين لم يريدوا إلا قتله ، إذ لا يستقيم في الأفهام أبداً أن يكون إنقاذ الله تعالى رسوله عيسى عليه السلام حين أرادوا إهلاكه بأن تولى هو سبحانه إيمانه !

ومن عجائب أمر المجددين من متأخري العلماء أنهم يصمون آذانهم ، ويردون أبصارهم عن صحيح الأخبار المروية بأقوى الأسانيد في أصح كتب الأحاديث ، لأنها تقف دون تجديدهم المستند إلى رد الصحيح الثابت من الأحاديث وتجريح أئمة الهدى وحلة الدين ، ومنهم من يصرح ، ومنهم من يلمح من طرف خفي . ونحن نورد هنا بعض ما ذخرت به كتب الحديث مكتفين بالصحيح الثابت :

حديث نزل عيسى عليه السلام

١ - عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده ليوشكن^(١) أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، وحتى تكون السجدة خيراً له من الدنيا وما فيها » رواه البخارى ومسلم بطرق متعددة كثيرة .

٢ - ومنه رضى الله عنه بطريق آخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ينزل ابن مريم فيقتل الخنزير ويمحو الصليب وتجمع له الصلاة ويعطى المال حتى لا يقبل ، ويضع الخراج ، وينزل الروحاء فيحجج منها أو يعتمر أو يجمهها » رواه مسلم .

٣ - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كيف بكم إذا نزل فيكم ابن مريم وإمامكم منكم » رواه البخارى .

٤ - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليهان عيسى بن مريم بفج الروحاء بالحج أو العمرة أو ليشينيهما جميعاً » رواه الإمام أحمد .

وتواردت الروايات الكثيرة عند جميع رواة الحديث دالة على إجماع السابقين الأولين وأهل القرون المفضلة جميعاً على عقيدة السلف وهي رفع عيسى عليه السلام خياً وأنه ينزل حين يشاء رب العالمين .

وهذه الأحاديث الصحيحة التى لا خلاف على صحتها والتى نكتفى بإيرادها من بين الكثير مما روى فى هذا الباب ، نقول : إن هذه الأحاديث المتفق على صحتها انشرفت لها صدور مفسرى الساف . وعلى ضوئها فسروا ما ورد فى كتاب الله تعالى فى أمر المسيح عليه السلام إيماناً منهم بأنه صلى الله عليه وسلم « كان خلقه القرآن » .

(١) هكذا بالتوكيد ، باللام فى أول الكلمة وبالنون فى آخرها - فهل كان عليه السلام

يشير إلى احتمال ظهور من يكذبون بذلك ؟ - ربما !

ولكن بعض مفسرى القرن العشرين أشاحوا بوجوههم عن مالا يتمشى مع رغبتهم في التجديد ، وراحوا يترجمون آيات القرآن على ضوء شهوة التجديد ، وتابعهم من تأثر بسحرياتهم وإجادتهم في الدفاع عن الدين وتجريده من البدع والخرافات .

ونحن نتابع من أجاد فيما أجاد فيه ، ونخالقه ونزد قوله فيما خالف فيه عقيدة السلف للدعامة بالصحيح من كلام رسول رب العالمين ، فنحن إنما نتابع من تابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونخالف من خالف سنته وهديه كائنًا من كان ، وكل إنسان يؤخذ من قوله ويترك إلا نبي الله صلى الله عليه وسلم .

وها نحن نعود إلى ماسبق أن أوردنا من صحيح السنة ، ونستقرئ كل ماورد في أمر عيسى عليه السلام واضعين نصب أعيننا أن لا نتكلم في القرآن إلا على ضوء ماصح من الأمور بيانه للناس .

وعلى هدى مشكاة النبوة التي سار على نورها سلف هذه الأمة من أمثال : سعيد ابن المسيب ، وابن شهاب الزهري وسفيان بن عيينة والليث وسفيان الثوري ومالك والشافعي وأحمد والإمام البخاري ومسلم ، وغير هؤلاء من أئمة الهدى ، يتبين بجلاء ووضوح صحة التفسير الذي قدره مفسروا السلف في رفع عيسى حيا ونزوله عند مايشاء الله تعالى .

ونورد باختصار محادثة بيني وبين أحد إخواني ممن بهرهم تجديد المجددين ، فبعد إيرادى لسائر الأحاديث السابق بيانها ، وذكر أقوال الصحابة والتابعين ، قالى صديقى : إذا كان المسيح قد رفع حيا — فما طريق حصوله على مقومات الحياة ، إذ لا حياة بغير طعام وشراب وما يترتب على تناول الطعام والشراب ؟ .

قلت : لملك تريد أن تقول : إنه ليس فى السماء طعام ولا شراب ، فمن أين يأكل المسيح ، وإذا وجد الطعام والشراب فأين يقضى حاجته ، إذ لا مراحيض فى السماء ؟ . قال صديقى : نعم ، إن ذلك هو ما قصدت .

قلت : ألا تعلم أن هناك أحياء على وجه الأرض لم يبلغوا عند الله تعالى مكان المسيح

من الكرامة والوجاهة ، وهم مع ذلك قد عاشوا بفقر حاجة إلى مقومات الحياة التي ترى أن لا حياة بدونها ، ولا أعوذتهم حياتهم إلى مراحض يقضون فيها ما يقضى سائر الناس ، لأنهم وإن كانوا قد عاشوا أضعاف أضعاف أعمار الأصحاء من أهل هذا الزمان ، إلا أنهم لم يأكلوا ولم يشربوا وبالتالي لم يحتاجوا لقضاء حاجة ؟ .

قال : إن ما نقول لم يطرق شيء منه سمى ولا بصرى .

قلت : تعال نقرأ معاً من كتاب الله تعالى قوله : (إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى . وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً لقد قلنا إذا شططاً . هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً . وإذا هم نزلموه وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقاً . وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضل فلن تجد له ولياً مرشداً . وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً) . إلى قوله تعالى : (ولبنوا في كهفهم ثلاث مائة سنة وازدادوا تسماً) .

ثم نظر بمضنا إلى بعض في سكوت عميق .

والعجب العجيب أن يمر أحدهم في سيرة المسيح بكل هذه الخوارق العجيبة ، الواحدة بعد الأخرى مرور الموقن المصدق ، ثم يزعم أن عقله يشكل عليه هضم أقل تلك المعجزات غموضاً ، فإن رفع عيسى حياً ثم نزوله حين يريد الله ليس في حقيقة بأغرب من حمل مريم بفقر بعل ، ولا من ولادته وتكلمه في المهد ، ولا من خلق الطين كهيئة الطير ، والنفخ فيه ليكون طيراً ، ولا من سائر ما يوقن المؤمنون به من خوارق قوانين الطبيعة ،

وسنن الحياة وهى خوارق توات وتتابعت من يوم حملت به أمه حتى اختتمت برفعه ، والله عزير حكيم .

مالكم أيها الناس ؟ إذا قال الله تعالى إن موسى عليه السلام ضرب بعصاه البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ، قلتم لم يكن ذلك إلا لآلة والجزر ، وإذا قال الله تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر) قاتم لم ينشق القمر ، لأن المؤرخين لم يذكروا ذلك ، وإذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ينزل فيكم ابن مريم حكماً وعديلاً » رددتم عليه قوله لأنكم لم تهضموا القول بأن الله تعالى رفعه إليه كما قال فى كتابه (وما تفلوه يقينا بل رفعه الله إليه) مع أن من الواضح أن الرفع كان إنقاذاً وتخليصاً للمسيح عليه السلام بما أراد له الكافرون . ولم يكن مجرد رفع لدرجته ومكانته .

هدانا الله ويأكم إلى الحق وإلى الصراط المستقيم .

عبد اللطيف مدين

التبرعات « لصندوق الإعانة »

إننا نهيب بجميع الاخوان أن يسارعوا بإرسال تبرعاتهم وزكاة أموالهم أو بعضهم - أجزل الله مشيبتهم - حتى يمكن تغطية الإعانات الدائمة التى تصرف شهرياً للأسر المحتاجة . والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه .

وترسل التبرعات باسم الأخ محمد رشدى خليل أمين صندوق جماعة أنصار السنة المحمدية المركز العام شارع قوله - عابدين - القاهرة .

توحيد الله عز وجل

ومن أسمائه الحسنى سبحانه (الباعث والوارث) قال الشاعر :

بالباعث الوارث الأموات قد ضمنت إياهم الأرض في دهر الدهار ير
أما الباعث فهو فاعل البعث ، وأصل البعث الإشارة والتحريك ، وقد ورد فعل
البعث مسنداً إلى الله عز وجل في مواضع كثيرة ، من القرآن الكريم بمعان مختلفة منها
إحياء الموتى ، وهذا البعث منه ما وقع بالفعل في الدنيا كقوله تعالى في خطاب بني إسرائيل
(وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الساعة وأنتم تنظرون .
ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون) .

وكقوله في شأن الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها ، قال أنى يحيى هذه الله
بعد موتها (فأما الله مائة عام ثم بعثه) .

وكقوله تعالى في شأن أصحاب الكهف (فضربنا على آذانهم في الكهف سنين
عدداً . ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً) .

ومنه ما يقع يوم القيامة ، وأكثر ما ورد البعث في القرآن بهذا المعنى الذى هو
إخراج الناس من قبورهم أحياء ، وكان المشركون ينكرونه ويستهزئون برسول الله صلى الله
عليه وسلم حين يخبرهم بوقوعه ويستعجلونه ، ولهذا عني القرآن بتوكيده وأقسم عليه وأكثر
من إيراد الأدلة المثبتة له كقوله تعالى من آخر سورة يس (وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه
قال من يحيى العظام وهى رميم . قل : يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم .
الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم توقدون . أوليس الذى خلق
السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم) .

والإيمان بهذا البعث أحد أركان الإيمان الستة التى وردت في حديث جبريل

عليه السلام حيث قال له الرسول صلى الله عليه وسلم حين سأله عن الإيمان « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وتؤمن بالبعث بعد الموت ، وتؤمن بالقدر » .

وقد اختلف الناس في كيفية هذا البعث فمنهم من زعم أن هذه الأجساد التي كانت في الدنيا تنعدم بالسكلية ، ثم يوجدهم الله بعد العدم إيجاداً مثل الإيجاد الأول ، ومنهم من ذهب إلى أن الله ينشئ أجساداً جديدة لا صلة لها بالأجساد الأولى ، ويعيد الأرواح إليها ، وكلا الرأيين خطأ محض وضلال بين ، بل الذي دل عليه صريح الكتاب والسنة أن هذه الأجساد التي كانت في الدنيا هي التي تبعث بأن يجمع الله أجزاءها المتفرقة ، ويؤلف بينها ويخلقها خلقاً جديداً ، ويعيد الأرواح إليها ، وهو الذي يقتضيه عدل الله وحكمته . فإن هذه الأجساد هي التي باشرت الطاعة والمعصية في الدنيا فلا بد أن تباشر جزاء ذلك أيضاً ، إما ثواباً ولذة على الطاعة ، وإما عقوبة وألماً على المعصية .

على أن البعث لو كان متعلقاً بأجساد جديدة بالسكلية لما استبعد المشركون ، فإنهم يرون كل يوم مالا يحصى من الأشخاص التي يخلقها الله بالولادة ، بل كان منطعهم هو أن هذه الأجساد التي بليت وتفتتت وضلت في الأرض كيف تعود إليها الحياة مرة أخرى ، ولقد حكى القرآن شبهتهم هذه أكثر من مرة كقوله من سورة بنى إسرائيل (وقالوا أنذا كنا عظاماً ورقاقاً أننا لمبعوثون خلقاً جديداً) وكقوله من سورة ألم تنزيل السجدة (وقالوا أنذا ضلانا في الأرض أننا لفي خلق جديد ؟) .

ومن معاني البعث التي وردت في القرآن كذلك إيقاظه سبحانه النائمين برد أرواحهم التي خرجت عند النوم إليهم كما قال تعالى من سورة الأنعام (وهو الذي يقوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقتضى أجل مسمى) وكقوله من سورة الزمر (الله يتوفى الأنفس حين موتها ، والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى) .

ومنها : بعثه الرسل عليهم الصلاة والسلام إلى قومهم مبشرين ومنذرين وبه معرفين

وإليه داعين كما قال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة) .

وأما اسمه تعالى (الوارث) فمعناه الذى يصير وينتهى إليه كل شيء بحيث لا يبقى لأحد معه شبهة ملك ولا شائبة تصرف فى شيء من الأشياء ، فإن الله خلق لبني آدم جميع ما فى الأرض ، وسخره لهم وملسكهم إياه وأذن لهم فى الانتفاع به مدة بقاء هذه الدنيا ، فإذا مات الناس وقامت القيامة آلت هذه الأشياء كلها إلى مالكها الحقيقى جل شأنه ، قال تعالى من سورة الحجر (إنا نحن نحيى ونميت ونحن الوارثون) .

وقال تعالى من سورة مريم عايتها السلام : (إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون) .

يقول الغزالي :

(الوارث) هو الذى يرجع إليه الأملاك بعد فناء الملاك ، وذلك هو الله سبحانه ، أذ هو الباقي بعد فناء خلقه وإليه يرجع كل شيء ومصيره ، وهو القائل إذ ذاك (لمن الملك اليوم) وهو المجيب (لله الواحد القهار) هـ .

محمد خليل هراس

كلية أصول الدين

جميع منتجات الألبان الطازجة وأنخر أنواع البقالة

تجدها عند شركة

شاكر القمبشواوى وعبد المجيد الشريف

٤٥١ شارع بور سعيد (بين الصورين سابقا) بالقاهرة

سجل تجارى رقم ٧٥٦٩٣

تليفون ٩٠٧٤٠٤

جواب خاطيء

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم : ما شاء الله وثبت . فقال : « أجعلتنى لله نداً . قل ما شاء الله وحده » رواه النسائى .

غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الذى سوى بينه وبين الله تعالى فى المشيئة ، وكأنه يقول : أجعلتنى لله مثلاً وشريكاً ؟ لا ينبغى لك أن تسوينى بالله ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

قال شارح كتاب التوحيد لابن عبد الوهاب . وهذا يبين أن النهى عن الشرك بالله عام ، لا يصلح منه شيء لأن الملك مقرب ولا نبي مرسل ، ولا للكعبة التى هى بيت الله فى أرضه . اهـ

دعائى لهذه المقدمة فى بيان الشرك من التوحيد ، من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما قرأته فى باب بريد القراء من مجلة « لواء الإسلام » التى تصدر بالقاهرة - عدد صفر سنة ١٣٨٣ - من إجابة بعضهم على سؤال لأحد القراء من نيالا بالسودان جاء فيه :

« بينما كنا جلوساً فى مجلس إذ قام واحد من الحاضرين - منصرفاً - وقال (استودعكم الله ورسوله) فاعترض أحد الحاضرين وقال : إن هذا شرك . ودارت مناقشة انقلبت إلى معركة . وهو يريد أن يعرف الحكم فى ذلك » .
ومن غريب أمر الحبيب على هذه المسألة قوله :

« ليس فى كلمة استودعكم الله ورسوله شيء من الشرك . أو خروج عن تعاليم الدين الحنيف . فإن الله تبارك وتعالى قد قرن اسم النبي صلى الله عليه وسلم باسمه تعالى فى كثير من آى الذكر الحكيم ، وليس فى هذا أى معنى من معانى المشاركة » .

أقول : وإيمته وقف عند هذا الحد من الخلط ، بل قال : « فإن اسم الرسول صلى الله عليه وسلم يأتي دائماً بعد اسم الله معطوفاً عليه . فلا داعي للنقاش ولا للشجار » اهـ .

لو أن السائل طلب من المفتي رأيه لكان له أن يجيب بمثل تلك الإجابة ، لأن ذلك رأيه ومبلغ فهمه . ولكن السائل « يريد أن يعرف الحكم في ذلك » كما هو نص سؤاله الوارد بالجملة . ولا شك في أن المراد بالحكم هنا هو حكم الله ، أو ما جاء عن الله ورسوله في مثل تلك المسألة التي اختلفت فيها الآراء (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله) . ولكنه لم يفعل وإنما أفناه بكلام هو إقرار منه لعين الشرك ، وإذا لم يكن هذا الذي قيل شركاً ؛ فكيف يكون الشرك ؟

إن الذي أفتى في هذه المسألة لم يفهم حقيقة قول القائل (استودعكم الله ورسوله) لأنه لو علم حقيقة مؤداها - كما سأبينه بعد - لأفناه بما يطعن نفس السائل ويريح ضمير المؤمن . وإلا فقل بربك - أيها القارئ الكريم - ماذا يفهم السائل من قوله « إن الله تبارك وتعالى قد قرن اسم النبي صلى الله عليه وسلم باسمه تعالى في كثير من آي الذكر الحكيم ؟ » دون أن يأتي ولو بآية واحدة تؤيد زعمه ، إلا لأن ذلك زعم باطل ، ودعوى تحتاج إلى برهان .

وأيضاً فإنه لا فائدة كذلك تعود على السائل من القول « بأن اسم الرسول صلى الله عليه وسلم يأتي دائماً بعد اسم الله معطوفاً عليه » وإن كان هذا القول أكثر جرأة في باطله وأشد بطلاناً من سابقه . فإن الزعم بأن اسم الرسول يأتي دائماً بعد اسم الله معطوفاً عليه ، زور وبهتان من قائله (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً) .

إن هذه جرأة افتراء على الله ، وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم تردى صاحبها في مهاوى الضلال . وصدق الله إذ يقول : (وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم) .

إن للمؤمن إذا قال لأخيه حين مفارقتة له « استودعتك الله - فإنما يريد بذلك أن يجعله وديعة عند الله ، يحفظه ويرعاه بعين عنايته ، ذلك ما يقصده القائل - استودعتك ، وليس في هذا شك ، ولا يمارى فيه أحد . لأن حفظ العباد وكلاءتهم من أخص صفات الله تعالى . يقول عز من قائل (فالله حفيظ عليهم ، وما أنت عليهم بوكيل) ويقول (فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين) إلى آيات كثيرة في هذا المعنى . وهذا هو اللائق في جانب الله تعالى ، وهو أن يجعل المؤمن أخاه وديعة عنده يحفظه ويرعاه .

فهل يعتقد صاحب تلك الفتوى أن ذلك جائز في حق الرسول أيضاً ؟ إن ذلك شرك ولا شك . ففي الحديث القدسي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى : (أنا أغنى الأغنياء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه) رواه مسلم . ولا شك أيضاً في أن القائل لأخيه « استودعتك ورسوله » كما جاء في السؤال ، واقع في الشرك - أراد أم لم يرد - لأنه كما جعل أخاه وديعة عند الله ، يحفظه ويرعاه ، جعل الرسول - صلى الله عليه وسلم - مثل ما لله في ذلك ، ولا فرق . وهذا هو عين الشرك . يدل مع ذلك الحديث القدسي الذي قدمته آنفاً ويؤيده الحديث الذي رواه الطبراني بسنده « أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذى المؤمنين فقال بعضهم : قدموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله » .

وأيضاً فإن الحديث الذي صدرت به هذه الكلمة توضحه ويبينه . لأن النبي صلى الله عليه وسلم أنكر على الذي قال له (ما شاء وشئت) إنكاراً شديداً . لأنه صلى الله عليه وسلم لا يقبل أن يسوى بينه وبين الله تعالى بحال من الأحوال - هذا مع ماله من الجاه والمنزلة عند الله .

* * *

وأعود إلى قوله « إن الله قرن اسم النبي باسمه تعالى في كثير من آي الذكر الحكيم »
فأقول :

نعم . هذا صحيح . ولكنه لم يقرن اسم النبي صلى الله عليه وسلم مساواة له تعالى ، وإنما فرق في ذلك الاقتران فجعل ما لله الله ، وما للرسول للرسول . مثال ذلك قوله تعالى من سورة (الفتح) (لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه ، وتسبحوه بكرة وأصيلا) فجعل التعزير والتوقير للرسول . وأما التسبيح فله تعالى خاصة .

ولعل مثل هذه الآية أشكلت على صاحب الفتوى فجعلته لا يفرق بين ما لله وما للرسول ، حتى قال « ليس في كلمة استودعتمكم الله ورسوله شيء من الشرك » .

ومثال آخر يبين الفرق في مثل ذلك الاقتران ، يقول الله تعالى في سورة (التوبة) والصلوات هنا على تقسيم الزكاة والصدقات ، لأن المنافقين لم يرتضوا قسمة رسول الله لها : (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله ، وقالوا حسبنا الله ، سيؤتينا الله من فضله ورسوله ، إنا إلى الله راغبون) .

فأنت ترى أنه جعل الإيتاء لله والرسول وهو قوله (رضوا ما آتاهم الله ورسوله) ويوضح الإيتاء من الرسول صلى الله عليه وسلم قوله « إنما أنا قاسم والله المعطي » وتقول الآية (وقالوا حسبنا الله) فجعل الحسب وهو التوكل على الله والاكتفاء به وحده ، لأن الله كاف عبده ، كما تقول آية أخرى . وتقول الآية بعد ذلك . (سيؤتينا الله من فضله ، ورسوله) وهنا جعل فضل الإيتاء لله ، وجعل إيتاء الرسول تبعاً له . (إنا إلى الله راغبون) ولم يقل إنا إلى الله ورسوله راغبون . كما زعم ذلك المفتي بأن اسم الرسول يأتي دائماً معطوفاً بعد اسم الله تعالى . بل أفرد الرغبة هنا في الله ، والله خاصة .

وفي تفسير ابن كثير يقول (تضمنت هذه الآية الكريمة أدباً عظيماً وسراً شريفاً حيث جعلها الرضا بما آتاه الله ورسوله ، والتوكل على الله وحده ، وهو قوله (وقالوا حسبنا الله) وكذلك الرغبة في التوفيق لطاعة الرسول وامتنال أمره ، وترك زواجه ، وتصديق أخباره ، والاقتفاء آثاره . اهـ

وفي هذا بين المثالبين المتقدمين الكفاية لمن أراد أن يعرف الفرق بين كيفية ورود

اسم النبي صلى الله عليه وسلم مقترناً باسم الله تعالى . وبين ما يدعيه صاحب الفتوى من أن اسم النبي صلى الله عليه وسلم يأتي دائماً مقترناً باسم الله تعالى .
وأغلب الظن أن الآيات التي من قبيل المثالين السابقين هي التي جعلت صاحب تلك الفتوى يظن أن في الأمر مساواة تامة ، فوقع في الشرك من حيث لا يدري .
فليتق الله المتكلمون في الدين بغير علم ، وليعلموا أن الله محاسبهم على ما يقولون ، ومواخذهم بما يفترون . (فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ، ليضل الناس بغير علم ، إن الله لا يهدي القوم الظالمين ^(١)) .
هدانا الله وإياهم صراطه المستقيم .
محمد صالح عوده

التعاون

رفقا بأضي . . !

ولا تنسى أن الله سبحانه خلق آدم من تراب . وأنت ابن آدم ، وبحوارك أخوك الإنسان . الكل من آدم ، وآدم من تراب . فلا داعي إذاً أن يأخذك غرور المال أو الجاه ، فتتعاظم على أخيك الإنسان . فلا تتعاون معه ، ولا تسدى إليه معروفاً أو جميلاً . والحق : أن تراجع إنسانيتك ، فلا يفرنك الشيطان ، أو يسيطر عليك الهوى حتى لا يقع هذا أو يتحقق تلك . .

ولئن كان الجاه هو الغار أو المسيطر : فدعنا من الجاه ، ومن نتج من الجاه . . ولئن كانت نعمة الله في المال هي الدافعة : فإنما اختصك الله بها إبتلاء واختباراً . وإن ربك لبالمرصاد . فكن شاكراً لنعمة ربك ، ولن يكون شكرها إلا برعاية هؤلاء الأناس من حولك ، ومعاملتهم معاملة إنسانية كريمة . . . كن سخيّاً بجانب الكريم . مشجعاً للمجد بجانب المنتج ناصحاً لغيره إذ يتقاعد ، فيركن إلى حياة الخمول . عاملاً على نشر روح التأخى والتآزر فيما بين الجميع من المواطنين . فإن فعلت فإنك إذاً من الفائزين . . . فبؤ بالخيبة والخسران (وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) .

أمة التوحيد تتوحد

نشرت مجلة الأزهر بعددها الصادر في المحرم سنة ١٣٨٣ مقالا بهذا العنوان بقلم مديرتها الأستاذ أحمد حسن الزيات جاء فيه :

« إن الوحدة المحمدية كانت كلية عامة لأنها قامت على العقيدة ، ولكن العقيدة مهما تدم فقد تضعف أو تحول ، وإن الوحدة الصلاحية كانت جزئية خاصة ، لأنها قامت على السلطان ، والسلطان يمتريه الوهن فيزول . أما الوحدة الناصرية فباقية نامية ، لأنها تقوم على الاشتراكية في الرزق ، والحرية في الرأي ، والديمقراطية في الحكم . وهذه المقومات الثلاثة ضمان دائم للوحدة ، ألا تستأثر فتستغل ، وألا تستبد فتتطغى ، وألا تحكم فتتحكم ، والأثرة والطماعية والطفيمان والجسد كانت وما زالت علة العلل في فساد الزمان وهلاك الأمم . »

وقد تولت مجلة لواء الإسلام في عددها الصادر في ربيع الأول سنة ١٣٨٣ الرد على مقال الأستاذ الزيات ، واستنكرت جراته على شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعلى نظام الإسلام . كما نشرت استنكار ندوة « لواء الإسلام » ، وبياناً من جبهة علماء الأزهر ، ومقالاً لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبي زهرة ، ومقالاً آخر للإستاذ صلاح أبو اسماعيل .

إن المسلمين والعرب في مشارق الأرض ومغاربها ، يدعون الله مخلصين ، أن يوفق الرئيس جمال عبد الناصر ، في المحاولة التي يبذلها جاهدًا لإعادة وحدتهم على أسس الوحدة المحمدية التي من أخص خصائصها التكافل الاجتماعي وحرية الرأي وديمقراطية الحكم . إنما أفرزهم وأفض مضجعهم أن يحيط الأستاذ الزيات من قدر الوحدة الإسلامية الجامعة التي أقامها رسول الله صلى الله عليه وسلم بتأييد من الله سبحانه وتعالى ، وأن يعقد المقارنة بينها وبين الوحدة الصلاحية - نسبة إلى صلاح الدين الأيوبي - والوحدة الناصرية ، ويجعل مع ذلك الوحدة المحمدية أقلها شأنًا .

وليس هذا جديدا من الأستاذ الزيات ، فقد سبق له أن عقد المقارنة بين الهجرة النبوية من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ، وبين هجرة فوزية إلى إيران عند زفافها إلى شاه إيران ، وكان ذلك بمجلة « الرسالة » التي كان يصدرها . وكانت المقالة بعنوان « براعة استهلال العام » فردت عليه مجلة « التمدن الإسلامي » بمقال عنوانه : « أبراعة استهلال أم رقاعة وضلال » .

فإذا كان الأستاذ الزيات قد كتب اليوم ما كتب ، فإنه إنما يصدر من نفس المعين ، ونسأل الله العافية .

(الهدى النبوى)

نصيحة رجل لهشام بن عبد الملك

خرج الزهرى يوما من عند هشام بن عبد الملك ، فقال : مارأيت كاليوم ، ولا سمعت كأربع كلمات تكلم بها رجل عند هشام .

دخل عليه فقال : يا أمير المؤمنين ، أحفظ عنى أربع كلمات فيهن صلاح لك وإستقامة رعيته .

قال ما هن ؟

قال : لا تعذ عذة لا تنق من نفسك بإنجازها ، ولا يذرك المرتقى وإن كان سهلا إذا كان المنحدر وعراً . واعلم أن للأعمال جزاء فائق العواقب . وأن الأمور بفتات فكن على حذر .

أسئلة وأجوبة

من الصومال

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل : (٤ : ٢٦ — واعبدوا الله ولا تُشركوا به شيئاً) وأشهد أن محمداً عبده ورسوله القائل : « حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً » رواه البخارى ومسلم . وصلى الله على الرسول الكريم ذى الخلق العظيم القائل : « كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار » .

أما بعد فقد ورد إلى أسئلة علمية من المشايخ الأجلاء : الشيخ حامد شيخ محمد والشيخ يوسف معلم حسن والشيخ عبد السلام عيسى من أهالى « نقال » يريدون الإجابة عنها مع على أنهم عارفون بها فامتثلت لأمرهم إجابة لطلبهم لأنهم ممن لا يسعنى إلا تلبية ندائهم لما لهم عندى من عظيم الاحترام .

الأسئلة والإجابة عنها

السؤال الأول : ما حكم ضرب قضيب على الطبل عند قراءة القرآن والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم وسائر الأذكار مع التنفى والتواجد والرقص والتمايل والزمع بأن ذلك قرينة إلى الله تعالى وأنها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وطريقة أولياء الله تعالى وفيها ذوق للعارف ؟

الإجابة : هذا العمل المذكور — وأمثاله مما يقال له الحضرة أو الصماع حسب العرف — منكر وضلالة ، وهو من أفعال الجهنمة والشياطين ، ومن زعم أن ذلك قرينة إلى الله فقد كذب وافتدى على الله ، ومن زعم أنه يزيد فى الذوق فهو جاهل أو شيطان ، وليس هذا

طريقة أولياء الله تعالى الذين هم حزب الله المفلحون أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل هذه طريقة أهل الله واللهم واللعب والباطل ، ويجب الإنكار على ذلك باليد واللسان والقلب .
عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
« من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » رواه مسلم .

وينبغى للمسلم أن يتدبر الآيات القرآنية الناعية على الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً ويحسبون أنهم مهتدون وأنهم بأوامر الله عاملون وبسيرة سلفهم الصالح مقتدون مع بطلان أعمالهم وضياع ثوابها فأصبحت هباء منثوراً .

قال الله تعالى (٥ : ٥٧ - يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين) .

وقال الله تعالى (٦ : ٦٨ - ٧٠ - وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسيتك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين . وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكركم لعلمهم يتقون . وذُرِّ الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع) .

ويقول الله تعالى (٧ : ٢٨ - ٣٠ - وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون . قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعرجون فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون) .

وقال الله تعالى (٧ : ٥١ - الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننسأهم كما نسوا لقاء يومهم هذا ، وما كانوا بآياتنا يمحذون . ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون) .

وقال الله تعالى (١٨ : ١٠٢ - ١٠٥) أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا . قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا . الَّذِينَ ضَلَّ سَمْعُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صَنْعًا . أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَخَبَّتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نَقِيمَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا . ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا ، وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوءًا) .

وقال الله تعالى (٥٨ : ١٨ - ٢٠) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ . اسْتَخْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ . إِنْ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ) .

قال صاحب المدخل : أما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلاً جسداً له خوار قاموا يرقصون حواليه ويضربون بالدف ويتواجدون فهو دين الكفار وعباد العجل .

ونقل الإمام القرطبي عن الإمام الطرطوسي أنه سئل عن قوم في مكان يقرأون شيئاً من القرآن ثم ينشد لهم منشد شيئاً من الشعر ، فيرقصون ويطربون ويضربون بالدف هل الحضور معهم حلال أو لا ؟

فأجاب : « مذهب السادة الصوفية أن هذا بطلالة وضلالة ، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلاً جسداً له خوار ، قاموا يرقصون حوله ويتواجدون ، والرقص دين الكفار ، وعباد العجل وإنما كان يجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه كأنما على رؤسهم الطير من الوقار .

فينبغي لسلطان ونوايه أن يمنعهم من الحضور في المساجد وغيرها ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا أن يعينهم على باطلهم .

هذا مذهب الأئمة مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد وغيرهم من أئمة المسلمين
رضي الله عنهم .

وقال الإمام الكبير ابن قدامة جواباً عن مثل هذا السؤال :

« إن فاعل هذا مخطيء ساقط المروءة والدائم على هذا الفعل مردود الشهادة في الشرع
غير مقبول القول فإن هذا لعب ومعصية ذمه الله ورسوله ، وكرهه أهل العلم ، وسموه بدعة ،
ونهبوا عن فعله ، ولا يتقرب إلى الله تعالى بمعاصيه ، ولا يطاع بارتكاب مناهيه ، ومن
وسيلته إلى الله معصية كان حظه الطرد والإبعاد ، ومن اتخذ اللهو واللعب ديناً كان كمن
سعى في الأرض بالفساد ، ومن طلب الوصول إلى الله تعالى من غير طريق رسول الله
صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وسنته ، فهو بعيد عن الوصول إلى المراد » .

وقد ألف ابن حجر الميمني كتاباً سماه « كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع »
قصد به الرد على هؤلاء الجهلة .

قال الله تعالى (٣٠ : ٣٩ - بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهتدي من
أضل الله وما لهم من ناصرين) وقال الله تعالى (٤٥ : ٢٤ - وما لهم بذلك من علم
إن هم إلا يظنون) .

وقال الله تعالى (٥٣ : ٢٨ - وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني
من الحق شيئاً) .

وقال الله تعالى (٤٥ : ٢٣ - أفرايت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم ، وختم
على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله ؟ أفلا تذكرون) .

وقال الله تعالى (٣١ : ٧ - ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله
بغير علم ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين . وإذا تتلى عليه آياتنا وآلى مستكبراً كأن
لم يسمعه كأن في أذنيه وقراً فبشره بعذاب أليم)

وقال الله تعالى (٣١ : ٢١ - وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير) .
فتدبر هذه الآيات القرآنية البينات .

السؤال الثاني : ما حكم التصفيق خارج الصلاة بضرب إحدى الراحتين بالأخرى ؟

الإجابة : التصفيق محرم على الرجال في داخل الصلاة وخارجها ، وإن التصفيق للنساء مندوب لم في الصلاة للضرورة . وأما خارج الصلاة ففيه أقوال ثلاثة : محرم مطلقا ومكروه مطلقا ومحرم عند قصد اللعب ، مكروه عند غيره .

وعلى كل حال فتصفيق الرجل خفة ورعونة مشابهة لرعونة الإناث ولا يفعله إلا أرعن أو متصنع جاهل وفعل ذلك دليل على جهالة فاعله ، لأن الشريعة الإسلامية لم ترد به لا في كتاب ولا في سنة ولا فعل ذلك أحد من الأنبياء ولا معتبر من أتباع الأنبياء وإنما يفعله السفهاء الذين التبت عليهم الحقائق بالأهواء .

قال الله تعالى ذامًا على الذين يفعلون ذلك (٨ : ٣٥ - وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) .

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « التسبيح للرجال والتصفيق للنساء » رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى .

السؤال الثالث : ما حكم شرب الدخان وأكل القات عند قراءة القرآن والمواالد ؟ .

الإجابة : أعلم أيها المسلم أن شرب الدخان أو أكل القات عند قراءة القرآن مما يشعر بالاستهانة والاستخفاف وعدم الاحترام لكتاب الله تعالى والإعراض عنه وإن لم يقصد الفاعل ذلك ، وذلك ضد ما وصف الله به عباده المؤمنين عند سماع كلامه العظيم . قال الله تعالى (٥ : ٧٣ - وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آتنا فاكتبنا مع الشاهدين) . وقال الله تعالى (٧ : ٢٠٤ - وإذا

قرء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون . واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالقدو والآصال ولا تكن من الغفلين) .

والاستماع : الإصغاء ، والإنصات : السكوت عند قراءة القرآن في الصلاة وغيرها ، تعظيماً واحتراماً ، وبذلك يرجى الفوز والرحمة من الله .

وأما قراءة الموالد فهي من الأعمال التي لم يكن عليها أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أمر خلفائه الراشدين ولا سائر الصحابة والتابعين لهم بإحسان من أئمة الهدى وغيرهم في القرون المفضلة الثلاثة بل الخمسة ، ولو كان عمل ذلك خيراً لسبقونا إليه ، فعمل ذلك إحداث أمر في الدين لم يكن عليه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد ثبت عن أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها أنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » . رواه الشيخان في الصحيحين .

وبناء على ذلك فكل عبادة لم يقمدها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي حدث في الدين وزيادة على المشروع وعمل غير مقبول بل مردود على فاعله لأن ذلك أمر محدث في الدين . وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة .

والبدعة كل عمل أحدث في الدين أصلاً أو وصفاً على غير مثال سابق من هدى الرسول صلى الله عليه وسلم يقصد به التقرب إلى الله تعالى وإنما كان كل ذلك ضلالة ، لأن الله تعالى قال في القرآن الكريم (٥ : ٣ اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) .

قال الإمام مالك رحمه الله تعالى : ما لم يكن يومئذ ديناً^(١) فلا يكون اليوم ديناً .

وقال الإمام الشافعي رحمه الله : من حسن بدعة فقد استدرك على النبي صلى الله عليه وسلم أه .

وأما الأمور الحادثة فيما يتعلق بالدنيا فلا تسمى بدعة ولا سنة شرعية لأن ذلك ليس عبادة ولا يقصد به التقرب إلى الله تعالى .

(١) أي في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته . (الهدى النبوي)

السؤال الرابع : ما حكم شرب الدخان وأكل القات ؟ .

الإجابة : لا شك أن صرف المال في شرب الدخان (التباك) وأكل القات إسراف وتبذير للمال في غير حقه ولا ريب أن ذلك محرم وممنوع شرعاً .

قال الله تعالى (٦ : ١٤١ — ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) .

وقال الله تعالى (١٧ : ٢٧ — ولا تبذر تبذيراً . إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً) .

وورد في الحديث الصحيح أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله كره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال » رواه مسلم .

قال صاحب فتح البيان في تفسيره : التبذير : هو الإنفاق في غير الحق وإن كان يسيراً هـ .

وقال الإمام مالك رحمه الله تعالى « التبذير هو أخذ المال من غير حقه ووضعه في غير موضعه ، وهو الإسراف المحرم » هـ .

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه : « التبذير إنفاق المال في غير حقه » هـ .

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه « التبذير هو إنفاق المال في غير حقه » هـ .

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : المبذرون هم الذين ينفقون المال في غير حقه هـ

وقال سفيان رحمه الله : ما أنفقت في غير طاعة الله فهو إسراف وإن كان قليلاً هـ .

وفي الآية الأولى تصريح بأن كل إنفاق لم يأذن به الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم مثل الإنفاق في شرب الدخان وأكل القات فهي سرف وتبذير لم يأذن به الله ، بل نهى وزجر عنه وصرح بأنه لا يحب المسرفين بإسرافهم ، وذلك زجر عن الإسراف في الإنفاق ووعيد شديد عليه ، لأن من لا يحبه الله فهو من أهل النار .

وفي الآية الثانية تسجيل على المبذرين بمائلة الشيطان ، ثم التسجيل على جنس الشيطان بأنه كفور ، فانتضى ذلك أن المبذر لماله في شرب الدخان وأكل القات وسائر أنواع

التبذير في الإنفاق أخ للشیطان مماثل له حكمه حكم الشیطان ، وكل شیطان كفور فاللبذر كذلك لأنه موافق للشیطان في الصفة والفعل .

السؤال الخامس : هل يمكن للإنسان رؤية الجن واستخدامه ومعاملته ، وهل يجوز للإنسان أخذ الأجرة من المريض بزعم إخراج الجن منه ؟ .
الاجابة : الجن خلق من خلق الله تعالى خلقه من النار .

قال الله تعالى (١٥ : ٢٧ - والجان خلقناه من قبل من نار السموم) .

وقال الله تعالى (٥٥ : ١٥ وخلق الجن من مارج من نار) .

وهم من عالم الغيب يروننا ولا نراهم قال تعالى (٧ : ٢٧ يا بني آدم لا يفتنكم الشیطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءآتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ، إنا جعلنا الشیاطین أولیاء للذین لا یؤمنون) .

وسمى إبلیس بالشیطان وهو فاسق من الجن .

قال الله تعالى (١٨ : ٥٠ - وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبلیس كان من الجن ففسق عن أمر ربه) .

هذا هو خبر الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزیل من حکیم حمید) .

وقال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في بعض أدعيته « اللهم إنك سلطت علينا عدواً بصيراً بعبودنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم » .

وهذا هو خبر الرسول المصوم الذي لا ينطق عن الهوى .

وقال الإمام الشافعي : من زعم أنه رأى الجن رددنا شهادته مالم يكن نبياً لأن الله تعالى يقول : (إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) . هـ ١

هذا والذین يزعمون غير ذلك يحرفون الكلم عن مواضعه ويجادلون في الحق بعد ماتبين لهم ، وأما الزعم بالتمامل مع الجن واستخدامه بقضاء الحاجات والاطلاع على

الغيوب ، فهذه كلها مفتريات وأكاذيب يمتثلون بها على البله وضعاف العقول ليسلبوهم أموالهم ، وهم عن كيدهم غافلون .

كيف يمكن التعامل بين الجن والإنس ؟ بين النار الطين ؟ بين عالم الغيب وعالم الشهادة ؟ والجن لا يعلمون الغيب ولا يطلعون أحداً على شيء ، ولا يقضون له حاجة ، ولا يحضرون له غائباً ولا يسمعون نداءه ولا يفهمون كلامه لعدم الصلة بين الإنس والجن ولعدم علمهم بالغيب ، كما لا يعلم أحد من البشر شيئاً من الغيب ولا يطلع الله عليه إلا الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وليس للجن سلطان إلا على الذين لا يؤمنون ، ولا يستطيعون أن يفعلوا بالإنسان شيئاً سوى الإغراء بالوسوسة .

قال الله تعالى : ﴿ ٧٢ : ٢٦ ﴾ — عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً . إلا من ارتضى (من رسول) . وقال الله تعالى : (٣ : ١٧٩) — وما كان الله ليطلعكم على الغيب ، ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء ، فأمنوا بالله ورسوله .

وقال الله تعالى : (٦ : ٥٩) — وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو .

ومفاتيح الغيب خمسة مذكورة في قول الله تعالى : (٣١ : ٣٤) — إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافي الأرحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت ، إن الله عليم خبير .

وقال الله تعالى (٣٤ : ١٤) — فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خرت تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) . وقال الله تعالى (٢٧ : ٦٥) — قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أياً نابعثون) .

وأما الزعم بإخراج الجن من الإنسان وطلب الأجرة على ذلك فهو زعم باطل كل البطلان ، روجه في الناس طائفة من الدجالين المحتالين على الناس ليعبثوا بعقولهم ويسلبوهم أموالهم بالخداع ، ليأكلوه بالباطل .

قال الله تعالى : (١٥ : ٤٢) — إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك

من الفاوين) . ولا يكون لأحد بعد نبي الله سليمان بن داود تسخير للجن ، قال الله تعالى (٣٦ : ٣٥) — قال رب اغفر لي وهب لي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب) .

فاقرأ أيها المسلم الآيات البينات من القرآن الكريم وتدبرها واعمل بمقتضاها ولا تسمع لأتلك الأفاكين الدجالين الذين يزعمون لك أنهم يسخرون الجن أو يستخدمون الشياطين فهذا من البهتان المبين الذي ينبغي للعقلاء أن لا يصدقوه ، بل ذلك استخدام للشيطان عليهم لأغراضه الخبيثة .

السؤال السادس : هل يجوز لأحد ترك الجمعة أفير عذر لوجود من يتركها من أدياء العلم ؟ .

الإجابة : صلاة الجمعة حق واجب وفرض عيني على كل مسلم بالغ عاقل في جماعة إلا من كان معذوراً عذراً شرعياً .

قال الله تعالى (٦٣ : ٩) — يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) .

عن طارق بن شهاب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة إلا أربعة : مملوك وامرأة وصبي ومريض » رواه أبو داود . وعن أبي هريرة رضى الله عنه وعبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين » رواه مسلم .

وقد واظب عليها النبي صلى الله عليه وسلم من الوقت الذي شرعها الله فيه إلى أن قبضه الله تعالى .

وقد حكى ابن المنذر الإجماع على أنها فرض عيني اه .

وقال العلامة القاضى ابن العربى : الجمعة فرض بإجماع الأمة اه .

وقال العلامة ابن قدامة : أجمع المسلمون على وجوب الجمعة اه .

انتهت الإجابة عن الفتاوى ، والله ولى التوفيق وبيده الهداية وإليه المرجع والمآب .

اعتذار للسادة السائلين

وصلت إلى هذه الأسئلة منذ زمن ولكن نسيته وذلك لكثرة أشغالى العمومية

والشخصية فلمت نفسى فى ذلك ثم تركت سائر الأعمال وأسهرت بالإجابة عنها فمعدرة .

السبح نور الدين على الصومالى الأزهرى

رئيس المحكمة الشرعية الاستثنائية بمقدشو بالصومال

صلاة الجماعة

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال :

إن الله تبارك وتعالى سنَّ لكل نبي سنة ، وسن لنبيكم ، فمن سنة نبيكم : هذه الصلوات
الجلس فى جماعة وقد علمت أن لكل رجل منكم مسجداً فى بيته ، ولو صليتم فى بيوتكم
لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم . رواه مسلم .

« إجعلوا أمر دينكم إلى فقهاءكم ، وأئمتكم قراؤكم » .

حديث شريف

غزوات الرسول

صلى الله عليه وسلم

دعوة الملوك إلى الإسلام

الهدنة بعد الحديبية : بعد ثلاثة أسابيع من إتمام صاحب الحديبية بين المسلمين وبين قريش عاد النبي صلوات الله عليه إلى المدينة . على أن يدخل مكة في العام المقبل إذ منعه قريش من دخول مكة في عامه الذي ذهب فيه إليها .

والحق أن عهد الحديبية كان بمثابة هدنة وقمت بين الجانبين ووضعت قريشاً في مأمن من غزوات المسلمين . كما جعلت المسلمين في حى من حملات قريش العدوانية ومؤامراتهم . وكانت الدعوة المحمدية قد قطعت آنذاك شوطاً بعيداً في نشر مبادئها ، وبث عقيدتها عن طريق الحجبة والافتناع في كثير من البلاد . وكذلك تمكنت من بسط سلطانها وسيادتها على أعدائها الذين كثيراً ما تأمروا عليها . الأمر الذي جعل هذه الدعوة الطيبة تبلغ من القوة والهيبة والعزة مبلغاً كبيراً .

وعند ما أمن الرسول جانب قريش إلى حين ، دفعه ذلك إلى نشر هذه الدعوة في آفاق بعيدة تتجاوز شبه الجزيرة العربية . وخاصة بعد عهد الحديبية .

شأن دولتي الروم والفرس : وفي تلك الفترة من الهدنة فـكر الرسول صلوات الله عليه

أن يدعو ملوك الدول إلى تصديق دعوته ، والإيمان برسالة .

وكان أعظم ملوك هذه الدول شأنهما هرقل وكسرى ملكا الروم والفرس ، إذ كانت دولة الروم تبسط نفوذها على مصر والشام : وكانت دولة فارس تسيطر على اليمن والعراق . أما الحجاز وسائر شبه الجزيرة فكانت محصورة في دائرة نفوذ الإمبراطوريتين .

ومن المعلوم أن حروباً طاحنة قامت بين هاتين الدولتين العظيمةتين صاحبتى السكامة في

ذلك العصر ، وكانت الغلبة في أول الأمر للفرس ، فهزمت الروم واستولت على مصر وفلسطين ، ووضعت يدها على بيت المقدس ، ثم عادت الروم^(١) فانتصرت على الفرس ، واستردت مصر وفلسطين وسورية . وللقارىء أن يعلم ما كان لهاتين الدولتين من مكانة تبعث الرهبة والهيبه في نفوس بقية الدول الأخرى . بحيث لم يكن يخطر ببال أحد من حكام الدول أن يفكر في مناصبتهما العداء . . وإلا فعلى من كان يفكر في مواجهة أى منهما أن يكون متحققاً من قوته ، واثقاً من نفسه .

لكن لم يكن عجبا أن يجرؤ النبي صلى الله عليه وسلم على مراسلة هاتين الدولتين ودعوتهما إلى الإسلام دون أن يخشى ما سياترب على عمله هذا من نتائج قد تكون لها أثر في جعل بلاد العرب خاضعة لنفوذ فارس والروم .

ولم يكن ذلك عجبا لأن الرسول صلوات الله عليه مؤيد من الله تعالى . وعلى يقين من نصره لأنه مبعوثه إلى الناس كافة يدعوهم إلى حياة ينعمون فيها بأفضل ما عرفته الشعوب من العدالة الاجتماعية والنظم السياسية .

ابلاغ فكرته إلى المسلمين . وذات غداة خرج النبي عليه الصلاة والسلام على أصحابه وقال لهم « أيها الناس . إن الله قد بعثنى رحمة للناس كافة فلا تختلفوا على كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم » قال أصحابه رضوان الله عليهم : وكيف اختلف الحواريون يارسول الله قال « دعاهم إلى الذي دعوتكم إليه . فأما من بعثه مبعثاً قريباً فرضى وسلم .

(١) كان المسلمون يودون أن ينتصر الروم على الفرس لأن الروم أهل كتاب . بينما كان المشركون يودون أن تغلب الفرس الروم لأن أهل فارس كانوا يدينون بالمجوسية .

وعند ما انتصر الفرس على الروم وحزن المسلمون طمأن الله تعالى المسلمين بقوله تعالى (ألم . غلبت الروم في أدنى الأرض ، وهم من بعد غلبهم سيغلبون . في بضع سنين . لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله ، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) الآيات من ١ - ٥ : الروم .

وأما من بعثه مبشراً ببعيداً فكره وجهه وتناقل « ثم ذكر لأصحابه أنه مرسل إلى هرقل وكسرى والقوقس . والحارث الفسائي ملك الحيرة ، والحارث الحميري ملك اليمن . وإلى نجاشي الحبشة يدعوهم إلى الإسلام . فلقيت هذه الفكرة قبولاً من أصحابه .

كتب الدعوة إلى الإسلام : وشرع الرسول صلى الله عليه وسلم في إرسال كتب دعوة للوك إلى الإسلام . فصنع له خاتماً من فضة نقش عليه (محمد رسول الله) وكتب رسائله إلى هؤلاء الملوك : ومن مثال كتبه ، الكتاب الذي بعثه إلى هرقل عظيم الروم الذي قال فيه « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد بن عبد الله إلى هرقل عظيم الروم . سلام على من اتبع الهدى . أما بعد : فإني أدعوك بدعاية الإسلام . أسلم تسلم . يؤثك الله أجرك مرتين . فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين ^(١) » (و) يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ^(٢) » .

ودفع بكتاب هرقل إلى دحية بن خليفة الكلبي ، وبكتاب كسرى إلى عبد الله ابن حذافة السهمي . وبكتاب النجاشي إلى عمرو بن أمية الضمري . وبكتاب القوقس إلى حاطب بن أبي بلتعة . وبكتاب ملكي عمان إلى عمرو بن العاص السهمي . وبكتاب ملكي اليمامة إلى سليط بن عمرو . وبكتاب ملك البحرين إلى العلاء بن الحضرمي . وبكتاب الحارث الفسائي ملك تخوم الشام إلى شجاع بن وهب الأسدي . وبكتاب الحارث الحميري ملك اليمن إلى المهاجر ابن أمية الخزومي . فانطلق هؤلاء الرسل برسائلهم كل إلى حيث أرسل . على أن إرسال محمد صلى الله عليه وسلم هذه الكتب للملوك لم يكن وحده عجباً بل قل إن الذي يثير العجب والدهشة أيضاً أن هاتين الدولتين اللتان كانتا صاحبة البطش والسلطان في ذلك العصر غدتا موطناً لآقدام الفاتحين من المسلمين الذين عملوا على توسيع

(١) أي الخدم والحشم . ويراد بالكلمة : أن هرقل مسئول عن إثم رعيته إن هو صدها عن تقبل دعوة الإسلام .
(٢) الآية ٦٤ : آل عمران .

الرقعة الإسلامية من بعد موت الرسول . فرفرت أعلام الدعوة الإسلامية خفاقة بالسلام والهدى والخير ودان أكثر من في الدولتين بالإسلام وقد كانت من قبل تدين بالجهوسية والنصرانية .

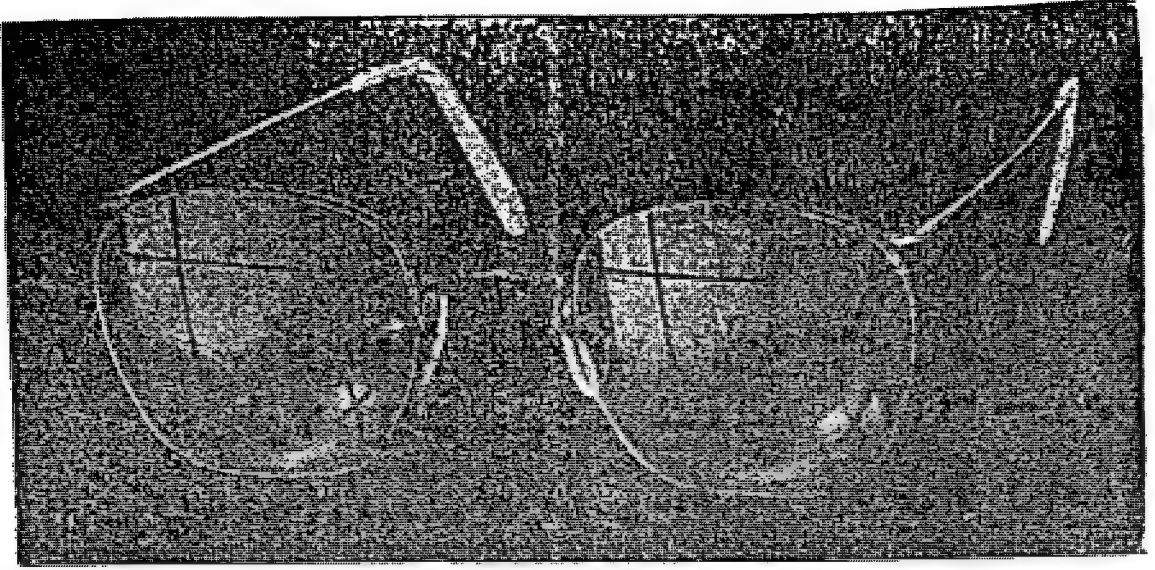
ردود الملوك على رسائل النبي : وعند ما أسلم هرقل ملك الروم كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ عليه لم يفض بل رحب به . وانشرح صدره . ثم جمع عظماء الروم في قصره وأطلمهم عليه وقال : أنا في كتاب هذا الرجل يدعوننا إلى دينه . وإنه والله النبي الذي نجده في كتابنا فلم نتبعه . ونصدق . فسلم لنا دنيانا وآخرتنا ولكنهم غضبوا ونفروا نفرة رجل واحد . فنأداهم هرقل إلى مجلته وقال لهم : إنما قلت ما قلت لأنظر صلابتكم في دينكم . وقد رأيت منكم ماسرى ، فسجدوا له . ثم رد على النبي رداً لا بأس به . وهكذا آثر هرقل الملك والدنيا على الإسلام .

أما النجاشي فقد آمن بكتاب النبي واتبعه . وتقول الروايات أنه أسلم . كما رد إلى النبي جميع المسلمين الذين كانوا بالحبشة ومعهم جعفر بن أبي طالب^(١) وأم حبيبة التي تزوجها النبي بعد عودتها إلى المدينة .

أما المقوقس عظيم القبط في مصر فقد أحسن استقبال مبعوث النبي . ثم أرسل إليه يخبره أنه يعتقد أن نبياً سيظهر ولكنه سيظهر في الشام كما بعث بهديتين عظيمتين من من بينهما جاريقان : مارية القبطية التي تزوجها رسول الله وولدت له إبراهيم . وسير بن التي أهداها إلى حسان بن ثابت . (للغزوات بقية)

سعد صادق محمد

(١) كان جعفر بن أبي طالب قد هاجر مع امرأته أسماء بنت عميس إلى أرض الحبشة مع المسلمين يوم أن اضطهدتهم قريش : وظل بها إلى أن أرسل النبي كتاباً إلى النجاشي ليرسل إليه المسلمين المقيمين لديه . ويروى أن جعفراً عندما التقى برسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح خير قبله بين عينيه والتزمه وقال : ما أدري بأيهما أسر : بفتح خير . أم بقدم جعفر . راجع تهذيب سيرة ابن هشام ص ٣٦٢ ج ٢ .



أحدث النظارات الرائعة تجدها عند الأخصائي

أحمد محمد خليل

المصري الوحيد خريج جامعة باريس شارع الجوهري
رقم ١ بميدان العتبة والعمارة التجارية القديم شارع ٢٦ يوليو

س . ت ٢٣٤٥ — تليفون ٩٠٨٢٦٢

شركة غريب للساعات والمجوهرات

إدارة : محمد الغريب محمد الباز

بشارع محمد بك فريد رقم ١١٧ مصر عابدين

أحدث الساعات في المتانة ودقة الصناعة

والمجوهرات والنظارات — أسعار مذهلة

تسهل في الدفع على أقساط شهرية

بالمحل ورشة فنية للتصليح

﴿ أنصار السنة المحمدية لهم امتيازات خاصة ﴾

جمادى الأولى

سنة ١٣٨٣

العدد ٥

المجلد ٢٨

خير اللهى عدنى محمد صلى الله عليه وسلم

المهذى النبوى

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

مدير الإدارة

سليمان م-ونه

رئيس التحرير

عبد الرحمن الوكيل

٣٠ ملها

مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير
ت ٩٠٦٠١٧

الفهرس

صفحة	
٣	التفسير للأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل
١٨	عقيدة القرآن والسنة » محمد خليل هراس
٢١	الآلم نعمة » الدكتور أمين رضا
٢٣	نظرات في التصوف » الشيخ عبد الرحمن الوكيل
٢٩	تعليقات على الصحف » سعد صادق محمد
٣٤	حرية الفكر في الإسلام للأستاذ الشيخ عبد الحلیم حسین ملاقی
٣٨	أسئلة وأجوبة » محمد خليل هراس
٤٣	مولد الدعوة (قصيدة) » عمرو محمد التندی
٤٥	خطبة منبرية » سليمان رشاد محمد

رجاء

نرجو من السادة أعضاء الجماعة بالمركز العام ، للتأخرين في سداد اشتراكاتهم أن يتفضلوا بالمبادرة إلى سدادها ، حتى يسهموا في نشر دعوة التوحيد ونصرة السنة المحمدية .

والله يتولى جزاءهم خيراً .

وترسل الاشتراكات باسم الأخ محمد رشدي خليل أمين صندوق الجماعة ٨ شارع قوله بعابدين - القاهرة .

خير الهى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

مدير الإدارة

سليمانه صوم

الاشتراك السنوى

٣٠ - فى الجمهورية العربية

المتحدة والسودان

٤٠ - فى الخارج

الهدي النبوي

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة انصار السنة المحمدية

رئيس التحرير

عبد الرحمن الوكيل

أصحاب الامتياز : ورثة

الشيخ محمد حامد الفقى

المركز العام : ٨ شارع قوله - عابدين القاهرة - تليفون ٧٦٥٧٦

المجلد ٢٨

جمادى الأولى سنة ١٣٨٣

العدد ٥

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال - جل ذكره - : (مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ ،
وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا . وَيَوْمَ يَقُولُ : نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ ،
فَدَعَوْهُمْ ، فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ ، وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا . وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ ،
فَطَلَّوْا أَنْهُمْ مُوَاعِدُوهَا ، وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا) - الكهف : ٥١ - ٥٣ .

معانى المفردات

« أشهد » أصل الكلمة يدل على حضور وعلم وإعلام . وقال الراغب : الشهود
والشهادة الحضور مع المشاهدة ، إما بالبصر أو البصيرة . وقد يقال للحضور مفرداً .
لكن الشهود بالحضور الجرد أولى .

« خلق » قال ابن فارس عن أصل الكلمة : إنه يدل على تقدير الشيء ، وقال : إن

لها أصلاً آخر هو مَلَامَةُ الشيء . وقال الراغب : الخلق التقدير المستقيم ، واستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء ، وفي إيجاد الشيء من غير أصل ولا احتذاء ، وفي إيجاد الشيء من الشيء . وليس الخلق الذي هو الإبداع إلا الله تعالى ، وأما الذي يكون بالاستحالة فقد جعله الله لغيره . والخلق لا يستعمل في كافة الناس إلا على وجهين : أحدهما في معنى التقدير ، والثاني الكذب . وكل موضع استعمل الخلق في وصف الكلام فالمراد به الكذب .

« عضداً » : للكلمة أصل صحيح يدل على عضو من الأعضاء ، يستعمل في موضع القوة والمعين . ويقال : فلان عضدى : لمكان القوة التي في العضد .

« شركائى » : قال الراغب : الشراكة وللشراكة : خلط المذكَّين ، وقيل : هو أن يوجد شيء لاثنتين فصاعداً عَيْنًا كان ذلك الشيء أو معنى . . وشرك الإنسان في الدين ضربان : أحدهما الشرك العظيم ، وهو إثبات شريك لله تعالى ، وذلك أعظم كفر . . والثاني : الشرك الصغير ، وهو مراعاة غير الله معه في بعض الأمور ، وهو الرياء والنفاق . . وفي كلام الراغب هذا قصور ، فما في القرآن إلا لعن الشرك دون تقسيم له إلى أكبر وأصغر . والرائى كافر لثيم الكفر ، والمنافق كافر خبيث الكفر ، وهو في الدرك الأسفل من النار .

وقال ابن فارس : إن للكلمة أصلين ، أحدهما : يدل على مقارنة وخلاف انفراد ، والآخر : يدل على امتداد واستقامة ، فالأول الشراكة ، وهو أن يكون الشيء بين اثنتين لا ينفرد به أحدهما . وأما الأصل الآخر فالشَّرك .

« زعمتم » : للكلمة أصلان ، أحدهما : القول من غير صحة ، والآخر : التكفل بالشيء . وقال الراغب : الزعم حكاية قول يكون مظنة للكذب ؛ ولهذا جاء في القرآن في كل موضع ذم القائلين به ، نحو : زعم الذين كفروا ، بل زعمتم ، كنتم تزعمون . وقيل للضمان

بالقول والرئاسة زعامة ، فقيل للتكفل والرئيس زعيم للاعتقاد في قوليهما أنها مظنة الكذب .

« مَوْبَقًا » قال الراغب : وبق إذا تثبط فهلك . أما ابن فارس فيقول : إن للكلمة أصلين ، الأول : يقال لكل شيء حال بين شيئين موبق ، والآخر : وَبَق بمعنى هلك ، والموبق : الموعد . وفي اللسان : وَبَق الرجل يَبْق وَبَقًا ووبوقًا ، ووبق وَبَقًا واستوبق هلك . وفيه لغة أخرى : وَبِق يَوْبِق وَبَقًا . قال الفراء في قوله : (وجعلنا بينهم موبقًا) . أى جعلنا تواصلهم في الدنيا موبقًا ، أى مهلكًا لهم في الآخرة .

« ظنوا » قال ابن فارس : إن لها أصلاً واحداً يدل على معنيين مختلفين ، يقين وشك . . والعرب تقول ذلك وتعرفه . أما الراغب ، فيقول : الظن : اسم لما يحصل عن أماره ، ومتى قويت أدت إلى العلم ، ومتى ضعفت جداً لم يتجاوز حد التوهم . وفي اللسان نقلاً عن المحكم : الظن : شك ويقين ، إلا أنه ليس بيقين عيان ، وإنما هو يقين تدبر ؛ فأما يقين العيان فلا يقال فيه إلا علم .

« موافقوها » مخالطوها ، وواقعون فيها .

« مصرفاً » مَمْدِلاً ، ومكاناً ينصرفون إليه .

المعنى

قال علماء اللغة : إن الولاية هي أن يحصل شيئان فصاعداً حصولاً ليس بينهما ما ليس منهما ، ويستعار ذلك للقرب من حيث المكان ، ومن حيث التشبيه ، ومن حيث الدين ، ومن حيث الصداقة ، والنصرة والاعتقاد . ومن أسماء الله الولي ، وهو الناصر أو المتولى لأمر العالم والخلائق ، القائم بها . وقالوا عن الولاية أيضاً : إنها تشعر بالقرب وبالتدبير والقدرة والفعل ، ولهذا قالوا عن إلهي يقوم بكفايته ولياً ، وأطلقوا اسم المولى على الرب ، والمالك والسيد والابن والأخ والعم ، وابن العم ، وعصبة الإنسان

كلها ، والجار ، والمنعم ، والمنعم عليه ، والمعتق والمعتق ، والناصر ، والتابع والحليف والعبد والمحِب^(١) . وهكذا نجد مادة الكلمة دالة على قرب ومحبة ولا يدخل في مفهومها إلا كل من له بك صلة قوية لحنها القرب وسداها المحبة . فالولاية المتابعة الرضوية التي يدفعك إليها حب ، أو شعور بالجميل . أو ثقة يطمئن إليها القلب والعقل فيمن تولى إليه ، ولا يوالى عدوه إلا إنسان به دَخَلَ . أو يستبد به خيل ، أو هو فاسد الفطرة . ولن يهفو القلب ، أو يرف بجبهه إلا على من يعلم أنه يتجاوب معه ، أو يملك له خيراً كجلب منفعة . أو دفع مضرة مع كرم وسماحة لا ضيق بالطالب ، أو بخل بالمطلوب .

ولقد قلت في العدد السالف عند قوله « أفنتخذونه وذريته أولياء من دوني » الهمزة للإنكار ، وللمعجب ، فالفطرة التي لم تجر عن قصدها ، ولم تأذن للشر أن يندسها تحب الخير وتكره الشر . تحب من يحبها . وتبغض من يبغضها . تحب من يحسن إليها ، وتمقت من يسيء إليها .

وفي هذه الآية بيانٌ مشرق الفصاحة معجز البلاغة لسبب إنكار اتخاذ الشياطين وذريته أولياء من دون الله . وبيان لتفرد الله جل شأنه بالخالقية ، وهي أجل صفات الربوبية التي بها نجب له الألوهية ، وهذا في قوله سبحانه .

« ما أشهدتهم خالق السموات والأرض » ما كان هؤلاء الذين تتخذونهم أولياء من دوني معي حين خلقت السموات والأرض ، فلا يعلم أحدهم متى خلقتها ، ولا كيف خلقتها ولا كيف دبرت أمرها ، وسخرت لكم ما فيها .

وهذا الجزء من الآية يقرر هذه الحقائق .

أن الله - سبحانه - هو الأول .

أنه - جل شأنه - هو الخالق .

(١) أنظر لسان العرب . ومفردات الراغب .

أنه ليس له ولي من الذل ، ولا معين من المعجز ، ولا ولد .
 أن كل من عداه هم من خلقه وعبيده ، ومنهم هؤلاء الذين يتخذهم المشركون أولياء لهم
 من دون الله .

وأنه ليس له شريك في ربوبيته القاهرة القادرة المكلفة التي تهيمن على كل مقاليد
 السموات والأرض .

وأن هؤلاء الشركاء لا يعلمون شيئاً - من أنفسهم - عن خلق السموات والأرض ،
 إذ ما شهدوا خلقها ، ولا عاينوه ببصيرة أو بصر ، فكيف يتخذ الخلق مخلوقاً مثله إلهاً له
 من دون الله ؟

وكيف نصدق أن هؤلاء يستطيعون تدبير الأمر من السماء إلى الأرض ، وهم على
 جهالة ببدء السموات والأرض وكيفية خلقهما وتدبير أمرهما ؟ .

إن الضلال من البشر يستعينون بهؤلاء الشركاء في قضاء مالا يقدر عليه سوى
 الله سبحانه ، فجهلهم بهذا شركاء الله في قدرته وعلمه وملكوته .

والله الذي يظنون أن له شريكاً يقرون هم أنه ما كان معه من أحد يعينه يوم
 خلق السموات والأرض ، فكيف يطلبون من سواه شيئاً من السموات والأرض شيئاً
 لا يقدر عليه سواه ؟ أليس هذا معناه أنهم يبهتون الله بأنه في حاجة إلى من يعينه ، أو
 يضم قدرته إلى قدرته ، أو يرشده إلى حال لا يعلمها ، أو إلى مكان شيء مجهله ؟ ! .

لو أنه - سبحانه - كان في حاجة إلى شيء من هذا ، لكانت حاجته أشد يوم خلق
 السموات والأرض ، يوم خلق هذا الكون العظيم بسماؤه ونجومه وكواكبه ، بأرضه
 وجباله وبحاره وأنهاره . فما لهذه كالإنسان عقول ولا مشيئات ، ولا إرادات قد تتعاون
 بها مع من يريد لها أو بها أمراً ، ولما معها هذا أبت إلا أن تأتي الله طائفة وأبت إلا أن
 تظل على تسبيحها خالقها ، لأنها تشهد عن بيئته من نفسها وواقعها ووحى ربها أنها خلق
 الرب العظيم الذي لا رب سواه . تدبر هذه الآية : (ثم استوى إلى السماء ، وهي دخانٌ

فقال لها ، وللأرض اثنيًا طَوْحًا ، أو كرها ، قالتا أتينا طائنين) - فصلت : ١١ . وخلقهما أعظم من خالق الناس (أنتم أشد خلقًا أم السماء ؟ بنّاهما . رَفَعَ سَمَكُمَا ، فَسَوَّاهَا . وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا . والأرضَ بعد ذلك دَحَاهَا . أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا . والجبالَ أَرْسَاهَا . مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ^(١)) - النازعات : ١٧ - ٣٣ وتدبرها صريحة (أَلَخَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْثَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ، وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ . غافر : ٥٧) .

أما خلقنا وَبَعَثْنَا . فقد قال الله عنه : (مَا خَلَقْنَاكُمْ ، وَلَا بَعَثْنَاكُمْ إِلَّا كَفَاسٍ وَاحِدَةٍ ، إِنْ اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) - لقمان : ٢٨ .

فإذا كان الخالق لم يحتاج إلى من يعينه في هذا الخلق الأعظم ، فكيف يحتاج إلى شيء من هذا فبا هو أقل شأنًا وأهون - والله المثل الأعلى ؟ .

ومن أفواه المشركين نسمع الشهادة لله بأنه لم يكن معه أحد يوم خلق السموات والأرض ، وبهذا الحق الذي يقرون به يقيم الله حجته البالغة العالية عليهم . إذ كانوا يقرون بأنه ليس له شريك في خالقيته ، فكيف يمجّدون بألوهيته ، ويشركون بها . وهي من توابع الخالقية ؟ .

ولهذا نحمد الله سبحانه تحديده القاهر المعجز بقوله : (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْ خَلْقِ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ ، وَلَا فِي الْأَرْضِ ، وَمَا لَهُمْ فِيهِنَّ مِنْ شَرِكٍ ، وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظهير - سبأ : ٢٢) حقيقة يسجد مذعنًا لها الجماد والحيوان ، ويمجادل في شأنها الإنسان ؟!

(١) سمكها مقدار ارتفاعها من الأرض أو ثخنها الذاهب في العلو رفيعا ، أغطش جعله - مظلما . وأخرج ضحاهما - أبرز ضوء شمسها . دحاهما - وسعها وجعلها صالحة للسكنى .

« وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ » كذلك ينفي الله عن هؤلاء الشركاء أنهم شهدوا خلق الأنفس وأن بعضهم شهدوا كيف خُلق الآخر . فكيف ألوذ بمن لا يعرف عن خلق نفسه ولا نفسى شيئاً ؟ .

إن الخالق وحده هو العليم بصوالح خلقه . وفي متعارف البشر وواقعهم المشهود ما يؤكد أن المرء لا يلجأ إلى إصلاح مافسد عنده من آلة إلا إلى خبير بهذه الآلة نفسها وأنه لا يطلب إلا يَمُنْ بملك ، ولا يتجه بالسؤال إلا إلى من يعلم ، ولا يستفتى في شأن من الشئون إلا من يثق أنه على بينة من أمر هذا الشأن . وإذا ما توجه المرء بشيء من هذا إلى غير مختص . حكم عليه بالجهالة أو الضلالة . فكيف بالمرء يسأل المخلوق أمراً هو من شأن الخالق وحده ١٩ .

(وما كنتُ متخذُ المضلين عضداً) . أمر آخر يكشف عن نكد ضلالة المشركين وعمابتهم ، فقد اتخذوا المضلين - وهم الشيطان وذريته وأولياؤه - أولياء من دون الله ، وجعلهم شركاء لله في خلقه . والله غنى . والله رب الهدى ، ويجب الهدى ويكره الضلالة يحب الإصلاح ، ويكره الفساد ، يرضى عن المهتدى ، ويفض على الضال المضل ، وإذا كانت هذه من صفاته ، فكيف يتخذ الله من هؤلاء الضالين المضلين^(١) عضداً أى عوناً له فيما هو مختص به وحده ، وهو خلق السماء والأرض والناس ؟ ! .

كيف نظن فيه أنه يجعل ضلالة الضال المضل مقوِّماً لربوبيته وعوناً يبدأ بمعونة خلقه ؟ لو كان لفسدت السموات والأرض .

ولهذا تحدى الله بصفة هى له ولا يملكها أحد سواه إلا بإذنه وروحيه وتوفيقه . وهى المذكورة فى هذه الآية : (قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْخَلْقِ ؟ قُلْ : اللَّهُ

(١) ذكروا أولاً بالضمير فى قوله سبحانه « ما أشهدتهم » ثم عدل عن الضمير إلى ذكرهم بصفة من صفاتهم . لبيان أنها موضع الذم من هؤلاء . وأنهم ضالون

يَهْدِي لِلْحَقِّ ، أَقَمَّنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ ، أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى .
فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ؟ - يونس : ٣٥ .

الخالقية : والخالقية أجل وأعظم صفات الربوبية ، وهى تستلزم وتتضمن وجود الصفات الأخرى ؛ فالخالق حى رازق قدير سميع عليم بصير حكيم عزيز أول آخر كريم رحمن رحيم . وهكذا ولهذا تحدى الله بها المشركين فى كثير من الآيات ، وما تحدى بصفة غيرها كما تحدى بها^(١) .

تدبر هذه الآيات : (قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ، ثُمَّ يُعِيدُهُ ؟ قُلْ : اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ، ثُمَّ يُعِيدُهُ ، فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ؟ - يونس : ٣٤) ، (هَذَا خَلْقُ اللَّهِ ، فَارْؤُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ؟ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) - لقمان : ١١ ثم تدبر ما فى هذه الآية من استهزاء يكشف لنا عن عمه الجهالة ، وغباء العماة فى أولئك الذين أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً : (قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، قُلْ : اللَّهُ قُلْ : افْتَحْذَرُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ؟ قُلْ : هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ، أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ، أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ ، فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ؟ قُلْ : اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) - الرعد : ١٦ .

ثم تهدى الآيات إلى أنه لا يجوز أن يدعو الإنسان إلا الخالق ، ولا خالق إلا الله .

(١) حتى الصفات الأخرى التى يتحدى بها تدل دلالة وثيقة على أنها ترتبط بصفة قبلها هى الخالقية ، فإذا ما تحدى الله بأنه يرزق ، ويملك السمع والبصر ، ويخرج الميت من الحى ويخرج الحى من الميت ، ويدبر الأمر ، ويهدى إلى الحق . فهذه الصفات كلها ترتبط بالخالقية ارتباط النور بمصدره ، والله المثل الأعلى .

تدبر قوله جل شأنه : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ ، أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ، أَنتَوْنِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَنْتَارَةٌ مِنْ هَلْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) - الأحقاف : ٤ .

إن الآية تقول : « تدعون » لتهدى إلى أن من دعا غير الله فقد عبد غير الله . ولتهدى إلى أنه لا يجوز أن يدعى غير الخالق ، وإلى أن من دعا غير الله فقد نسب إلى من دعاه أنه خالق مع الله . فليتدبر الذين يدعون غير الله ، وليتدبر الذين يزعمون أن للأقطاب والأبدال شركا في السموات والأرض والأقدار الإلهية !!

ثم جاءت الحقيقة جزءاً من آية تضيء وتشرق بها القلوب والدنيا ، هدى وبقيناً وسكينة في قوله جل شأنه : (أَلَا لَهُ^(١) الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ، تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ^(٢)) الأعراف : ٥٤ .

موقف الفلسفة والتصوف من هذه الصفة : أما الفلسفة ، فتنفى عن الله سبحانه أنه الخالق ، ومع هذا النفي الحاقط الجاحد نسبت إليه أسماء وصفات آخر لا تنير في النفس إلا ما يثيره تصور الصنم أو العدم أو التيه ، أو الأحجية الحيرة ، فقالوا : هو العلة ، هو الصورة المجردة ، هو مثال المثل . أما التصوف ، فنفي عن الله أيضاً أنه الخالق . إذ لو قلنا بوجود مخلوق لا عترفنا بوجود اثنين ، فمن تصفه بأنه الخلق هو في حقيقته الخالق . غاية الأمر أنه كان باطناً ، أو حقيقة مجردة ، أو عماء ، ثم صار ظاهراً ، أو مُتَعَيِّنًا في صوره وأشكاله .

(١) تقديم الجار والمجرور في « له » يؤكد أن لله وحده هذه الصفة .

(٢) في إضافة كلمة « رب » إلى « العالمين » رحمة وإحسان وعدل لا يتصف أبداً بمثلها إلا الخالق سبحانه . إنه ليس رب المؤمن وحده ولا رب الإنسان وحده ، ولا رب السماء وحدها ، وإنما هو رب كل شيء يربيه حالاً بعد حال برحمته ورزقه . حتى يبلغ كماله ومآله ، ولا يحرم مربوباً من عطائه ، فما كان عطاء الله محظوراً على أحد .

الفلسفة تفرق بين العلة والمعلول ، أو بين السبب والمسبب أو بين المفيض والمفاض عليه . أما التصوف فلم يفرق بينهما ، فجعل العلة عين المعلول ، والسبب عين المسبب ، والمفيض عين المفاض ، وإذا شئت تعبيراً لا يظلم التصوف أبداً : فقل : لقد نقي التصوف وجود الخالق !! وأثبت وجود المخلوق !!

وقارن بين شرك الجاهلية والحادية الصوفية !! .

(ويوم يقول : نادوا شركائى الذين زعمتم) . يذكر الله بيوم الفصل . يوم الحساب يوم القيامة ، بيوم يقول الله فيه للمشركين : نادوا شركائى ^(١) .

إن كل امرئ تشتد حاجته فى هذا اليوم إلى ولى أو نصير أو شفيع . بل إنها هى الحاجة . والولى الصادق من ينفع وليه فى الضوائق والملمات والنكبات . وما فى الدنيا والآخرة أشد على النفس ، وأرهب أخذاً لمشاعرها بالخوف والرعب من هول ذلك اليوم . وكان المشركون يظنون أن هؤلاء ينفعونهم أكثر ما ينفعون فى الآخرة . فإذا لم يبد لهم نفع فى هذا اليوم ، فمتى ؟ .

وإذا لم يبدلوا نفعاً فى هذا اليوم وهذا المسكان فأين ومتى ؟

فتدبر التحدى ، وتدبر السخرية والاستهزاء الذى تفهمه من أمر الله لهم بأن ينادوا شركاءهم !! .

فليتدبر من يربطون مصائرهم بأمثال البدوى والدسوقي !! .

ليتدبروا ما سيكون مما تشير إليه هذه الآية ، وليتدبروا قوله تعالى : « زعمتم » فهو دفع لما يفترونه بأنه زيف وبهتان .

(١) أضاف الشركاء إلى نفسه تقريباً وتوبيخاً ، فضحاً لضلالتهم يوم يقوم الأشهاد .

« فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا^(١) لَهُمْ » . وتدبر الدعاء وعدم الاستجابة وحال الداعين والمدعويين ، والندم القاتل والحسرة العاصفة التي تدوى في روح المشرك وقلبه حين يرى هذا التخاذل من وليه ، وهذا العجز والزعب والخوف ممن كان يعتقد فيه أنه ضامن له الجنة يوم القيامة . وأنه تلك الرحمة ، وبمجم الهداية حينذاك !!

ولنذكر من هذى الله بهذه الآيات ، فاعلم مشركا يرجع عن شركه ، وكافراً يعترف نفسه عن كفره ، وفاسقاً يعود إلى إيمانه .

إلى من يظن في بعض الناس أنهم شفعاء له يوم القيامة : (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة ، وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم ، وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء ، لقد تقطع بينكم ، وضلّ عنكم ما كنتم تزعمون) الأنعام : ٩٤ . وتدبر « تقطع بينكم » ففيها عبرة بالغة ، وقصة مأساة رهيبة دامية .

إلى من يدعو غير الله : (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وهم عن دعائهم غافلون . وإذا حُشِرَ الناسُ كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) الأحقاف : ٥ ، ٦ . ليتدبر الذين يدعون البدوي والدسوقي بل ليتدبر الذين يدعون النبي صلى الله عليه وسلم على جلاله وعظم شأنه ، فقد جاءت الآية بكلمة « مَنْ » وهي اسم موصول يفيد بصلته العموم والشمول وليتدبر المدى الذي تُنفى فيه عنهم استجابة الدعاء وغفلتهم عنه ، وهو يبلغ إلى يوم القيامة ، نعم نفى عنهم يوم القيامة مع إثبات عداوتهم لمن كانوا يدعونهم . ما صرحت الآية الأولى إلا بكلمة « يدعو » وما صرحت الأخرى إلا بكلمة « عبادتهم » . ليهديك الله إلى أن الدعاء هو العبادة فما أثبت الله في الآية الأولى ، إلا أنهم كانوا يدعون ، وما قالت الأخرى إلا أنهم كفروا

(١) استعمال : لم يستجيبوا مدلاً من يجيبوا لا ينفي عن هؤلاء الشركاء الإجابة فحسب ، بل ينفي أيضاً حتى الزبوا لها أو الاستعداد .

بهذه العبادة . فهل تجد دليلاً أصرح وآكد من هذا الدليل الذى يدل على التسوية بين مفهوم الدعاء ومفهوم العبادة ؟

وهل بعد هذا يندعك خادع بزعمه أن المشرك ما كان مشركاً إلا لأنه كان يعبد .
أما من يدعو فلا يسمى مشركاً . وها أنت ترى أن القرآن يدمغ الداعين بأنهم مشركون !!

ولهذا يقول الله عن هؤلاء ، وأمثالهم : (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً ؛ لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا . كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ ، وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا) مريم : ٨١ ، ٨٢ . لا يقولن قائل : ما اتخذته إلهاً ، وإنما اتخذته ولياً ، فالقرآن يسوى بين الاتخاذين تدبر ما سبق ، وتدبر قول ربنا سبحانه : (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ، وَإِنْ أَوْهَنَ الْبُيُوتُ لَبِثَتْ الْعَنْكَبُوتُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ . إِنْ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ — الْعَنْكَبُوتُ : ٤١ ، ٤٢) والآية الأخيرة تثبت حقيقة يحدد بها المشركون إذ يغفلون عنها ، تلك هى أن الذين يدعون الأولياء لا يدعون شيئاً . فقد ضاع دعاؤهم هباءً وما تجاوز معه غير أصدائه فى حسرة وضياح !!

والحكم على الداعين غير الله بالشرك حكم واضح جلى ، ولا كنه التراث الملعون الذى ورنه للمشركون عن أجدادهم ، والكتب المطبوعة المنسوبة إلى شيوخ ! ! والعائم السود والخضر والحمر والبيض !! فقد جعل الناس كل هؤلاء صوارف لهم عن الله وعن كتابه . وغباء هؤلاء فى شركهم واضح جداً ، فهم يقولون بأن هؤلاء الأولياء ، ليسوا شركاء لله فى ربوبيته ، لا يشركونه فى أنه الخالق ، أو الرازق ، أو غيرها ، فما لهم يجعلونهم شركاء لله فى ألوهيته . والواضح أن من يجب له الربوبية وحده ، يجب أن تكون له الألوهية كذلك ، لأن هذه تشرق عن تلك وتابعة لها .

حقيقة : لو كان المشرك يعتقد فى قرارة نفسه أن الله يتفرد بالخالقية والرازقية وغيرها لتوجه إليه وحده . ولا كنه — عن شعور يسيطر على أعماقه — يدعو ويدعو ، ويتفانى

في الدعاء ، دعاء غير الله . ففي أعماقه دين مستور يقرر أن في قلبه إيماناً بأن الله غير متفرد بشيء ، لهذا دمج الله الدعاء بأنه مشرك ، لأن الشراكة تستلزم وجود شيء يكون بين اثنين لا ينفرد به أحدهما . والمشرك في قرارة نفسه يدين بأن الوجود شركة بين الله وولى المشرك وإلا ما دعا وليه من دون الله أو مع الله .

ألوان من الشرك : وللشرك صور وفنون شتى أكثرها شيوعاً بين المنفسين إلى الإسلام دعاء غير الله ، وهو أشد أنواع الشرك ، والتوصل إلى الله بغير ما شرع الله أن نتوصل به إليه ، وأن نقسم على الله بأحد من خلقه كقول المشرك : وَحَقَّ رَسُولُ اللَّهِ ، بجاء النبي ، وحياة النبي .

والنذر لغير الله^(١) كما يفعل المشركون بقول « السيدة » ومجل السيد ومجل الشيخ ، والقسم بغير الله لأن مقتضاه يجعل ما لا يُحلف به مجلوفاً به كاسم الله الذي يكون به القسم ، والرياء ، لأنه أشرك في عمله غير الله ، والطيرة والتمايم « الأحجية » ففيهما اعتقاد جلب النفع ودفع الضر في غير الله . ومجىء العراف ، ومثله « فتح الكوتشينة » والفتنجال والطالع الذي ينشر في الصحف « ففي هذا اعتقاد أن مع الله شريكاً يعرف غيب السموات والأرض .

تلبية المشركين : كان المشرك إذا حج لبي ، وكان يقول في تلبيته : « كَبَيْتَكَ لا شريك لك ، إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك »^(٢) ويقول ابن الأثير : « يريدون

(١) النذر العظيم الجليل هو ما كان بدون شرط تشترطه على الله كنذر أم مريم « رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني » فما اشترطت على ربها شيئاً . أما النذر بشرط ففيه يقول الرسول إنه لا يأتي بشيء ، وإنما يستخرج به من البخيل ، فليتدبر من يندرون لله ويشترطون !! أما النذر لغير الله فهو طبعاً شرك صراح .

(٢) نقل ابن منظور صاحب معجم « لسان العرب » عن ابن الأثير شرحاً لقول المشركين عن الصنم « تملكه وما ملك » ثم عقب عليه بقوله : « اللهم إنا نسألك صحة التوحيد =

أن الصنم ، وما يختص به من الآلات التي تكون عنده وحوله ، والنذور التي كانوا يتقربون بها إليه **مَلِكٌ** لله تعالى « هذا إذا اعتبرنا كلمة « ما » اسماً موصولاً ، وإن اعتبرناها نافية كان المعنى إثبات الملك لله ، ونفى الملك عن الصنم . ومن يقارن بين ظن مشركي الجاهلية وبين ظن المشركين بعد هذا ولا سيما في عصرنا الحاضر ، فسيجد الشرك المعاصر أشد لامة وأنتن خبثاً وريحاً ، وأخبث نية ومظمراً .

« وجعلنا بينهم مَوْبِقاً » هذا هو المصير التمس المحتوم - نجانا الله وإياكم منه - وهذه هي كل الصلة التي تكون بين الشرك والشريك !! وهذا كل ما يفاله المشرك من نفع !!

لقد كان بينهم في الدنيا مودة ومحبة ، أو علاقة العابد بعبوده . فماذا في الآخرة ؟ ما بينهم إلا هذا المهلك الذي يظل مع الأبدية ، والذي لا بُدَّ لهم من اقتحامه إن طَوْعاً وإن كَرْهاً . تصور هوة سحيقة تضطرم فيها النار محصورة بين جذر سميكة مصمتة لا باب لها ولا نافذة وقد وقف على شفاها مشرك ، وعلى شفاها الآخر شريكه فما بينهما إلا هذه الهوة من النار ، ولا بُدَّ من أن يلتقيا ، فكيف يلتقيان ؟ في قاع الهوة !!

وتدبر بعد هذا قول الله سبحانه : (هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَأْبَ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ، فَنبَسِ الْمَهَادَ . هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ . وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ . هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ ، إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارَ) ص : ٥٥ ، ٥٩ .

والاقتحام توسط شدة مخيفة ، أو ركوب الشدة والدخول فيها . هذه النار هي الموبق هي المهلك ، هي كل ما بين المشرك وشريكه ، وسيقتحمها المشرك مع هذا الشريك الضال . وتدبر أيضاً قول الله : (ونسوق الجرمين إلى جَهَنَّمَ وَرِذَاءً) مريم : ٨٦ .

« ورأى الجرمون النار » هذه النار هي الموبق الذي بينهما ، والذي يراه هؤلاء

= والإخلاص في الإيمان . أنظر إلى هؤلاء لم ينفعهم طوافهم ؛ ولا تلبيتهم ولا قولهم عن الصنم هو لك . ولا قولهم : تملكه وما ملك مع تسميتهم الصنم شريكاً . بل حبط عملهم بهذه التسمية ؛ ولم يصح لهم التوحيد مع الاستثناء . ولا نفعهم معذرتهم بقولهم : إلا ليقربونا إلى الله زلفى « هذا قول رجل لغوى فهل يعتبر الذين يزعمون أنهم أئمة في الدين ؟

الجرمون . وقد عدل عن التعبير عنهم بالضمير إلى هذا ليكشف الله عن صفة فيهم هي أنهم مجرمون .

« فظنوا أنهم مواقعوها » فأيقنوا أنهم ساقطون فيها مغالطون لها . وفي رؤية النار بهذه الصورة مع هذا الظن عذاب أيما عذاب ، ولن تكون رؤية عابرة ، بل هي رؤية تثير في النفس علماً ينتج عن تدبير المشرك لحاله ومكانه ومكان النار منه ! فيصل إلى نتيجة أنه ساقط في النار ، وفي الإتيان بواقع ومصدره الواقعة سخيرية ، وبيان قوى عن العلاقة التي تكون بين المشرك وبين النار ، وعن قوة الالتحام بينهما .

« ولم يجدوا عنها مصرفاً » تفيد أن المشرك ينظر هنا وهناك ، ويبحث هنا وهناك من شدة ما يكابد ، وتغلب به أمعاؤه لعله يجد مكاناً يهرب إليه من النار ، ولكنه لا يجد بعد طول السكد عنها مصرفاً . إنه عذاب نفس وعذاب جسد . نضرع إلى الله أن يقينا شره وأسبابه إنه سبحانه سميع قريب مجيب الدعاء .
عبد الرحمن الوكيل

بيان

من المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة

اتصل بنا بعض أهل العلم وسألوا عن نشرات تحوى تكذيباً لبعض الأحاديث النبوية الصحيحة ، ورداً لبعض الأحكام المعروفة في الدين ، وذكروا أنها صادرة من المدعو سيد قنديل باسكندرية .

ونحن نعلن أن جماعة أنصار السنة المحمدية لاصلة بينها وبين تلك النشرات ، ولا علاقة لناشرها بالجماعة . كما أننا اتصلنا بفرع الجماعة بالاسكندرية ، وتبين لنا أن المدعو سيد قنديل انقطعت صلته بالفرع منذ زمن طويل .

لذلك نأفت نظر سائر فروع الجماعة وجميع الهيئات الإسلامية ليكون معلوماً لديهم أن أمثال تلك النشرات لا تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية ، بل هي تستفكرها وتبهرأ منها ومن ناشرها .

وقد سبق للجماعة أن نشرت مثل هذه البراءة من الشخص المذكور مع أمثلة مما تحويها تلك النشرات .

توحيد الله عز وجل

ومن أسماء الله الحسنى سبحانه (الشهيد) وهو اسم فاعل بمعنى شاهد ولكنه أبلغ منه ، وهو إما من الشهادة بمعنى الإخبار عن الشيء بما علمه منه إخباراً يتضمن معنى الإلزام والحكم . أو من الشهادة بمعنى الحضور مع الشيء بأن يحيط به علماً ورؤية لا يفوته منه شيء . والمعنيان ثابتان لله عز وجل ، وكلاهما وارد في القرآن الكريم .

فمن الأول قوله تعالى من سورة آل عمران (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم) .

وقوله من سورة النساء (لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً) .

وقوله من سورة الأنعام (قل أى شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم) .

وقوله من سورة المنافقين (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إياك لرسول الله والله يعلم أنك لرسوله ، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) .

ومن الثاني قوله تعالى من سورة آل عمران (قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون) أى مطلع عليه وحاضر عند عمله .

وقوله من سورة الأعراف (فلنساءن الذين أرسل إليهم ولنساءن المرسلين . فلنقض عليهم بعلم وما كنا غائبين) فإن نفي غيبته سبحانه مستلزم لشهوده وحضوره . وقوله من سورة يونس عليه السلام (وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه ، وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين) .

وقوله من سورة فاطر (قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجرى إلا على الله وهو على كل شيء شهيد) .

وقوله من سورة المجادلة (يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه ، والله على كل شيء شهيد) .

وأكثر ما يأتى اسمه تعالى (الشهيد) بهذا المعنى الثانى وهو يرجع إلى عمله تعالى وخبرته وإحاطته بأحوال العبد كلها حتى كأنه حاضر معه . ولهذا كان لهذا الاسم تأثير عظيم جدا فى استقامة أحوال المؤمن . فإنه إذا علم أن الله يراه وأنه معه حيث كان وأنه رقيب ومطلع عليه ، لاشك يتأدب مع الله عز وجل غاية الأدب ويستحق منه تعالى أن لا يراه حيث نهاه أو يفقده حيث أمره ، فلا يقصر فى طاعة ولا يقدم على معصية ، ويصل بذلك إلى مقام الإحسان ، وهو أن يعبد الله كأنه يراه ، فإن لم يكن يرى الله فإن الله عز وجل يراه .

وفى الحديث الصحيح « صريح الإيمان أن تعلم أن الله معك حيث كنت » . وفى حديث آخر « استجى من الله عز وجل استحياءك من رجلين من صالحى عشيرتك لا يفارقانك » ومن أسمائه الحسنى كذلك (الحق) وهو اسم فاعل من حق الشيء يحق حقاً إذا ثبت ووجب ، ويقابله الباطل الذى لا حقيقة له ولا ثبات . وقد ورد هذا الاسم كثيراً فى الكتاب الكريم والسنة المطهرة .

فمن الكتاب قوله تعالى من سورة الحج (ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شئ قدير) .

وقوله من سورة النور (يومئذ يوفيه الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين) وقوله من سورة لقمان (ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلى الكبير) .

وقوله من سورة يونس عليه السلام (فذلكم الله ربكم الحق ، فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون) .

وأما من السنة فقد ورد فى الصحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من الليل يقول : « اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض وما فىهن ولك الحمد أنت قيم السموات والأرض وما فىهن أنت الحق ووعدك حق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والساعة حق ومحمد حق والنبىون حق الخ » .

والحق من الأسماء المشتركة بين الله عز وجل وبين غيره فإنه يطلق على كل ماله حقيقة وثبوت من الأشخاص والعقائد والأخبار وغيرها كما يقال للشيء الذى يجب عليك نحو غيرك أنه حق لحق الله على عباده أن يعبدوه وأن لا يشركوا به شيئاً ، وحق الوالدين على ولدهما أن يحسن إليهما وأن يبرهما الخ ، ولكن الحق المطلق الذى لا باطل معه بوجه من

الوجوه ليس إلا الله عز وجل وصفاته . فقوله الحق وله دعوة الحق وله الملك الحق يوم القيامة .

يقول الغزالي في كتابه (المقصد الأسنى) عند شرحه لهذا الاسم .

(وعند هذا تعرف أن الحق المطلق هو الموجود الحقيقي بذاته الذى يأخذ منه كل حق حقيقته وقد يقال أيضاً للمعقول الذى صادف به العقل الموجود حتى طابقه أنه حق فهو من حيث ذاته يسمى موجوداً ومن حيث إضافته إلى العقل الذى أدركه على ما هو عليه يسمى حقاً .

فإذا أحق الموجودات بأن يكون حقاً هو الله تعالى ، وأحق المعارف بأن يكون حقاً هو معرفة الله تعالى ، فإنه حق في نفسه أى مطابق للعلوم أزلاً وأبداً ومطابقة لذاته لا لغيره لا كالعالم بوجود غيره فإنه لا يكون إلا مادام ذلك الغير موجوداً فإذا عدم عاد ذلك الاعتقاد باطلاً وذلك الاعتقاد أيضاً لا يكون حقاً لذات المعتقد لأنه ليس موجوداً لذاته ، بل هو موجود لغيره .

وقد يطلق ذلك على الأقوال فيقال قول حق وقول باطل ، وعلى ذلك فأحق الأقوال قول : لا إله إلا الله ، لأنه صادق أزلاً وأبداً لذاته لا لغيره .

فإذا يطلق الحق على الوجود في الأعيان وعلى الوجود في الأذهان وهو المعرفة . وعلى الوجود الذى في اللسان وهو المنطق .

فأحق الأشياء أن يكون حقاً هو الذى يكون وجوده ثابتاً لذاته أزلاً وأبداً ومعرفة حقاً أزلاً وأبداً ، والشهادة له حقاً أزلاً وأبداً . وكل ذلك لذات الموجود الحقيقي لا لغيره) اهـ

نسأل الله الحق أن يهدينا لما اختلف فيه من الحق بإذنه وأن يثبتنا على دعوة الحق حتى نلقاه .

محمد فاضل هراس

المدرس بكلية أصول الدين

الآلم نعمة

يقول بعض العصريين . لماذا خلق الله الآلم ؟ ألا تقولون - أيها المتدينون المتمسكون برواسب العصور الغابرة - أن ربكم هو الذى خلق الكون وبث فيه الحياة ؟ ألا تقولون عنه إنه رحمن رحيم ، وإنه يشفق بعباده ويرفق بهم ؟ فأين هى الرحمة ، والآلم يستبد بالناس ؟ ألا يدل هذا على أنه لا وجود لهذا الذى تصفونه بالرحمة ؟ وهكذا انحدر بهم سؤالهم هذا إلى إنكار وجود الله مقلدين فيه فيلسوفهم الفرنسى العتيق الذى قال هذه القولة من قبل . فاتبعه من اتبعه من غير ترو ولا وعى .

إن الله يعلمنا فائدة الآلم بما نجده فى خلقه . ألم تر أطفالا يولدون وحاسة الآلم عندهم منعدمة أو قليلة ؟ هؤلاء يمسكون الأشياء الساخنة من غير أن يشعروا بأنها تحرقهم ، فيصابون بالحروق البالغة . وهم يلعبون بلا حذر ، فتجرح أعضاؤهم وتنكسر وتلتهب وتنتفح وكل ذلك لا يحسون به . فتتأدى الأمراض فى أجسامهم وتصيبها فى النهاية بعاها شديدة أو يموتون متأثرين بها . وكل ذلك يتم وهم لا يشمرون بأى شئ من الآلم . ونحمد الله على أن مثل هذه الحالات نادرة جداً .

ويعلمنا الله شيئاً آخر عن فائدة الآلم ، وهذا فى الأمراض التى تبدأ بأوجاع شديدة . فهى تدفع المريض دفعا إلى أن يسعى بحثاً عن الدواء فإذا ما وجدته واضب على تعاطيه مواظبة دقيقة ، فيشفى شفاء عاجلاً مؤكداً بإذن الله .

أما الأمراض - ولا سيما الأورام - التى تبدأ بسكون وهدوء ، ولا تسبب ألماً إلا بعد زمن طويل ، فلا يسعى من يمرض بها نحو البحث عن الدواء إلا بعد أن يستفحل أمرها ويصعب شفاؤها .

إذا فنذا الذى يمكنه أن يقول : إن الآلم لا فائدة منه ؟ يكفى أنه إنذار ينبه الناس إلى ما يؤذيهم فيدفعون الأذى عن أنفسهم .

وإنك لتجد من يزين له تفكيره أن يسأل سؤالا آخر ، بعد أن تبين له فائدة الآلم ؟ فيقول : ولكن لماذا يخلق الله إنذاراً مؤلماً ؟ .

لا تعجب إذا مارد السائل على نفسه قائلا : آسف لأننى أطلقت هذا السؤال دون ترو فإن الإنذار إن لم يكن مؤلماً لم يكن حافزاً إلى إزالة الأذى ومداركة الخطر .

إن الله وضع هذا الإنذار فينا وقد أسميناه المأ . وأصبح هذا الاسم يبعث في نفوسنا شعوراً بالبؤس والانزعاج ، بل بالضجر والاحتجاج . وهو في الحقيقة نعمة من نعم الله رب العالمين ، وهبها لنا لتذرنا منبهة إلى ما يؤذينا .

ولكننا لا نتعلم إلا عند ما نتألم فتأمل . (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم ١٦ : ١٨) (وإن ربك لذو فضل على الناس ، ولكن أكثرهم لا يشكرون ٢٧ : ٧٣) .

ربنا أوزعنا أن نشكر نعمتك ، وأن نرى الحق حقاً ، ولا تزغ قلوبنا . وثبت الإيمان في أفئدتنا .

الدكتور أمين رضا

الأستاذ المساعد بكلية طب الاسكندرية

بيان

تلقت نظر سائر فروع جماعة أنصار السنة المحمدية إلى ضرورة التحقق من شخصية الوعاظ المكلفين بالخطب أو المحاضرات من قبل المركز العام ، ومطالبتهم بما يثبت إيفادهم من قبل الجماعة ، حتى لا يتمكن بعض الدخلاء ممن يزعمون أنهم من أنصار السنة ، من إثارة الفتن ومحاولة الوصول إلى مأرب شخصية . وبهذه المناسبة فقد قال رئيس الجماعة :
سألني البعض عن الشيخ إبراهيم السمان هل هو من جماعة أنصار السنة المحمدية ؟
وأجيب بأنه لا صلة له بجماعة أنصار السنة المحمدية بتاتا .

عبد الرحمن الوكيل

الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية

٢٤ - نظرات في التصوف

« تكلمت عن الحب عند الصوفية ، وعرضت بعض ما يدين به الغزالي في أمر الحب الإلهي ، وهنا تنمة الحديث » .

التشابه بين الحب والمحجوب . عرض الغزالي أسباب المحبة ، ثم ذكر السبب الخامس وهو « المناسبة والمشاكلة ؛ لأن شبيه الشيء منجذب إليه » ثم قال : « وهذا السبب أيضاً يقتضى حب الله تعالى لمناسبة باطنة لا ترجع إلى المشابهة في الصور . والأشكال ، بل إلى معان باطنة يجوز أن يذكر بعضها في الكتب ، وبعضها لا يجوز أن يسطر ، بل يترك تحت غطاء الغبرة حتى يعثر عليه السالكون للطريق » .

ثم ذكر أن ما يجوز ذكره في الكتب هو قرب العبد من الله في الصفات التي أمر فيها بالافتداء ، والتخلق بأخلاق الربوبية : « أما ما لا يجوز أن يسطر في الكتب من المناسبة الخاصة التي اختص بها الآدمي فهي التي يوحى إليها قوله تعالى : « قل : الروح من أمر ربي » . وأوضح من ذلك قوله تعالى : « سويته ونفخت فيه من روحي . ولذلك أسجد له الملائكة ، ويشير إليه قوله تعالى : إنا جعلناك خليفة في الأرض » ؛ إذ لم يستحق آدم خلافة الله إلا بتلك المناسبة » .

ثم قال الغزالي : وهذا موضع يجب قبض عنان القلم فيه^(١) .

إن ما جبن الغزالي عن التصريح به هو الزعم أن روح الإنسان هي جزء من روح الله فالإنسان شبيه الله في باطنه لا في ظاهره . شبيهه في حقيقة لا في صورته !! ألا ترى قوله « لا يجوز أن يسطر في كتاب » وزعمه أن قوله تعالى : « ونفخت فيه من روحي »^(٢) «

(١) ص ٢٨٧ ج ٤ الإحياء (٢) ص ٤٦٣ ج ٤ الإحياء .

(٢) يزعم الغزالي أنه يستفاد من إضافة كلمة روح إلى الله سبحانه في قوله : « ونفخت فيه من روحي » أمران . الأمر الأول : أن هذه الروح هي روح الله التي بها حياته وقيوميته . الأمر الآخر : أن روح الإنسان جزء من هذه الروح التي بها يحيا الله سبحانه !! وهذا هو عين دين الصليبية في عيسى ، وعين دين الذين ندد الله بكفرهم في قوله سبحانه : (وجعلوا له من عباده جزءاً إن الإنسان لكفور مبين) وما فهمه الغزالي في الآية يقرر =

إيماناً إلى هذا المعنى الذى لا يجوز أن يسطر فى كتاب (١) ؟ إن الغزالى بينهم جيداً معنى الآية ، ولكن غلبة الصوفية عليه جعلته يلقى فهمه ، ويلغى فكره ويلغى إيمانه !!

وعجب أن ترى الغزالى بعد هذا ينقد تقدماً هيناً لينا - كأنه رقة عتاب - قول القائلين الحلول والاتحاد ، ولعله ينقد أو ينقم منهم أنهم باحوا بالسر وسطروا السر فى كتاب ١١ .

ثم يقول عن المعارف التى يورثها الحب أنه لا يجوز أن يشرك الناس فيها ، ولا يجوز أن يظهرها من انكشف له شيء من ذلك لمزلم ينكشف له ، بل لو اشترك الناس فيها لخربت الدنيا ؛ ولهذا يفرض الغزالى على محبى الله كتمان حبه ، ويحرم عليهم أن يقولوا ، أو يفعلوا ما يكشف عن حبه لله !!

فهل من الخير كتمان الحب الإلهى ، كما يوصى الغزالى ؟

وهل يورث الصدق فى حب الله إلا أجل المعارف وأزكاها وأسمأها ، والتى يجب على المحب بثها ونشرها ، فنكتم علماً ألجمه الله بلجام من نار كما جاء فى الحديث الصحيح ، فكيف يحرم الغزالى على المحبين تسطير معارفهم فى كتاب ؟ إنه يتحدث عن العشق الذى يتلظى بين ذكر وأنى ، لا عن الحب الذى يكون بين الرب والمحب - فذلك العشق المندس هو وحده الذى يحب الملوثون به ألا يسطروا معارفهم فى كتاب !!

والغزالى - فى دهاء غنوصيته ، ومكر صوفيته المتفكة - يحذر أحبابه الصوفيين من سلطان الحق ، ونقد النور للظلام . يحذرهم من أن يتكادوا فى كتبهم عن أسرارهم الملحدة

= أن الإنسان جزء من الله ، وبعد هذا المس الصليبي من ... اقرأ قوله سبحانه : (وسخر لكم مافى السموات ، وما فى الأرض جميعاً) ترى هل يمتنع الغزالى وأحزابه أن السموات والأرض كذلك جزء من خالقها ؟ إن فهمه فى الآية الأولى يحرم عليه أن يدين بهذا أيضاً !! وما أشنع من دين !! إن الروح التى نفخها الله فى آدم من حيز الله ، وبأمره ، وجل الخالق أن يحتاج إلى خلقه ، وإنما أضافها إلى نفسه لإظهاراً لجلال قدرته التى خلقت هذه الروح التى لا يستطيع العالمون جميعاً خلق نفحة منها ، وإظهاراً لشرف هذه الروح ، كما أضاف الناقة والبيت إلى نفسه ، وكما أضاف روح عيسى إليه .

عن نزغات الحلول ، ونزوات الاتحاد . وزندقات وحدة الوجود ، حتى لا يشور المسلمون على الغزالي وصوفيته ، ولهذا تراه يكرر هذا التعبير : « لإفشاء سر الربوبية كفر » ١١

فلماذا ؟ وهل للربوبية من سر يطلع عليه البشر ؟ سلوا الغزالي ١١

الحب يبيح النطق بالكفر : تزعم الصوفية أن المحب الصوفي إله ، وهو شريك الله ، في الأمر والنهي والتدبير ، يروى الغزالي عن محب صوفي أنه سأل الله لأحد الأبدال أن يرزقه ذرة من المعرفة به ، فهام البدل في الجبال والثالث عقله ، فعاد المحب الصوفي ، وسأل الله أن ينقص من الذرة فأوحى الله إليه : إنما أعطيتاه جزءاً من مائة ألف جزء من ذرة من المعرفة ، وذلك أن مائة ألف عبد سألوني شيئاً من المحبة في الوقت الذي سألتني هذا ، فأخرت إجابتهم إلى أن شفعت أنت لهذا ، فلما أجبته فيما سألت أعطيتهم كما أعطيتك ، فقصمت ذرة من المعرفة بين مائة ألف عبد ، فهذا ما أصابه من ذلك . فقال : سبحانك يا أحكم الحاكمين أنقصه مما أعطيتك . فأذهب الله عنه جملة الجزء وبقي معه عشر معشاره وهو جزء من عشرة آلاف جزء من مائة ألف جزء من ذرة ، فاعتدل خوفه وحبه ورجاؤه ، وسكن وصار كسائر العارفين (١)

(١) ص ١٨٨ ج ٤ الإحياء . يقول الدكتور على سامي النشار « إن الغنوص - وهو يهودية ومسيحية ووثنية ومذاهب شرقية - استطاع أن ينفذ إلى عدد كبير من المفكرين وتمكن في صورة معدلة أو مخففة وتحت الستار السني أن يجتذب إليه أكبر أعدائه أبو حامد الغزالي ، ص ٧ ، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام . ويقول كارل هينرش بكر « ولقد ساد روح الغنوص فرق صدر الإسلام كلها ، ثم سادت التصوف الذي كان يعد في البدء بدعة خارجة عن الدين ، ولكنه أصبح بفضل الغزالي خالياً من السم معترفاً به من أهل السنة » . ص ١٠ التراث اليوناني .

وحق ما يقوله الأستاذ النشار غير أني أقول للباحث الفاضل إن الغنوصية أثرت تأثيراً كبيراً في الغزالي ، بل إن الغنوصية لم تجد باحثاً كبيراً كالغزالي يقدم سمها الزعاف على أنه شهد مذاب ، وحسبنا ما يوحى به كلام الدكتور النشار نفسه وهو ، أن غنوصية الغزالي قدمت تحت ستار من الانتصار للسنة ، والرياء أخبت أنواع الشر . فهو هدم حيث ينتظر البناء وخذلان حيث يترقب الانتصار . ولقد قدرت الغنوصية للغزالي مجهوده الشاق المضني =

هذا هو الغزالي مهتوك القناع مهذل الطيلسان يزعم أن خرافة موهومة معبودة تسأل الله ذرة من المعرفة به لأحد الناس ، فيسمع الله ويحجب ، ثم تعود الخرافة المعبودة فتطلب من الله انتقاص ما أعطى ؛ لأنه سيهلك الرجل بما وهب له ، فيسمع الله ويحجب . ويأبى الغزالي إلا أن يثبت تلقي المحب الصوفي الوجدى من الله ، وتأكيده الله له أنه آخر إجابة مائة ألف من أجله ، أليس الهدف هو دفع الناس إلى عبادة هؤلاء من دون الله ؟ ولم لا ، وإرادتهم تتصرف في مقدرات الله وإرادته ؟ لو كان الرب كما يصوره الغزالي ما استحق أن يعبد !! .

والحب كما يقول الغزالي : « يثمر نوعاً من الانس الذى يثمر انبساطاً فى الأقوال والأفعال والمناجاة مع الله تعالى ، وقد يكون منسكر الصورة لما فيه من الجراءة ، وقلة الهيبة ولكنه محتمل بمن أقيم مقام الانس » هذا قول الغزالي .. غير أنه يوجب على من لم يقيم فى ذلك المقام ألا يتشبه هؤلاء وإلا هلك !! .

إذن ، فليفهم المسلمون أن المحبين الصوفيين هم وحدهم الذين يباح لهم كل شيء ، حتى سوء الأدب مع الله !! فليجعلهم الناس الملاذ ، ولْيَسْكُوا ألسنتهم عنهم إذا رأوهم يقتربون المنسكر والكفر !! ويضرب الغزالي أمثلة لأنس المحبين وانبساطهم بإسرائيل اسمه برخ !! فقد استسقى موسى عليه السلام لسبعين ألفاً بعد قحط سبع سنين فأمره الله أن يرجع إلى « برخ » هذا^(١) ويأمره بالخروج معه ، ليستجيب الله دعاء موسى ! وعثر موسى على

== خلعت عليه أعظم لقب فى التاريخ ، حجة الإسلام ، . وبسحر هذا اللقب فتكت الغنوصية بمئات من الباحثين الذين جعلوا من الغزالي حجته وخلعت على كتابه ، الإحياء ، أنه القرآن الثانى للسليين وعن طريقه أوقعت بمئات المضحايا أيضاً . على حين نجد كتاب الإحياء صورة من رسالة القشيري وقوت القلوب لأبى طالب المكي . وفى كلام هينرش بكر ، دقة بالغة غير أن ختام كلامه فى حاجة إلى تصحيح ، فإدعى نصوص الغزالي أحداً من أهل السنة الذين يستحقون هذه التسمية ، وحسبنا موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من الغزالي ، فقد هتك القناع عن صوفيته المارقة ، وسيأتى رأيه فيه .

(١) اقرأ قوله تعالى : « وإذا استسقى موسى لقومه ، فقلنا اضرب بعصاك الحجر ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ، أليس ما يذكره الغزالي هنا يعارض هذه الآية المحككة ! ولكن لعل عشاقه يزعمون أن الحجر هو برخ ، أو أن القصة تكررت فما يسكت الشيطان عن هؤلاء حتى يعتذروا عن خطاياهم .

« برخ ، وكان عبداً أسود ، وطلب منه الاستسقاء ، فوقف الإسرائيلي يدعو ، وكان من قوله لله : « ما الذى بدا لك ؟ أنقصت عليك عيونك ؟ أم عاندت الرياح عن طاعتك . أم نفذ ما ماعدتك ، أم ترىنا أنك تمتنع ، أم تخشى الفوت ، فتعجل بالعقوبة ، ويوشى الغزالي هذه الصورة بقوله : « فما برح حتى اخضلت بنو إسرائيل بالقطر ، وأثبت الله الله تعالى العشب فى نصف يوم حتى بلغ الركب » ثم يزعم أن الإسرائيلي « برخ » قال لموسى : « كيف رأيت حين خاصمت ربى ، كيف أنصفنى » فهم موسى بالرجل ليؤدبه . فأوحى الله إليه أن « برخا يضحكنى كل يوم ثلاث مرات »

من يفترى هذا المنكر ؟ إنه كما يزعم الناس له : حجة الإسلام ١١ على حين تذهب الكلمة الواحدة من ذلك المخرف بإيمان المرء ! .

ثم ينقل الغزالي عن سيد الطائفة الجنيد قوله : « أهل الأنس يقولون فى كلامهم ومناجاتهم فى خلواتهم أشياء هى كفر عند العامة . لو سمعها العموم لكفروهم ، وهم يجدون المزيد فى أحوالهم بذلك ، وذلك يحتمل منهم ويليق بهم^(١) » فكيف تزعم الصوفية أنها تصلح لقيادة البشرية كلها ؟

هذا ظن الذين كفروا برههم ، فما من مسلم بدين أبداً أن كلمة الكفر تصلح للتعبير عن حقيقة الإيمان الصادق ، أو أن الكفر دليل صادق على سمو الحب ، أو أن المؤمن يخاطب ربه بكلمة كفر أو سوء أدب ! .

وينقل الغزالي عن محب صوفى قوله أيضاً : « إذا بلغ الرجل فى هذا العلم الغاية رماه الخلق بالحجارة أى يخرج كلامه عن حد عقولهم ، فيرون مايقوله جنونا أو كفراً » .

وعن هذا المحب أيضاً نقل الغزالي : « إني أقول : يارب » يا الله ، فأجد ذلك على قلبى أنقل من الجبال ؛ لأن النداء يكون من وراء حجاب ، وهل رأيت جليسا ينادى جليسه^(٢) ؟ » وتدبر قول الله بعد هذا الكفر البواح : (واذا ذكر الله وحده اشمأزت

(١) ص ٢٩٢ المصدر السابق .

(٢) ص ٢٦٧ المصدر السابق وأوقن أن كل مسلم يعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدانيه بشرى فى العلم بالله سبحانه ، أو فى حبه لله ، وما سمعنا عن سيد المحبين صلى الله عليه وسلم إلا إيمانا وخشية وحبا يرجو ويخاف ، ويعلم أسمى آيات الإيمان وأزكى شعائر العبودية .

قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) وقوله : (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) وقوله :
(قل : ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعو ، فله الأسماء الحسنى) وتدبر ما علنا الله في
كتابه من أدعية ندعوه بها تجدها مفتحة بندا الرب « ربنا ما خلقت هذا باطلا »
« ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة » (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا) (ربنا
ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) إلى غير ذلك من آيات الله المحكمة . فكيف يشعر الغزالي
وحبه الصوفي بأن شيئا أثقل من الجبال يضغط قلبه حين يقول : يارب ، أو يا الله ؟ ، لأن هذا
النداء كما يزعم يوحى بأن بينه وبين الله حجابا على حين هو جليسه ؟ ألم أقل لك إنه عشق امرأة
مبرح ، وتخيل عناق لهذه المرأة في مخدعها الساهر على العطر والخمر والإثم .

إن ذلك الحب الصوفي يشعر بهذا الشعور ؛ لأن النداء يشعر بالغيرية . يشعره بأنه عبد
لرب ، والصوفي يرى أن الرب عين العبد ، فكيف ينادى الصوفي نفسه ؟
غير أننا نسأل : إلى متى يفهم الناس في الغزالي أنه حجة الإسلام ؟ .

ويقول الغزالي : « قال بعض المكاشفين من المحبين : عبت الله تعالى ثلاثين سنة
بأعمال القلوب والجوارح على بذل المجهود واستفراغ الطاقة حتى ظننت أن لى عند الله
شيئا » فذكر أشياء من مكاشفات آيات السموات في قصة طويلة قال في آخرها : « فبلغت
صفا من الملائكة بعدد جميع ما خلق الله من شيء ، فقلت : من أنتم ؟ فقالوا : نحن المحبون
لله عز وجل نعبده هنا منذ ثلاثمائة ألف سنة ، ما خطر على تلوينا قط . سواء ، ولا ذكرنا
غيره ، قال : فاستحييت من أعمالى ، فوهبتها لمن حق عليه الوعيد تخفيفا عنه في جهنم »

وتلح في هذه القصة تحقيرا لشأن العبادة الخالصة النقية الروح ، كما يبدو لك فيها إيمان
هؤلاء الصوفية - وحجتهم الغزالي - بأن فيهم من يرى ملكوت السموات والأرض
كخليل الله إبراهيم ، وبأن من قدراتهم أن يهبوا أعمالهم لمن يشاءون ، لينقذوا بعملهم بعض
الذين تضطرم بهم جهنم ، وما وراء هذا إلا المروق المالحد عن دين الله ، وتسفيه لارسل في
دعوتهم الناس إلى عبادة الله ، بل فيه الحكم على الله بالسفه ، لأنه هو الذى أمر الرسل
بدعوة الناس إلى عبادته .

ولكن الغزالي في خبث دهائه ، ودنس ريبائه الصوفي يدفع به حقه على الله إلى تحقير
شأن العبادة .

ولماذا يعبد الصوفي ، وقد رفع عنه التكليف ؟ .

ومن يعبد ، وهو عين المعبود ؟ !

أيقول حجة إسلام قول الغزالي ؟

دجل قديم مكشوف

أبلغ حانوتي بجهة مصر القديمة شرطة النجدة أنه توجه لدفن جثة خادم سيدى (١) محمد مسلم بـدفن العائلة حسب المقرر في تصريح وزارة الصحة . ولكن المشيعين لم يتمكنوا من حمل الجثة ، . وقال أقارب المتوفى أنهم شاهدوا الجثة تتحرك داخل الصندوق . وقد أشرف رجال الشرطة على تشييع الجنازة . ودفنها حسب المقرر في تصريح وزارة الصحة « الأخبار يوم ١٥ / ٧ / ١٩٦٣ »

ليست هذه بأولى الحوادث التى نسمعها ونقرأها عن بعض موتى القرن العشرين بل لقد سبق أن ادعى بعض الدجالين وهم يشيعون جنازات أن الميت كان يتحرك بحملة نعشه إلى الأمام وإلى الخلف . وأنه كان يجرى بهم هنا وهناك ثم ينتهى به المطاف إلى المكان الذى اختاره كما يزعمون .

واننا لنرى عجبا في هذه الحوادث فما من حادثة من حوادث تحكم الميت في حملة نعشه كما يزعمون - إلا ويكون صاحبها شيخا من شيوخ الصوفية أو أحد أتباعها . ونحن نتساءل ، لماذا لا تحدث هذه الظاهرة عند بقية موتى المسلمين . بل ولماذا لم تحدث مثل هذه الظاهرة عند الصدر الأول وهم الذين سبقونا بالإيمان والتقوى ؟ لم يؤثر عن أحد من السلف الصالح أنه طار بنعشه بعد موته . أو تحكم في حملة نعشه . ولا شك أن هذه الظاهرة تتعارض تماما مع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل (إذا مات ابن آدم انقطع عمله) فالإنسان إذن إذا زابت الروح بدنه تعطلت جوارحه وثلت إرادته ، وصار جثة هامدة لا حراك بها . وبذلك انقطعت صلته بالدنيا فكيف تقبل - بعد أن تقرر هذا - أمر هذا الميت أو

(١) هو في الواقع « سيدهم » هم . ولكننا نقول « سيدى » كما جاء على لسان الحانوتى . والمسلم الموحد لا ينبغي له أن يعترف بسيادة أحد من هؤلاء عليه وخاصة إذا كان من الموتى المؤهلين الذين اتخذهم الناس أربابا من دون الله تعالى .

ذاك حين يقال أنه فعل كذا وكذا ، وهو عمل نفاء الحديث المتقدم ؟ هل نلغى عقولنا التي منحنا الله إياها لنميز بين الحق والباطل ، حتى نصدق هذا الزعم الخارج عن نطاق المؤلف . والمتعارض مع سنن الله التي تجري على جميع خلقه ؟

على أن دفن هذا الميت بمدافن الأسرى تحت إشراف الشرطة كان أكبر دليل - لذوى الألباب - على كذب من زعموا عدم قدرتهم على حمل الميت لدفنه حسب المقرر . كما أثبت تلاعبهم الواضح بالنعش لحاجة آثمة في أنفسهم ، ولو كان هذا الميت قد دفن بجوار (سيده) محمد مسلم كما رسم حملة نعشه لشيدوا له ضريحاً ولاحاطوه بتقصيرة ثم جعلوه مزاراً يقصده طلاب الحاجات . فيدر عليهم المال الوفير ولكن الله تعالى كشف أمرهم وخيب أملهم .

* * *

مسألة فهم القرآن

في باب (حديث المدينة) الذي تنشره صحيفة (الجمهورية) سأل محرره إحدى الشخصيات المسؤولة عن الشؤون الإسلامية في إحدى أجهزة الدولة عن عدم اهتمامه بتفسير القرآن . وقصر نشاطه على ترجمته إلى اللغة الأجنبية فأجاب بأن القرآن ليس فيه صعوبة إنه مفهوم منذ نزوله حتى الآن .

« الجمهورية يوم ٣٠ - ٧ - ١٩٦٣ »

كلمة حق نلفت إليها انظار أولئك الذين يكذبون على المسلمين ويزعمون لهم أن القرآن ليس في متناول فهم كل إنسان . وبذلك حجبوا نور العلم الذي يشع من هدى القرآن عن الناس ليسهل لهم الطريق إلى احتكار الدين . مع أننا إذا نظرنا إلى كتاب الله نجد أن آياته تحثنا على قراءة القرآن . وتلح في تدبره . والتفقه فيه لمعرفة ما فيه من المعاني الهادية . يقول الله تعالى (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) سورة القمر . ويقول جل شأنه (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) الآية ٢٤ : محمد .

وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم لم تخل أيضاً من ترغيب الناس في قراءة القرآن وتدبره بقدر المستطاع . بل وبين منزلة قرائه عند الله تعالى . وذلك في الحديث القائل (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة . والذي يتتبع ^(١) فيه وهو عليه شاق له أجران ^(٢)) .

فالقرآن إذن لا يحتويه الغموض . ولا يكتنفه الإبهام . بل هو ميسر لكل من أقبل عليه يلتمس منه الهداية والخير والعافية بقلب مخلص . وعزيمة صادقة .

فتنزيل الناس غشاوات الجهل والغفلة التي وضعها على قلوبهم الكهان من تجار الدين ليحرموهم من التفيؤ بظلال القرآن . والانتفاع بثماره الطيبة ؟ . .

* * *

الاحتفال بذكرى مولد النبي

احتفل المسلمون بذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم . فاقامت الاحتفالات لهذا الغرض في الساحات الشعبية وعمد رجال الطرق الصوفية حلقات الذكر ، كما تليت القصة النبوية . وسهر المواطنون حتى الفجر لإحياء هذه الذكرى .

صحف يوم ١٢ ربيع الأول ١٣٨٣

الموافق ٢ أغسطس ١٩٦٣

.. تأتي هذه الذكرى على المسلمين في العام مرة . فيقيمون الاحتفالات . ويسهرون الليالي فيها . فكيف يحتفلون ؟ وماذا يصنعون في هذه الاحتفالات ؟

إن الصورة التي تراها في هذه الاحتفالات كل عام واحدة . لا يطرأ عليها تغيير أو جديد فهم يحتفلون به بتمايل عرائس الحلوى والمأكولات .. وباقتراف الرقص والغناء الشرقي والخلاعة ولعب القمار ومنكرات من كل لون .. هذه هي مظاهر الاحتفال عند مسلمي اليوم . فهل في هذه المظاهر شيء يليق بمقام الرسول صلى الله عليه وسلم وقدره ؟ أو يذكر المحتفلين

(١) التمتع : التردد في الكلام ، والقراءة بصعوبة .

(٢) أجر المشقة في القراءة . وأجر محاولة القارئ التفقه في القرآن والانتفاع به .

به بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم . وما كان يتصف به من أدب وخلق وبر ورحمة ١٢
ولأنما يفعلون خلاف ما جاءت به شريعته ، وسارت عليه سنته .

ولا ندرى لماذا يهتم المسلمون اليوم بذكرى مولد الرسول البشرى . والاهتمام به بهذه
الصورة المنكرة . وقد كان جديراً بهم أن يهتموا بمعرفة مولد رسالته كما كان يفعل سلفنا
الصالح رحمة الله عليهم .

لقد عرف السلف الصالح أن ما ينبغي أن يهتم به هو ذلك اليوم الذى ولدت فيه رسالة النبي
في غار حراء حين جاءه الوحي وأخبره باصطفاء الله له بحمل رسالة الهدى والخير وتبليغها
للناس جميعاً . . . فخرج من الغار لتأدية هذه المهمة الثقيلة : فكانت ذكرى ذلك اليوم ماثلة في
أذهان صحابته يحيونها في كل يوم وكل وقت بترسمهم خطى الرسول صلى الله عليه وسلم
في حياتهم الخاصة والعامة قولاً وعملاً . فكانوا بحق (خير أمة أخرجت للناس) .

وبمناسبة ذكرى المولد كتب^(١) فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت كلمة قيمة
ننشر هنا جزءاً منها . قال فضيلته (... وكان إيمان الأولين بهذه الذكرى . وبصاحب هذه
الذكرى عليه السلام إيماناً عملياً بالأفعال لا بالأقوال . بالقلوب والأرواح .
بالدماء والأموال والأهل والعشيرة . بالمتاع والنعيم . بكل لون من ألوان التضحية
والإيثار والجهاد . آمنوا بنبيهم . وبذكرى نبيهم عن طريق اتباعه . وإحياء سنته والتحلي
بأخلاقه . وإقامة شرعه ودينه .

وظل المسلمون كذلك حتى غيروا ما بأنفسهم . فانطفأ هذا النور من قلوبهم . وأقفر
بصائرهم من أسيارهم . ولم يبق لهم منه إلا صورة مرسومة بحروف في الصحف أو الكتب ،
يرجعون إليها كلما عاودتهم الذكرى ، أو أهل عليهم شهر ربيع . اكتفوا بذكرى محمد
صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع من كل عام . وتركوا الاقتداء والتأسي به . وانحازوا إلى
شرائع وتقاليد وأخلاق لا يعرفها محمد . وما أنزل الله بها من سلطان ... الخ)

هذه هي كلمة فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر التي أبان فيها صلة المسلمين
بالأمس واليوم .

ثم يحق لنا بعد ذلك أن نتساءل : هل كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحتفل بذكرى

مولده ؟ أو هل احتفل صحابته والمسلمون من بعده بهذه الذكرى ، وعلى هذا النحو الذى نراه اليوم ؟ .

لا شك أن وقائع التاريخ تنفى ذلك تماما . فلم يكن يحتفل بذكرى ميلاده . وكذلك صحابته الأظهر أو التابعون من بعدهم لم يفعلوا ذلك ، وإنما نشأ الاحتفال بمولد النبي البشري في عهد الدولة الفاطمية . . تلك الدولة التى أرادت أن تقيم دولتها في مصر على زعم حب الرسول وأهل بيته . ليرضى عنها الناس . فابتدعت (١) له ولأهل بيته هذه الموالد . وسنت الاحتفال به . فكان لها ما أرادت . ثم سار المنتسبون إلى الإسلام بعد ذلك على سنة الفاطميين في الاحتفال بهذه الموالد كل عام .

* * *

الغناية بتدريس القرآن والسنة

أوصى مؤتمر المعلمين العرب الذى عقد في الجزائر بأن تتضمن المناهج الدراسية في المدارس العربية القدر المناسب من القرآن الكريم والحديث الشريف حفظا ودراسة . مع اعتباره مادة أساسية كما أوصى بالغناية الدينية داخل المدرسة .

« الجمهورية يوم ١٢/٨/١٩٦٣ »

♦ ♦ وفضلا عن ذلك . حبذا لو جعلنا مادة القرآن والحديث شرطا لنجاح الطالب بنسبة معينة . . فإن الواجب يفرض علينا أن نفرس عقائد الإسلام ومبادئه القويمة في نفوس أبنائنا حتى نتمكنهم من صد تيارات الإلحاد التى يروجها في بلادنا الجاهلون بحقيقة الإسلام من أبناء هذه الأمة وغيرهم من أعداء ديننا الحنيف . . تلك التيارات التى تغزو مجتمعاتنا في شكل كتب ومجلات وأفلام ماجنة وأزياء فاضحة ، وغير ذلك مما نقلد فيه الأجانب .

على أننا نرى أنه بدون نشر مبادئ الدين القويمة في المجتمع لا يمكن لأمتنا أن تنشئ جيلا قويا مسلحا بالإيمان والعزيمة والرجولة كما أن الحياة ذاتها إذا خلت جوانبها من هيمنة الدين عليها . فإنها تنقلب إلى فوضى وإباحية وتحلل . وتكون مرتعا خصبا للفساد والضلال . . وهذا شر ما تقتل به الجماعات .

سهر محمد صادق

(١) راجع تفصيل نشأة هذه الدعة في كتاب : « تاريخ الاحتفال بالمولد النبوى »

للاستاذ حسن السندوبى

حرية الفكر في الاسلام

بقلم العبد عبد الحليم محمد من الملاحى

لقد أتى على الناس حين من الدهر ، كان مبلغهم من العلم بالدين أنه مجموعة من العقائد والأعمال التي لا مجال فيها للعقل ، ولا متسع فيها للبحث والنظر ، لأن القادة الدينيين الذين استمدوا قيادتهم من وحى الأهواء ، وطغيان الشهوات ، كانوا يقولون لمن يلقنونه هذه العقائد والأعمال : « اطفىء مصباح عقلك . ثم اعتقد وأنت أعمى » فلا يباح له أن ينظر فيها بعقله وفكره وإنما عليه أن يتلقاها بالتسليم المطلق والتقييد الأعمى ، وبذلك سيطروا على عقولهم ، وسلبوهم حرية الفكر ، واستقلال الإرادة ، وفرضوا عليهم ماشاءوا من العقائد التي اختلقوها بأهوائهم ، والشرائع التي ابتدعوها بجهلهم وضلالهم .

وبقى هذا الضلال شائعاً في عقائدهم وأعمالهم ، حتى جاء الإسلام في جلال الحق ، وصفاء النبع ليضع عنهم تلك الأغلال التي كانت جاثمة على عقولهم وأفكارهم ، وبزيل هذه الآكنة التي كانت مضروبة على قلوبهم وأبصارهم ، فنادى بصوت ملا الحافقين ، وأسمع الثقلين ، أنه الدين الذي يسير الفطرة والوجدان ، ويحكم الحجة والبرهان ، ويطالب العقلاء بالبحث والنظر وتحكيم العقول ، ومراجعة الضمائر ، والاهتداء بنور العلم والمعرفة ، وأقام صرح هذه الدعوة التحررية على الدعائم الآتية :

الدعامة الأولى : تحرير الإنسان من الحجر العقلي والسكرت الفكرى ، لكي يكمل بذلك عقله ، ويستقيم تفكيره ، وتكتمل له شخصيته وإنسانيته ، فإن كمال العقل هو الدعامة الأولى لصحة العقائد وكمال الأخلاق وصلاح الأعمال كما يشير إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « إن الآحق يصيب بجهله أكثر من فجور الفاجر ، وإنما يرتفع العباد غداً في الدرجات الزلنى عند ربهم على قدر عقولهم » و « ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهذى صاحبه إلى هدى ، ويرده عن ردى ، وما تم إيمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله » و لقد عنى القرآن ببناء هذه الدعامة عناية كبرى ، فاستنهض العقول والأفهام ، وأيقظ الحواس ونه المشاعر ، وطالب العقلاء بالنظر في ملكوت السموات والأرض ، والتعرف على أسرار العوالم الكونية ونواميسها ، وما فيها من الدلائل على وجود الله ووجدانيته ،

في الوهية وربوبيته ، كما قال جل شأنه (أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء) ، (أفلم يسيرا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ، أو آذان يسمعون بها ، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) ، (وفي الأرض آيات للموقنين . وفي أنفسكم أفلا تبصرون) وأكثر من ذكر الآيات الكونية ومطالبة العقول بالنظر فيها كما يتجلى ذلك في التنقيب عليها بمثل قوله جل جلاله (إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون . . . يقوم يتفكرون . أفلا تعقلون . . . أفلا تبصرون) .

وذم الغافلين ونعى عليهم غفلتهم وإعراضهم عن دلائل هذه الآيات كما في قوله تعالى : (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس ، لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون) (وكأين من آية في السموات والأرض يبرون عليها وهم عنها معرضون) .
وبشر الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، ومدحهم وأثنى عليهم كما قال تعالى (فبشر عباد . الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولوا الألباب) .

الدغامة الثانية : تحرير الإنسان من رق التقليد الأعمى ، وتربيته على حرية الفكر ، واستقلال الإرادة واحتقار التقليد والتبعية العمياء ، فإن التقليد الأعمى من شر ما تبلى به الأفراد والجماعات فإنه هو السبب الأول في الجود على الأباطيل الموروثة ، وإهمال مواهب الفكر والنظر ، وعدم التمييز بين الحق والباطل ، وفي ذلك جناية على الحق ، وقضية النفس ، وقتل للمواهب ، وامتهان للعقول ، وهو الباعث القوي على الوقوف في طريق الإصلاح والمصلحين ، وقيام التعصب الجماعي لحماية المعتقدات والعادات الموروثة ، ومحاربة كل جديد يكشف عن زيفها وباطلها ، لأن العقائد والمذاهب إذا قامت على أساس الوراثة ، أو تقليد الآباء والأجداد فإن ذلك يضفي عليها قداسة تستحوذ على عواطف الوارثين لها ، وتصرفهم عن التفكير في مدى صحتها أو بطلانها ، وتحملهم على التعصب الجماعي لحمايتها والإبقاء عليها ، ومعارضة كل جديد يخالفها ، أو ينقص من قداستها ، ولو كان ذلك الجديد أهدى منها سبيلاً ، وأقوم طريقاً ، وقد قرر القرآن هذه الحقيقة في آيات كثيرة كقوله تعالى (وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ، قال أولو جنتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلنا به كافرون) وقوله (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال

الكافرون هذا ساحر كذاب . أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب ، وانطلق
الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آهتكم إن هذا لشيء يراد) .

فانظر كيف يفعل التعصب الجماعى بأهله ، فقد كانت صناديد قریش يعرفون رسولهم
كل المعرفة ، ويعلمون صدقه وأمانته حق العلم ، ولكن التعصب القاسم على تقدیس
ما وجدوا عليه آباءهم ، هو الذى حملهم على الكفر بنبوته ورسالته ، ورميه بأنه ساحر
كذاب ، ووصف التوحيد الذى جاءهم به بأنه شيء عجاب ، والتواصى بالصبر والثبات
على شركهم وضلالهم ، ولو أنهم سلكوا طريق التحرر من سلطان التعصب الجماعى الذى
أرشدهم إليه القرآن بقوله : (قل إنما أعظكم بواحدة . أن تقوموا لله مثنى وفردى ثم
تفكروا ما بصاحبكم من جنة ، إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد) وقاموا لله
مثنى وفردى ، وخلا كل منهم بصاحبه أو بنفسه ، يستطلع رأيه ، ويستكشف سره
ويستوحى عقله ، ويستفتى قلبه ، لزال تلك الغشاوة التى عقدتها التعصب على القلوب
والأبصار ، ولعلوا أن صاحبهم صلوات الله عليه ، ليس به من جنة كما يفكرون ، وما هو
إلا نذير لهم بين يدي عذاب شديد . من هنا يتجلى لنا السرفى تمسك الأمم بالعقائد
والمذاهب الموروثة ، وإن كانت لا تقوم على أساس من الحق ، ولا تعتمد على نظر
صحيح ولا تتفق مع ما بلغته من الرقى العقلى ، والتقدم العلمى ، وهو أن التقليد الأعمى من
شر ما تبلى به الأفراد والجماعات ، ولهذا كان لابد للإسلام وهو يقيم دعائم التحرير ،
وببنى قواعد الإصلاح ، أن يحمل حملة قوية على المقلدين لإعراضهم عن الحق ،
وجمودهم على متابعة ما وجدوا عليه آباءهم من الضلال والانحراف ، ونعى عليهم جهلهم
واقترامهم على الله الكذب ، كما قال تعالى (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع
ما ألفينا عليه آباءنا ، أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون) ، (وإذا فعلوا فاحشة
قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ، قل إن الله لا يأمر بالفحشاء ، أنقولون على الله
مألاً تعلمون) وسجل عليهم ما يقع منهم فى الدار الآخرة من الاعتراف بما جنته عليهم
الطاعة العمياء لسادتهم وكبرائهم كما قال تعالى : (يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون ياليتنا
أطعنا الله وأطعنا الرسولا . وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا . ربنا
آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً) .

وهكذا كشف الإسلام عن مدى جناية التبعية العمياء على الاتباع والمتبوعين ، وقضى
على سلطة المتألهين من قوى القيادة الضالة ، والزعامة الزائفة ، وخلع عنهم رداء القداسة

التي اتحلوها لأنفسهم ، والتي جعلتهم في نظر المخدوعين فيهم أربابا من دون الله تعالى ، وأهاب بأسرى التقليد والتبعية العمياء ، أن يحرروا أنفسهم من هذه العبودية التي أهدرت كرامتهم وإنسانيتهم ، وأن يعلوا أن الاشقاء والإسعاد ، وربوبية التشريع والعبادة . أمور خالصة لله ملكا واستحقاقا ، وأن أساس الإيمان الصادق والدين الخالص ، هو التسليم الكلي لشرع الله الذي أنزله على رسوله ، لا إلى تشريع أحد من البشر رؤساء كانوا أم مرموسين كما يشير إلى ذلك قول الله عز وجل : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) . (فأولئك هم الظالمون) . (فأولئك هم الفاسقون) ، (أخكم الجاهلية يبغيون ، ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) ، (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) .

المقال بقية

من رسائل القراء :

ذكريات

قصيدة عامرة الأبيات للأستاذ الشاعر نجاتي عبد الرحمن ، يذكر فيها ذكريات الهجرة النبوية ، ومولد الرسالة المحمدية ، وأجساد المسلمين في عصرهم الذهبي في القرون الفاضلة (خير القرون) سننشرها في العدد القادم إن شاء الله .

المحدثات (البدع)

أرجوزة شعرية شقيقة للأستاذ عبد المنعم محمد حلمي عبد الرحمن ، ينمى فيها على البدع والمحدثات في الدين ، كما ينمى على أصحابها والقائمين على تلك البدع ، ويدعوهم فيها إلى الدين الحق ، وترك ما أحدث الناس من أهواء وضلالات . سننشرها في عدد تال إن شاء الله .

غزوات الرسول ﷺ

ضاق نطاق هذا العدد عن إدراج (الغزوات) التي يحررها الأستاذ سعد صادق محمد ، فإلى العدد القادم إن شاء الله .

أسئلة وأجوبة

جاءتنا هذه الأسئلة من الأخ العريف: محمود اسماعيل الجزار من شرطة النجدة بالفيوم:

أرجو بيان درجة صحة هذه الأحاديث للأهمية ولكم الشكر .

س — ١ — روى عن عمر رضى الله عنه مرفوعاً ، أن آدم عليه السلام رأى اسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوباً على العرش ، وأن الله تعالى قال لآدم ، لولا محمد ما خلقتك . أخرجه الحاكم في المستدرک ج - ٤

عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أتاني جبريل فقال إن الله يقول : لولاك ما خلقت الجنة . لولاك ما خلقت النار ، أخرجه الديلمي في مسند الفردوس ج - ٥ وقال ابن عباس . « أوحى الله إلى عيسى ، آمن به محمد و امر أمتك أن يؤمنوا به ، فلولاً محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار . ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب . فكتبت عليه (لا إله إلا الله ، محمد رسول الله فسكن) أخرجه الحاكم وصححه وأقره السبكي في شفاء السقام والبلقينى في فتاويه ، ومثله لا يقال رأياً لحكمه الرفع ، وفي سنده عمر ابن أوس لا يدرى من هو - أنظر صفحة ٤٤ - ج - ١ شرح الزرقانى على المواهب ج - ٦

ج ١ — هذه الأحاديث التي وردت في السؤال كلها غير صحيحة ولم يحىء شيء منها في الصحيحين ولا في السنن والمسانيد المعتبرة ولا عبرة بتصحيح الحاكم أو غيره لها فانه معروف بتساهله وقد استدرك على الشيخين أحاديث كثيرة زعم أنها على شرطهما وغرضه من ذلك الترويج لها وهي ليست بشيء أصلاً .

وخصائص نبينا صلى الله عليه وسلم قد وردت في القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة وليس منها أن الله خلق الأشياء جميعاً من أجله ، فمن خصائصه التي نطق بها القرآن أنه خاتم النبيين لا نبي بعده .

قال تعالى من سورة الأحزاب (ما كان محمداً أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله

وخاتم النبيين) .

ومنها أنه يشفع في عموم الخلق يوم القيامة ليصرفهم الله من الموقف إلى فصل القضاء بينهم وهذا أصح الأقوال في تفسير المقام المحمود المذكور في قوله تعالى من سورة

الإسراء (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) .

ومنها عموم رسالته إلى جميع أهل الأرض بل وإلى الثقلين من الإنس والجن .

قال تعالى من سورة الأعراف (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا) .

وقان من سورة الأنبياء (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) .

وقال من سورة سبأ (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً)

ومنها تفضيل أمته على سائر الأمم وهذا بالضرورة يقتضى تفضيله على سائر الرسل قال تعالى من سورة البقرة (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) .

وقال من سورة آل عمران (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) .

ومنها البشارة في الكتب السابقة وعلى لسان المسيح عليه السلام آخر أنبياء بني إسرائيل قال تعالى من سورة الأعراف (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل) .

وقال من سورة الصف (وإذا قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) .

ومنها حفظ الكتاب الذي أنزل عليه مما وقع للكتب قبله من التحريف والتبديل وجعله معجزة باقية أبد الدهر كما قال تعالى من سورة الحجر (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) .

وأما خصائصه صلى الله عليه وسلم من السنة فقد صرح عنه أنه قال أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر وأحللت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمي أدركته الصلاة فعنده مسجده وطهوره وبعثت إلى الناس كافة وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وأعطيت الشفاعة) .

وفي بعض الروايات وأوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطهن أحد قبلي . وأوتيت مفاتيح خزائن الأرض .

وصح عنه كذلك إنه قال « إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن ، ثم صلوا على-
فان من صلى على مرة صلى الله عليه بها عشرا . ثم سلوا الله لى الوسيلة فإنها درجة فى الجنة
لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون هو » .

وقال أيضا فى الصحيح عنه « أنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وأنا أول من تنشق عنه
الأرض ، وأول من يجوز الصراط ، وأول من يحرك خلق الجنة النخ » .

وقال « لكل نى دعوة مستجابة وقد تعجل كل نبي دعوته فى الدنيا ، وخبأت دعوتى
شفاعة لأمى ، فهى نائلة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا » فهذه جملة خصائصه
اللى لا يمارى فيها أحد . فقد نطقت بثبوتها الآيات والأحاديث الصحيحة كما قدمنا . أما
أن الله خلق الأشياء كلها من أجله فلو كان صحيحا لتوفرت الدواعى على نقله ولم تقتصر
روايته على مثل الحاكم والديلمى فان المنقبة فيه أعظم لو جاز أن يكون لأحد من الناس .

على أن هذا معارض لما صرحت به الآيات من أن الحكمة فى خلق المكلفين إنما هى
عبادة الله ومعرفته وابتلاء المكلفين واختبارهم .

قال تعالى من سورة الذاريات (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) .

وقال تعالى من سورة الملك (الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا) .

والذى يظهر أن هذا القول قد اخترعه غلاة المتصوفة يضاهئون به قول النصارى فى
عيسى عليه السلام حيث زعموا أنه خلق أولا ثم وكل الله إليه عملية الخلق والإيجاد وأنه
هو الذى يحاسب الخلق يوم الدينونة إلى غير ذلك مما نهانا عنه نبينا صلى الله عليه وسلم
من الغلو الممقوت حيث قال :

« لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم وإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله »

والذى يقرأ كتب هؤلاء المتصوفة لا سيما كتاب (الإنسان الكامل) للجيلى يعرف
كيف غلوا فى هذا الباب مثل غلو النصارى أو أشد .

وقد افتن بكلامهم كثير من الناس حتى بمن ينتسبون إلى العلم والدين وجرى هذا القول
على ألسنتهم وفى أشعارهم كما يقول البوصيرى :

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم
بل ويشد في غلوه مرة أخرى حين يقول مخاطباً النبي صلى الله عليه وسلم :
فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم
فنسأل الله لنا ولجميع إخواننا السلامة من الزيغ والانحراف والتزام سبيل القصد
والانصاف ، إنه سميع مجيب .

س ٢ — فقدت حافظة نقودي وكان ضمن ما بها مبلغاً أمانة (الله) أعطته لي صديقة لأقوم
بتوصيله لبعض الفقراء والمحتاجين . فما حكم هذه الأمانة ؟
هل أقوم بسداد ما بها ؟ مع العلم بأن من ستدفع لهم هذه الأمانة لم يعينوا لي وإنما
كان متروكاً لي اختيارهم ؟ .

س ٣ — هل يجوز لفتاة بلغت من العمر التكليف الشرعي أن تتعلم فن الخياطة
والتفصيل على يد رجل خياط يقوم بالخياطة للسيدات مع ما هو معروف عما يمارسه أي
خياط في قياس الملابس على اجسام السيدات من نظرة فاحصة ولمس بما هو في حاجة إليه
لضبط خياطته ؟ ؟

أفيدونا والله يتولى جزاءكم .

قارئة من قارئات المجلة

ج ٢ — أر الإسلام قد عظم من شأن الأمانة ونهى أشد النهي عن تضييعها وأمر
بأدائها إلى أهلها متى طهرها قال تعالى من سورة النساء (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات
إلى أهلها) .

وقال عليه الصلاة والسلام : لا أمانة له ، والأمانة التي كانت بحافظة النقود
قد تعلق بها حق النقد . أنت أم ... عن صديقك في توصيل هذه النقود إليه
فلا تبرأ الذمة إلا ... دعيت عند ... شيئاً لحفظه ففرق أو تلف بدون
إهمال منك فلا ...

ج ٢ ب — أحد من الرجال أن يقوم بخياطة

ثياب السيدات لأن ذلك يستلزم النظر إلى أعضاء جسومهن . ووضع اليد عند التفصيل والقياس .

وعلى ذلك فلا يجوز للفتاة المسلمة أن تلجأ إلى رجل خياط لتعلم عنده الخياطة ، والخائطات من النساء كثير فما الذي يدعوها إلى الدخول في أمر لا تحمد عاقبته ، وزادك الله ابتها السائلة حرصا على دينك .

س ٣ — لى ابنة عم وفي نفس الوقت شقيقتى فى الرضاع فهل يجوز لى الزواج منها ؟ وأيضا ابنة عمى هذه لها ابنة أخ يكبرها ، فإذا حصل أن حرم زواجى من ابنة عمى فهل يجوز لى الزواج من ابنة أخيها ؟

نور الهادى محمد

كريمه - مصنع البلح

سودان

ج ٣ — قال عليه الصلاة والسلام (يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب) وعلى ذلك فابنة عمك التى رضعت معك من ثدى واحد خمس رضعات مشبعات حرام عليك لأنها أختك من الرضاع سواء كانت التى أرضعتك أمك أنت أم أمها ، ولكن الأمر يختلف بالنسبة لبنت أخيها فإن كنت أنت الذى رضعت من أمها فقد صار أخوها كذلك أخاك فتحرم عليك ابنته لأنها ابنة أخيك وإن كانت هى التى رضعت من أمك فأخوها أجنبي عنك وبذلك تحل لك ابنته والله أعلم .

محمد خليل هراس

المدرس بكلية أصول الدين

فرع إمبابة

عقد فرع الجماعة بامبابة جمعياته العمومية السنوية مساء الخميس ٢٥ من ربيع الأول سنة ١٣٨٣ الموافق ١٥ من أغسطس سنة ١٩٦٣ . أقيمت فيها كلمات ثم أجريت الانتخابات . ولضييق المقام فإننا نؤجل نشرها للمعدد القادم إن شاء الله .

مولد الدعوة

[جاءتنا هذه القصيدة العصماء من فضيلة الاستاذ صاحب التوقيع في ستين بيتاً تقريباً ، وقد نشرنا هنا ما اتسع لها المقام منها] .

يا للسماء تألفت أجرامها	وبدا من الدر الثمين وسامها
وتلا الكون البديع بنورها	وأتى من الملائكة سلامها
والصبح بطلع للعباد بضوئه	هدياً ، فولى ظلمها وظلامها
بالوحي جبريل الأمين منزل	والآي حق وحيها وكلامها
اقرأ محمد ! للبرية وحيه	اقرأ فأت رسوله وإمامها
اقرأ ! فأت اليوم قائد أمة	لله قام على الهدى لإسلامها
دين الشريعة والحنيفة والتقى	دين السعادة للنفوس عصامها
سر بالعباد على الصراط ميمماً	نحو المكارم في يدك زمامها
الله أكبر ، إن دينك شرعة	عظمت بدستور الهدى أحكامها
من فوق عرش الله ينزل وحيها	غيثاً ، يفيض على الورى إنعامها
الحكم فيها بالمشورة قائم	والحاكمون لشعبهم خدامها
والنصر معقود لكل حماتها	والسعد موصول به أيامها
والعيش ود كله ومحبة	والأمن قد فازت به أقوامها
والحق مرفوع العباد موضح	خفقت به نحو العلي أعلامها
والله يحفظ شرعه وكتبه	وجنوده بالحق عز مقامها
وتحررت في الأرض جل عبيدها	وتبددت فوق الثرى أصنامها
وتنورت تلك العقول بهديها	إذ زال عنها بالهدى أوهامها
والقوم تسجد للإله عبادة	لا تنثنى للالكين عظامها
لا تنحنى للظالمين وإمامها	لله كان سجودها وقيامها
لا ترضى بالذل بعد معزة	إن المذلة للنفوس حامها
في (مكة) الغراء بجمع شملها	حج يحىء من العلي إكرامها

المسلمون فقيرهم وغنيهم
 المال ينفقه الغنى لبائس
 حق الفقير لدى الغنى زكاته
 يعطى ويمنع لا مرد لحكمه
 ولرب منع قد يكون عطاءه
 عند المتأسك قد تسامت هامها
 نزلت به بأساؤها آلامها
 والله صاحب ماله قسامها
 يعلى ويخفض للورى قوامها
 ولرب مال قد أضر حرامها

الدين بالإيمان يرفع أمة
 والمرء لن يرقى بغير خليقة
 والناس لن تحيا بغير شريعة
 والملحدون على الظلام مسيرها
 ظنوا الحياة إباحة فتجرات
 والجامدون على الضلال بقاؤها
 هل يبصر الخفاش ضوءاً ؟ ! إنه
 يأمة الإسلام ! دعوة أحمد
 الدين يدعوكم فأين كتابها ؟
 الحق يبلغه الكرام بحسبهم
 والدين علم ، واتباع شريعة
 والحق يبقى رغم كل مكيدة
 فى العالمين وشركها هدامها
 يحيى النفوس كلها وتنامها
 بالحق قد زالت بها أسقامها
 ألقت بها نحو الردى آثامها
 تعدو على الإسلام طاش سهامها
 إرث الأبوة فى الظلام هيامها
 يخشى الضياء ، ومثلها أقوامها
 أنتم لها جند ! لها خدامها
 أين الهداة بها ؟ وأين عظامها
 والخير لن يحظى به نوامها
 وجمال أخلاق يسود نظامها
 والمبطلون يبيدهم علامها

لبك رب العرش إنا أمة
 فامنن بنصر المسلمين فقد طغى
 واجمل صلاتى للنبي وصحبه
 لى النداء خيارها وكرامها
 حقد العداة ، شرورها ، آثامها
 نوراً ، يضىء مع الزمان دوامها

عمرو محمد من التندى
 إمام المسجد المجيدى بلوى

خطبة منبرية

الخطبة الأولى

الحمد لله الذى له ملك السموات والأرض ، يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم . هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش ، يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ، وهو معكم أينما كنتم ، والله بما تعملون بصير له ملك السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور . يولج الليل فى النهار ، ويولج النهار فى الليل ، وهو عليم بذات الصدور .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، الذى لم يتخذ ولداً ، ولم يكن له شريك فى الملك ، وخلق كل شيء فقدره تقديراً .

وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله ، صاحب الشفاعة العظمى والمقام المحمود ، واللواء المعقود ، والحوض المورود ، فرض الله على العباد طاعته ، وتوقيره وتعزيره ومحبته . صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فيقول الله تبارك وتعالى وهو أصدق القائلين (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ، وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون . . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون) ويقول (وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً ، إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) ويقول (إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه . ذاكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون) ويقول فى آية الكرسي (من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه) ويقول (يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولاً) .

أيها المسلمون : يبين الله سبحانه وتعالى فى هذه الآيات البينات ، ماهى الشفاعة ، وكيف تكون ، ومتى تكون ، وعلى أى صورة تكون ، الشفع ضد الوتر ، والشفاعة أن تنضم إلى صاحب حاجة فتسمى معه إلى من بيده حاجته ليقضها له ، فتكون شفعاً له — أى ثانياً — بعد أن كان وترأ منفرداً ، لتساعده وتعاضده ، أو تشرح حاله لمن لا يعرفه ، ولمثل هذا

الشافع أجر سعيه في مصالح عباد الله ، وجلب المنافع لهم ، ودفع المضار عنهم ، هذا بالنسبة للناس بعضهم لبعض . أما بالنسبة له سبحانه وتعالى فإنه أعلم بحال عباده وما ينفعهم وما يضرهم أكثر من علمهم هم أنفسهم ، وقد اشترط سبحانه لقبول الشفاعة عنده شرطين . أولهما أن يشاء . ويأذن للشافع أن يشفع ، وثانيهما أن يرضى عن المشفوع فيه . وكيف للناس أن يعلموا استيفاء هذين الشرطين إلا بوحي منه سبحانه ؟ لا سبيل لأحد أن يعلم من ذلك شيئاً . فقد انقطع الوحي بعد أن رفع الله رسوله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى فمن الجرأة على الله أن يقتحم إنسان كائناً من كان هذا الباب فيشفع عند الله لإنسان آخر وهو لا يملك من الله إذناً ولا يعلم منه رضى .

إن المؤمن الصادق الإيمان الذى عرف قدر نفسه وعرف مقام ربه لا يستطيع أن يجترأ عليه ويدعى القدرة على الشفاعة لغيره ، بل إنه يكون دائم الخوف والوجل والاشفاق على نفسه ، إنه قد عرف — وهو العبد الخاشع الخاضع لربه — أنه سبحانه قد حجب الشفاعة عن عباده واختص بها هو وحده ، فسمع العبد وأطاع ووقف عند حده ، ألم يقل الله فى محكم آياته (الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون) . فكيف يتخذ لنفسه بعد ذلك ولياً أو شفيعاً من دون الله ؟ بل يهتف من أعماق قلبه ليس لى من دونك ياربى ولى ولا شفيع ، ألم يرتجف من الانذار الذى وجهه الله إليه فى كتابه بقوله تعالى (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلمهم يتقون) فكيف لا يخاف ويتقى وقد أنذره الله أنه سيحشره إليه ليس له من دونه ولى ولا شفيع ؟ .

أيها المسلمون : إن الله سبحانه وتعالى هو الولى الحميد ، وله سبحانه الشفاعة جميعاً ، فلا تسأل غيره ، ولا ترجو سواه ، ولا تتوكل إلا عليه . وما كفر من كفر ، ولا أشرك من أشرك إلا لا تتخاذم الأولياء والشفعاء من دون الله ، واسمع إلى قول العبد الصالح الذى قال : (ومالى لا أعبد الذى فطرني وإليه ترجعون ، أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئاً ولا يفتقدون . إني إذا لفي ضلال مبين) .

أما هؤلاء الذين وصفهم الله بالشرك فأنهم اتخذوا من عباد الله شفعاء كما قال تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل أننبشون الله

بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض ، سبحانه وتعالى عما يشركون) . ألا ما أنفس هؤلاء الجهلة الذين يظنون بالله ظن السوء ، فيزعمون أن شفعاؤهم هؤلاء سينفعونهم لاني الدنيا لحسب بل في الآخرة أيضا . إنهم عجزوا أن يقدموا لأنفسهم خيرا لأنهم سلبوا قيادهم للشيطان فزين لهم حب الشهوات من النساء والبنين والقناطر المقنطرة من الذهب والفضة ، فلم يعرفوا الله في شيء من ذلك أمرا ولا نهيا ، ولم يطيعوا له فيها حكما ولا شرعا فانسلخوا من آيات الله ، واخلدوا إلى أرض البهيمية والشهوات . ثم زين لهم بعد ذلك أن يتعلقوا بخيوط العنكبوت من الأولياء والشفعاء ، (وإن أوهن البيوت لبית العنكبوت لو كانوا يعلمون) .

أيها المسلمون : لو أننا تدبرنا آيات الله حق تدبرها ، وتلوناها وفهمناها حق تلاوتها وفهمها ، لوجدنا فيها الشفاء من كل داء ، ولعلمنا أنه لن تنفعنا عند الله شفاعة الشافعين ولن يحدينا عنده إلا سعيينا وعملنا بطاعته واتباع أوامره واجتناب نواهيه . وقد قال لنا سبحانه وتعالى (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى . وأن سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى) . وهو سبحانه حذرنا في كتابه قائلا (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ، ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين) ويحذرنا أكثر من ذلك بقوله تعالى (ولقد جئتمونا فردى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم ، وما نرى معكم شفعاء كم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء ، لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون)

هل بقي بعد ذلك عذر لمن يرجو لنفسه النجاة ؟ أليست هذه آيات الله البينات تقطع رجاء كل تعلق بغير الله ؟ لا يغرنك يا أخي ما يروجه الصوفية وسدنة القبور من الباطل الذي لا يغنى من الحق شيئا . إن الله سائلك حين توسد قبرك — وهو أول منزل من منازل الآخرة — عن كتابه وعن نبيه صلى الله عليه وسلم ، فهل أعددت الجواب ؟ هل ستقول سمعت الناس يقولون فقلت مثل ما يقولون ؟ أعد الجواب الذي ينجيك في ذلك اليوم الذي لا ريب فيه ، أعرف كتاب ربك ، وأعرف سنة نبيك ، لاتبغ عنهما حولا ، ولا تطلب عنهما بدلا ، فهما وحدهما جبل النجاة ، وفيهما وحدهما الهدى والفوز والرجاء .

أيها المسلمون : إن العاقل الرشيد هو الذى يسير فى حياته على نور وبصيرة ، فى دينه ودنياه ، ولا يلقى به أن يتعلق بالخيالات والأوهام ، ويترك الطريق الواضح المنير الذى يجد فيه اليقين والثبات ، وهو طريق كتاب الله وطريق سنة رسوله صلى الله عليه وسلم . أين يجد اليقين من يتخذ من دون الله الأنداد والوسطاء والشفعاء ؟ هل يجده فى كتب المناقب والكرامات التى سودها عباد المقاصير والقباب وصناديق النذور ؟ هل يجده فى كتب الآوراد والأحزاب والدلائل التى زورها المبطلون ليصرفوا الناس عن كتاب الله وحديث رسوله ؟ هل يجده فى حلقات الرقص الماجن التى يسمونها كذباً ذكراً وهو فى الحقيقة عبث وغفلة ؟

لا يقين فى شيء من ذلك أبداً ، إنما اليقين فى كتاب الله ، وقد استمعتم أيها الأخوة من آياته المشرقة ما يثلج صدور المؤمنين ، ويعلوها ثقة بالله وحباً وتوكلاً عليه . إن المؤمن حينما يقرأ فى كتاب الله آيات قدرته سبحانه فى الأرض والسماء وما بث فيهما من مخلوقاته من السكواكب والنبات والحيوان ، وما سخر فيهما من الرياح والسحاب والبحار والأنهار ، إنه حين يقرأ ذلك وأمثاله من دلائل عظمته ورحمته يسجد لله مسبحاً مكبراً ، لا تستطيع قوة فى الأرض أن تصرفه عن الله وآياته ليتخذ له الأنداد والشفعاء . إن الشيطان إنما يجتال الغافلين عن آيات الله ، إنما يضلل الجاهلين المقلدين الذين لا يطلبون الدين والهدى عند الله وعند رسوله ، بل يطلبونها عند الشيوخ والآباء .

إن آية واحدة تكفى لهداية من أراد لنفسه الهدى ، فكيف به كله وهو الذى أنزله الله هدى ونورا ؟ اصغ إلى قوله تعالى فى سورة سبأ : (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ، وما لهم فيهما من شرك ، وما له منهم من ظهير . ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) ألم يقطع الله سبحانه وتعالى فى هذه الآية كل الأسباب التى يتعلق بها المشركون جميعاً ؟ انه سبحانه نفى أن يكون أحد كائناً من كان مالكا لمثقال ذرة فى السموات والأرض ، بل هو مالك الملك وحده ، ونفى أن يكون أحد شريكاً معه فيهما ، ونفى أن يكون قد اتخذ منهم معيناً وظهيراً فى تدبير ملكه ، وإنفى أن يقدر أحد منهم أن يشفع عنده لأحد إلا من بعد إذنه . لقد نفى الله كل ما يمكن

أن يتخذ المشرِك سبياً لشرِكه . فهل يبقى لعازل بعد ذلك عذر ؟ فإذا ترجعوا عند الخلق بعد ذلك ؟ كفى بهذه الآية نورا وبرهاناً وقطعاً لأصول الشرِك وموارده ، ولكن أين العقول التي تفهم ، وأين القلوب التي تدبر ؟ إنهم يظنون أن هذه الآية وأمثالها نزلت في السابقين وفي قوم آخرين ، وكأنها أصبحت منسوخة بالنسبة لهم ، أو لا تجرى عليهم أحكامها ولو ارتكبوا ما نهى الله عنه فيها ، واتصفوا بالصفات التي ذمها الله في أهلها ، إن هذا الفهم الخاطيء هو الذي يحول بين العقول وبين فهم القرآن فهماً صحيحاً ، فندسأل الله العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة . وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله أجمعين .

الخطبة الثانية

الحمد لله نجمده ، ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله ، أرسله رحمة للعالمين ، وداعياً إلى الصراط المستقيم ، فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اتبعه إلى يوم الدين .

أما بعد : فقد أوضحنا في الخطبة الأولى أن الله سبحانه وتعالى قد نفي نفياً باتاً قاطعاً أن يستطيع أحد الشفاعة عنده إلا بإذنه ورضاه ، كما بينا جواز الشفاعة في أمور الدنيا بين الناس بعضهم لبعض إلا أن تكون في حد من حدود الله أو حكم من أحكامه . روى البخاري ومسلم عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : « إن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت ، فقالوا : من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا : ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد — حب رسول الله ، وابن حبه — فكلمه أسامة ، فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : أتشفع في حد من حدود الله تعالى ، ثم قام فخطب فقال : إنما أهلك من كان قبلكم ، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قوياً في الحق ، شديداً في إقامة حدود الله ، صارماً في تنفيذ أحكام الله ، مع ما كان معروفاً عنه من الدعة والسماحة ولين الجانب ، كما مدحه الله سبحانه في كتابه بقوله : (فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) .

مع هذه الشدة والصرامة في تنفيذ حدود الله وعدم قبول أية شفاعنة من أقرب الناس وأحبهم إليه فيها ، كان يشفع في الأمور الأخرى وكان يأمر أصحابه عليهم رضوان الله أن يشفعوا ، وقد روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما في قصة بريرة وزوجها أنه عليه الصلاة والسلام قال لها : « لو راجعتيه ، فقالت يا رسول الله تأمرنى ؟ فقال : إنما أشفع ، فقالت : لا حاجة لى فيه » ، وروى البخارى ومسلم عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا ، فجاء رجل يسأل ، وأقبل علينا بوجهه وقال : اشفعوا تؤجروا ، ويقضى الله على لسان نبيه ما شاء » .

كل ذلك فيما بين الناس بعضهم لبعض ، وقد أذن الله في ذلك بقوله (من يشفع شفاعنة حسنة يكن له نصيب منها ، ومن يشفع شفاعنة سيئة يكن له كفل منها ، وكان الله على كل شىء مقبلا) أى مقتدرا ، وقال المفسرون : إن الشفاعنة الحسنة هى ما كانت لإزالة ضرر أو رفع مظلة عن مظلوم ، أو جر منفعة لمستحق ، والشفاعة السيئة هى ما كانت فى إسقاط حد ، أو هضم حق ، أو إعطائه لغير مستحق ، أو محاباة فى عمل بما يجر إلى خلل أو زلل ، وللأول نصيبه من الثواب ، وللثانى نصيبه من العقاب ، وهذه الآية وردت فى سياق آيات فى قتال الكافرين والجهاد فى سبيل الله مما حمل فريقاً آخر من المفسرين إلى القول بأن الشفاعنة الحسنة هى الإنضمام إلى صفوف المؤمنين بسيفك وإعانة غير القادرين ومدحهم بالسلاح والزاد . والشفاعة السيئة هى إلى الوقوف بجانب الكفرة من أعداء الدين أو تخذيل المسلمين عن الجهاد .

هذا كله فى أمور الدنيا كما علمت ، أما فى أمور الدين والعبادة والزلفى عند الله والتقرب إليه بالطاعات ، والتوبة إليه وطلب المغفرة وستر السيئات ، والتجاوز عن الذنوب والعفو عن الخطيئات ، فليس لأحد أن يشفع لأحد ، ولا يقبل منه ذلك أبداً ، ولم يأذن الله تعالى بشىء من ذلك فى كتابه ، ولا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، بل قال الله فى كتابه وعلى لسان نبيه إنه من الشرك الذى لا يغفره ، ولا يقبل منه صرفاً ولا عدلاً .

أما فى يوم القيامة ، يوم لا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، فى هذا اليوم يأذن الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يشفع للمؤمنين المخلصين من أمته ، تكريماً له وتشريفاً أمام الخلائق جميعاً من آدم عليه السلام إلى آخر واحد من أبنائه ، وليعلم أهل الموقف جميعاً استحفاقهم وحدهم لل مقام المحمود . سأل أبو هريرة رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه

وسلم من أسعد الناس بشفاعتك ؟ فأجاب : « من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه » فشفاعته لأهل التوحيد والإخلاص من أمته ، فلا مطمع فيها لذن لمن كان في قلبه مثقال ذرة من شرك ، لا مطمع فيها لأولئك الذين اتخذوا الأنداد من الموتى والأحياء من الأولياء والصالحين بزعمهم ، لا مطمع فيها لأولئك الذين توجهوا بدعائهم وندائهم ونذورهم ورجائهم لغير الله .

وقد فصلت دواوين الأحاديث النبوية الشفاعات التي ستكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ، فمنها الشفاعة العظمى التي يتأخر عنها أولوا العزم من الرسل عليهم السلام حين تهرع إليهم الخلائق ليشفعوا لهم إلى ربهم حتى يريحهم من مقامهم في الموقف . فيعتذر كل منهم بما كان منه ويستحي أن يتقدم إلى الله ، فإذا انتهوا إليه صلى الله عليه وسلم يقول . أنا لها أنا لها ، ثم يتقدم حتى يسجد تحت عرش الرحمن فيسبح لله ويحمده ، ولا يبدأ بالشفاعة أولا ، فيقال له . ارفع رأسك ، وقل يسمع ، وسل تعطه ، واشفع تشفع . عند ذلك يشفع لأهل الموقف ، وهذه شفاعة يختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يشاركه فيها أحد .

ومن شفاعاته شفاعته لأهل الجنة في دخولها ، وشفاعته لقوم من العصاة من المؤمنين من أمته قد استوجبوا النار لاتباعهم للشهوات فلا يدخلوها ، وشفاعته لطائفة منهم قد دخلوا النار بذنوبهم فيخرجون منها ، وشفاعته لقوم من أهل الجنة في زيادة ثوابهم ورفع درجاتهم ، وغير ذلك من الشفاعات التي لن تكون للشركيين ولكنها ستكون لأهل التوحيد من المؤمنين من قد تغلبهم أحيانا نزواتهم وشهواتهم ، وحظوظ نفوسهم وغضبهم وتمكالبهم على الدنيا فيستحقون عليها العقاب ، فيغفر الله لهم بشفاعة الرسول عليه الصلاة والسلام .

اللهم اجعلنا من الذين يسعدون بشفاعة نبيك يوم القيامة ، بحبنا وطاعتنا لك ، وحبنا وطاعتنا له ، اللهم جنبنا الزلل والخطأ ، ووفقنا إلى الرشد والصواب ، اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه . ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار . وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى اله ومن تبع هداه واستن بسنته إلى يوم الدين .



أحدث النظارات الرائجة تجدها عند الأخصائي

أحمد محمد خليل

المصري الوحيد خريج جامعة باريس شارع الجوهرى
رقم ١ بميدان العتبة والامر التجارى القديم شارع ٢٦ يوليو
س . ت ٢٣٤٥ — تليفون ٩٠٨٢٦٢

شركة غريب للساعات والمجوهرات

إدارة : محمد الغريب محمد البار

بشارع محمد بك فريد رقم ١١٧ مصر عابدين

أحدث الساعات فى المتانة ودقة الصناعة

والمجوهرات والنظارات — أسعار مذهشة

تساهل فى الدفع على أقساط شهرية

بالمحل ورشة فنية للتصليح

﴿ أنصار السنة المحمدية لهم امتيازات خاصة ﴾

جمادى الآخرة

سنة ١٣٨٣

العدد ٦

المجلد ٢٨

خير اللهى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

المهدي النبوي

صدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

مدير الإدارة

سلجانه مسمونه

رئيس التحرير

عبدالرحمن الوكيل

٣٠ ملها

مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير

ت ٩٠٦٠١٧

الفهرس

صفحة

٣	التفسير للأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل
١٩	حربة الفكر في الإسلام للأستاذ الشيخ عبد الحليم حسين ملاقي
٢٣	غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم للأستاذ سعد صادق محمد
٣٧	عقيدة القرآن والسنة للأستاذ الشيخ محمد خليل هراس
٤٢	نظرات في التصوف » الشيخ عبد الرحمن الوكيل
٤٧	ذكريات (قصيدة) للأستاذ نجاتي عبد الرحمن
٥٠	صراع بين الحق والباطل

رجاء إلى السادة المشتركين

والمتمهدين

نرجو من السادة المشتركين المتأخرين في سداد اشتراكاتهم أن يتفضلوا بالمبادرة إلى سدادها .

كما نرجو من المتمهدين بالفروع أن يتكرموا بإرسال مالهديهم من أثمان المجلة .
والمرجو إرسال جميع المحاولات وقيم الاشتراكات والذممات المتأخرة
باسم السيد / محمد رشدي خليل أمين صندوق الجماعة .

٨ شارع قوله بمابدين — القاهرة

رئيس التحرير

عبد الرحمن الوكيل

أصحاب الامتياز : ورثة

السبح محمد حامد الفقى

خير اللهى محمد صلى الله عليه وسلم

المهدي النبوي

مجلة شهرية دينية

مدير الإدارة

سليمانه م-ونه

الاشتراك السنوى

٣٠ - فى الجمهورية العربية

المتحدة والسودان

٤٠ - فى الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٧٦٥٧٦

العدد ٦

جمادى الآخرة سنة ١٣٨٣

المجلد ٢٨

نور من القرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال - جل ذكره - : (ولقد صرّفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل ، وكان الإنسان أكثر شئ جدلاً . وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى ، وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ، أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا . وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ، ويجادل الذين كفروا بالباطل ؛ لِيُدْخِلُوا بِهِ الْحَقَّ ، وَاتَّخَذُوا آيَاتِي ، وما أنذروا هُزُؤًا - الكهف : ٥٤ - ٥٦) .

« معانى للفردات »

« شئ » فى اللسان : إن الشئ مذكر ، وهو يقع على كل ما أخبر عنه ، وعند الراغب : « الشئ هو الذى يصح أن يعلم ، ويخبر عنه . وعند كثير من المتكلمين : هو اسم مشترك المعنى إذا استعمل فى الله وفى غيره ، ويقع على الوجود والمعدوم . وعند بعضهم الشئ عبارة عن الموجود .

ونقل الزبيدي صاحب « تاج العروس في شرح القاموس » قول سيديويه عن كلمة شيء ، وأنها مذكور يقع على كل ما أخبر عنه ثم قال : « قال شيخنا والظاهر أنه مصدر بمعنى اسم المفعول أى الأمر المراد الذى يتعلق به القصد ، فيتناول الواجب والممكن والممتنع وقال الراغب : الشيء عبارة عن كل موجود إما حياً كالأجسام ، أو معنى كالأقوال ، وصرح البيضاوى وغيره بأنه يختص بالموجود ، وقد قال سيديويه : إنه أعم العام . وبعض المتكلمين يطلقه على الممدوم أيضاً كما نقل عن السعد . وضئف . وقالوا : من أطلقه - أى على الممدوم - محجوج - أى تقام عليه الحجة - بعدم استعمال العرب ذلك ، كما علم باستقراء كلامهم وبنحو : « كل شيء هالك إلا وجهه » إذ الممدوم لا يتصف بالهلاك . وبنحو « وإن من شيء إلا يسبح بحمده » إذ الممدوم لا يتصور منه التسبيح » انتهى كلام الزبيدي (١) .

« صرّفنا » قال الراغب : الصرّف رد الشيء من حالة إلى حالة أو إبداله بغيره ، والتصرف كالصرف إلا فى التكدير ، وأكثر ما يقال فى صرف الشيء من حالة إلى حالة ، ومن أمر إلى أمر .

« جدلاً » قال الراغب : الجدل : المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة ، وأصله من جَدَّأتُ الحبل أى أحكمت فتله ، وقال ابن فارس عن أصل الكلمة أنه من باب استحكام الشيء فى استرسال يكون فيه ، وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام .

« سنة » : لا كلمة أصل واحد مطرد هو جَرَيَانُ الشيء واطراده فى سهولة . والأصل قولهم سَنَنْتُ الماء على وَجْهِ أسفه سَنًا إذا أرسلته إرسالاً ، وبما اشتق منه السنة وهى

(١) نخرج من هذا كله بأنها لا يقال إلا على الموجود ، وبأنها أعم كلمة . ولقد أطأت عمداً ليتبين لنا أن لغة العرب تعرضت للأهواء . وتجاذب المتكلمون والفلاسفة بعض كلماتها ، لتطابق معتقداتهم . كما ترى فى كلمة شيء ، فلنمكن على حذر مما تنطوى عليه بعض المعاجم .

السيرة . وجاءت الريح سنائن إذا جاءت على طريقة واحدة . وقال ابن الأثير في النهاية عن السنة : الأصل فيها الطريقة والسيرة .

« قَبُلا » : قال صاحب اللسان : رأيتهُ قُبُلا وقبلا أى مقابلة وعيانا ، وقد تكون جمع قبيل أى الجماعة ، أى يأتيهم العذاب ضروبا وأبواها . وعلى قراءة قَبُلا يكون معناها : معاينة .

« يدحضوا » أصل الكلمة « دحض » يدل - كما يقول ابن فارس - على زوال وزاقي ، يقال : دحضت رجله : زلقت ، ودحضت الشمس : زالت ، ودحضت حجته : لم تثبت .

« هزوا » قال الراغب : الهزؤ مَرَحٌ في خفة ، وقد يقال لما هو كالمرح . وفي اللسان الهزء والهزء : السخرية .

« المعنى »

قال علماء اللغة : أصل المثل الانتصاب ، والممثل المصوّر على مثال غيره ، والمثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابة ؛ ليبين أحدهما الآخر ، ويصوره . وقد يعبر به عن وصف الشيء .

وقال ابن السكيت : المثل : لفظ يخالف لفظ المضروب له ، ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ ، شبهوه بالمثل الذي يعمل عليه غيره .

وقالوا سُميت الحكَم القائم صدقها في العقول أمثالا لانتصاب صورها في العقول . وقالوا : يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام : إيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه ، وجودة السكناية ، فهو نهاية البلاغة .

وقال ابن المقفع عن فائدة المثل : إذا جُمِلَ الكلام مثالا كان أوضح المنطق ، وآنف للسمع ، وأوسع لشُموب الحديث^(١) فالمثل - إذن - قول محكم يعيننا على تصور الحقيقة

(١) الراغب في مفرداته ، ومجمع الأمثال للبيداني .

تصوراً تاماً يتمثل وجدانا صحيحاً في القلب ، وفكراً سليماً في العقل .

ولقد تكلمت من قبل عن أمثلة القرآن ، والحكمة منها ، وذكرت بضعها ، وتبين لنا من هذه الأمثلة أنها في بيانها فوق سماء ينحسر دونها كل بيان أنى به قرون البلاغة والفصاحة والبيان ، لأنها كلام الله بألفاظها وحروفها ، لا كلام جبريل ، ولا كلام محمد ، ولا صياغة من أحدهما المعانى الإلهية في هذه الألفاظ التى نقلوها ، كما تبين لنا منها أنها تشرق في أفق الحكيم والعالم والفيلسوف والأسمى ، أعنى أن كلامهم يفهمها إذا توجه إليها بالفكر والقلب الشاعر . غير أن من يحسن تدبرها يناله منها نصيب أوفى وأوفر . وقد يكون المثل قصة طويلة أو موجزة ، وقد وقعت أحداثها ، وأثبتها تاريخ الصدق والحق في سبيلها . وقد يكون قصة يتجدد وقوعها في الحياة ، وقد يكون حكمة زهراء ، وحجة بيضاء .

وأذكر بمثلين من سورة الكهف سبق تفسيرهما . أما الأول فقصة وقعت أحداثها ، وهى قصة صاحب الجنتين مع صاحبه للؤمن . ومن يقرأ آياتها ، ويتدبرها يتجلى له - دون ريب - أنها آيات قصة حدثت ، لا قصة يمكن أن تحدث في المستقبل لحسب . وأما الآخر فقصة يتجدد وقوعها ، ويشهدها الحس . وهى قصة الماء الذى ينزله الله من السماء ، فيختلط به نبات الأرض .

وقد جعل الله من هذين مثلاً للحياة الدنيا .

وقد ذكر الله سبحانه في القرآن أمثلة عديدة ، بل ما ترك حقيقة تهدى الإنسان إلى الحق الذى أوحاه الله إلا وضرب لها مثلاً .

وجاء بهذه الأمثال على وجوه مختلفة ، ولكنها على اختلافها تهدى إلى ما يحب الله أن يهتدى إليه عباده . وقد يضرب للحقيقة الواحدة أمثالاً كثيرة يختص كل مثل منها ببيان ناحية منها قد يغفل الفكر البشرى عن الانتباه إليها ، وترى هذا واضحاً لما يضرب به الله من أمثال تكشف عن طبيعة الكافر والشرك والمفارق : فقد ذكر - مثلاً -

للمناققين في سورة البقرة مثلين متتاليين ، فجعلهم كالذي استوقد ناراً .. إلى آخر المثل ، وجعلهم كالمرطر الشديد الذي ينهمر من السماء .. إلى آخر المثل . ولا تكرار مما يعييه فطاحل البلاغة ؛ فإنما يتعلق كل منهما بالكشف عن طبيعة من طبائع المنافق ، أو عن حال من أحواله . كما ذكر في سورة البقرة عدة أمثلة لمن ينفق ماله في سبيل الله ، فما ينفقه كحبة أنبت سبع سنابل ، وهو كحبة بريرة أصابها وابل ، فأنت أكلها ضعفين .

ومن إعجاز أمثلة القرآن اتخاذها الشكل الواحد في مثلين متباينين . فقد جرى بالوابل - وهو المطر الشديد - فيما ضربه الله من مثل لمن ينفق ماله ابتغاء مرضاة الله ، وجرى به أيضاً فيما ضربه الله من مثل لمن ينفق ماله رياء الناس ^(١) !!

كما ذكر عدة أمثلة لمن ينفق ماله في سبيل الشيطان فهو كصفوان - أي حجر ناعم - عليه تراب ، فأصابه مطر شديد ، فتركه صلباً - أي أملس ليس عليه شيء - وفي مثل آخر شبه ما ينفقه بريح فيها صر أصاب حرث قوم ظلموا أنفسهم .

هكذا صرّف الله الأمثال في القرآن أي جاء بها على وجوه عديدة . فيضرب لهذه الحال مثلاً ، ثم يضرب لأخرى مثلاً غيره ، ثم يعود فيضرب للأولى مثلاً آخر غير المثل الأول ، وهكذا .

هذا البسط ، وهذا التنويع أو التصريف في الأمثلة يمثل الحقيقة تمثيلاً مشرقاً في فكر الإنسان وقلبه ، فلا يرتاب في شيء منها ، ولا يبقى جانب منها غير بين . وتدبر قول الله سبحانه :

(ولقد صرّفنا في هذا القرآن للناس من كل مَثَلٍ) لقد ذكر في سورة الإسراء قوله

(١) هكذا ترى الأمر بيد الله سبحانه ، فلا تياس إذا ابتليت بما تظن أنه شر . فقد يجعله الله خيراً كالوابل بالنسبة للجنة . ولا تغتر ؛ فقد يتليك الله بما تظنه خيراً فإذا هو - بسعيك - شر كبير . وتدبر قول الله سبحانه : (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً ، وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون - البقرة ٢١٦) .

سبحانه : (ولقد صرّفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) . ولقد سبق تفسير آية الاسراء غير أني أشير هنا إلى أن آية الاسراء جاءت بالجار والمجرور وهو « للناس » عقب الفعل : « صرّفنا » على عكس آية الكهف وهذا يفيد - والله أعلم - أن العناية في سورة الاسراء كانت بذكر تصريف الأمثلة للناس أكثر من العناية بذكر تصريف الأمثلة في القرآن والعناية بذكر تصريف الأمثلة في القرآن في سورة الكهف يناسب ما قبله تماماً ، فقد ذكر قبل هذه الآية ، وعلى قرب منها عدة أمثلة .

وكلمة « للناس » تشمل ؛ فالأمثلة تستهدف هداية الناس جميعاً لا طائفة معينة ، ولا شعباً بذاته ، كما كان يفهم بنو إسرائيل و « من كل مثل » تؤكد لنا هذه « السكاية » أن في القرآن مثلاً لكل حقيقة تهدي الانسان سواء السبيل الذي يصل به إلى رضوان الله سبحانه .

للإيمان أمثلة وللإكفر أمثلة ، وللشرك أمثلة ، وللنفاق أمثلة ، وللرياء أمثلة ، وللعمل الفاتج عن كل منها أمثلة . وللدنيا وزينتها أمثلة ، وللكمة الطيبة ، والعمل الطيب ، وللكمة الخبيثة ، والعمل الخبيث والآخر وما فيها .

أما الله سبحانه فله المثل الأعلى في السموات والأرض . أما نوره فمثله مذكور في سورة النور : فما ترك الله من شيء إلا وضرب له مثلاً .

والله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها . ولهذا ضرب مثلاً للذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها ، بالحمار يحمل أسفاراً ، وللذين يدعون من دون الله أولياء بالعنكبوت اتخذت بيتاً ، وبأذى آتاه الله آياته ، ثم إنسخ منها بالكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث فما استحيما من ذكر الحمار أو الكلب أو العنكبوت^(١) .

(١) من إعجاز القرآن أنك تشعر وأنت تقرأ بأنه كان لا بد وأن يذكر هذا الحيوان ولا تستشعر أبداً بحياء من ذكر هذه الكلمة كما تشعر أحياناً ، وأنت تأتى بها في سياق آخر غير سياق الآية القرآنية ثم إنك تدرك عقب التدبر ما بين طرفي المثل من تشابه قوى ، حتى ليكاد يكون كل منهما عين الآخر ، تدبر اليهودي الذي يحمل في رأسه مكتبة ، والحمار الذي يحمل كتباً . كل هذا تشعر به في قلبك وتفهمه بعقلك .

فكان الإنسان والحيوان والجماد مضرباً للأمثال التمرآنية، فهذا نوع آخر من
تصريف الأمثلة في القرآن.

« وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً » الإتيان بالفعل « كان » يدل على ثبوت هذه
الصفة وتحقيقها للإنسان دون ارتباط بزمان مقيد، أى يدل على أن ما بعد كان وصف لازم
للإنسان لا ينفك عنه . فالإنسان في ماضيه كان أكثر شيء جدلاً ، والإنسان في حاضره
هو أكثر شيء جدلاً ، والإنسان في مستقبله سيكون أكثر شيء جدلاً ، وشأن كان
هنا كشأنها في قوله سبحانه : (وكان الإنسان كفوراً) (وكان الإنسان قتوراً) (وكان
الشيطان للإنسان خذولاً) (وكان للشيطان لربه كفوراً) فهي ليست كـ « كَيْفُونَةُ الماضى
فقط ، وإنكنا كَيْفُونَةُ الحاضر والمستقبل أيضاً ، وتأمل أيضاً : (وكان الله غفوراً رحيماً)
فهي لا تربط المعنى بزمان مقيد كما ترى ، غير أنها مع الإنسان والشيطان لها زمن ذو بداية
ونهاية . أما هي مع الله فأزليّة أبدية .

والإتيان بهذه الحقيقة وهو أن الإنسان أكثر جدلاً بعد ذكر تصريف الأمثلة
في القرآن يوضح لنا عمه الجحود الإنسانى ويدمغه بأنه عقل جاف غليظ . كما يوضح مدى
استكباره وعناده حتى ليرى ألقى الشمس ويزعم أنه سواد ليل مركوم السحب والظلمات .
« أكثر شيء » ذكر كلمة « شيء » يحشد في ذهن القارئ كل « شيء » سواء
أكان إنساناً أم غير إنسان ، فيحمله هذا على المقارنة بين الإنسان وغيره من الأشياء
فيرى بعضها لا يمكن أن يتأتى منه جدل مطلقاً ، ويرى بعضها الآخر يمكن أن يتأتى
منه جدل ، وإنكنا مع هذا يرى الإنسان أكثر منه جدلاً ، ومن الجدل ما يستهدف
شراً ، ومنه ما يستهدف خيراً ومن هذا الأخير جدال إبراهيم عليه السلام لله حينما نبأته
الملائكة بنبا قوم لوط ، ولقد كان إبراهيم يستهدف من هذه المجادلة أن يعفو الله عن
قوم لوط . أو يخفف عنهم من عذابه ؛ ولهذا ذكر الله عن إبراهيم : (إن إبراهيم لحليم
أواه منيب) كما نصحه بقوله : (يا إبراهيم أغرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك ،
وإنهم آتيتهم عذاب غير مردود - هود : ٧٥ ، ٧٦) .

حتى الجدال الذى يظن صاحبه أنه يستهدف به الخير يعظنا الله رب العالمين أن نقلع عنه بل يوجب علينا أن نعرض عنه ، ولا سيما إذا كان جدالا فى أمر بين واضح .

الجدال لإثبات حق : حتى فى هذا يوجب الله سبحانه أن يكون الجدال بالتي هي أحسن . يقول الله سبحانه : (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ^(١)) إلا الذين ظلموا منهم - العنكبوت : ٤٦) الجدال لإثبات الحق يجب أن يكون كما ترى إلا مع الفئة الظالمة للباغية على الحق (ادعُ إلى سبيل رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ - النحل : ١٢٥) .

لا تمادى فى الجدل بعد ظهور الحجة : تَبَدَّه حُجَّتُكَ إِلَهُكُمْ ، وتشعر أنت شعوراً صادقاً ويشعر هو شعوراً قاهراً أنه غلب على أمره غير أنه - عناداً - يأبى أن يقر بالهزيمة ، ويتمادى فى غي جده بما لا يصلح أبداً أن يطرق سمع إنسان ، هنا يجب الإجهاز على ما بينك وبينه من جدال بكلمة موجزة محكمة ، تدبر قول الله سبحانه : (وادعُ إلى رَبِّكَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِمْ أَمْراً ، وَإِنْ جَادِلُوكَ فَقُلْ : اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ - الحج . ٦٧ ، ٦٨)

يحرم الجدال عن الخائن : فالله تعالى يقول : (وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا - النساء : ١٠٧) فليتنق الله قوم يعرفون من الجرم أنه مجرم ، ومع هذا يلقنونه شهادة الزور وكلمة الباطل ويحامون عنه .

الجدال فى آيات الله كفر : فالله يقول : (مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُزُكَ تَفْلُتُهُمْ فِي الْبِلَادِ - غافر : ٤) وختم الآية فيه تهزية وتأسية وقضاء على همسة الشك فى نفس المسلم حين يرى أعداء الحق ، وهم فى جاه وسلطان وغنى وفير وعيش خفيض ميسور ، ويقصد بالجدال فى آيات ، الجدال بغية المدوان عليها ، الجدال

(١) هداانا الله هنا الى نوع من المجادلة بالتي هي أحسن . وهذا فى قوله فى هذه الآية : (وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا ، وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ، ونحن له مسلمون)

لتحريف الكلم فيها عن مواضعه ، الجدل لإثبات أنه لا يراد بها ظاهرها ومعناها
أما الجدل لإثبات أنها حق ، وأنها كما أنزل الله دون تحريف أو تأويل يصرفها عن
المراد منها ، فهذا ليس بكفر ، وإنما هو واجب بشروطه

جدال الكافر وحى من الشيطان : قاله يقول : (وإن الشياطين ليوحون
إلى أوليائهم ؛ ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون - الأنعام : ١٢١) ،
فالجدال بالباطل ولى الشيطان ، ومن يرضخ للجدال بالباطل يتردى فى هاوية الشرك لللعون .

الكبر هو مصدر الجدل بالباطل : قاله يقول (إن الذين يجادلون فى آيات الله
بغير سلطان أتاهم إن فى صدورهم إلا كبراً ما هم ببالغيه ، فاستعذ بالله إنه هو السميع
العليم - غافر : ٥٦) وهى حقيقة مشهودة تكاد تلمس لمسا . فأنت لا ترى مجادلاً
بالباطل إلا وهو يتزكى كبراً بفيضاً وحقداً محمواً على الحق وأهله . والله - جل شأنه -
يعد ، ووعد الحق أن هؤلاء لن يلبثوا لهم إزباً يمكنهم من دحض الحق والقضاء عليه ،
فسيظل الحق - بإذن الله - فى إشراقه الأعظم لتقبس منه قلوب المؤمنين وأرواح المسلمين
نوراً يقضى على كل ظلمة .

أنواع المجادلين ، أو شروط الجدل : فئة تجادل عن جهل وتقليد لجاهل هو
شيطان مريد فى كفره وجحوده . وأملك قد ابتليت من هؤلاء بديد . وتلقاهم كثيراً
بين صفوف الطرق الصوفية ، إذ يتصدى لك « درویش » فى حماقة الجهل وجهل
الحماقة ؛ ليجادلوك عن جهل وكفر ، على حين يخنس شيطانه الإنسانى مخافة أن يفتضح
جهله . يقول ربنا سبحانه : (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ، ويتبع كل
شيطان مريد^(١) . كُتِبَ عليه أنه مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ ، ويهديه إلى عذاب السعير) -
الحج : ٣ ، ٤ - وفئة تتصدى هى بنفسها للجدال بغية إضلال الناس ، وما لجدالها سبب

يصلها بعلم صحيح ، أو هدى صريح ، أو نقل عن كتاب يضىء الحق فيه . هذه الأخبار وشيوخ الطرق ، والمذهبية الحقاء الرعناء . ومن على شاكلتهم . تدبر قول ربنا سبحانه : (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ، ولا هدى ، ولا كتاب منير . ثَانِي عَظْفِه ، لِيُضِلَّ عن سبيل الله . له في الدنيا خِزْيٌ ، ونُذيقه يوم القيامة عذابَ الحريق . ذلك بما قدّمت يداك ، وأنَّ اللهَ ، ليس بظلامٍ للعبيد - الحج ٨ - ١١) تدبر قوله : (ثَانِي عَظْفِه « لتلحظ التعمد المردول ، والكبر المقيت والعناد الأحمق ، وتدبر « ليضل عن سبيل الله) ليتبين لك أنَّ غايته من جداله هي هذه ، وأن هؤلاء يعرفون الحق ، ولكنهم يمحذون به .

والفرق بين هؤلاء وأولئك . أن الفئة الأولى تمثل الأتباع الجبهة ، أما الأخرى فتمثل المتبوعين الجاحدين .

وقد كشفت آية أخرى في سورة « لقمان » عن مبلغ علم هؤلاء ففي سورة لقمان وردت آية مثل آية الحج المختومة بقوله « ولا كتاب منير » ثم جاءت بعدها هذه الآية (وإذا قيل لهم : اتَّبِعُوا ما أنزل الله قالوا : بل نتبع وجدناها عليه آباءنا . أُولَئِكَ كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير ١٢ - لقمان : ٢١) حتى هؤلاء ليس عندهم من علم يخرجونه للناس ، وإنما لديهم عبادة للتراث الملعون تراث وحى الشياطين . لديهم كتب تنابذ كتاب الله . لديهم موروثات قولية تنافض الحق من كتاب الله . لديهم عصبية لشيخ ما ونزواته وشطحاته . ثم تبين الآية أنهم لا يأخذون ما وجدوا عليه الآباء حقيقة ، ويأخذون دعوة الشيطان الذي دعا آباءهم إلى الفار ، كما دعا آباءهم ، وهكذا التقليد ، فإنه مرتبط بالأسباب والمصير بالشيطان .

هذا يؤكد لنا أن كل منحرف عن الحق ، ليست لديه حجة ، وإنما هو وهم من الباطل ، وهمز من الشيطان يتراءى بأنه وَحْيٌ مُطَيَّبٌ برضوان الله ومن الآيات نفسها نستنبط ما يجب أن يكون عليه المجادل من ثقافة ! ! المجادل الذي لا يمقت اللهُ جداله .

أولاً : أن يكون على علم .

ثانياً : أن يكون على هدى ، مطبقاً لما علم ولما اهتدى إليه .

ثالثاً : أن يكون مستنداً في جداله إلى نقل صحيح صريح مشرق الحق والآيات ، وليس أجدر من كتاب الله بهذه الصفات .

الجدال في الآخرة : هؤلاء الحمقى المأفونون الذين يجادلون بالباطل عن شيوخم وأضرحتهم وأصنامهم وتراثهم وكتبهم الضالة ، وبتفانون في سبيل الزيادة عنها ، سيأتون الله يوم القيامة فرادى ، ولن يهب أحدهم للجدال عن شيخه أو صنمه أو كتابه الضال وإنما سيحاول عن نفسه فقط : (يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا ، وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ ، وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ - النحل : ١١١) .

الوان من جدال الإنسان : يقص الله علينا في القرآن من قصص جدل الإنسان في كثير من آياته ، وإليك بعضها : (وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ، وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْآءًا ، وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ - الأنعام : ٢٥) .

وعن الملائكة من قوم نوح يقص الله : (فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ : مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ . إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فترَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ - المؤمنون . ٢٤ ، ٢٥) .

وعن الملائكة من قوم رسول آخر لعله صالحاً : (وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا ، وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ ، وَآثَرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا : مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ ، وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ . وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ لَأَنَّكُمْ إِذَا تَخَافُونَ . أَيْعِدُكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ . هَیْهَاتَ هَیْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ . إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ ، وَنَحْيَا ، وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ . إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ، وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ - المؤمنون : ٣٣ - ٣٨) .

وعن جدال قوم محمد صلى الله عليه وسلم يخبر الله بقوله : (وإذا تُتلى عليهم آياتنا . قالوا : قد سمعنا ، لو نشاء لقلنا مثلَ هذا ، إن هذا إلا أساطيرُ الأولين . وإذا قالوا : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك ، فأَمْطِرْ علينا حجارة من السماء ، أو ائتنا بعذاب أليم - الأنفال : ٣١ ، ٣٢) .

وعن جدال أصحاب القرية التي جاءها المرسلون يخبرنا الله بقوله : (قالوا : ما أنتم إلا بشرٌ مثلنا ، وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون) ثم تدبر قول الرسل بعد هذا : (قالوا : ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون . وما علينا إلا البلاغُ المبين) تدبر غِلظ الجحود وهتؤا للعناد السافل في موقف أصحاب القرية . ثم تدبر جمال الإيمان ورحمة القلب ، وصفاء الروح في رد المرسلين ثم رد أصحاب القرية بقولهم الذي أخبر الله عنه بقوله (قالوا : إنا تطهّرنا بكم ، لئن لم تنتهوا أنرجنكم ولیمسنكم منّا هذاب أليم - يس : ١٥ - ١٨) .

المجادلة في الأولياء : لقد جادل المشركون من قبل عن اتخاذهم الأولياء شركاء بقولهم الذي يخبر الله عنه بقوله : (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زُلْفَى - الزمر : ٣) ، (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ ، وَلَا يَنْفَعُهُمْ ، ويقولون هُوَ لَهُ شَفَاعَتُنَا عِنْدَ اللَّهِ ، قُلْ أَتَنْبِئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ ، وَلَا فِي الْأَرْضِ . سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ - يونس . ١٨) فمن يسند الشفاعة فيه إلى أحدٍ ، فقد جعله شريكاً من دون الله ، ولا سيما حين نسندها إلى من نجعل عاقبته . قلله وحده الشفاعة جميعاً . ونحن نجعل ما يأتي : أيقبل الله شفاعة الشافعين فينا أم لا ، أياذن الله لهذا أو ذاك بالشفاعة أم لا . أما من جاءت الأحاديث بذكر شفاعتهم ، فهو لاء أيضاً لا تدري أنت أَيُشَفِّعُهُمُ اللهُ فيك أم لا ؟ ثم هم لا يملكون شفاعةً ، ولا يشفعون من أنفسهم . إن يشفعوا إلا بعد أن يأذن الله لهم : (قل : لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، ثم إليه ترجعون - الزمر : ٤٤) وأنت وأنا نلاحظ أن الجدال عن عبادة الأولياء بهذه الصورة هو نفس جدال الناس عنهم اليوم ، فبماذا تحكم عليهم ؟

جدال المشرك يوم القيامة : حتى في يوم القيامة يظل عبّاد الأولياء على جهودهم زاعمين .
أن دعاءهم للأولياء وتوسلهم بهم لم يكن شركاً . تدبر قول الله سبحانه : (ويوم نحشرهم
جميعاً ، ثم نقول للذين أشركوا : أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون . ثم لم تكن فتنتهم
إلا أن قالوا : والله ربنا ما كنّا مشركين . انظر كيف كذبوا على أنفسهم ، وضلّ
عنهم ما كانوا يفترون - الأنعام : ٢٢ - ٢٤) ، وبمثل دعوى هؤلاء يتذرع من ورنوا
عنهم شركهم !!

الجدال في المشيئة في الآخرة مثل الدنيا : يعتذر كثير من الناس عن شركهم وكفرهم
وضلالهم بأنها مشيئة الله ، فيسندون إلى مشيئة الله الجور والبغى ، وقد جادل المشركون
في مشيئة الله بما يقصه الله : (سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا ، وَلَا آبَاؤُنَا ،
وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ ، كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا . قل : هل عندكم
من علم فتخرجوه لنا ، إن تنبئعون إلا الظنّ ، وإن أنتم إلا تخرّصون - الأنعام : ١٤٨)
الإيمان بهذه الجبريّة الباغية الساحقة كان من دين المشركين ، وتجدّه كثيراً في التراث
الصوفي ، وسيكون من ديدن هؤلاء اقتراف هذا البغى يوم القيامة . تدبر قول الله :
(وَبَرِّزُوا لِلَّهِ جَمِيعاً ، فقال الضمّةاء للذين استكبروا : إنا كنّا لكم تبّعاً ، فهل أنتم
مُعَفُون عَنَّا من عذاب الله من شيء ؟ قالوا لو هدانا الله لهديناكم ، سواء علينا أجزعنا
أم صبرنا مالنا من محيص - إبراهيم : ٢١) .

المجادل بالباطل لا يفتنع حتى بالمحسوسات : المجادل جحود وحقد وكبر يصرفه
عن الإذعان للحق في غايه وقهره وإشراق حجته . ويبين الله لنا طبيعة المجادل بيانا هاديا
شافيا ، فيقول : (ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس ، فلمسوه بأيديهم لقال الذين
كفروا إن هذا إلا سحر مبين - الأنعام - ٧) بالחס اللامس يكذبون بأبرز معالم
الواقعية التي يدركها المجادل باللمس يتجحد ويكذب . يرى بعينه الكتاب نازلا من
السماء في قرطاس ، ثم يلمسه بأصابعه ، ومع هذا يظل على كبره الحاقد الجاحد .

ويقول : (ولو فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنَ السَّمَاءِ ، فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ . لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ
أَبْصَارُنَا ، بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْخُورُونَ - الحجر - ١٤ ، ١٥) .

أترى الصَّلْدَ الْأَمَمَ الْعَاتِي الْغَلِيظَ ، إن حقد المجادل أشد منه عتوًّا وغلظًا ؟
ولن ترى أشد من هذا عتوًّا وعنادًا وجُحودًا ، يكفر بالمحسوسات بالمرئيات والمسموعات
والملموسات كفرًا عنيدًا مريدًا !!

« وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الْهُدَى ، ويستغفروا ربهم إِلَّا أن تأتيهم
سنة الأولين » يبين الله سبب امتناع هؤلاء عن الإيمان وهو سلوكهم سلوكًا من تقدموم
من الأمم . وقد بين الله هذا في سورة الإسراء فقد بين لنا فيها أنهم قالوا : (أبعث الله
بَشَرًا رَسُولًا) فجعلوا من بشرية الرسول حجة لهم يدرعون بها لكفرهم . نجاءتهم سنة الله
في المكذبين . فأهلكهم بعذابه ، وثمَّت قالوا - حين عاينوا عذاب الله - إنهم آمنوا ،
كما فعل فرعون (فلما أدركه الفرقُ قال : آمَنت) وتدبر قول الله (وكم قَصَصْنَا مِنْ قَرْيَةٍ
كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ . فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسْفَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ .
لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أَنْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِينَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْتَخْلَوْنَ . قَالُوا : يَا وَيْلَنَا ،
إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ - الأنبياء - ١١ ، ١٤) .

فما منع مشركي قوم محمد من الإيمان إلا الذي منع من قبائهم وتلحظ أن كلمة « الناس »
جاءت في آيتي الإسراء والكهف ، وهذا يهدينا إلى أن طبيعة المجادل الكافر واحدة .

وإذن لا يحملهم على الإيمان إلا أن تأتيهم سنة الله في الأولين ففي الآية إيجاز بليغ
يهديك إليه ما ذكر الله في سورة الإسراء ، وسياق الآية نفسه . والتقدير : وما منع
الناس من الإيمان إلا انتظار سنة الأولين لسلوكهم نفس سبيلهم . فقد قال السابقون :
(وما أنت إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ، وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ . فَأَقِمْ عَلَيْنَا مِثْلَ مَا كُنْتَ مِنَ السَّمَاءِ
إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ - الشعراء : ١٨٦ ، ١٨٧) . وقال قوم محمد كما بين الله :

(اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَبْرَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْنِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ - الأنفال : ٣٢) .

وهناك تفسير آخر : مامنع الناس من الإيمان إلا إتيان طريقة الأولين لهم . أى إصابتها لهم . أى صيروتهم مثلهم في السلوك أى أن يسبوا في الحياة سيرتهم ، وهنا لا يكون في الكلام إيجاز بالحذف « أو يأتيتهم العذاب قبلا » أى لا يصرفهم عن عنادهم وجحودهم إلا أن يصيبهم الله بفنون من العذاب ، كما فعل قوم فرعون حين ابتلاهم الله بالجراد والقمل والضفادع والدم ، فقالوا لموسى كما بين : (يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْمَدُونَ . فلما كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْتَكِبُونَ - الزخرف : ٤٩ ، ٥٠) فهؤلاء حينما ابتلاهم الله بفنون مختلفة من العذاب رَجَعُوا عَنْ عُنَادِهِمْ ، وأسرعوا إلى الإيمان ، فلما كَشَفَ عَنْهُمْ الْعَذَابَ عادوا إلى جحودهم .

وقد يكون المعنى أن يأتيتهم العذاب مواجهة ويروه جبهة ، ويمانوه . كما فعل فرعون ، فإنه حينما أدركه الفرق : قال آمنت .

« وما نرسل المرسلين إلا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ » يبين الله مهمة الرسل في الحياة الدنيا : إنها هي البلاغ ، بلاغ ما جاءوا به من وعد ووعيد . من أنباء تبهيج قلب المؤمن ، لأن فيها بشائر من الله ، وترعد قلبه ، لأن فيها تخويفاً وإرهاباً . ولا تتمدى مهمة الرسل هذا . فليس أحدهم على الناس بوكيل وما هو لهم بشقيج إلا بإذن الله ، وما هو بمالكٍ لأحد نفعاً ولا ضرراً وما هو بمُجْبِرٍ أحداً من الناس ، وما هو بعالمٍ للغيبيات ، وما هو بحفيظٍ على الناس . فكيف بمن هم دون الرسل ١٩ .

« ويجادل الذين كفروا بالباطل » توسعت في ذكر معنى الجدل وبيان ألوان من جدال المبطلين .

« ليدحضوا به الحق » هدف المبطل القضاء على الحق ، ومجىء كلمة « يدحضوا » يكشف عمل المبطل إنه يعمل ليزيل الحق عن مكانه ، ويضع الباطل موضعه فهو لون

من ألوان تحريف الكلام عن موضعه ، وتأويله بما ليس له . كفعل الذين يؤولون صفات الله بما لم يجيء عن الله وعن رسوله . إن من يضع . « استولى » مكان « استوى » يقترب جريمة الذين يعملون في سبيل إدحاض الحق .

« واتخذوا آياتي وما أنذروا هزوا » آيات الله هزأة لهم ، وجعلوا ما أنذرهم الله به ، أى استخفوا بشأن هذا وذاك ، والعبثُ بآيات الله بالتحريف والتأويل المبطل هزؤاً ما بعده هزؤ ، وكذلك الشأنُ فيما أنذر الله به .

نضرب إلى الله سبحانه أن يجعل قلمنا للحق وبياننا للحق ، وزيادتنا عن الحق ، وأن يجعل كل هذا خالصاً لوجهه الكريم إنه سميع قريب مجيب الدعاء ؟

عبد الرحمن الوكيل

جميع منتجات الألبان الطازجة وأنخر أنواع البقالة

تجدها عند شركة

شاكر القمبشاوى وعبد المجيد الشريف

٤٥١ شارع بورسعيد (بين الصورين سابقا) بالقاهرة

سجل تجارى رقم ٧٥٦٩٣

تليفون ٩٠٧٤٠٤

٢ - حرية الفكر في الإسلام

بقلم السيد عبد الحليم محمد حسين الملاقي

الادعامة الثالثة : تحرير الانسان من عبادة الأهواء ، والخضوع لسلطانها . فان الهوى مذهب للعقل ، ومضيعة للحق ، لا يستقيم لصاحبه رأى ، ولا يعتمد له قصد ، ولا نسلم له طوية ولا يخضع لحق ليس في جانبه . ولهذا عني القرآن بتحرير الانسان من عبودية الأهواء عناية كبرى ، فندد بالما كفين على تأليه الأهواء وعبادتها كما قال تعالى : (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) . (فإن لم يستجيبوا لك ، فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين) ونهى عليهم أخلاقهم ، رسوء طوائهم كما في قوله سبحانه (وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون . وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين . أفي قلوبهم مرض ، أم ارتابوا ؟ أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله ، بل أولئك هم الظالمون)

هذه هي أخلاقهم في الماضي وفي الحاضر ، يستفتونك في الأمر وقلوبهم منطوية على رأى دفين ، فإذا أفتيتهم بما في أنفسهم فرحوا ورضوا ، وإن أفتيتهم بغيره مما أنزل الله سخطوا وأعرضوا وسخروا منك ماشاءوا وشاءت لهم أخلاقهم ، وإذا دعوتهم إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ، ركبوا رءوسهم ولجوا في عتو ونفور ، وخاضوا في جدال عنيف ، ونقاش عقيم ، لأنهم ليسوا طلاب حق وهدى ، وإنما هم أصحاب غرض وهوى لأن طالب الحق يطلب ما يطلب من حكم ورأى ، وهو مجرد عن كل هوى يطأوعه ، أو غرض يتابعه ، ومستعد لقبول الحق والتسليم به متى ظهر له ، وذلك هو منهلق العقل ، وطريق الوصول إلى الحق .

أما أن يضع سلطانا نسب عيني رأيا معينا . ويطوى نفسه على هوى دفين ، ويأبى

إلا أن يكون الحق تابعاً لرأيه وهواه ، فذلك هو منطق القلوب المريضة ، ومسلك النفوس العلية ، ووحى الأهواء المضلة ، (ولو اتبع الحق أهواءهم ، لفسدت السموات والأرض ومن فيهن) .

الدعاة الرابعة : تحرير الإنسان من مرض الجهل وظلمته ، فإن الجهل يطفىء نور القلب ، ويقتل مواهب الفكر ، ويميت في الأمم عناصر الحياة والقوة ، ويفقدها قوة الإرادة ، وصدق العزيمة .

وقد عنى الإسلام بهذه الدعاة عناية كبرى ، فرفع شأن العلم ، وحث على طلبه ، وعظم شأن العلماء ، وأعلى منزلتهم . وجعلهم رواد الحق ، ودلائل الهدى ، كما في قوله تعالى : (قل هل يستوى الذين يعلمون ، والذين لا يعملون ، إنما يتذكر أولوا الألباب) . (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) ، (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) وقوله صلى الله عليه وسلم « ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً ، سهل الله له به طريقاً إلى الجنة » : « الحكمة ضالة المؤمن يأخذها أنى وجدها ، ولا يضره من أى وعاء خرجت » .

وأنهى باللائمة على الذين يتبعون الظنون والأوهام ، ويجادلون في الله بغير علم ، كما قال الله عز وجل : (وما يتبع أكثرهم إلا ظناً ، إن الظن لا يغنى من الحق شيئاً) ، (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) . وبذلك فتح الإسلام لأهله طريق المعرفة ، وأعد قلوبهم للحياة بنور العلم ، ووجه عقولهم للبحث والنظر ، وأرشدهم إلى أن العلم هو سبيل سعادتهم في الدنيا والآخرة ، فإن الإسلام إذ يمدح العلم ويرفع من شأنه ، ويحث المسلمين على طلبه والاهتداء بنوره ، إنما يريد به العلم الذى يوضح لهم معالم السعادة ، فى المعاش ، وفى المعاد ، ويكشف لهم عن أسرار الكائنات ، ويعدهم وسائل الحياة والقوة ، ويبينى لهم قواعد السيادة والمجد . ولقد حمل المسلمون الأولون بهذا التوجيه الإسلامى ، فكانوا رسل الهداية ، وقادة الإصلاح ، وأساتذة العالم

هذه هي الدعائم التي رفع الاسلام قواعدها وفتح بها للانسان طريق التحرر الفكري والاستقلال الإداري ، وبوأه للنزلة اللائقة بكرامته ، وعرفه أن الله لم يخلقه عبداً يقاد كما تقاد الأنعام ، ولم يجعل لأحد حق السيطرة على عقله وقلبه ، وإنما خلقه حراً مالِكاً لأمره ، يفكر بعقله ، ويعمل بأرائه ، ويستمع إلى دعوة الحق ، ويهتدى بنور العلم . ويسترشد بدلائل الكائنات ، ويعتبر بما يجري فيها من الحادثات . ١١

وبعد : فقد تبين لنا من كل ما تقدم .

١ — أن التقليد الذي ذمه الإسلام ، وشدد الفكير على أهله ، إنما هو التقليد الذي يقوم على العصبية الوراثية ، والنصرة الطائفية ، والذي لا يميز بين الحق الذي أنزله الله على رسوله ، والباطل الذي أوحى به الشياطين إلى أوليائهم ، ولا يفرق بين التقليد في الخير والتقليد في الشر . وبهذا جعل الله الاعتصام بكتابه وسنة رسوله هما سبيل النجاة من شرور الفتن والاختلاف ، وطريق العصمة من ضلال الرأي وطغيان الهوى .

٢ — إن الحرية الفكرية التي قررها الإسلام ودعا إليها : وجعلها حقاً للانسان هي التي تنبثق بنضوج العقل ، ونور العلم ، واستقامة التفكير ، وتقوم على قضايا الحق والمنطق . وتحكيم الحجة والبرهان ، واحترام النصوص الشرعية وتقديسها ، والتمسك بقواعد الاستدلال التي جرى عليها سلف الأمة في فهمها والاستنباط منها ، إذ لو وكل أمر الدين إلى الناس يحكمون فيه أهواءهم وأفهامهم كما يشاءون ، ويقبلون ويردون كما يشتهون ، لصار أمر الدين فوضى لا ضوابط له ولا حدود ، واختلقت موازين الحق والباطل ، فإن المقول والأفهام متفاوتة ، والنوازع والأهواء متضاربة والكلمة من أهل الحق في كل زمان ومكان قليلون .

والجملتان الحرية المقصودة هنا . هي الحرية التي تصلح العقائد ولا تفسدها ، وتبني

الجماعات الصالحة ولا تهدمها ، ونجعل من أهل الرأي قادة مصلحين ، لا قادة مضللين !!
أما الحرية الفكرية التي لا تقتيد بقضايا الحق والمنطق ، ولا تلتزم قواعد النظر والاستدلال ، ولا تعبأ بجرمة النصوص الشرعية وقداستها ، ولا تبالي بالخروج على الأصول الإسلامية المقررة ، ولا تعتمد إلا على الجهل والفسطة . والفرور والفطسة ، إذ ليس لها رائد من الحق تلتزم طريقه ، ولا هدف من الإصلاح تسلك سبيله ، وإنما رائدها مرض القلوب ، وطاعة الأهواء ، والتي هدفها الإفساد والهدم ، لا يبيحها الإسلام ، ولا يرضاها لأهله .

فيأمن أوسعتم حرية الرأي مجالا غير محدود ، واصطنعتم لها معنى غير معقول : وأطلقتكم ألسنتكم وأقلامكم تهجم على قدسية الدين وتعاليمه ، وتشكك الناس في أصوله ومصادره وتهدم صروح الفضائل باسم الإصلاح والتجديد ، راجعوا عقولكم وضمائركم فيما تصنعون فما هكذا تكون حرية التفكير ، وقيادة الرأي . وما هكذا يكون الإصلاح والتجديد ، وانتقوا الله في أنفسكم ، وأممكم وأوطانكم . (يأيها الناس إن وعد الله حق فلا تفرنكم الحياة الدنيا ، ولا يفرنكم بالله الفرور) .

حسن الجواب

أحب الرشيد^(١) أن ينظر إلى أبي شعيب القلال^(٢) كيف يعمل القلال . فأدخلوه القصر وأتوه بكل ما يحتاج إليه من آلة العمل .
فبينما هو يعمل إذا هو بالرشيد قائم فوق رأسه ، فلما رآه نهض قائماً . فقال له الرشيد : دونك مادعيت له ، فإني لم آتكم لتقوم إليّ ، وإنما أتيتكم لتعمل بين يدي ، قال : وأنا لم آتكم لسوء أدبي ، وإنما أتيتكم لأزداد بك في كثرة صوابي .
فقال له الرشيد : إنما تعرضت لي حين كسدت سوقك .

قال أبو شعيب : ياسيد الناس : وما كساد عملي في جلال وجهك ؟ فضحك الرشيد حتى غطى وجهه ، ثم قال : والله مارأيت أنطق منه أولاً ، ولا أعيها منه آخرأ .
(١) هارون الرشيد الخليفة العباسي . (٢) صانع القلل .

غزوات الرسول

صلى الله عليه وسلم

بقية « دعوة الملوك إلى الإسلام »

تحدثنا في العدد الماضي من (الهدى النبوى) عن كتب النبي صلى الله عليه وسلم التي أرسلها إلى ملوك الدول وامراتها يدعوهم فيها إلى الإسلام . كما تحدثنا عن ردود بعض أولئك الملوك . وهم هرقل ملك الروم . ونجاشى الحبشة . وللقوقس عظيم القبط في مصر . ووقفنا بالحديث عند هذا القدر .

أما باقى الملوك فقد ردوا^(١) على رسول الله ردوداً غير كريمة وأرسلوا يتوعدون . فدعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم وحقق الله تعالى فيهم دعاءه وذلك عند ما فتح المسلمون من بعده بلادهم وسادوها .

غزوة خيبر

القضاء على معاقل الشمال أيضاً : استطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقضى على يهود بنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة بأن استأصل بعضهم . وأجلى البعض الآخر عن المدينة ، فأمن بذلك غدرهم ، واستراح من شرهم ، كذلك أمن الرسول جانب قريش بموجب عهد الحديبية .

(١) كانت ردود هؤلاء الملوك أثناء غزوة خيبر وبعدها . ولكننا اضطررنا إلى الخروج عن النهج الذى سرنا عليه فى تسلسل الحوادث منذ كتابة هذه الغزوات لئلا ننتهى حديث لإرسال الرسل إلى الملوك .

لكن كان لا يزال يقيم في شمال المدينة بعض اليهود يضررون العداء والحقد للدين الإسلامي . ألا وهم يهود خيبر ، وربما يستعين أعداء المسلمين من غير اليهود بهؤلاء اليهود عن طريق تذكيرهم ياخوانهم سكان جنوب المدينة الذين تخلص منهم النبي ، لينأروا لهم فيظاهروهم على المسلمين في أى حرب مقبلة .

فلا بد إذن من القضاء على معاقل اليهود في الشمال كما قضى عليها في الجنوب حتى لا تقوم لهم بعد في بلاد العرب قائمة .

الرسول يسير إلى خيبر : لذلك مكث الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد الحديبية ما يقرب من عشرين يوماً ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو خيبر ، واستخلف على المدينة سباع ابن عرفة .

وانطلق^(١) النبي إلى خيبر في ألف وستمائة من المسلمين ومعهم مائة فارس بحدوم جميعاً نصر الله وغايتهم إعلاء كلمته ، فقطعوا الطريق ما بين المدينة وخيبر في ثلاثة أيام دون أن تشعر بهم خيبر ، فلما دنا من حصونهم أمر أصحابه بالوقوف ثم قال « اللهم رب السموات وما أظللن . ورب الأرض وما أقلن . ورب الشياطين وما أضللن . ورب الرياح وما أذرين . فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها . أقدموها باسم الله » وكان صلى الله عليه وسلم يقول مثل هذا الدعاء في كل قرية يدخلها .

فبات الرسول ليلة أمام حصون خيبر ، ولما أصبح الصباح رآه عمال خيبر وهم في طريقهم إلى مزارعهم فولوا الأدبار وهم يصيحون : هذا محمد والجيش معه ، فقال رسول الله عندما سمعهم : « الله أكبر خربت خيبر ؛ إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين »

(١) كان ذلك في المحرم سنة سبع هـ .

غطفان تفاصر يهود خيبر : وتراعى خبر الرسول إلى بنى غطفان ، فخرجوا إلى يهود خيبر ليظاهروهم على المسلمين لئلا يظنوا أن الله عليه وسلم نزل بجيشه بجمعة الرجيع ليحول دون غطفان وإمدادها يهود خيبر بالسلاح والرجال فرجع بنو غطفان إلى ديارهم بعد أن كانوا قد قطعوا مرحلة في السير لمفاصرة خيبر وأحسوا بالخطر وراهم .

أمام حصون خيبر : وأمام حصون خيبر وقف النبي صلى الله عليه وسلم بجيشه وعدته يواجه جيشاً يهودياً يفوقه في العدد والمعدة . وتشاور يهود خيبر مع بعضهم فيما يفعلون ، فأشار عليهم زعيمهم سلام بن مشكم أن يدخلوا أموالهم وأولادهم ورجالهم داخل الحصون ، ففعلوا .

ثم التقى الجمعان في حصن ناعم ، ودارت بينهما معركة حامية الوطيس من داخل الحصن وخارجه ، وضيق المسلمون الحصار على الحصن ، وأحكموا الضرب فيه حتى استسلم من بداخله وتم فتحه .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق (رضى الله عنه) برأيته إلى حصون خيبر فقاتل ثم رجع دون فتحها . ثم بعث في الغد عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) فقاتل ثم رجع دون فتحها . إذ كانت مقاومة يهود خيبر عنيفة مستميتة . فقال رسول الله « لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله . يفتح الله على يديه ليس بفرار » فدعا إليه على ابن أبي طالب (رضى الله عنه) وهو أرمم فتفل في عينه وقال له « خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك » فخرج على يهرول وبصول في حصون خيبر حتى فتحها الله على يديه .

وأخذ المسلمون يحاصرون حصون خيبر ، ويقاتلونهم بشدة . ويمنعون عنهم الطعام والشراب . حتى انهارت مقاومتهم وعجزوا عن الصمود أمام المسلمين وإن كانوا يستميتون في الدفاع عن حصونهم باعتبار أن المعركة معركة حياة أو موت . فتتابعت الحصون في السقوط الواحد بعد الآخر حتى لم يبق من حصونهم إلا الوطيج والسلام .

وأثناء القتال خرج مرحب اليهودي يخطر بسيفه وينشد قائلاً :

قد علمت خير أنى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب
أطمئن أحياناً وحيفاً أضرب إذا الليوث أقبلت تحرب
إن حامي للحمي لا يقرب

ونزل إليه كعب بن مالك وأجابه قائلاً :

قد علمت خير أنى كعب مفرح الفمي جرى صلب
إن شئت الحرب تلتها الحرب معى حسام كالعقيق غضب

فقال رسول الله : « من لهذا ؟ » قال محمد بن مسلمة : أنا له يا رسول الله . أنا والله الموتور الثائر . قتل أخى بالأمس فقال النبي « فقم إليه . اللهم اعنه عليه » .

فلما دنا أحدهما من صاحبه دخلت بينهما شجرة فأخذ كل منهما يلوذ بها من صاحبه حتى اقتطعاها بسيفيهما . ثم حمل محمد بن مسلمة على مرحب بقوة فقتله .

استسلام آخر الحصون : وظل الرسول صلوات الله عليه محاصراً لليهود خيبر داخل حصنى الوطيع والسلام . حتى إذا دب اليأس إلى نفوسهم وأيقنوا بالهزيمة خرج إليه سلام بن أبي الحقيق وسأله أن يخرجهم ويحقن دماءهم فأجابهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى طلبهم بعد أن حاز أموالهم بالشق ونطاة والكتيبة . فلما أراد الرسول إخراجهم من بلادهم قالوا له : نحن أعلم بهذه الأرض منكم فدعنا نكون فيها . فابقاهم النبي على أرضهم على أن يكون لهم نصف ثمارها مقابل عملهم .

يهود فذك : ولما سمع أهل فذك بما صار إليه أمر إخوانهم يهود خيبر من الهزيمة والاستسلام — مع ما كانوا فيه من قوة — بعثوا إلى رسول الله يطلبون منه أن يصالحهم ويحقن دماءهم . فقبل النبي الصلح معهم على نصف أموالهم كما صنع مع خيبر . فتصالحوا

زواجه بصفية : وعند ما خلصت صفية ابنة حي بن أخطب إلى المسلمين . وصارت ضمن السبايا قدمت لرسول الله صلوات الله عليه فأعتقها وتزوجها . نفى أبو أيوب خالد بن زيد أن تتحرك في نفس صفية الضفينة على النبي ، إذ مات في المعركة أبوها وزوجها وأهلها . لذلك بات أبو أيوب حول الخيمة التي أعرض فيها النبي بصفية في طريق عودته من خيبر . وكان أبو أيوب متوشحاً سيفه . فلما كان الصبح ورآه الرسول فسأله « مالك يا أبا أيوب ؟ » قال : خفت عليك من هذه المرأة . وكانت امرأة قد قتلت أباهـا وزوجها وقومها وكانت حديثه عهد بكفر فنفختها عليك . . . واسكن صفية حفظت رسول الله . وأقامت معه على الإخلاص والوفاء حتى قبضه الله إليه .

إلى وادى القرى : وتنهياً الرسول صلوات الله عليه بعد ذلك للعودة إلى المدينة عن طريق وادى القرى فتأهب يهودها لقتال المسلمين . والتقوا ونازلوهم . ولكنهم وجدوا من قوة المسلمين ما لم يمكنهم معها الصمود لقتالهم . فاضطروا إلى الإذعان والاستسلام وتصالحوهم مع رسول الله كما صنعت خيبر .

وبذلك ضعفت شوكة اليهود في بلاد العرب . ولم يعد لهم قوة ولا سلطان بعد أن قوى سلطان المسلمين عليهم . وغدوا يعيشون ضغفاء أذلاء يدينون المسلمين بالولاء . ويعيشون تحت إمرتهم وفي كنفهم . . وبذلك غدا النبي في مأمن من أهل الشمال أيضاً بعد أن أمن من أهل الجنوب وقريش بعهد الحديبية .

تنفيذ عهد الحديبية^(١) . انقضى عام بعد عهد الحديبية وأصبح من حق الرسول صلوات الله عليه والمسلمين معه بمقتضى ذلك العهد أن يدخلوا مكة إن شاء الله آمنين لزيارة

(١) في حديثنا عن عهد الحديبية، الذي نشر بالهدى النبوى عدد صفر ١٣٨٣ ذكرنا =

البيت الحرام . وتأدية شعائر العمرة التي منعهم منها قريش في عامهم الفائت ولا يستطيع
المرء أن يتصور كيف مكث المهاجرون في المدينة طيلة ذلك العام حتى استدار . وكما كان
شوقهم شديداً إلى القيام بهذه الرحلة الحبيبة إلى قلوبهم . وكما كانت لهفتهم إلى حلول
الساعة التي يتحرك فيها ركبهم قاصدين مكة !

لقد كان كل واحد منهم يترقب ذلك كله بشغف وتطلع شديدين . . وكيف لا يرقبه
بكل حواسه وفكره ، وهو الذي سيعود إلى موطنه أم القرى ليرى البيت الذي تربى
في جنباته ، والأصحاب الذين عاش في مجتمعاتهم وربطتهم بهم ذكريات عزيزة وأرض البلدة
الطيبة التي هي مهد الرسالة المحمدية .

لقد كانت فرحة أي فرحة تلك التي غمرت قلوبهم . وسرت في كل ذرة من كياناتهم
حين نادى فيهم رسول الله بالتجهز للخروج إلى عمرة القضاء ، فلم يلبثوا أن ابوا النداء ،
وخرجوا مسرعين للتجهز والاستعداد

وفي شهر ذي القعدة من السنة السابعة خرج النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الغرض ،
وساق معه الهدى ، فلما بلغ (يأجج) تجرد المسلمون من النبل والرماح ؛ ولم يأخذوا معهم
من السلاح إلا سيفاً مفهداً .

== أن المسلمين الذين حضروا عهد الحديبية لم يرقهم تساهل النبي وسهيل بن عمرو في مفاوضات
الصلح . وأن عمرو بن الخطاب غضب لذلك وتوجه أولاً إلى أبي بكر ليتحدث معه في الأمر .
ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الغرض .

والصحيح : أن عمر بن الخطاب أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أولاً بعد كتابة العهد
فتحدث إليه في كيفية إتمام الصلح على أساس تشدد سهيل وتساهل النبي . ثم أتى أبا بكر
وتكلم إليه بمثل ما تكلم به مع النبي . راجع صحيح مسلم بشرح النووي ص ١٤١ ج ١٢ ،
زاد المعاد للإمام ابن قيم الجوزية ص ٣٠٧ ح ٢ .

قريش تجلو عن مكة : وترامى إلى قريش نبأ قدوم الرسول والمسلمين إلى مكة نزولاً على حكم صلح الحديبية فصعد بعضهم إلى التلال المجاورة لمكة . وخرج البعض الآخر إلى أماكن أخرى مرتفعة حيث ضربوا هنالك خيامهم . وأقاموا بها ، كراهة أن ينظروا إلى رسول الله ومن معه أثناء دخولهم مكة فتثور نفوسهم وهم يرون من خرج منها بالأمس مستخفياً يدخلها اليوم أمام أعينهم ورغم إرادتهم .

الرسول يدخل مكة : ودخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يحف به المسلمون من كل جانب . فلما ظهر لهم البيت الحرام أمامهم انفرجت شفاههم عن ابتسامة تترجم عن روح الفرح التي سرت في نفوسهم . فصاحوا في صوت واحد لبيك اللهم لبيك . وقلوبهم متوجهة إلى الله الواحد القهار شاكرين له أن مكنتهم من التمتع بهذه الرحلة الروحية .

وعند ما دخل المسلمون البيت الحرام قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم « اكشفوا عن الناكب . واسمعوا في الطواف ليرى المشركون جلدكم وقوتهم » .

وعند ما دخل الرسول صلى الله عليه وسلم اضطلع^(١) بردائه . وأخرج عضده اليمنى وقال « رحم الله أمراً أراهم اليوم من نفسه قوة » . ثم استلم الركن اليماني . وخرج يهرول وأصحابه معه ، بينما المشركون ينظرون إليهم ونفوسهم تمتلئ حقدًا وغيفًا وهم يطوفون بالبيت . ثم مشى الرسول بأصحابه حتى استلم الحجر الأسود ، ثم هروا ثلاثة أطواف . ومشى سائرهما والمسلمون خلفه .

فلما أتم الطواف بالكعبة خرج بأصحابه إلى الصفا والمروة . فطاف بينهما سبعاً ثم نحر الهدى عند المروة . وحلق رأسه وبذلك أتم شعائر العمرة .

زواج النبي بميمونة : وكان الرسول صلى الله عليه وسلم عند ما قدم مكة بعث

(١) اضطلع : أدخل بعضه تحت عضده اليمنى . وجعل طرفه على منكبيه .

جعفر بن أبي طالب بين يديه إلى ميمونة بنت الحرث بن حزن العامرية نخطبها إليه .
فجعلت أمرها إلى العباس بن عبد المطلب إذ كان العباس زوجاً لأختها أم الفضل فزوجها
العباس إلى رسول الله صلوات الله عليه .

قريش تطالب من النبي الرحيل : وأقام عليه السلام بمكة ثلاثة أيام . فلما حل اليوم
الرابع أتاه سهيل بن عمرو^(١) وحويطب بن عبد العزى وهو جالس في مجلس الأنصار ومعه
سعد بن عباد وقالوا له : إنه قد انقضى أجلك^(٢) فخرج عنا : فقال النبي عليه السلام
« وما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهركم . وصنعت لكم طعاماً فحضرتموه » قالوا له
لا حاجة لنا في طعامك . فخرج عنا .

وأدرك النبي أن زيارته لمكة لأداء العمرة قد تركت أثراً سيئاً في نفوس أهل مكة
فأثر الرحيل تنفيذاً لعهد الحديبية . وأمر أبا رافع بأن يؤذن في الناس بالرحيل .

وخرج النبي صلوات الله عليه من مكة ومن ورائه المسلمون . وترك ميمونة مع أبي رافع
فأتاه بها بسرف^(٣) فبنى بها هناك ثم انصرف عائداً إلى المدينة .

ومما يذكر أن ميمونة بنت الحرث هي آخر أزواج النبي . وقد طلبت منه أن تدفن
حيث بنى بها .

غزوة مؤتة^(٤)

سبب الغزوة وخروج المسلمين لها : كان سبب هذه الغزوة أن رسول الله صلوات الله
عليه قد بعث الحرث بن عمير الأزدي - أحد بني لهب - بكتاب إلى عاهل هرقل بالشام^(٥)

(١) هو الذي بعثه قريش ليحج مع النبي صلى الله عليه وسلم صلح الحديبية .

(٢) أي المدة التي اتفق عليها في صلح الحديبية وهي ثلاثة أيام .

(٣) موضع قريب من مكة .

(٤) وهي تقع بأدنى البلقاء من أرض الشام .

(٥) بجهة بصرى .

فقد رشح حبيب بن عمرو الفسائي بمبعوث رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن أوثقه وضرب عنقه
وحين بلغ رسول الله مصير مبعوثه اشتد ذلك عليه ، وقرر أن يرسل جيشاً
لنأديب المعتدين .

وفي جمادى الأولى سنة ثمان خرج لهذا الغرض جيش من المسلمين مؤلفاً من ثلاثة آلاف
مقاتل بقيادة زيد بن حارثة وخرج معهم خالد بن الوليد^(١) فدعا لهم النبي بخير . كما صحبهم
الناس إلى خارج المدينة مودعين مشجعين .

وسار جيش المسلمين حتى بلغ معان من أرض الشام ، لكن خبرهم كان قد وصل
إلى شرحبيل عامل هرقل على الشام ، فأسرع وجمع جيشاً مؤلفاً من مائة ألف مقاتل من
الروم ، وانضم إليهم مثلهم من قبائل نخع وجذام والقيين وبهاء وبلى .

تشاور المسلمين في الأمر : وعند ما علم المسلمون بما أعد لهم هرقل من قوة للملاقاة
باتوا يتشاورون في الأمر ، ويفكرون فيما يصنعونه أمام هذا العدد الكبير من جيش العدو
فقالوا : نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره بعدد عدونا : فإما أن يمدنا
بالرجال . وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له .

وكاد القوم أن يتبعوا هذا الرأي لولا أن وقف عبد الله بن رواحة يعترضه ، وخطب
فيهم مشجعاً فقال : يا قوم والله إن الذي تكرهون لآتي خرجتم تطلبون : الشهادة ، وما نقاتل

(١) بعد أن عاد النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة عقب فراغه من عمرة القضاء استبان
لخالد بن الوليد أن الدعوة المحمدية هي دعوة حق . فشرح الله صدره للإسلام . وآمن
بدعوة التوحيد . ونبذ دين الجاهلية . فوقف في نفر من قومه وقال : لقد استبان لكل
ذی عقل أن محمداً ليس بساحر ، ولا بشاعر وأن كلامه من كلام رب العالمين فحق على كل
ذی لب أن يتبعه :

وكانت غزوة مؤتة هي أول غزوة يخرج فيها خالد بن الوليد رضي الله عنه في جانب
المسلمين بعد إسلامه .

الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا
فإنما هي إحدى الحسين ، إما ظفر . . وإما شهادة .

وهزت تلك الكلمات المؤمنة نفوس أصحاب النبي من أعماقهم . فاندفعوا إلى ملاقات
العدو في إيمان وإقدام . ومضوا . . حتى إذا كانوا يتخوم اللقاء لقيتهم جموع هرقل
بقرية يقال لها « مشارف » فلما دنا العدو منهم انحازوا إلى مؤنة ليعتباوا منها . وهناك
التقى الجمعان واقتتلوا : ولكنه كان قتالا بين فريقين غير متكافئين : فريق قوامه مائة ألف
مقاتل ، والآخر مؤلف من ثلاثة آلاف مقاتل فقط .

وكان من اليسير على المسلمين - وقد بدا لهم قوة عدوهم المروعة - أن يعودوا دون
قتال كي لا يواجهوا هذا الجيش الجرار . ولكنهم قرروا منازلة عدوهم مهما بدا كبيرا
أمامهم . إيماناً منهم بنصر الله وتأيمده .

المعركة تدور : وعند ما بدأت المعركة حمل زيد بن حارثة راية النبي صلى الله عليه
وسلم والتي بنفسه في المعركة . وظل يقاتل حتى استشهد ، ثم حمل الراية من بعده جعفر
ابن أبي طالب . وقاتل فأحاط به العدو حتى أرهقه القتال ، فنزل عن فرسه وعقرها وقذف
بنفسه في ساحة الوغى ، وأخذ يقاتل الأعداء حتى قطعت يمينه فقاتل بشماله . فقطعت هي
الأخرى . فاحتضن راية القتال بمضديه حتى قتل ، ويروى أنه كان يقول وهو يقاتل
منشداً :

يا حبيذاً الجنة واقتربها طيبة وبارداً شرابها
والرؤم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها

على إذ لاقيتها ضرابها.

فلما قتل جعفر سلم الراية من بعده عبد الله بن رواحة ، فتقدم بها وهو على فرسه .

وأخذ يستنزل نفسه ، ويتردد في النزول إلى المعركة ، ثم قرر دخولها وهو يخاطب نفسه قائلا :

أَقَمْتُ بِإِنْفُسِي لِنَزْلِهِ لِنَزْلِنِ أَوْ لَتَكْرَهِنِهِ
إِنْ أَجْلَبَ النَّاسَ وَشَدُّوا الرِّتَةَ مَالِي أَرَأَيْكَ تَكْرَهِينَ الْجَنَّةَ

نم أخذ سيفه واقتحم الساحة ، وقاتل ببسالة حتى قتل .

زيد وجعفر ورواحه في الجنة : وهكذا استشهد الثلاثة حملة راية رسول الله صلى الله

عليه وسلم في سبيل الله ، الواحد وراء الآخر ، ولم يبالي أحدهم بالموت مادام في إعلاء لكلمة الله ، ونصرة لدين الحق .

والجدير بالذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أخبر أصحابه عن هؤلاء الأبطال الثلاثة عند ما علم باستشهادهم فقال :

« لقد رفعوا إلى في الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب ، فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة أزورارا^(١) عن سريري صاحبيه ، فقلت : مم هذا ؟ فقيل لي : مضيا^(٢) وتردد عبد الله بعض التردد ، ثم مضى » .

كما أخبر الرسول عن جعفر بن أبي طالب فقال « إن الله أبدله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء » .

الراية في يد خالد : وبعد أن استشهد الأبطال الثلاثة كان لا بد لقائد آخر أن يتسلم

راية رسول الله ليخوض بها غمار المعركة مع الروم . فتسلمها ثابت بن أرقم - أخو بني عجلان - وقال ، يامعشر المسلمين . اصطلمحوا على رجل منكم . قالوا أنت قال : ما أنا بفاعل ، فاختر الناس خالد بن الوليد فارس قريش في أحد ، وأحد الأبطال الأفاض في فتوحات الإسلام .

(١) أي كان بعيداً بسريره عن سريري صاحبيه .

(٢) أي اقتحم المعركة دون تردد كما فعل عبد الله بن رواحة .

وعند ما تسلم خالد (رضى الله عنه) قيادة الجيش وجد أنه يواجه جيشاً كبيراً يفوق جيشه عدداً. وأن من الحكمة والصواب أن ينسحب بجيشه لينقذ المسلمين من معركة رأى أن الغلبة لن تتحقق فيها بأى حال بما يملكه من رجال.

لذلك وضع خالد خطة حكيمة للإنسحاب. فكان أول ما عمله أن ضم صفوف جيشه. وتوقف عن محاربة العدو. واكتفى بالقيام بمناوشات معه امتدت به إلى الليل. وهنا وضع الجيشان السلام حتى الصباح. وفي خلال تلك الليلة وزع عدداً من أفراد جيشه في المؤخرة. وجعله يحدث من الجلبة في الصباح ما أدخل في روع الأعداء أن مدداً كبيراً جاء من النبي تعزيراً للمسلمين... ومن ثم خشى الروم أن يخاطروا فيقتذفوا بمجنودهم في المعركة ليحاربوا ذلك المدد الذي خيل إليهم أنه جاء للمسلمين. ولا يعرفون هم عدته فيفتقدوا من الجنود أكثر مما فقدوه.

إنسحاب منظم : وعندما جبن الروم عن مهاجمة المسلمين خوفاً من ذلك المدد الذي توهموه، وجد خالد أن الفرصة قد سنحت له للإنسحاب فتقدم^(١) بجيشه بانتظام. ورجع إلى المدينة بعد معركة لم يتم النصر فيها لأى من الجانبين.

كرار . . . وليدسوا بالفرار : وصل خالد بجيشه إلى المدينة فاستقبله أهلها استقبالا فائراً لأنه في نظرهم : لم يحمل معه من الغلبة والنصر ما هو جدير بالثناء والشكر - وإن كان انسحابه المنظم وانقاذه للجيش من الهلكة يعتبر في نظر الحكمة نهراً لا جدال فيه.

(١) كان التقهقر المنظم الذي ابتكره خالد في تلك الغزوة. وخرج به من المعركة سالماً. أمراً بطولياً يدعو إلى الإعجاب. حتى كان جديراً بأن يلقب بـ « سيف الله » لأنه أنقذ جيش المسلمين من غائلة الروم.

وفي مستهل القرن التاسع عشر الميلادي استلهم القواد الروس عزيمة خالد وخطته في الإنسحاب المنظم في حربهم ضد نابليون عندما أطبق عليهم مجنود لا قبل لهم بها. فانسحبوا من المعركة بانتظام وخرجوا سالمين بعد أن أضرموا النار في كل مكان تركوه.

وفي مستهل القرن العشرين أيضاً ومتصفه استوحى القائدان الألمانيان « هندنبورج » وروميل خطط خالد في التقهقر المنظم في إحدى معارك كل منهما.

استقبل أهل المدينة خالداً وجيشه هذا الاستقبال المريع وجعلوا يحثون التراب على الجيش ويقولون : يا فرار . . فررتم في سبيل الله . ولكن الرسول صلوات الله عليه استقبلهم استقبالا تجلت فيه آيات الكرم وخلق النبوة . وقال لهم « ليسوا بالفرار . ولكنهم الكرار إن شاء الله » وكانت هذه العبارة تأسية من الرسول لخالد وجيشه .

غزوة ذات السلاسل^(١)

عدوان قضاة : بلغ الرسول صلوات الله عليه أن ناساً من قبيلة قضاة قد تجمعوا يريدون الدنو إلى أطراف المدينة للعدوان على المسلمين . فدعا إليه عمرو بن العاص وأمره بالسير إلى قضاة ليردها عن المدينة . وعبأ له جيشاً مؤلفاً من ثلاثمائة رجل من سراة المهاجرين والأنصار . وثلاثين فارساً . كما أمره بأن يستعين بمن مر به من بني وعذرة وبلقين ؟ فخرج عمرو بن العاص بجيشه إلى قضاة يسير بالليل ويكن بالنهار .

تعاون القادة في سبيل الله : فلما كان عمرو قريباً من القوم بلغه أن لهم جمعاً كثيراً . فبعث رافع بن مكيث الجهني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب منه أن يمدّه بالرجال ليواجه جمع قضاة الكثير . فبعث إليه النبي صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح على رأس مائتي محارب من المهاجرين والأنصار . وفيهم أبو بكر وعمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) وأمره باللاحاق بعمرو بن العاص ونصحه بأن يتعاون معه وألا يختلفا .

وعندما التقى القائدان أراد أبو عبيدة أن يؤم الجيش فقال عمرو : إنما قدمت على مدداً . وأنا الأمير فأطاعه أبو عبيدة حرصاً منه على وحدة المسلمين واحراز النصر في المعركة . دون النظر إلى زعامة أو قيادة تجلب له مجداً شخصياً زائلاً .

وبذلك لم يجد الاختلاف سبيلاً إلى قلوبهما . . وكان عمرو يصلي بالناس .

(١) هو ماء لقبيلة جذام يقال له : السلسل . ويقع بمكان يبعد عن المدينة بمسيرة عشرة أيام .

وسار الجيش بقيادة عمرو بن العاص حتى وطىء بلاد قضاة . ولتقى بجموعها . فحمل عليهم وقاتلهم حتى أقصى بلادهم . وشتتهم . فهربت جموعهم . وتفرقوا في البلاد . وعندئذ بعث عوف بن مالك الأشجعي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره انتصارهم على قضاة . . ثم عاد جيش المسلمين إلى المدينة ظافراً منتصراً بعد أن أدب المعتدين . وكسر شوكة المشركين .

وإلى لقاء قادم إن شاء الله « مع فتح مكة »

— محمد صادق محمد

حكمة

قال الشاعر :

وما المرء إلا حيث يجمع — نفسه
ففي صالح الأخلاق — نفسك فاجمل

قال محمد بن محمد الحمداني :

من التوفى ترك الإفراط في التوفى .

قيل للسميح بن مريم عليه السلام : من نبألس ؟ قال : من يزيد في علمكم منطقته ، وتذكركم الله رؤيته ، ويرغبكم في الآخرة عمله .

كان أبو هريرة رضى الله عنه — إذا استنقل رجلاً قال :
اللهم اغفر له ، وارحمنا منه .

توحيد الله عز وجل

ومن أسمائه الحسنی سبحانه (البديع والهادي) وكلاهما مذكور في القرآن ودال على صفة من صفات الفعل التابعة لمشيئته تعالى وقدرته .

أما البديع فهو فاعل بمعنى مُفْعِل ومعناه الخالق للأشياء والمخترع لها عن غير مثال سابق .

قال الراغب :

« الإبداع إنشاء صنعة بلا احتذاء واقتداء ، ومنه قيل (ركية بديع) أى جديدة الحفر وإذا استعمل في الله فهو إيجاد الشيء بغير آلة ولا مادة ولا زمان ولا مكان ، وليس ذلك إلا لله .

والبديع يقال المبدع نحو قوله (بديع السموات والأرض) ويقال المبدع نحو (ركية بديع) وكذلك (البدع) يقال لها جميعاً بمعنى الفاعل والمفعول .

وقوله تعالى : (قل ما كنت بدعاً من الرسل) قيل معناه مبدعاً لم يتقدمني رسول ، وقيل مبدعاً فيما أقوله (١٠١) .

والمعجب من قول الراغب أن البديع إذا استعمل في الله تعالى كان معناه إيجاد الشيء بغير آلة ولا مادة ولا زمان ولا مكان ، فإنه إذا سلم أن خلقه تعالى للأشياء لا يحتاج فيه إلى توسط آلة بل لا يتوقف إلا على إرادته له ، كما قال تعالى : (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) فكيف يتصور الإيجاد من غير مادة ولا زمان ولا مكان مع أن هذه الثلاثة لازمة للخلق ، فإن كل مخلوق لا بد له من مادة سابقة عليه ولا بد أن يكون

وجوده مبتدأ من لحظة معينة في الزمان ، ولا بد أن يكون وجوده كذلك في حيز ومكان .

ولعل مما يشهد لهذا قوله تعالى في سورة « فصلت » (ثم استوى إلى السماء وهي دخان) فإنها تدل على أن السماء كانت عند استوائه سبحانه إليها وقصده إلى خلقها كانت دخانا .

وقوله في سورة « الرحمن » (خلق الإنسان من صلصال كالفخار . وخلق الجن من مارج من نار) .

وقد روى مسلم في صحيحه : (خلق الله الملائكة من نور وخلق الجن من مارج من نار . وخلق آدم مما وصف لكم) والحاصل أن اسمه تعالى (البديع) دال على أنه مخترع الأشياء ومنشئها من غير أن يستعين في ذلك بخالق سبقه إذ لا خالق غيره سبحانه وهو الذي يبدىء الخلق ثم يعيده كما بدأه .

ولم يرد هذا الاسم الكريم في القرآن إلا مرتين إحداهما قوله تعالى في سورة البقرة بصدد الرد على النصارى في نسبتهم الوالد إلى الله عز وجل : (وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والأرض كل له قانتون . بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) والثانية في سورة الأنعام في معرض الرد على المشركين كذلك في قولهم أن الملائكة بنات الله .

قال تعالى (بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم) . وأما في السنة فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في دعائه (يا بديع السموات والأرض) .

وأما اسمه تعالى (الهادى) فهو اسم فاعل من الهدى الذى هو مقابل الضلال . ومعناه كما قال (ابن الأثير) هو الذى بصر عباده وعرفهم طريق معرفته حتى أقروا بربوبيته وهدى كل مخلوق إلى ما لا بد له منه في بقائه ودوام وجوده .

وقد ورد هذا الاسم كثيراً في القرآن أحياناً بلفظه كقوله تعالى : (وأن الله لهادى
الذين آمنوا إلى صراط مستقيم) وأحياناً بصيغ الفعل المنصرف منه كقوله تعالى من
سورة طه (قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى) وكقوله تعالى من سورة الأعلى
(الذى خلق فسوى . والذى قدرى فهدى) وقوله من سورة البقرة : (يضل به كثيراً
ويهدى به كثيراً) وقوله من نفس السورة فى شأن تحويل القبلة : (سيقول السفهاء من
الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء
إلى صراط مستقيم) إلى غير ذلك من الآيات التى لاتكاد تحصر فى نسبة الهداية والضلال
إلى الله عز وجل .

ولكن ينبغى أن يعلم أن الهداية المختصة بالله جل شأنه هى خلقه الهدى والضلال
فى قلب العبد ولهذا نفاها الله عن نبيه صلى الله عليه وسلم حيث قال فى سورة القصص :
(إنك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء) .

وأما الهداية بمعنى البيان والدلالة والإفهام فقد يوصف بها الرسول صلى الله عليه وسلم
كما فى قوله تعالى فى سورة الشورى (وإنك لاتهدى إلى صراط مستقيم) .
ويوصف بها القرآن العظيم كما فى قوله فى من سورة الإسراء : (إن هذا القرآن
يهدى للتى هى أقوم) وقوله من سورة المائدة : (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين .
يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم
إلى صراط مستقيم) .

وفى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول فى دعائه : « اللهم رب جبريل
وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين
عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدى من تشاء
إلى صراط مستقيم » .

وفي الدعاء الآخر « اللهم إني أسألك التقى والهدى والعفاف والغنى » .

قال الراغب في « المفردات » ما ملخصه :

وهداية الله تعالى للإنسان على أربعة أوجه :

الأول : الهداية التي هم يجنسونها كل مكلف من العقل والفتنة والمعارف الضرورية التي أعم منها كل شيء بقدر فيه حسب احتماله كما قال : (ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) .

الثاني : الهداية التي جعل للناس بدعائه إياهم على السنة الأنبياء وإنزال القرآن ونحو ذلك وهو المقصود بقوله تعالى (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا) .

الثالث : التوفيق الذي يختص به من اهتدى وهو المعنى بقوله : (والذين اهتدوا زادهم هدى) . (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) . (يهديهم ربهم بإيمانهم) . (لنهدينهم سبلنا) .

الرابع : الهداية في الآخرة إلى الجنة المعنى بقوله : (سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم) (ونزعنا ما في صدورهم من غل - إلى قوله - الحمد لله الذي هدانا لهذا) .

وهذه الهدايات الأربع مترتبة ، فإن من تحصل له الأولى لا تحصل له الثانية بل لا يصح تكليفه ، ومن لم تحصل له الثانية لا تحصل له الثالثة والرابعة . ومن حصل له الرابع فقد حصل له الثلاث التي قبلها ومن حصل له الثالث فقد حصل له اللذان قبله . والإنسان لا يقدر أن يهدي أحداً إلا بالدعاء وتعريف الطرق ، دون سائر أنواع الهدايات وإلى الأول أشار بقوله (وإنك لنهتدي إلى صراط مستقيم) (يهدون بأمرنا - ولكل قوم هاد) وكل هداية ذكر الله عز وجل أنه منع الظالمين والكافرين فهي الهداية الثالثة . وهي التوفيق الذي يختص به المهتدين . والرابعة التي هي الثواب في الآخرة وإدخال الجنة نحو قوله (كيف يهدي الله قوماً - إلى قوله - والله لا يهدي القوم الظالمين) .

وكقوله (ذلك بأنهم استعجبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين) وكل هداية نفاها الله عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن البشر وذكر أنهم غير قادرين عليها ، فهي ماعدا المختص من الدماء وتعريف الطريق ، وذلك كإعطاء العقل والتوفيق ، وإدخال الجنة . كقوله عز ذكره (ليس عليك هدام ولكن الله يهدي من يشاء - وما أنت بهادي العمى عن ضلالتهم - إن تحرص على هدام فإن الله لا يهدي من يضل) (ومن يضل الله فماله من هاد . ومن يهد الله فماله من مضل) (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) اه .

وهكذا أطلال الراغب وأجاد في ذكر أنواع الهداية وبيان ما هو منها مختص بالله جل شأنه وما هو مشترك بينه وبين غيره ، إلا أنه لم يذكر الهداية العامة التي هدى الله بها كل مخلوق إلى القيام بالوظيفة التي هيأ لها بما أودع فيه من الفرائض والقوى والآلات التي يحتاجها ، ولعل هذا النوع من الهداية التي ترجع إلى الإلهام والفسخبر هو المقصود في قوله تعالى من سورة طه (قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) .

وقوله في سورة الأعلى (الذي خلق فسوى . والذي قدر فهدى) .

وقوله من سورة النحل (وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً) .

نسأل الله أن يهدينا صراطه المستقيم صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وأن يجنبنا طريق المفضوب عليهم والضالين .

محمد خليل هراس

المدرس بكلية أصول الدين

٢٥ - نظرات في التصوف

« تكلمت عن الحب عند الصوفية ، ومنهم الغزالي . وأتابع الحديث عن هذا »

تخفيف الخوف من النار والرجاء في الجنة . وصفوة المحبين الصادقين عند الغزالي هم من

لا يحبون الله خوفاً من النار أو رجاء في الجنة ، وإنما يحبونه لذاته .

يقول الغزالي ، « قال أبو سليمان الداراني : إن لله عبداً ليس يشغلهم عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة »^(١) وينقل عن معروف السكري أن تلميذاً له سأله : « يا أبا محفوظ أي شيء هاجك إلى العبادة والانقطاع عن الخلق ، فسكت ، فقال — أي التليذ — ذكر الموت ؟ فقال — أي الجنيد — وأي شيء الموت ؟ فقال : ذكر القبر والبرزخ ؟ فقال : وأي شيء هذا ؟ . إن ملكاً هذا كله بيده : إن أحببته أنساك جميع ذلك . وإن كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا » وينقل الغزالي ونشوة الطرب تستغفه عن علي بن الموفق أنه رأى بشر بن الحارث وأحمد بن حنبل في الجنة على مائدتين . والملائكة عن أيماهم وشماثلهم يطعمونهما من جميع الطيبات . ثم رأى رجلاً آخر في سرادق للعرش من حظيرة القدس قد شخص ببصره ينظر إلى الله تعالى ، لا يطرف ، فسأل رضوان عنه فأنبأه أن هذا الرجل هو معروف السكري ، وأنه استحق هذه المنزلة ، لأنه عبد الله لا خوفاً من ناره ولا شوقاً إلى جنته بل حباً له ، فأباحه النظر إليه إلى يوم القيامة^(٢) . ومعلوم هذا الصنم الذي يصدق الغزالي أن له هذه المنزلة كان يقول « إذا كانت لك حاجة إلى الله ، فأقسم عليه بي^(٣) » . فهل بهذا القول الكافر استحق معروف عند الغزالي هذه المنزلة العظمى ؟

(١) ص ٢٨٩ ج ٤ الإحياء .

(٢) ص ٢٦٦ ج ٤ الإحياء .

(٣) ض ٩ الرسالة للتشيري ، ويقول عن التشيري : « يستشفي بقبره » .

أى فرق بين القَسَم على الله بالكبرخى ، وبين القسم عليه باللات والعزى ؟ .

ويقص في نفس الصفحة أن بعض الشيوخ رأى بشر بن الحارث في النوم ، فقال له ما فعل أبو النصر الثمار ، وعبد الوهاب الوراق ؟ فقال بشر : تركتهما الساعة بين يدي الله يا كلان ، ويشربان : فقال له الشيخ : وأنت ؟ فقال بشر : علم الله قلة رغبتي في الأكل والشرب ، فأعطاني النظر إليه »

وهذه الرؤيا تناقض الرؤيا التي نقلها الغزالي عن ابن الموفق ! ! ثم يقص الغزالي أن شيخاً سأل رابعة : ما حقيقة إيمانك ؟ فقالت : ما عبدته خوفاً من ناره ، ولا حباً لجنته . فأكون كالأجير السوء ، بل عبدته حباً له وشوقاً إليه ^(١) .

هذا سحر من الشَّيْطَان ، قد يجعلك أخيراً الذبابة الأولى منه . بيد أنك إذا عرضته على كتاب الله وجدته منسكراً من القول وزورا .

إن فيه نشوة ساحرة وشاعرية سكرى . بيد أنها شاعرية عاشق دليته امرأة ، فالعاشق المفتون لا يريد شيئاً سوى الحصول عليها هي ، إنها بذاتها بغينه وهواه وعشقه المحموم لا يريد الموعد وإنما يريد ربة الموعد ، لا يهمه أن تنعمه في قصرها المنيف ، وإنما يهمه هناقها الذي يذيب جسده في جسدها ! ! وبفلس الشهور تتحدث رابعة عن ربها . إنها لا تتحدث عن الله . إنما تتحدث عن عاشق أضنتها وعوده ، وشغفها احتجابه فهي تريده وتربده ! .

أما المؤمنون الصادقون في جهم لله سبحانه ، فقد وصفهم الله بقوله : « يرجون رحمته ويخافون عذابه » وقال عن أنبيائه ورسله (٢١ : ٩٠) : « إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ، ويدعوننا رغباً ورهبا ، وكانوا لنا خاشعين » . وما الرغب والرهب إلا رجاء الرحمة والخوف من النار . وقال جل شأنه عن سمهم « عباد الرحمن » (٢٥ : ٦٦) والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ، إن عذابها كان غراما . إنها صامت مُتَقَرِّرَةٌ وَمُقَامَا .

وقال قاصداً قول خليله إبراهيم صلى الله عليه وسلم : (٢٦ : ٨٢ - ٨٦) والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين . رَبُّ هَبْ لِي حِكْماً وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ . واجعل لي لسان صدق في الآخرين . واجعلني من ورثة جنة النعيم) .

ومن دعاء الرسول عليه الصلاة والسلام الذي كان يدعو به ولا يتركه ، هذه الآية القرآنية : (ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار) .

فأين من هذا الحق والنور ماتهذى به وساوس تلك الشهوات السود ؟ .
إنك هنا تستنشق عَبَقَ الإيمان الطهور ، وتبصر كمال العبودية وأدبها وصدقها في المحبة^(١) .

ولكنك حين تسمع دندنات رابعة لا تتصور سوى مخدع غانية أرمضها الحارمان من عاشق وعذبها هجرانه ، فهي تقضى عمرها موجعة لا تحلم إلا بمشايه وخطاياها .

أوجد من يجرؤ على القول بأن رابعة والكركخي وأضرابهما من مخابيل التصوف ؛ وعرايد سكره وفجره يساوون شمساً من نعل خليل الله إبراهيم ، وخاتم النبيين محمد صلى الله عليهما وسلم ؟ ، إن واحداً منهما لم يتكلم عن حب الله بما يزعم الصوفية أن الله أوحاه إليهم ! ! أم خير عند الله من خليله وخاتم رسله ؟ وهل يفتسب هذا العشق الصوفي وعهره إلى ملحة من نور حب النبوة وطهره ؟ .

عشق الصوفية في مجونه وعربدته : يزعم التصوف في عهره الماجن أن حب الله يوجب عليهم محبة كل شيء ، حتى الخطيئة ! ! ولقد عثر شيخ الإسلام ابن تيمية بواحد من هؤلاء فلامه على مجونه وإباحيته ، فقال الصوفي الماجن : المحبة نار في القلب تحرق ماسوى مراد المحبوب ، والكون كله مراده ، فأى شيء أبغض منه ؟ ! .

فقال ابن تيمية : لهذا الإباحي الصوفي : إذا كان المحبوب قد أبغض أفعالا وأقوالا

(١) في كتابي « هذه هي الصوفية » رد طويل على زعم رابعة العدوية .

وأقواماً ، وعاداهم ، فطردهم ، ولعنهم ، فأحببتهم تكون موالياً للمحسوب أو معادياً له ؟ قال شيخ الإسلام الجليل : « فكأنما ألقيتم حجراً ، وافترض بين أصحابه ^(١) » .

لقد زعم أدعياء الحب أنهم من أجل الله يحبون كل شيء ، حتى الأجساد التي اتخذتها الخطايا حاة لها ، وتعبيراً عن فسوقها ، لأن كل شيء يحكى عن جمال الله وبهائه ، ثم تطور زعمهم هذا ، فقالوا : إنهم من أجله يعبدون كل شيء عين ذاته ، وسيأتى — بمشيئة الله — هذا الأخير . يقول ابن عربى :

لقد كنتُ قبل اليوم أنكر صاحبي إذا لم يكن ديني إلى دينه داني
وقد صار قلبي قابلاً كل صورة فمرّحى إغزلانٍ ودبرٌ لرهبان
وبئت لأوثان وكعبة طائف والواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه ، فالحب ديني وإيماني

أيعبر هذا الشعر عن سمو الحب لله ، كما يزعم بعض الذين فقههم سحر ابن عربى ؟ ، أو بعض الذين خدعهم الاستعمار عن أنفسهم ، فظنوا أن التعصب الدينى شر كبير ^(٢) ، نعم إن التعصب شر كبير إن كان عن عمى وجهالة وضلالة ، إن كان فى سبيل تأريث أحقاد ، وأضغان ، إن كان ذباداً عن أساطير ، لكنه يكون هو الخير والحق إذا كان عن بينة ، وفى سبيل إعلاء كلمة الله .

وكل الذين يذمون التعصب الدينى لا يذمونهُ إلا حين يرون مسلماً يجالذ فى قوة وشكيمة

(١) ص ١٤ ج ٣ مدارج السالكين .

(٢) انظر ص ١٤٦ القضايا الاجتماعية الكبرى للدكتور عبد الرحمن شبندر ، قمت دفاع مستميت عن نزعة ابن عربى هذه وإعجاب بالغ بها ، وقد تأثر الدكتور فى هذا بدعاة التبشير وفلاسفة أوربا مثل الدكتور هوردبلى الذى كان رئيس أعظم مؤسسة للتبشير فى الشرق ، وهربرت سبنسر وغيرهما .

دون حرمان الله سبحانه . على حين يرون هذه العصبية خيراً ، وحقاً إذا أجيح أوارها صليبي
أوصهيني ، وينسبونها شجاعة أدبية فائقة ! ونسأل الصوفيين ، والذين يحترقون بأبن عربي :-
هل يحب الله سبحانه الوثنية والصليبية والصهيونية حتى يحبها ابن عربي ؟ ، إن دليل الحب
الصادق هو أن يحب المسلم ما يحب الله ، وأن يكره ما يكره ، فهل يحب الله الأوثان
والصلبان وعبد الشيطان ؟ ، حتى يجوز لمسلم أن يعبد ابن عربي في نزعة تلك ؟ ! .

إن ابن عربي في قصيدته تلك التي تستخف شهوات الأهواء الدنسة يماند الله ،
ويجحد بكتابه الحق ! ! .

إن ابن عربي يعشق ، وإنه يعبد ، ولكن ماذا يعشق ابن عربي ، وماذا يعبد ؟
إنه يعشق هواه ، ويعبد هواه ، وما أخسه من هوى يرى الحقيقة الإلهية جسد غاية ! !
ويرى الفضيلة في قدمها هي الخطيئة التي يشتهيها مع هذا الجسد ! .

وإني كلما ذكرت ابن عربي ، تذكرت قول الله سبحانه (أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهِهُ
هَوَاهُ ، وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ ، وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ ، وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً ، فَن يَهْدِيهِ
مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ ، أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ؟) فقد كان ابن عربي على علم .

إن الصليبية كانت تدق أبواب الشرق ، وتفتحم بأحقادها أقداسه ، وابن عربي يتغنى
بهذه القصيدة التي ينادي فيها بحب الصليبي ، وقد يدهش بعض الناس من أن ابن عربي
لم يشارك في حمل سيف أو قلم ضد الصليبية في عصره ، ولعلمهم لا يدهشون الآن ؛ فالحب
الصوفي يسطر أريحيته على كل صليبي وكل صهيوني ، وكل وثني ! ! .

« لانظرات بقايا »

عبد الرحمن النوكيل

ذكريات

فيها عظات وعبير من أجد الذكريات وأعطرها سيرة

تألق نور الحق وانبجج الهدى
وأشرقت الدنيا وعمّ ضياؤه
هلالٌ تبدّى جل في الكون قدره
تبلى صبح الحق في جنباته
فخيوا هلالاً لاح في السكون باسمًا
وقد زفّ للأكوان بشرى سعيدة
وأطلع شمساً في سماء غياهبٍ
نبيّ جليل القدر طابت أصوله
وذكرى سرى في الخافقين عبيرها
ومن يُرد الرحمن إعلاء شأنه
سما في مهاد الطمر طفلاً ويافعاً
دعا وحده للحق ماشداً أزره
على الله في مسعاه كان اعتماده
وقد أثبت التاريخ في صفحاته
فأيقظ شعباً بعد طول سُباته
فكم من أذى في جانب الله ذاقه
ولاقى من الإغنيات سوءاً وغلظةً
بأكرم خلق الله قدراً وسودداً
وهزّ أقاصيها فمُ الدهر منشداً
وقد عمّ نور الله من حين ما بدا
فجلى ظلام الشك حتى تبددا
بشيراً في أيامه ولد الهدى
وأظهر في أفق الهداية فرقداً
وانجب هدياً للعباد « محمداً »
سما نسباً في العالمين ومحمداً
تطاول قرن الشمس مجدداً وسودداً
يسدّ رغم من كانوا عداةً وحسداً
وشبّ على الإيمان كهلاً وأمرداً
معينٌ سوى المولى أعان وعضداً
فوالاه بالنصر المبين وأيدا
رسولاً بنى الجد المؤنل أوحداً
وأزكى شعوراً لاسكينة أخلا
وكم بات مكلوم الفؤاد مسهداً
فسار على ما سار والعزم وطداً

فلم يثنه عن هزمه كيد كاند يُبَيِّتُ من سوء له متوعدا
وما زال يدعو ليله ونهاره ويبسط كفيه لمن تاب واهتدى
إلى أن أتى الله للدين نصره وآمن بالقرآن عاصٍ ووحدا
وكل امرئ يدعو إلى الحق بيننا جلياً يرى طرف المضلين أرمدا
ومن يتقاعد عن يقينٍ إلى غدا فأى جنى يجنيه من قوله غدا
فسارع بنشر الحق مادمت قادراً ولا تخش من لم يتبع أو تمردا
تقوم على الحق الصريح دعائمٌ وكم ضاع برهانٌ على باطلٍ سدى

* * *

أنبئوا بنى قومي فإننا أعزة إذا ما اتبعنا فى الشريعة «أحداه»
ذروا الخلف فيما بينكم لا تفرقوا وردوا عن الإسلام عدوان من عدا
علام التجانى إنما نحن أخوة يؤلفنا دينٌ ويجمعنا هدى
رويداً فإن الدين دين تسامحٍ ويسر فلا تستعذبوا الخلف موردا
وما علماء الدين إلا عماده يذودون عنه بنى من جار واعتدى
بهم نفتدى فى الصالحات ونهتدى وما ضلٌ من بالمرشد المصلح اقتدى
فلا تصدعوا الدين الحنيف وأصلحو

بنور الهدى والعلم ما الدهر أفسدا إذا دب داء الخلف يوماً بأمة
سقاها كؤوس الفل والهون والردى

* * *

تذهبت الدنيا ونمنا فأيقظوا نياماً فنون الجمل طال به المدى
وطاشت عقول الناس من بدع بدت نخرها لها من غشية الجمل سجدا
وحادوا عن السج القويم جهالة فآلقوا طريق الحق بالزيف موصدا

وَعُثُّ عَلَيْهِمْ بَيْنَ فَرَضٍ وَسُنَّةٍ وَلَمْ يَفَرِّقُوا بَيْنَ الْمَضَلِّ وَمَنْ هَدَى
 كُنَّ رَامَ تَبْرَأَ مِنَ التُّرْبِ جَاهِلًا أَكَانَ تَرَابًا ذَاكَ أَمْ كَانَ عَسْجِدًا
 فَأَنْتُمْ سَيُوفُ الدِّينِ ذُودُوا عَنِ الْحَى فَلَا خَيْرَ فِي سَيْفٍ إِذَا هُوَ أَغْدَا
 إِلَى اللَّهِ رَدُّوا وَالرَّسُولَ خِلَافَكُمْ يَحِلُّ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَا تَعْقِدَا
 وَلَا تَجْمَعُوا الدِّينَ الْحَنِيفَ وَسِيلَةً إِلَى الْحَقِّ ، إِنْ الدِّينُ مِنْهُ نَجَرْدَا
 وَسَيَرُوا عَلَى نَهْجِ النَّبِيِّ « مُحَمَّد » فَقَدْ خَافَ النَّهْجَ السَّوِيَّ مَهْدَا
 لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَحْسَنَ أَسْوَةٍ تَرَوْنَ لَهُ فِيهَا تَرَانًا مَخْلَدَا
 « الْجِيزَةُ » نَجَانِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ

اختيار الصديق

إِذَا مَا كُنْتَ مَتَّخِذًا خَلِيلًا فَلَا تَنْقِنَ بِكُلِّ أَخِي إِخَاءَ
 فَإِنْ خُيِّرْتَ بَيْنَهُمْ فَالْصِّقْ بِأَهْلِ الْعَقْلِ مِنْهُمْ وَالْحِيَاءِ
 فَإِنَّ الْعَقْلَ لَيْسَ لَهُ إِذَا مَا تَفَاضَلَتِ الْفَضَائِلُ مِنْ كِفَاءِ
 فَإِنَّ الْحَقَّ لِلْأَحْسَابِ غَوْلُ وَأَهْوَنُ دَائِهِ دَاءُ الْعِيَاءِ
 وَمَنْ تَرَكَ الْعَوَاقِبَ مَهْمَلَاتٍ فَأَبْسَرَ سَعِيهِ سَعَى الْعَنَاءِ
 فَلَا تَتَّقِنَ بِالْحَقِّ لَشَيْءَ وَلَوْ كَانُوا أَعَزَّ الْأَوْفِيَاءِ
 فَلْيَسُوا قَابِلِي أَدَبٍ فَدَعْمِهِ وَكُنْ مِنْ ذَاكَ مَنَقَطِعَ الرَّجَاءِ

صراع بين الحق والباطل

كتاب جديد ستضمه قريباً إن شاء الله المكتبة السلفية ، تدور موضوعاته حول قضية من أهم القضايا التي تتصارع من أجلها قوى الحق والباطل والهدى والضلال والتوحيد والشرك .

خصصت أكثر أبوابه لبيان حقائق الإسلام وعقيدة التوحيد الخالصة مدعماً بالكتاب والسنة . . . وتفهم المسلمين بطلان ما لُصق بأذهانهم من المعتقدات البالية التي لقنها لهم الشيوخ وتجار الدين . وورثوها عن الآباء والمجتمعات القديمة الفاسدة . فتملقوا بها . فأبعدتهم عن السير في السبيل الذي أمر به كتاب الله وسنة رسوله الكريم . قام بتأليفه أحد شباب أنصار السنة وهو الأديب « سعد صادق محمد » في الدفاع عن المبادئ والقيم التي جاءت بها الشريعة الإسلامية لتقيم عليها المجتمع الصالح . . . ولحاربة دعوات المنكر والوثنية والخرافات التي روجها أهل الهوى والجهل من المنتسبين إلى الإسلام وغيرهم من أعدائه . يقع الكتاب في قرابة ٢٠٠ صفحة من الحجم المتوسط .

وقراء « الهدى النبوى » يعرفون الأديب من مقالاته الرائعة التي ينشرها في المجلة ، وهي تمتاز بالدقة وإثراق الأسلوب . وسيباع الكتاب بثمان مخفض عن طريق الاشتراك ونمن النسخة منه للمشارك قبل الطبع ١٥ خمسة عشر قرشا . أما بعد الطبع فثمانه العادي ٢٠ عشرون قرشا .

فبادر أيها الأخ الكريم بالاشتراك من الآن في هذا الكتاب الذي تفخر به المكتبة الإسلامية العربية .

والله نسأل أن ينفع به قارئه ، وأن يجعله له طريقاً إلى معرفة الحق والهدى الذي اتبعه سلفنا الصالح فكانوا من السعداء في الدنيا والآخرة .

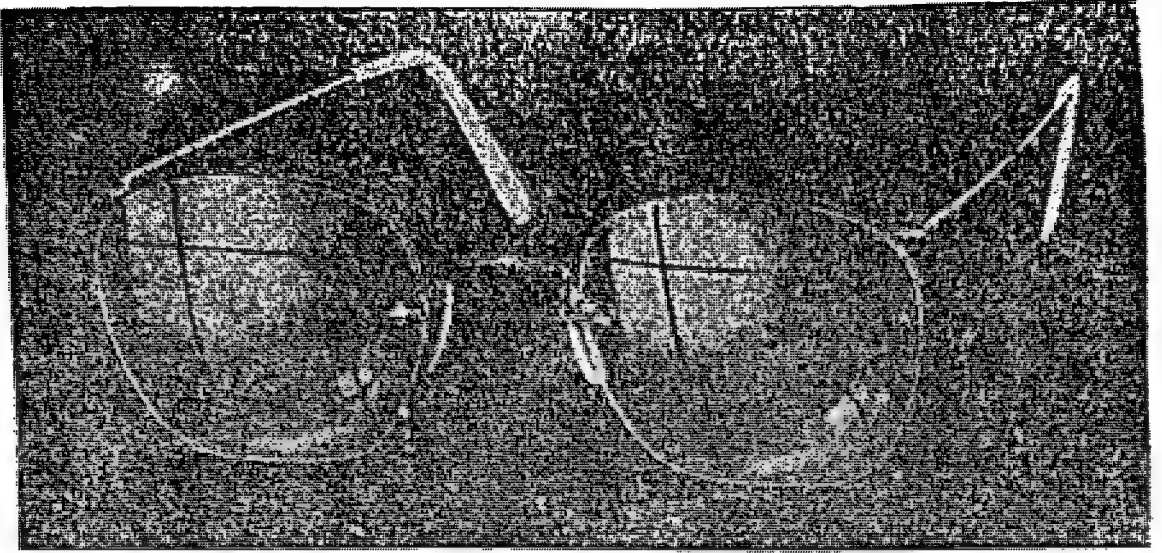
الجمعية العمومية

لفرع الجماعة بإمبابة

اجتمعت الجمعية العمومية لفرع جماعة أنصار السنة المحمدية بإمبابة بمسجدها الكائن بشارع محمد حجازي مساء الخميس ٢٥ من ربيع الأول سنة ١٣٨٣ هـ الموافق ١٥ من أغسطس سنة ١٩٦٣ م ، وذلك لانتخاب أعضاء مجلس الإدارة الجديد وبحضور جميع الأعضاء المشتركين .

وقد افتتح الاجتماع الأستاذ الحاج شريف عكاشة رئيس الفرع بكلمة جامعة شاملة لكل ما قامت به الجماعة في بحر السنة الماضية من أعمال كان لها أكبر الأثر في نشر الدعوة في هذا الحي . ثم تلاه الأخ أمين الصندوق بكلمة عن الميزانية وحث الأفراد على الموالاة في سداد الاشتراكات . ثم تلاه الأخ السكرتير بكلمة عن أعمال المجلس وعن مبادئ الجماعة . ثم أجريت الانتخابات ، وشكل المجلس الجديد من السادة :

- | | |
|-------------------------------------|-----------------------------------|
| ١ (الحاج شريف عكاشة رئيساً | ٢ (الشيخ حسين أحمد - بن وكيل |
| ٣ (محمود مصطفى أبو السعود سكرتيراً | ٤ (رمضان محمد حسن أميناً للصندوق |
| ٥ (توفيق عبد الرحمن مراقباً عاماً | ٦ (الحاج محمد سيد صبح عضواً |
| ٧ (عبد العظيم عبد المقصود عضواً | ٨ (أحمد عبد الغفار » |
| ٩ (علي السيد » | ١٠ (سيد إبراهيم » |
| ١١ (محمد جاد المولى » | ١٢ (رمضان محمد شام » |
| ١٣ (حلمي شفيق حسين » | ١٤ (مدبولي علي عمران » |
| ١٥ (فؤاد محمد أحمد » | |



أحدث النظارات الرائعة تجدها عند الأخصائي

أحمد محمد خليل

المصرى الوحيد خريج جامعة باريس شارع الجوهري
رقم ١ ميدان العتبة والممر التجارى القديم شارع ٢٦ يوليو
س . ت ٢٣٤٥ — تليفون ٩٠٨٢٦٢

شركة غريب للساعات والمجوهرات

إدارة : محمد الغريب محمد البار

شارع محمد بك فريد رقم ١١٧ مصر عابدين

أحدث الساعات فى المتانة ودقة الصناعة

والمجوهرات والنظارات — أسعار مذهشة

تساهل فى الدفع على أقساط شهرية

بالمحل ورشة فنية — للتصليح

﴿ أنصار السنة المحمدية لهم امتيازات خاصة ﴾

العدد ٧

المجلد ٢٨

رجب

سنة ١٣٨٣

خير الهوى قدنى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدي النبوي

صدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

مدير الإدارة

سلطان مسمو

رئيس التحرير

عبد الرحمن الوكيل

٣٠ ملها

مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير
ت ٩٠٦٠١٧

الفهرس

صفحة	
٣	التفسير للأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل
١٤	عقيدة القرآن والسنة » محمد خليل هراس
١٧	ذكریات (قصيدة) » نجاتي عبد الرحمن
٢١	غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم » سعد صادق محمد
٢٩	المجتمع الإسلامي » الشيخ عبد الحلیم حسین ملاقی
٣٥	دمعة من القلب » » أحمد أحمد علی حسن
٣٨	تعليقات على الصحف » سعد صادق محمد
٤٢	نظرات في التصوف » الشيخ عبد الرحمن الوكيل
٤٧	الفتاوى » محمد خليل هراس

رجاء إلى السادة المشتركين والمتعهدين

نرجو من السادة المشتركين المتأخرين في سداد اشتراكاتهم أن يتفضلوا بالمبادرة إلى سدادها .

كما نرجو من المتعهدين بالفروع أن يتكرموا بإرسال مالهديهم من أثمان المجلة .
والمرجو لإرسال جميع الحوالات وقيم الاشتراكات والذممات المتأخرة
باسم السيد / محمد رشدي خليل أمين صندوق الجماعة .

٨ شارع قوله بعبدين - القاهرة

رئيس التحرير

عبد الرحمن الوكيل

أصحاب الامتياز : ورثة

السبح محمد حامد الفقى

خير اللهى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوى

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة انصار السنة المحمدية

مدير الإدارة

سليمان موم

الاشتراك السنوى

٣٠ - فى الجمهورية العربية

المتحدة والسودان

٤٠ - فى الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله - عابدين القنطرة - تليفون ٧٦٥٧٦

العدد ٧

رجب سنة ١٣٨٣

المجلد ٢٨

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال - جل ذكره - : (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ، فَأَعْرَضَ عَنْهَا ،
وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ، إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ، وَفِي آذَانِهِمْ
وَقْرًا ، وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى ، فَلَنْ يَهْتَدُوا - إِذَا - أَبَدًا - الكهف ٥٧) .

« معانى المفردات »

« أعرض » قال الراغب : أعرض أظهر عُرْضَه ، أى ناحيته ، فإذا قيل : عرض
لى كذا ، أى بدا عُرْضَه ، فأمكن تناوله ، وإذا قيل : أعرض عنى ، فمعناه ولّى
مبدئياً عُرْضَه .

« نسى » قال الراغب : النسيان : ترك الإنسان ضبط ما استودع ، إمّا لضعف قلبه ،
وإما عن غفلة ، وإما عن قصور حتى يحذف عن القلب ذكره . . وكل نسيان من الإنسان

ذمه الله تعالى به ، فهو ما كان أصله عن تعمد ، وما عذر فيه هو ما لم يكن سببه منه .
 وقوله : (فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا ، إِنَّا نَسِينَاكُمْ) هو ما كان سببه عن تعمد منه
 وتركه على طريق الإهانة . وإذا نسب ذلك - أى النسيان إلى الله - فهو تركه إِيَّاه
 استهانةً به .

وقال ابن الأثير : أصل النسيان : التَّرك .

« أَكِنَّةٌ » جاء في لسان العرب : الْيَكْنُ ، وَالْيَكْنَةُ ، وَالْيَكْنَانُ : وَقَاهُ كُلُّ شَيْءٍ
 وَسِتْرَهُ ، وَالْيَكْنُ : الْبَيْتُ أَيْضًا ، وَالْجَمْعُ : أَكْنَانٌ وَأَكِنَّةٌ . وَالْيَكْنُ مَا يَرُدُّ الْحَرَّ وَالْبَرْدَ
 مِنَ الْأَبْنِيَةِ وَالْمَسَاكِنِ . وَالْيَكْنُ كُلُّ شَيْءٍ وَفِي شَيْئًا فَهُوَ كِنَّةٌ وَكِفَانَةٌ ، وَالْفِعْلُ مِنْ ذَلِكَ :
 كَفَنْتُ الشَّيْءَ ، أَيْ جَعَلْتُهُ فِي كِنٍّ . وَالْأَكِنَّةُ : الْأَغْطِيَةُ ، وَالوَاحِدُ : كِفَانٌ .

« يَفْقَهُهُ » قال الراغب : الْفَقْهُ : هُوَ التَّوَصُّلُ إِلَى عِلْمٍ غَائِبٍ بِعِلْمٍ شَاهِدٍ ، وَهُوَ أَخْصَصُ
 مِنَ الْعِلْمِ ، وَالْفَقْهُ : الْعِلْمُ بِأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ . وَجَاءَ فِي الْمُخْتَارِ : الْفَقْهُ : الْفَهْمُ ، وَقَدْ فَهِمَ الرَّجُلُ
 فَقْهًا ، وَأَفْقَهْتَهُ الشَّيْءَ ، وَقَدْ فَقَّهُ ، أَيْ صَارَ فَقِيهًا .

« وَقَرَأَ » جاء في لسان العرب : الْوَقْرُ ثِقَلٌ فِي الْأُذُنِ ، وَقِيلَ هُوَ أَنْ يَذْهَبَ السَّمْعُ
 كُلُّهُ ، وَالْمَثَلُ أَخَفُ مِنْ ذَلِكَ .

وقد وَقِرَتْ أُذُنُهُ تَوَقَّرَ وَقَرَأَ ، أَيْ صَمَّتْ ، وَوَقِرَتْ أَيْضًا .

وَالْوَقْرُ : الثَّقَلُ يَحْمَلُ عَلَى ظَهْرٍ أَوْ عَلَى رَأْسٍ ، أَوِ الْحِمْلُ الثَّقِيلُ .

وقال ابن السَّكَّيْتِ فِي « إِصْلَاحِ الْمُنْطَقِ » : « الْوَقْرُ » : الثَّقَلُ فِي الْأُذُنِ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ
 تَبَارَكَ وَتَعَالَى : (وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ) .

ويقال منه : وَقِرَتْ أُذُنُهُ فَهِيَ مَوْقُورَةٌ . وَيُقَالُ : اللَّهُمَّ قِرْ أُذُنَهُ ، وَيُقَالُ أَيْضًا :
 قَدْ وَقِرَتْ أُذُنُهُ تَوَقَّرَ وَقَرَأَ .

والوقر : الثقل يحمل على رأس أو على ظهر ، من قوله تبارك وتعالى : (فالحاملات وقرأ » ويقال : جاء يحمل وقره .

المعنى

بين الله في الآية السابقة مهمة الرسل ، وهدف الكفار من معارضة الحق ، وسمة جدالهم وموقفهم من آيات الله ؛ فذكر أنه ما لرسول سوى أن يبلغوا عن الله ما يبشر به مَنْ أطاعه ، وما ينذر به من عصاه ، وأن هدف الكفار من معارضة الحق هو أن يجعلوا للباطل السيطرة والسلطان ، وكذلك كل من يأتي بشيء يحاول أن يحله ، محل كتاب الله سبحانه ، كما ذكر أن سمة جدالهم هي الاستناد إلى الباطل والاعتماد عليه ، ولن يكون الباطل مُسْتَنَدًا ولا مُتَمَدِّدًا لما قل .

ومن هذا نفهم أن معارضى القرآن بترائهم وأهوائهم ليس لهم أبداً حجة يمكن أن يصدقها أحد حين تزعم أنها تنسب إلى حقٍّ ، أو نسلك سبيله . . .

أما موقفهم من آيات الله ومما أنذرهم به ربنا سبحانه فلاستهزاء . . . وأى استهزاء أشد بغياً وحقه فجور من اللجوء إلى كتاب الله ليتلى في استهزاء على مقبرة ، أو في مأتم ، أو في مناحة ، أو على قارعة طريق ، أو في معبد طاغوت ، وعبيد الطاغوت يقتربون من أصوات المنكر ما يقتربون . . . ثم اتخذوه منهجوراً فيما أمر الله سبحانه أن نتخذه فيه . . .

فلا الأمة الإسلامية تهتدى بنوره ، ولا أفراد هذه الأمة إلا من عصم الله . إنها لا تذكره إلا حين تقترب بغياً تزعم أنه من هدى الله ، فتحرف للكلم فيه عن مواضعه ، وتؤوله تأويلاً ينتسب في ضلالته وعمايته إلى اليهودية الصماء القلب والأذن . . .

وهل يسمى هذا ذكراً ؟ .

إنه نسيان جاحد كنود . . .

كم من شيوخ اتخذوا من تحريف قوله سبحانه : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ،

وأطيعوا الرسولَ وأولي الأمر منكم) وسيلة لتعبيد ظهور الشعوب للسلوك الطاعة البغاة
الفسقة ، ووسيلة لتقبل ما يقتضيه هؤلاء . تقبل الوحي الذي يشرق بهدى الله ! ! .

ثم يقول سبحانه بعد أن ذكرنا بمجادلة الكفار بالباطل واتخاذهم آيات الله هزواً :
« ومن أظلم^(١) ممن ذكرَ بآيات ربه ، فأعرض عنها ، ونسى ما قدمت يداه » إن
استفتاح الآية ينير اهتمام القارئ وانتباهه ، فكأنما هو دعوة له ليشترك رب هذا القول
في الحكم على هؤلاء الذين ستذكر صفاتهم . ولقد حكم الله في أول الآية ، ثم ذكر
أسباب حكمه . حكم بأنه لا يوجد أحد أشد ظلماً من هؤلاء ، ومن يتدبر الأسباب بقلب
خليٍّ من أحماد الجاهلية ، وفكرٍ برىء من تراثها الملعون فسيحكم مدعناً موقناً مطمئناً
بحكم الله سبحانه على أمثال هؤلاء . بل إنك لو سألت هذا الصنف الذي وصفه الله في هذه
الآية : أوجد أظلم من هؤلاء القوم لقال لك : لا يوجد أبداً ، ظناً منه أن ما يقتضيه هو من
بني لا يدخله في زمرة هؤلاء للبغاة .

ومن صفات هؤلاء الذين وصفهم الله بأنهم أشد الناس ظلماً أولاً :

الإعراض عن آيات الله حين يُذكرُ بآياتها .

والذين يحكمون بغير ما أنزل الله معرضون عن آيات الله .

والذين يفتون في دين الله بالهوى معرضون عن آيات الله .

والذين يفتون في دين الله بتراث المذهبية معرضون عن آيات الله .

والذين يتعبدون بمذهب معين معرضون عن آيات الله .

والذين يضرّبون القرآن بما ورثوه عن آبائهم وشيوخهم معرضون عن آيات الله .

إن الشيطان يلبس على المعرض عن آيات الله دينه فيصور له إغراءه إقبالا ومحبة

وتقديساً للكتاب .

(١) في هذا الاستفهام روعة ، ونفس الأسلوب يحدد معناه . يؤكد أن قائله لا يجهل
أبداً ما يستفهم عنه . يؤكد حقيقة واضحة تستطيع بتدبر القلب فهمها . تلك هي أنه : لا أحد
أظلم من هؤلاء .

وتدبر حال الذين يأخذون دينهم عن الشيوخ وتراث الشيوخ وسلمهم : كيف تعرضون
عن كتاب الله ؟

إنك لن تسمع منهم إلا منكرا من القول وزورا ، وسيدمغونك بأنك تبتهتهم بالسوء
وسيوكدون لك أنهم غير معرضين في شيء ما عن كتاب الله .
وهنا تدبر قول الله عن المشركين : (نم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا : والله ربنا
ما كنا مشركين) .

لقد استزلهم الشيطان هذه الضلالة الفاتكة ، حين صور لهم الشرك توحيدا ، والكفر
إيمانا ، وعبادة غير الله إخلاصا في عبادة الله ، ونداء الموتى دعاءا للحي القيوم !! وأنا لأحصر
لك طوائف المعرضين ، وإنما أضرب لك مثلا ، وإلا فهم كثر ، وأشد لهم إغراضا وطفيانا
في الإغراض أحلاس ابن عربي ، وعبد ابن الفارض ، وعشاق رابعة !! فهم يعرضون
عن أصول الدين وفروعه . عن رب الدين ورسوله ، وحسبك أنهم يحكمون على الله واهب
الوجود والخلود ، بأنه عدم ، أو شيء . يمنحه خلقه الوجود !! وَمَنْ يَذْكُرْ بِالْقُرْآنِ لَإِيْبِى
جزاء ولا شكورا إلا من الله ، إن حبه لله وحبه للناس المشرق في قلبه عن حب الله يدفعه
إلى هذا التذكير . ولقد كاد أفضل الخلق وخاتم النبيين يهلك نفسه أسفا على أولئك الذين
يُذَكِّرهم ، فلا يستجيبون له . واستجابتهم لا تقدم له نفعا ، ولا تمنع عنه ضرا ، وإنما تقدم
النفع لهم ، وإنما تمنع الضر عنهم .

هذه الرحمة الروحية الصافية لا تقابل من هؤلاء إلا بالصلاف والقسوة ، وحسبك التعبير
بالإغراض ، فهم كمن يدير ظهره لمن يدعو إلى الخير ويحذره من التردى في هاوية . ومن
صفات هؤلاء نسيان ما اقترفوا من معاصٍ وخطايا تهلك دنياهم وآخرتهم ، وتربط مصائرهم
بجهنم . وبهذا النسيان العائد المتعمد يتعاملون على الناس أيضا بأنهم تقاة ، لطفاة ،
وصالحون ، لاطالحون وأرباب عهد مع الله أن لهم الجنة . وهذه سمة واضحة بينة تكاد تراها
في فلتات اللسان ، وتمعها من رفات الأهداب . إن كانت فلتات اللسان ترى ، ورفات
الأهداب تسمع .

وإليك من آيات القرآن ما يذكر بك صفات هؤلاء أيضاً لعلنا نتخذ لنفوسنا منها
جنة تقينا غضب الله وعلته .

فن صفاتهم ما ذكر الله في هذه الآية :

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا —

البقرة — ١١٤)

وَمِنْ صفاتهم كتمان ما أنزل الله وبيّن .

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ ، وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ — البقرة ١٤٠)

ومن صفاتهم افتراء الكذب على الله والتكذيب بآياته .

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ —

الأنعام — ٢١) .

ومن صفاتهم زعمهم أن الله يوحى إليهم ، وأنهم يستطيعون الإتيان بمثل ما أتى به الله .

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ، أَوْ قَالَ : أُوْحِيََ إِلَيَّ ، وَلَمْ يُوْحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ،

وَمَنْ قَالَ : سَأُنْزِلَ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ — الأنعام : ٩٣)

ومن صفاتهم عداوتهم للإسلام وسعيهم في سبيل القضاء عليه ليعيش للناس في ظلام

الجاهلية . فبعد أن ذكر الله موقف بنى إسرائيل من عيسى بعد أن بين لهم أنه رسول الله

إليهم ، وأنه يبشرهم برسول يأتي من بعده اسمه أحمد يقول سبحانه : (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ

افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ، وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ^(١) . وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ .

يُرِيدُونَ لِيطْفئُوا نَوْرَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ، وَاللَّهُ مُتِمِّمُ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ — الصف : ٨)

(١) هذه الآية تنص بجلاء على أن دين الرسل جميعاً هو الإسلام فلنحذر من تقليد

الصليبية ، فنسب إلى عيسى عليه السلام إنه دعا إلى المسيحية . ولنقل كما بين الله إن عيسى

رسول من رسل الإسلام .

وقد شهد تاريخ المسلمين أن الله قد ابتلاهم بأمثال هؤلاء الذين ذكر الله عنهم أنهم أظلم الناس جميعاً ، فمن الساعين إلى مساجد الله بالخراب ومنع الناس من ذكر اسم الله فيها أولئك الذين يحتفون بمعابد الموتى ، ومعابد الأصنام ، ويتركون مساجد الله خراباً يباباً تبول فيها الكلاب الشوارد ، وتسلمح عليها الغربان السود المناكيد !!

ومن الذين يكتُمون ما أنزل الله أولئك الذين يعرفون الحق ويعادونه ، ويعرفون المنكر ، ويصورونه في صورة المعروف . إنك لتجد من شيوخنا من يؤلف كتباً يحارب فيها البدع والخرافات بأسلوب رائع تتجاوب معه عواطف المسلمين وأفكارهم وآمالهم . ولسكنك تراه أول من يفشى خُصَاتِ هذه الخرافات ، ومبهمات هذه البدع يشارك طواغيتها التهنئات والتبريكات !!

ومن المفترين على الله الكذب أولئك الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ، وينسبون إليه أنه أراد غير ما تكلم به كأولئك الذين ينفكرون صفاته ، ويعطلونها بالتأويل الفاسد الحاقط ، وأولئك الذين يحلون ما حرم الله ، ويحرمون ما أحل الله مسندين ما افتروه إلى الله . أما الذين زعموا أنه قد أوحى إليهم كالتبيين فهم كثيرون ، وقد تصدى التاريخ فسجل أسماء الكثيرين منهم . غير أني أحب أن أشير إلى ظاهرة هي ليست بمعجبة ولا غريبة . وهي أنك تكاد لا تجد هؤلاء إلا من بين هذه الطوائف : « اليهود والشيعة والصوفية »^(١) . وأكثر هؤلاء يزعم أنه المسيح الموعود !! ومن هؤلاء يعيش اليوم مخبول في ضاحية المهادى . وأقربهم إلى الذكر غلام أحمد القادياني ، وأتباعه ينتشرون كثيراً في الباكستان ووطن غلام أحمد ، وإنجلترا وألمانيا الغربية .

(١) يزعم ابن عربي في مقدمة كتابه فصوص الحكم أن رسول الله زاره وأعطاه كتابه فصوص الحكم ، فأبرزه للناس من غير زيادة ولا نقصان وأن من يقف على كتابه هذا سينتقم من أنه من مقام التقديس المنزه عن الأغراض النفسية التي يدخلها التلبس ص ٣ ط الحلبي .

وميرزا حسين على الذى لقب نفسه « بهاء الله » وأتباعه ينتشرون كثيراً فى إيران والأرض المنقصة من أرض فلسطين ، وأمريكا . ورئيسهم اليوم أحد زعماء الصهيونية فى أمريكا «^(١)»

ومن هؤلاء الباغين فى الظلم من يأتى بكتاب يضرب به كتاب الله ويدعو الناس إلى الأخذ به بدلاً من كتاب الله . هذا من الذين يصدق عليهم قول الله « ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله » فلولاً أنه يعتقد أنه رب ، وأن كتابه يسامى كتاب الله إن لم يكن أسمى منه ما دعا الناس إلى الأخذ بكتابه بدلاً من كتاب الله !!

« إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا^(٢) » بهذا الجزء من الآية بين الله سبب ما بين من قبل . هذا السبب هو أن الله جعل على قلوبهم أغطيةً نحول بينها وبين الفهم الذى يحبه الله ويريده ، وعلى آذانهم ما يحول بينها وبين السمع ، فصاروا لا يسمعون ولا يفقهون . صاروا من شر الدواب !!

إلى الباغين على مشيئة الله : وبحرف الذن يبغون على مشيئة الله هذه الآية فبزعمون أنها تقتضى الإيمان بالجنسية المصمتة والخصمية القاهرة ، فلا اختيار لأحد ، ولا إرادة ، ولا مشيئة . إنما العمل عمل الله . سواء أ كان صالحاً أم طالحاً ، وإنما الكلام كله كلام الله سواء أ كان طيباً أم خبيثاً ، وإنما الاعتقاد كله اعتقاد الله سواء أ كان حقاً أم باطلاً . وما نحن فى ظن هؤلاء إلا كما يقول الشاعر الجبرى :

القاء فى اليمِّ مَكْنُوفًا وقال له إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَبْذَلَ بالماء

واند ذكر الله هذا الصنف فى كتابه ، ورد عليهم ، بعد أن ذمهم بأنهم مشركون

(١) أعان الله فأصدرت كتاباً عن البهائية ، وبعون الله أعمل فى كتاب عن القاديانية .

(٢) الضمير يرجع إلى آيات ربه ، مذكراً ، لأن المقصود بالآيات هنا القرآن . أو نقول

إن الضمير يرجع إلى ما ذكروا به .

يكذبون على الله سبحانه . وإليك قوله جل شأنه في حقهم : (سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا :
لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ، ولا حرّمنا من شيء ، كذلك كذب الذين من قبلهم
حتى ذاقوا بَأْسَنَا ، قُلْ : هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ ، فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ، إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ،
وإن أنتم إلا تخرّصون - الأنعام : ١٤٨) .

بهذه الآية دمر الله بهتان الذين يصفون على مشيئته ، ويبهتونها بأنها مشيئة قاسية ظالمة
لا تعرف عدلاً ولا إحساناً ولا رحمة .

ولنقرأ معاً آيات الأَكْنَةِ في القرآن ، ويهدي الله نضرب إلى الله أن نهتدى بتدبر
هذه الآيات التي أذكر بها .

« وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ، وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ، وَفِي آذَانِهِمْ
وَقْرًا ، وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةً لَا يُؤْمِنُوهَا ، حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُخَادِلُونَكَ ، يَقُولُ الَّذِينَ
كَفَرُوا : إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ . وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ، وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ، وَإِنْ
يُهْدَى كُنَّ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ ، وَمَا يَشْعُرُونَ - الأنعام ٢٥ ، ٢٦ . أرايت إلى بني هؤلاء
على القرآن ؟ أرايت إلى مفتهم للإيمان وجدالهم بالباطل ، وتنفيرهم الناس من القرآن ،
ونهيهم الملائكة عن اتباعه ^(١) ؟ .

وفي سورة الإسراء : « وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ إِحْجَابًا مُسْتُورًا . وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا .
وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَخُذَهُ وَلَوْ أَنَّهُمْ نَفَرُوا - الإسراء ٤٦ » .

وتدبر هنا هذه الصورة الشكراء ، صورة الذي يفر على دبره ، تأمل صورته في فراره
جيداً !! والله الحق لا يقول إلا الحق ، أفبأمثال هؤلاء نفتدى ؟ .

(١) تذكر هنا حال الذين ينفرونك من أنصار السنة ، لأنهم يدعون إلى الكتاب
والسنة ١١ .

« كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ ، فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ . وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ، وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ ، وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ، فَأَعْمَلْ إِنَّا عَامِلُونَ - فَصَّلَتْ : ٤ ، ٥ . وفي هذه الآية فصلُ الخطاب .

فالأَكِنَّةُ والوقر والحجاب من عمل الطغاة البغاة وإرادتهم وعمدتهم . لقد طلبوا الأَكِنَّةَ ، طلبوا الوقر ، طلبوا الحجاب ، طلبوا هذا من الله الذي لا يظلم أحداً ، وأعطاهم الحجاب . أعطاهم ما طلبوا ، وهو قبل أن يعطيهم بيّن لهم أن هذه الأَكِنَّة قاتلة ، وأن هذا الوقر مُهلك ، وأن هذا الحجاب حِجَابٌ عن السعادة . . ولسكنهم أبوا إلا أن يُلْحِقُوا في طلبها .

فهل تنهم مشيئة الله بالبغي ؛ لأنها تعطى ما تريد ١٩

ولن أتعرض هنا لتاريخ هذه الشبهة ، فتاريخها طويل . وحسبك أنها شبهة قديمة ، وأنها نشأت في بيئة غير إسلامية . فمذ خولط الإنسان بمسّ الشيطان ، وهو يحمل على مشيئة الله بالزور والبهتان ١١ .

« وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى ، فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا » . هذه هي النتيجة ، أو قل : هذا هو جوابُ من يسأل : ولماذا لا أدعوم إلى الهدى ، أو قل : هذا بيان عن طبيعة هؤلاء وأمثالهم .

وقد بلغ هؤلاء من الحقد والجحود والانسلاخ عن كل معنى ينتسب إلى الإنسانية الملهبة التي تحترم الفكرة الرشيدة واللحمة من الحق . بلغ هؤلاء من كل ما ذكرت مبلغاً جىء له في الآية بكلمة « أبداً » التي تفيد الزمان الذي لا يتجزأ ولا ينتهى ، مع أن بقاءهم في هذه الحياة محدود لا أبدية له ولا خلود .

هكذا بهذه السكامة العظيمة في مكانها يكشف الله عن باطن هؤلاء القوم الذين لا تنفع فيهم عظة ، ولا تستميلهم إلى الهدى عبرة ، ولا تأخذ بهم إلى الحق آيات وآيات .

ولل الذين يتصدون للدعوة إلى الله قد رزقوا بأمثال هؤلاء .

لكن هذا لا يثنينا عن الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولنا أسوة هؤلاء الدعاة المسلمين الذين قصَّ الله شأنهم في سورة الأعراف . وتدبر أنت حالم في هذه الآيات : « وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ : لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ؟ قَالُوا : مَعذِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ ، وَاعْلَمَهُمْ بِتَقْوَاهُمْ . فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ، أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْشُّوْءِ ، وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ ^(١) بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ . فَلَمَّا عَمَّوا ظَنَمُوهَا ^(٢) عَنْهُ ، قُلْنَا لَهُمْ : كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ - الأعراف : ١٦٤ - ١٦٦) .

هؤلاء الدعاة كانوا في قرية وصفها الله بأنها كانت حاضرة البحر .

نضرب إلى الله أن يجعلنا من حزبه المؤمنين الداعين إلى الخير ، الأمرين بالمعروف ،
الناهين عن المنكر ؟

عبد الرحمن الوكيل

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم ، أى الإسلام خير ؟ قال : « تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » .

(١) شديد .

(٢) تكبروا عن ترك ما نهوا عنه ، وأصل التعوجاجوزة الحد في الاستكبار ، أو المبالغة في ركوب المعاصي بحيث لا ينفع وعظ ولا تنبيه .

توحيد الله عز وجل

ومن أسمائه الحسنی سبحانه (الرشید والصبور) ولم یجىء واحد منهما فی القرآن
الکریم وصفاً لله عز وجل بلفظه ، ولکن ورد کل منهما وصفاً لبعض عبادہ . کقول
لوط علیه السلام لقومه وهو یجادهم فی شأن ضیفه ویحذرهم من التعرض لهم بسوء :
(یا قوم هؤلاء بنائی هن أطهر لکم فاتقوا الله ولا تخزون فی ضیفی ألیس منکم
رجل رشید) .

وکقول قوم شعیب علیه السلام له حین دعاهم إلى الله عز وجل .
(یا شعیب أصلاتک تأمرک أن نترك ما یعبد آبائنا أو أن نفعل فی أموالنا ما نشاء إنک
لأنت الحليم الرشید) .

وکقوله تعالى من سورة لقمان علیه السلام (ألم تر أن الفلك تجرى فی البحر بنعمة الله
لیریکم من آیاته إن فی ذلك لآیات لکل صبار شکور) .
أما الرشید فهو مشتق من الرشد الذی هو ضد الغی ومعناه : الذی لا یقول ولا یفعل
إلا ما کان صواباً .

قوله سبحانه وفعله کله رشد وفی أعلى الغایات من الاستقامة والسداد ، لا یمکن
أن یدخله شیء من ضلال أو انحراف .
فکلماته وأقواله القدیة التي یوجد بها الأشياء یدبر بها الأمور ، کما حق ورشد لاشتمالها
على الحکم والمصالح والغایات الحمیة ، وعلى تمام الحسنة ونهاية الإلتقان .
قال تعالى (وما خلقنا السماء والأرض وما بینهما باطلا) .

وقال جل شأنه (وما خلقنا السموات والأرض وما بینهما لاعبین . ما خلقناهم إلا بالحق
ولکن اکثرهم لا یعلمون) .

وقال سبحانه (صُنِعَ اللهُ الَّذِي أَنْتُمْ كُلُّ شَيْءٍ ، إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ)
وقال (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ) .

وأقواله وكلماته الشرعية الدينية وهي التي تكلم بها في كتبه وعلى السنة رسوله رشد كلها ، فإنها مشتملة على الصدق التام في الإخبار والعدل التام في الأحكام ، فلا أحد أصدق من الله قيلاً ، ولا أحسن منه حديثاً . قال تعالى (وَنَمَتَ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) .

فهذه الكلمات من أعظم وأجل ما يرشد به العباد . بل لا يحصل لأحد الرشاد بغيرها أصلاً ، فمن ابتغى الهدى في غيرها أضله الله ، ومن لم يسترشد بها في جميع أمره فليس هو برشيد . إذ يحصل بها الرشد العلمي ، وهو معرفة الحقائق التي لا سبيل إلى معرفتها إلا من طريق الوحي ، والوقوف على المصالح والمضار الدينية والدنيوية ، ويحصل بها كذلك الرشد العملي ، فإنها تزكي النفوس وتطهر القلوب وتدعو إلى إصلاح الأحوال وأحسن الأخلاق ، وترغب في كل جميل ، وترهب من كل ذميم رذيل .

وبالجملة فإن الله سبحانه لم يجعل لأحد عليه حجة بعد بعثته للرسول وإنزاله الكتب المشتملة على الهدى المطلق والإرشاد الكامل ، فهو سبحانه الرشيد الذي كم بفضل هدى ضالاً وأرشد حائراً ، وخصوصاً من تعلق به وطلب الهدى منه من صميم قلبه ، وعلم أنه المنفرد بالهداية .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله في القصيدة النونية :

هو الرشيد فقله وقماله رَشَدٌ وربك مرشد الحيران
وكلاهما حق فمـذا وصفه والفعل للإرشاد ذاك الثاني

وأما اسمه تعالى (الصبور) فإنه مبالغة من صابر ، ومعناه : الكثير الصبر . والصبر في الأصل حبس النفس على ما تكره من الآلام والمشقات انتظاراً لحسن العاقبة ونفي الملع والجزع عنها .

والصبر في حقه سبحانه معنى يليق بذاته إذ لا يبلغ أحد من العباد صبره . والمراد به حلمه سبحانه وتعالى على أعدائه ومتابعة نعمه عليهم وعدم معاجلتهم بالعقوبة مع إيذائهم إياه بتكذيبه ومعاندة رسله .

قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح « لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله عز وجل ، يجهلون له الولد وهو يعافهم ويرزقهم » .

وثبت في الصحيح أيضاً قال الله تعالى « كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمني ابن آدم ولم يكن له ذلك . فأما تكذيبه إياي فقله ، لن يعيدني كما بداني ، وليس أول الخلق بأهون على من إعادته ، وأما شتمه إياي فقله أن لي ولداً ، وأنا الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) .

فإن الله تعالى يدرّ على عباده الأرزاق ، المطيع منهم والعاصي .

والعصاة لا يزالون في محاربتهم وتكذيبهم وتكذيب رسله والسعي في إطفاء دينه . والله تعالى حلیم صبور على ما يقولون وما يفعلون ، يتقاعبون في الشرور وهو يتابع عليهم النعم . فلا أحد أكل صبراً من الله عز وجل لأنه صبر عن كمال قدرة وكال غنى عن الخلق ، وكال رحمة وإحسان .

فتبارك الرب الرحيم الذي ليس كمثله شيء ، الصبور الذي يحب الصابرين ويعينهم في كل أمورهم .

(ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) .

محمد خليل هراس

المدرس بكلية أصول الدين

عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم ، فأحسنوا أسماءكم » رواه أحمد وأبو داود .

ذكريات

الكاتب والأديب الشاعر الذي فقدناه



كان الأستاذ « محمد صادق عرنوس » رحمه الله ، فحلاً من فحول الأدب والشعر والبيان ، يشار إليه بالبنان ، نثره كاللؤلؤ المنشور ، ونظمه كالسحر الحلال ، خفيف الروح في كتاباته ، عَفَّ اللسان ، كلامه يدخل إلى أعماق القلوب ويستقر بها ، يغار على الدين وعلى اللغة العربية كما يغار على شرفه وعلى كرامته ، فإذا رأيته يدافع عن الدين ، يخيل إليك أنه في ميدان الجهاد، يؤيد نظريته بأسانيد قاطعة تشاد على الحق المبين من كتاب الله وسنة نبيه الكريم ؛ وكان رحمه الله يعد في طليعة الكتّاب والشعراء .

له من آثاره الشعرية مقطوعات رائعة جدية وفكاهية في قالب رصين متين ، يحفظ ذلك كل أديب عرف الفقيد الكريم في حياته . وقد تحرك عاطفة الميل الشديد لكل إنسان لاستماع هذا الضرب من الفكاهة الطريفة ، والمساجلات التي تغذى الوجدان ، وتهذب العواطف وتدل على أن الشعر العربي الإسلامي رحيب لكل فنون الحياة الصافية الطيبة .

كنت أتبادل معه الرسائل والمساجلات وأنا في سوهاج وهو في المحلة الكبرى ، وقت أن كان موظفاً بوزارة الأوقاف ، ثم توقفت الرسائل مدة عام بتمامه ، وانقطعت الأسباب بيني وبينه على الرغم منا . وكنت قانعاً بالقدي ينشره في مجلة الهدى النبوي شهرياً من نثر ونظم بعنوان « من صور الحياة » ، وكان هو الوكيل لجماعة أنصار السنة الحمديدية ومدير المجلة زهاء خمسة عشر عاماً ، ثم عادت مساجلاتنا القديمة سيرتها الأولى ، وكان يطلق على منزلي في سوهاج الذي يجتمع فيه إخوان لنا من أدباء مجيدين ، وكرام كاتبين « دار الندوة » ، فأرسلت إليه كتاباً موجزاً وقلت فيه : إن دار الندوة في شوق شديد إليك وإلى شعرك الرقيق ، وقد انقطعت كتبك ورسائلك عنها ، فما شغلك عنها ؟ .

فجاءني منه الرد وفيه هذه الأبيات الرقيقة بعد مقدمة نثرية طريفة يبسط فيها أسباب

انشغاله عنا وهي :

... وافي «الرسول» وعندي أن لعبته
 إن لم أقاضك إياه ضمنت به
 عام تولى وما شاهدت من أثر
 حيث الأحبة تزهو «دار ندوتهم»
 تبادلوا الود فيما بينهم فهموا
 جل القلوب لعمري غير صافية
 صداقة جمعهم غير مفرضة
 «دار» متى جثها ألفت تربتها
 يا طالما نعت عيني برؤيتها
 ياليتني عدت كالماضي الأثير بها
 قد أدمج الود فيها وهي - معمله -
 فإن يئست من اللقيا على عجل
 جاءت على «فترة» طالت هلي الراجي
 هل كان لإرساله عن شبه إحراج ؟
 تشاقه النفس من آثار سوهاج
 بمصبة في هوام غير أمشاج
 ما بين غزال . إخلاص ونساج
 وما بهم من قلوب لونها عاجي
 فخبها طبعي دون «مكياج»
 للعلم والجود فيها خير إنتاج
 بالأمس واليوم رؤياها مدى حاجي
 أو الأسير فما أسعى لإفراج
 روعي وروح «نجاني» أي إدماج
 فقل لروحك ناجي روحه ناجي

* * *

و«دار الندوة» عهدت لأديب كبير من أدبائها وشاعر مجيد من شعرائها أن يتولى
 الرد ، فنظم الأستاذ عبد الرحيم شاكر الموظف بمجلس المديرية سابقاً هذه الأبيات ردّاً على
 ما وافانا به الفقيه العزيز فقال :

يا «صادق» الود إني قد غزات لكم
 وقد نسجت به نوباً أمت به
 جمات لمتة حبي ومن أدبي
 خيطاً من الود لا من وشي ديباج
 إليك فاوصل به مقطوع أوشاجي
 سدام ياليتة قلبي وأوداجي

فجاء نوباً من الإخلاص منسجماً
 فله در «نجاني» في كياسته
 فكم له منة ما زلت أذكرها
 أذاع من خطري ما كان مستتراً
 وأيقظ الشمس في قلبي وأوقده
 وكاد يخبو بفعل البؤس والحاج
 وأوضح النهج في سبى وإدلاجي
 وتخلو حواشيه من نقش «مكياج»

* * *

تنبيك «ندوته» عن حسن عشرته
 لا عيب فيها سوى أن الأسير بها
 قد ألف الأدب العالي بها رحماً
 تعاونوا في سبيل البر واتحدوا
 وتلاؤا البشر سمحاً في شمائلهم
 وضع طيباً شديداً جوداً سهواً
 وعبدوا لسراهم خير منهم حاج
 وعن فؤاد من الإخلاص وقاج
 يرجو البقاء ولا يسمي لإفراج
 للشمس ينسب لا للباس والعاج

* * *

إننا نحْيِيكَ من فيحاء ندوتنا
 وأن وصلك واللقيا على هجل
 فابث خيالك كي نحظى بعلمته
 أو ناجنا بقريض : صادق «ناجي»
 يا نادياً بين غزال ونساج
 أمنية طالما عزت على الراعي

* * *

وأنا أستغفر الله مما نالني من مدح أو ثناء ، لأنني لا أستحق ولا أرجو ذلك جزاء
 ولا شكوراً ، وإنما النقل أمانة كما يقولون ، وليس من حقى وأنا أضع هذه الذكريات لصديق
 عزيز على أن أتعرف في كل ما قيل ، والظاهر أن الأستاذ «صادق عرنوس» رحمه الله كان
 وهو ينظم أبياته ، متأثراً بمصانع «وورش» الحلة الكبرى من كثرة ما بها من الغزل
 والنسيج كما وصف أبياته ، وجاء الرد كذلك ، فقد احتذى على مثاله ونسج على منواله .

وقد مات بالأقطار الحجازية الشاعر الأديب « محمد صادق عرنوس » وأهمل التراب على تلك النفس العظيمة المطمئنة التي كانت العنصر الفعال في ذكر سيرته الآن ، وإن الذكرى هنا حياة جديدة تذكر لتقدير العاملين المجاهدين في سبيل الله ليتفهمها الناس ويقدرّون أبطالها حق قدرهم .

ويوم مات صادق عرنوس كتبت مجلة الهدى النبوى في ٢١ المحرم سنة ١٣٧٠ الموافق ٢ نوفمبر سنة ١٩٥٠ تقول ضمن رثائه « وكان رحمه الله فوق عنايته بالقرآن وصنف رسول الله حفظاً وفهماً - معنيًا بالأدب العربى ، شعراً ونثراً - ، وله في ذلك الميدان روائع نشر كثير منها في مجلة « الهدى النبوى » إلى آخر الرثاء الذى كتب بالعدد الثانى الصادر في شهر صفر سنة ١٣٧٠ .

وحين قرأت مانشر رثيته بهذه الأبيات ، وهو الصديق القديم ، والشاعر الملمم ، والأديب الذى ملأ صحائف كثيرة بأدبه ونقده الفعال المحب لكل قرائه الكرام .

فاض الأسمى وقضى « عرنوس » مفترباً	عن عارفيه وعن أهل وعلان
في بقعة جمعت خير العباد بها	من سادة العرب من عدن وعدنان
طوى البقيع أديباً ، بل طوى علماً	قد كان يخفق ، من آنٍ إلى آن
وشاعراً طالعتنا عبقرية—	برائع من خيالات ووجدان
كانت فرائده في نظمها مثلاً	وحجة عنـد تبين وتبيان
إني تصفحت فيضاً من خواطره	ملأى بقة-وى وإخلاص وإيمان
ضرب من الشعر لم يخطر بذاكرة	للمحـترى ولا في نظم إنسان
كانت دعايته— للدين خالصة	إن الدعايات تدعيم لأديان

الجيزة - نجاتى عبد الرحمن

فرحم الله الفقيد العزيز رحمة واسعة .

غزوات الرسول

صلى الله عليه وسلم

فتح مكة

من مكة إلى يثرب : لاشك أن فتح مكة كان نهاية النصر العظيم الذي توج جهاد الرسول صلوات الله عليه والمسلمين وطوق أعناقهم بأكاليل الفار والفخر . وكان بمثابة أوسمة رفيعة زينت صدورهم بعظمة التضحية والمجد . وروعة الجهاد والبطولة .

فمنذ عشر سنوات من بداية الهجرة اشتد إيذاء قريش الباغية على الرسول والمسلمين . فاضطرته إلى الخروج ، مع تلك الصحبة القليلة المؤمنة ، من أرض الخوف والحقد والأذى ليهاجر إلى أرض النصر والأمن والحرية .

لقد خرج الرسول والمسلمون من مكة في ذلك الوقت وكلهم خوف ووجل . فهاجروا إلى يثرب . وهناك وجدوا الأمن في أرضها . والنصرة عند أهلها . فاستقروا هناك . حيث باثروا نشر دھونهم وبدءوا في إرساء قواعدھا . وظلوا في جهاد مستمر دھوب طوال عشر سنوات . حتى جاءوا مكة فاتحين . ودخلوها بإذن الله منتصرين .

بين بنى بكر . وخزاعة : وفتح مكة له أسباب ومقدمات دفعت النبي إلى القيام به .

فقد كان صلح الحديبية قد قضى : بأنه من أحب أن يدخل في عقد النبي صلى الله عليه وسلم فليدخل فيه . ومن أحب أن يدخل في عقد قريش . فليدخل فيه . وكانت خزاعة قد دخلت في عهد النبي . كما دخلت بنو بكر في عهد قريش وذلك عقب توقيع صلح الحديبية . ولم تكن العلاقات بين خزاعة وبين بنى بكر طيبة . إذ كانت لا تزال بينهما تارات

قديمة سكنت قليلا بعد صلح الحديبية . وانحياز كل منهما إلى جانب من الفريقين المتصالحين .
وفي فترة هدنة الحديبية خيل إلى بنى النضير من بنى بكر — حلفاء قريش — أن
الفرصة قد واتتهم لينالوا من خزاعة حلفاء المسلمين — أخذا بتاراتهم القديمة . وحرصهم
على ذلك الاعتداء جماعة من قريش . وأمدتهم بالسلاح . وذات ليلة وبينما كانت خزاعة
على ماء لهم يقال له : الوثير . فاجأتهم بنو بكر فقتلوا بعضا منهم . بمساعدة رجال من قريش
مستخفين بالليل .

وإذ ذاك فرت خزاعة إلى مكة ولجئوا إلى دار بديل بن ورقاء الخزاعي . وشكوا إليه
نقض بنى بكر وقريش لعهد رسول الله فسارع عمرو بن سالم الخزاعي . وغدا متوجها —
مع أصحابه — إلى رسول الله صلوات الله عليه بالمدينة حتى وقف بين يديه وهو جالس في
المسجد بين ظهراني أصحابه . ونقل إليه عدوان بنى بكر وقريش على قومه فقال : —

يا رب إني ناشد محمدا حلف أبيينا وأبيه الأندلس

قد كنتموها ولداً وكنا والدا ثمة أسلمنا فلم نزع يدا

فانصر هداك الله نصرنا أبدا وادع عباد الله يأتوا مددا

فأجابه رسول الله بلسان المستجيب الملبي وقال « نصرت يا عمرو بن سالم » ثم قفل
عمرو عائدا إلى مكة مع أصحابه .

قريش تشعر بجرمها : وشمرت قريش بعظم جرمها لنقضها عهد الحديبية فخشيت أن
يهب النبي منقما منها لخزاعة حليفته . فتعرض مكة لخطر الغزو . لذلك أوفدت قريش
أبا سفيان إلى رسول الله صلوات الله عليه ليثبت المقعد ويزيد في مدته .

وخرج أبو سفيان قاصدا المدينة لهذه المهمة . وفي الطريق قابل بديل بن ورقاء وأصحابه .
فخشي أبو سفيان أن يكون بديل قد جاء إلى النبي وأخبره بما حدث . فيعزل مهمته . .
فسأله قائلا : من أين أقبلت يا بديل ؟ قال : سرت في خزاعة في هذا الساحل . وفي بطن
هذا الوادي . قال له : أو ما جئت محمدا ؟ قال : لا . . ثم انصرف كل منهما إلى وجهته .
وما أن انصرف أبو سفيان حتى أتى مبرك راحلة بديل . فوجد فيه بعرا مخفيا بالنوى .
فعرّف أن بديلا كان بالمدينة عند النبي . . ولذلك قرر ألا يلقاه مباشرة . .

أبو سفيان يستمطف : فلما قدم المدينة جعل وجهه بيت إبنته أم حبيبة . فدخل عليها .
 وهم ليجلس على فراش رسول الله عليه السلام . ولكن ابنته طوت الفراش عنه . فقال
 لها : يا بنية . أرغبت بي عن هذا الفراش . أم رغبت به عني ؟ قالت : بل هو فراش
 رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأنت مشرك نجس قال لها في غضب : والله لقد أصابك بهدى
 شر . . ولما وجد صدوداً من ابنته قبل أن يفاتحها في مهمته . أتى رسول الله وكله في إطالة
 العهد . فلم يرد عليه شيئاً . . فجاء أبا بكر ورجاه أن يشفع له عند رسول الله في شأن العهد .
 فأتى أبو بكر . فأتى عمر بن الخطاب فكلمه . فقال عمر مغلظاً له القول : أنا أشفع لكم
 إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فوالله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به ثم جاء إلى علي بن
 أبي طالب . - وعنده فاطمة وابنها الحسن - فقال له . يا علي . إنك أمس القوم بي رحماً .
 وإني قد جئت في حاجة فلا أرجع من كما جئت خائباً . إشفع لي إلى محمد . قال علي : ويحك
 يا أبا سفيان . والله لقد هزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه :
 فالتفت أبو سفيان إلى فاطمة وكلها أن تأمر ابنها الحسن ليجير بين الناس . فرفضت قائلة :
 والله ما يبلغ ابني ذاك أن يجير بين الناس . وما يجير أحد على رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 وهكذا رفض الجميع أن يشفعوا لأبي سفيان عند رسول الله لإطالة العهد . وكذا قبول
 إجارته . . ولعل هذا الإجماع على الرفض لم يكن من هؤلاء فحسب : بل كان هذا أيضاً
 شأن المسلمين جميعاً بالمدينة . وذلك لموقفهم العدائي من أبي سفيان وقريش

أبو سفيان يعود إلى مكة : وعندما اشتد الأمر على أبي سفيان . استنصح علياً وقال له :
 إني أرى الأمور قد اشتدت على فانصحنى . . قال علي والله ما أعلم لك شيئاً يغني عنك .
 ولكنك سيد بني كنانة . فقم فأجر بين الناس ، ثم الحق بإرضك . قال : أو ترى ذلك
 مغنياً عني شيئاً ؟ قال علي : لا والله ما أظنه . ولكني ما أجد لك غير ذلك .

فتوجه أبو سفيان إلى المسجد . وأعلن هناك فقال : أيها الناس ، إني قد أجرت بين
 الناس . . ثم ركب بميره وعاد إلى مكة . وقلبه يفيض حزناً ولما ملق في المدينة من رفض
 ومذلة . . وفي مكة أخبر قريشاً بأن أحداً لم يقبل جواره في المدينة .

النبى يستعد لغزوة مكة : أما الرسول صلوات الله عليه فقد رأى أن قريشا قد نقضت عهد الحديبية . وتمادت في العدوان بصورة لم تعد تحتمل . فقرر غزوها تأديبا لها على جرمها . كما رأى ألا يعطى الفرصة لقريش بالتجهز ليأخذهم بفتة . فلا يجدوا عندهم من الوقت ما يمكنهم من الدفاع عن أنفسهم . فيضطروا إلى التسليم دون الدخول في معركة تراق فيها دماء .

لذلك أمر الناس بالتجهز . كما أمر أهله بأن يجهزوه . فلما تجهز الناس أعلمهم أنه سائر إلى مكة . وأمرهم بالجد . ودعا على قريش فقال : « اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى ينفثها في بلادها » .

مع حاطب بن أبى بلتعة : وبينما الرسول والناس على أهبة السير كتب حاطب بن أبى بلتعة كتابا إلى قريش يخبرها فيه بمسير النبى إليهم . وأعطى الكتاب لأمرأة تسمى : سارة . وجعل لها جملا على أن تسلم الكتاب إلى قريش . فوضعت المرأة في قرون رأسها . ثم خرجت به وانطلقت إلى قريش .

فأتى رسول الله صلوات الله عليه خبر الكتاب من السماء بما فعل حاطب . فبعث على بن أبى طالب . والزبير^(١) بن العوام ليلحقا بسارة وقال لهما : « انطلقا حتى تأتيا روضة خاخ فإن بها خيمنة معها كتاب قريش » فانطلقا حتى أدركا المرأة . فالتصا الكتاب في رحلها فلم يجداه . فقال لهما على : أحلف بالله ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولا كذبتنا . والله لتخرجين الكتاب أو لتجردينك . فلما رأت المرأة منهما الغضب والجد أمرتهما بأن يعرضا عنها فحلت قرون رأسها . واستخرجت منه الكتاب ودفعته إليهما . فانطلقا وأتيا به رسول الله صلوات الله عليه . ودعا النبى حاطب بن أبى بلتعة وسأله :

(١) ويقول بعض كتاب السيرة : أن المقداد بن الأسود هو الذى خرج مع على - راجع « زاد المعاد » للإمام ابن قيم الجوزية ص ٣٨٨ ج ٢ .

« ما هذا يا حاطب ؟ » قال : لا تعجل يا رسول الله . والله إني لمؤمن بالله ورسوله . وما ارتددت ولا بدلت . ولكنى كنت امرأ مخلصاً فى قريش لست من أنفسهم . ولى فيهم عشيرة وولد وليس لى فيهم قرابة يحمونهم . وكان معك لهم قرابات يحمونهم . فأحببت إذ فاتنى ذلك : أن اتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي .

وكان عمر بن الخطاب واقفاً يسمع كلام حاطب . فقال غاضباً للنبي : دعنى يا رسول الله أضرب عنقه . فإنه قد خان الله ورسوله . وقد نافق . فقال رسول الله لعمر : « إنه قد شهد بدرا . وما يدريك يا عمر ؟ لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال : إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم . » عند ذاك ذرفت عينا عمر لما قاله النبي وقال على الفور : الله ورسوله أعلم .

وكان حاطب من أهل بدر من تقات المسلمين . ولم يكن يريد بعمله ذلك نفاقاً أو خيانة . ولكن النفس البشرية ينتابها أحياناً نوع من الضعف يجعلها تطنى على ما فى جوانبها من إنسانية وسمو . فتنزى بصاحبها إلى ما يضره ويضر غيره . وقد نزل إذ ذاك فى شأن حاطب قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة - أول سورة الممتحنة) .

إلى مكة : ثم تحرك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جيش عظيم قوامه عشرة آلاف والنبي والجيش معه صائمون . . تحركوا وكل واحد منهم قد امتلأت نفسه بعظمة الإيمان بالله ورسوله . وتأكد لهم النصر والغلبة ما داموا قد خرجوا لنصرة دين الله تعالى .

وعند ما نزل النبي « السكديد » أفطر كما أفطر الناس . ثم تابع سيره حتى نزل « مر الظهران » .

أما قريش فقد كانت على وجل وخوف . مما دفع زعماءها إلى أن يرسلوا أبا سفيان . وحكيم بن حزام . وبديل ابن ورقاء يتحسسون أخبار المسلمين فخرجوا لهذا الغرض .

وخرج العباس بن عبد المطلب — تاركا قريشا في حالم ووجلهم — خرج بأهله وعياله مهاجرا . فلقى الرسول بالجحفة . فأعلن إسلامه . وانضم إلى المسلمين . كما خرج أيضا لهذا الغرض اثنتان من بني هاشم — هما أبو سفيان بن حرب وعبد الله بن أبي أمية — فلقيا النبي بالأبواء ، فاستأذناه . فأعرض عنهما لما أصابه منهما من أذى وهو بمكة . ولسكنهما ما زالا يلحان حتى رق لهما قلب رسول الله صلوات الله عليه فأذن لهما فدخلوا عليه وأسلما .

منافسة بين أبي سفيان ، وعمر : وأمر رسول الله رجال جيشه بإيقاد النيران . فأوقدوها . وكانت عشرة آلاف نار ترتفع السنة لهيبتها في فضاء الصحراء الفسيح كانت كافية أن تلقى الرعب والخوف في قلب أهل مكة . فتخرج إليه فتستأمنه قبل أن يدخل مكة عنوة فيريق على أرضها الدماء . . وهذا ما هدف إليه النبي حين أمر بإشعال النار أمام الخيام بالإضافة إلى أنه أرسل عمه العباس يتحسس أخبار قريش حله يجد أحدا يخبرها بقوة وعدد المسلمين . فلا تستعد للقاءه . ويتحقق له ما أراد .

فركب العباس (بغلة) رسول الله عليه السلام . وخرج إلى حيث أمر ، ويقول العباس رضى الله عنه : والله إنى لأسير عليها إذ سمعت كلام أبي سفيان بن حرب . وبدل بن ورقاء وهما يتراجعان . وأبو سفيان يقول : ما رأيت كلاليلة نيرانا قط ولا عسكريا . فيقول بديل : هذه والله خزاعة خشمها الحرب . فيقول أبو سفيان : خزاعة أقل وأذل من أن تكون هذه نيران عسكريا .

قال العباس : فعرفت صوته فقلت . أبا فضلة ؟ . فعرف صوتي فقال : أبا الفضل ؟ قلت : نعم . قال مالك ؟ فذاك أبي وأمي . قلت : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس . وإصباح قريش والله . قال : فما الحيلة فذاك أبي وأمي ؟ قلت : والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك . فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمنه لك .

فركب خلفي . ورجع صاحبا . فجئت به . فكلما مررت به على نار من نيران المسلمين قالوا : من هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عليها قالوا : عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته . حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال : من هذا ؟ وقام إلى . فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال : أبو سفيان عدو الله ؟ الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد . ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم . وركضت البغلة فسبقت . فافتحمت عن البغلة . فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر فقال : يا رسول الله هذا أبو سفيان . فدعني أضرب عنقه . قلت : يا رسول الله إني قد أجرتة ، ثم جلست إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت برأسه . فقلت . والله لا يتاجيه الليلة أحد دوني . فلما أكثر همر في شأنه . قلت : مهلا يا عمر . فوالله لو كان من رجال بني هدي بن كعب ما عملت مثل هذا . قال : مهلا يا عباس . فوالله لإسلامك كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم . وما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب .

بهذا انتهى عمر والعباس مناقشتهما التي اتسمت بالحدة والفضب . . وكان لابد للرسول صلوات الله عليه أن يرجيء التصرف في أمر أبي سفيان في تلك الساعة من الليل حتى لا يزيد من حدة المناقشة . وكان لابد له أيضاً - كما سنعرف - أن يخلى سبيل أبي سفيان ما دام قد دخل في جوار عمه العباس (رضي الله عنه) وأن يعلن ذلك عندما تهدأ النفوس من ثورتها .

وبحكمة الرسول المعهودة في معالجة مثل هذه الأمور قال للعباس : «إذهب به يا عباس لي رحلك . فإذا أصبحت فائتني به » .

إسلام أبي سفيان : قال العباس (رضي الله عنه) : فلما أصبحت غدوت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ويحك يا أبا سفيان .

ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله ؟ قال : بأبي أنت وأمي ، ما أحلك وأكرمك وأوصلك ! . لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عنى شيئاً بعد .

قال الرسول « ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله ؟ . » قال : بأبي أنت وأمي ما أحلك وأكرمك وأوصلك . أما هذه فإن فى النفس حتى الآن منها شيء . . فقال له العباس : ويحك أسلم وأشهد أن لا إله إلا الله . وأن محمداً رسول الله قبل أن يضرب عنقك . . فلم يجد أبو سفيان أمامه ما شاهده وعرفه فى الإسلام من حق وقوة إلا أن يسلم : فأسلم وشهد شهادة الحق .

من دخل دار أبي سفيان فهو آمن : وعند ذاك التفت العباس إلى رسول الله وقال له : يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر . فاجعل له شيئاً . قال « نعم . من دخل دار أبي سفيان فهو آمن . ومن أغلق عليه بابه فهو آمن . ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن » .
« وإلى عدد قادم إن شاء الله انتم بقية الحديث »

— سر صادق محمد

جماعة أنصار السنة المحمدية

بأسوان

إن جماعة أنصار السنة المحمدية بأسوان لتبتهل إلى الله تعالى بخالص الدعاء أن يلبس الله الدكتور عزت سلامه محافظ أسوان - وقد غمرها بعطفه وتأييده - ثوب الصحة والعافية ، وأن يتم له الشفاء العاجل من مرضه الذى ألم به .

ولا تنسى الجماعة مالىسيد المحافظ من أيد مشكورة فى افتتاح مسجدهم (بالحصاية) بأسوان ولا سيما خدماته الطيبة فى عونهم ومساعدتهم فى إنشاء دورة المياه بالمسجد .
فجزاه الله خيراً ومتممه الله بالصحة والعافية ووفقه دائماً إلى ما فيه الخير والصلاح .

المجتمع الإسلامي

طلعت شمس الإسلام على مجتمع متحلل من الخير، حائر بين الشباب، لم يحسن الاهداء إلى الله ليعبده، ولم يعرف طريق القسطاس ليمجده، ولم يذق طعم التطهر ليؤيده ويسنده، الإسلام يبني من الانقاض مجتمعاً سليماً جديداً، له كل مقومات المجتمع الكريم الفاضل. وتقاومت من الإسلام خطوات الإصلاح والبناء والتعمير والتحسين. أقام الناس على منهاج مثالي للحياة والاجتماع، وعلى محبة واضحة مستقيمة بيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك. وفي خلال سنوات استقطاع الإسلام أن يبلغ بأبنائه القمة، ليكونوا لغيرهم القدوة، ليكونوا أمة مثالية، وليكونوا شهداء على الناس، وليكونوا خير أمة أخرجت للناس. كما نطق بذلك القرآن الكريم:

والمجتمع الإسلامي الفاضل. ينهض على قواعد ثلاث هي: ضمان الضروريات، وتوفير الحاجيات وتهيئة التحسينات، ففي باب الضروريات نراه يصون النفس والعقل والدين والنسل والمال: « كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه ». . وفي باب الحاجيات نرى الحق تبارك وتعالى يحدث عباده بأنه الذي خلق لهم ما في الأرض جميعاً، ويأمرهم بالانتشار في الأرض والابتغاء من فضل الله: « هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها، وكلوا من رزقه وإليه النشور ». وفي باب التحسينات: نرى الإسلام يبيح كل طيب. ويمكن أهل من ملذاتهم بطرقها المشروعة، وحدودها الحافظة،: « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ». وتقول عائشة رضوان الله عليها: « ما تمتع الأشرار بشيء الا تمتع به الأخيار. وزادوا عليه رضوان الله » وما أبلغ البيان القرآن حين يرمز على طريقته الخاصة إلى ذلك كله فيقول: « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا، وأحسن كما أحسن الله إليك، ولا تبغ الفساد في الأرض، إن الله لا يحب المفسدين ».

وقد بدأ الإسلام في بناء مجتمعه الفاضل بإصلاح الفرد وجعله فاضلاً ، فأرشده إلى تطهير داخله وتزكية نفسه ، وصيانة النواة فيه ، حفظ مصدر الأشماع والتوجيه في أعماقه وهو القلب ، فسمعنا القرآن يردد : « يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم » ويقول : « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » وسمعنا نبي الانسانية محمداً صلوات الله عليه يقول : « ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله . وإذا فسد فسد الجسد كله ألا وهي القلب » ويقول : « اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » وما دام القلب سليماً صالحاً ، ذا كراً لربه ، ثابتاً على دين خالقه ، محافظاً على توحيد معبوده ، لم يعكز بشائبات الشرك والوثنية ، والبسوع الخرافية ، والعقائد القبورية ، وضلالات أهل الطرق الصوفية ، فإنه سيمحرك صاحبه إلى الخير ، وسيحول بينه وبين الإنثم والبهتان ! وقد جعل الإسلام هذا الفرد الذكي فرداً حياً . نشيطاً متحركاً ، عاملاً منتجعاً ، وجعله في عمله صابراً مصابراً مداوماً ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل » كما جعله في عمله متقناً محسناً . فالرسول عليه السلام يقول « إن الله يحب من العبد إذا عمل عملاً أن يتقنه » وجعله فوق هذا وذاك فرداً جمعياً متضامناً ، فالرسول صلوات الله عليه يقول : « والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه » .

ثم انتقل الإسلام من الفرد إلى المجموعة الأولى في المجتمع وهي الأسرة ، فبناها على السكينة والمودة والرحمة ، وعلى عشرة بالمعروف ، وعلى الخلق الكريم في المعاملة فالقرآن يقول : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » ويقول مخاطباً الأزواج في شأن الزوجات : « وعاشروهن بالمعروف » ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي » .

ثم انتقل الإسلام من الأسرة إلى الأمة المسلمة ، وإلى المتدين المؤمن الصالح المصلح

فعله مجتمعا يقوم على التكافل والقساوى بين الأفراد فى حقوقهم الطبيعية وواجباتهم الأساسية . فالنبي صلوات الله عليه يقول : « المسلمون متكافؤ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم » وليس فى هذا المجتمع - الإسلامى - مكان لطاغية فرد أو حاكم مستبد . يسوق الناس بلهيب عصاه ، وسوط عذابه . بل فيه جماعة راشدة تحكم نفسها بنفسها على أساس كتاب ربها وهدى نبيها ، « وشاورهم فى الأمر » ، « وأمرهم شورى بينهم » ١١

والفرد فى هذا المجتمع له حرمة وكرامة وشخصيته . فلا يساق سوق البهائم ، ولا يزوج فى به الجحيم الذى لا يطاق .. ولكن الشخصية الفردية لا تتعارض مع الشخصية الجماعية ولا تبغى عليها ، فهذا الفرد مطالب بالسمع والطاعة فى الرضا والقبض ، والمنشط والمكروه ، ولذلك جاء الحديث : « اسمعوا وأطيعوا » ، وإن استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة » وعن أبى ذر قال : « أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم أن أسمع وأطيع وإن كان عبداً مجذبا لأطراف » ولكن هذه الطاعة مشروطة بأن تكون فى حدود ما أمر الله به أو رضى عنه . أما إذا انتقل الأمر إلى حيز المعصية كان أمراً باطلا ، لا سمع فيه ولا طاعة له ، ومن هنا جاء فى الحديث : « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » ، وفيه أيضا « السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وأكراه ، ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » وليس وراء هذا المنهاج سبيل للتعادل بين سلطة الجماعة الراشدة وكرامة الفرد المسلم .

وهذا المجتمع يقوم على ضوابط العدل والخير والتعاون فيما يفيد وينفع ، والتواصى بالحق ، والتناهى عن الباطل : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان ، وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون » . « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب » . « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » . « والعصر . إن الإنسان لئى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر » . ١٢

وهو مجتمع يقوم على العدالة الكاملة في الجزاء ، والحساب الدقيق في العمل ،
والمراجعة المضبوطة في التصرف : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة
شراً يره » .

ويقوم على المائلة في مقابلة السيئة بمثلاً للردع والتأديب ، ولكنه في مجال الخير
والإحسان يقوم على إثابة المحسن خير إثابة ، ومقابلته بأضعاف حسنته ، وذلك للترغيب
والتشجيع والتحفيز « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » . « مثل الذين ينفقون أموالهم
في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء
والله واسع عليم » . . .

وهو مجتمع يدرك أن الجريمة ستقع ، وأن اعتداء البعض على البعض سيحدث ، وأنه
لا بد من روادع وزواجر ، لتصد الناس عن هذه الجريمة ، وذلك الاعتداء ، وقد أقام
الإسلام هذه الزواجر على أساس التهذيب والاقتصاص ، لا على أساس الثأر والانتقام
« ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون » .

وهو مجتمع موصول الأسباب بالسماء . فكل فرد من أفرادهِ يريد بعمله الخاص
أو العام وجه الله ورضاه ، لا يريد به المنفعة ، أو المفخرة أو الحماية أو المراتاة ، وهو إذا أراد
وجه الله في أعماله كان له الأجر في جميع هذه الأعمال ، سواء أكانت مادية أم روحية ،
أخروية أم دنيوية ، فيكون له الأجر في السعى على أولاده ، كما يكون له الأجر في الجهاد
من أجل دينه ، بل يكون له الأجر على اللقمة يأكلها ، وعلى أولاده يضاحكهم ، وعلى
زوجته يأتي فرائضها ويعف نفسه ، والله رءوف رحيم . . .

وهذا المجتمع - أخيراً - مجتمع طهور متحنت متأنم ، يتذكر دائماً أن الله طيب لا يقبل
إلا طيباً ، فهو لا يرتضى - بله أن يأتي - رذيلة أو إنمأ أو منكرأ . والحق تبارك وتعالى
يقول : « قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والإثم والبغى بغير الحق ،
وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » .

نم انتقل الإسلام بعد ذلك إلى المجتمع الإنساني كله ، إلى عالم البشرية الواسع فأقام هذا المجتمع على دعائم ثابتة واضحة من انحداد الأصل ، وشرعة التمايز للتعارف وأساس الأفضلية بالنفوس ، وقاعدة الاصطفاء والتكريم بوجود النفع للغير والإسهام في الخير والبر ، قالقرآن يقول : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » .

والحديث الشريف يقول : « خير الناس أنفعهم للناس » .

هذه هي الخطوات الأساسية التي خطاها الإسلام في بناء المجتمع الفاضل وقد بلغ القمة بهذا المجتمع حتى أخرج للناس نماذج بشرية سامية ، تضيء الطريق لمعاصريها ولاحقيها ، وقد زانت هذه النماذج العالية جبين الدنيا بمكارم الأخلاق وعظيم الفعال ، وشريف الخصال ، ثم جاءت على هذا المجتمع الإسلامي الفاضل عوامل الهدم والتخريب ، فوقفت له أعداؤه من الداخل والخارج ، وتربصوا به الدوائر ، وكادوا له مسفترين ومستغلنين ، وعاونهم الخلف المستحكم بين أبناء الأمة الواحدة ، وأتباع دين التوحيد ، وساءدهم الترف المهلك ، وما ساقته الدنيا من فتن ومغريات ، فتجمعت هذه العوامل كلها وأخذت تنخر في بناء المجتمع الإسلامي حتى أتت عليه أو كادت ، وتطاول الأمد على المسلمين وهم يرتعون أو يستمعرون أو يتخبطون ، بما نبت في العالم عن يمين وشمال من مذاهب اجتماعية شتى ، تفرى ببريقها والتماعها ، وتخضع بزخرفها وزينتها ، وتزاحم منهاج الإسلام الاجتماعي الأعلى لنشاركه أو تحل مكانه .

فإذا يفعل أبناء التوحيد الآن ، حملة المبادئ والمثل العليا ١٩٩٩ إن واجبهم عظيم . ويحتم عليهم الواقع ، قبل أن يحتم عليهم دينهم ، أن ينهضوا به حتى يعود المجتمع إسلامياً سليماً فاضلاً كريماً ، كما كان في الصورة المثالية التي رسمها التنزيل وحققها مبلغ هذا التنزيل إلى العالمين صلوات الله عليه ١١ .

إن العالم المنكوب يعاني ما يعانيه بسبب حيرته في مجالات المذاهب الاجتماعية
المستحدثة ، وهو يخرج من تجربة إلى أخرى . وإن شئت قلت : يخرج من محنة إلى محنة ،
ودواء السماء بين يديه يصد نفسه عنه ، أو تدفعه عن ساحته يد الشيطان ، ولو أقدم عليه
لا تنفع منه وسعد به .

ومن المعائب - والمعائب جمعة - قُرب الدواء ، وما إليه وصول
كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول !!

السيد عبد الحلیم محمد عسین مدنی

مؤلفات الأستاذ الكبير

« محمود الملاح »

تفضل الأستاذ الكبير محمود الملاح فأهدى إلينا خمسة عشر مؤلفاً من مؤلفاته . وكلها
ثورة العروبة الإسلامية على الخرافة المألوفة والأسطورة الوثنية اللتين تحاولان أن تحلّا محل
قيم الإسلام ومثلّه العاليات . وهل يحتمى بهاتين سوى الرفضة وما تفرع عنها كالبابية
والبهائية في الحديث ، والاسماعيلية وسواها في القديم . وسوى الصوفية .

وقد حمل الأستاذ حملته الصادقة الفيور في أسلوب رائع جزل قوى .

وإني لأشكر للأستاذ الكبير هديته الرائعة ، وأشكر له بلسان كل عربي مسلم حملته
الصادقة المشكورة على البدع والخرافات والأفكار المستمدة من أحقاد الصليبية ، ودناءة
الصهيونية .

عبد الرحمن الوكيل

دمعة من القلب على راحل كريم^(١)

منذ خمسين سنة أو تزيد كنت تلمح في سوهاج شاباً نحيفاً ذا لحية خفيفة يلبس ملابس الشيوخ ويعتلى المنابر عقيب صلاة الجمعة أو في مجتمعات المساجد ، بوضوح للمسلمين عقيدة التوحيد الخالص وكان في أسلوبه لطيفاً بليغاً ، ويتساءل الناس جميعاً عنه : من هذا ؟ ويجيب عنه عارفوه : هو الشيخ درويش . ولما كان يستند في حجته إلى كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم في وضوح وتصوير محبوبيه ، فهو يقرر مبادئ الإسلام الصحيحة . من توحيد الله بالعبادة وعدم دعاء غيره من الأنبياء والأولياء والملائكة والجن ، (فلا تدعوا مع الله أحداً) ولا نذر إلا الله ، ولا استغاثة ولا استمانة إلا بالله ، فيما لا يتصرف فيه غير الله ، « وإنما يستغاث بالله » و (إياك نستعين) « من حلف بغير الله فقد أشرك » .

وقرر قواعد الإيمان بعيدة عن الشرك ، وطوح بالوساطة بين العبد وربّه إلا بالعمل الصالح والإيمان النظيف ، وبين أن التائب والأحبة نوع من الشرك و « إن الرقي والتائم والقولة شرك » فما كان من المنتفعين من علماء السوء إلا أن هبوا في وجهه يدفعون عن كهانتهم ودينوياتهم ، فما بالي بهم ، وباع نفسه لله ، يفتدو ويروح بدعوة الله لهذا الشعب الذي أنساه مرشدوه طريق النجاة فتخبط في متاهات الضلال إلى مكان سحيق ، ولم يؤيده إلا قلة من العلماء الخالصين وعلى رأسهم المغفور له « الشيخ شحاته » ومن سار في ركاب السنة .

(١) جاءتنا هذه الكلمة من الأستاذ أحمد أحمد على حسن ، وقد كان وكيلاً لفرع جماعة أنصار السنة المحمدية بسوهاج ، وأنه اختير رئيساً للجماعة هناك خلفاً للشيخ أبي الوفاء محمد درويش ، رحمه الله وأجزل مثوبته .

ونحن نضرع إلى الله تبارك وتعالى أن يكتب له ولإخوانه أنصار السنة بسوهاج دوام التوفيق في الدعوة إلى الله ، وأن يهبى لنا ولهم من أمرنا رشداً .

وكثر أتباعه من المنتفعين في بندر سوهاج وأرباضها ، كما تبعه كثير من العمال والفقراء الذين لا يبتغون بإيمانهم إلا وجه الله ، وتسامع به المسلمون في الصومال والسودان وأبعد منها ، وتوالت فتاواه إليهم ، وعرض بذلك نفسه إلى نقمة أولئك الجهلة من حملة العائم والمنتفعين الذين حرضوا سادتهم من حكام العهد البائد عليه ، وكان من عادته ألا يتصل بهؤلاء الحكام الجاهلين ، إلا بحسب الضرورة ، وقد مكث يفسر كتاب الله تعالى نحو أربع عشرة سنة معتمداً كتاب الكشاف للزخشري في مسجد الفرشوطى بسوهاج ، مع إبداء رأيه وآراء العلماء الأعلام ، وتوضيح آيات التوحيد بصفة خاصة ، ونحذى الجاهلين من العلماء الذين ينصرون البدعة والصوفية الجاهلة أن يحضروا درسه ويردوا عليه قوله إذا شاءوا فما استطاعوا ، بل تواصلوا ألا يحضروا درسه خشية أن يجرهم إلى آرائه ، وذلك حفاظاً منهم على مكاسبهم الزائلة .

وقد استمدى عليه المتعاملون الجاهلون أحد المديرين السابقين من العهد البائد فأمره بالانقطاع عن درس التفسير وهدده بمحاربته في وظيفته إذ كان مدرساً بمجلس المديرية إذ ذاك ، فخضع للأمر وظل في بيته مركز إشعاع للتوحيد والسنة ، ثم خلف هذا المدير مدير آخر من رجال القانون ، وعلم بالأمر فطلب الشيخ وحادثه فعلم أن الحق معه فكلفه إلقاء محاضرة يبين فيها آراءه للناس وحدد له الزمان ، وسمع الناس منه في ذلك اليوم آيات بينات وهدى للموحدين ، فكلفه المدير الجديد موالاة درس التفسير فأطاع الأمر حتى أنتم تدريس القرآن الكريم .

وقصارى القول أن الشيخ أبا الوفاء محمد درويش — رحمه الله — ألف أكثر من عشرين كتاباً في الدين والأدب والاجتماع وشرح في أكثرها أغراض الكتاب والسنة ، وأجاد الإنكليزية والفرنسية وخاطب أهلها ببيان فضائل الإسلام ودعاهم إليه ، وكان قوى الحجة حاضر البديهة ، كما أجاد علوم اللغة العربية إجادة بالغة ، ودرس الكتاب والسنة دراسة وافية ، وحصل على ليسانس الحقوق في القوانين ، وكان يكسب قوته من عمله في التدريس والتأليف ، واشتغل بالحاماة بعد أن قعد عن التدريس ، فكان مثال

النزاهة والنشاط والبعد عن صفار الأمور ، وهو الذي أنشأ جماعة أنصار السنة المحمدية بسوهاج ، ونفى بمعونة إخوانه المخلصين وجمهرة للمسلمين (مسجد الله) بشارع النيل فكان مشعلاً لأضواء الكتاب والسنة ، كما أنشأ المستوصف الخيري لمعالجة المرضى ، ودار الرعاية الاجتماعية بسوهاج ، وأهم ما يوصف به من النظافة . أنه ما كسب لنفسه شيئاً من أمور الدنيا بوساطة الدين ، وإنما كانت خدماته في ذلك الوجه خالصة لوجهه الكريم . ولو شئنا تعداد ما قام به من أعمال الخير لاحتجنا إلى مجلد كبير .

وقد ألفت إخلاصه أنظار رجال الثورة المصرية الكريمة فساعدته في مواقفه العلمية لنشر التوحيد ، وأسندت إليه تدريب الهيئات الاجتماعية بمحافظة سوهاج في حياته ، كما خلدت اسمه بعد وفاته بإطلاق اسمه على الشارع الذي به دار الرعاية الاجتماعية ، وعزمت على إنشاء مكتبة عامة باسمه في قصر الثقافة الجديد بسوهاج ، كما أكرمت الجامعة التي كان يرأسها بمنحها قطعة أرض مجاورة للمسجد لإنشاء مكتبة عامة عليها .

نضر الله وجهه ، وأكرم نواياه في جنات الخلد ، وجزاه الله جزاء المخلصين . وإنما يتقبل الله من المتقين .

أصممه أصممه على من

رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بسوهاج

النور المحمدي

عنوان لقصيدة رائعة من شعر فضيلة الأستاذ الشيخ عمرو محمد حسن التندى إمام وخطيب المسجد الجبدي بملوى ، نظمها في تفنيد ما يزعمه البعض من أن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم خلق من نور ، وفي بيان غيرها من الخرافات التي يلصقها الجاهلون بالنبي صلى الله عليه وسلم ، سننشرها في العدد القادم . إن شاء الله .

مؤلفات الإمامين ابن تيمية وابن القيم في مسابقة وزارة الأوقاف

أعلنت وزارة الأوقاف أنها ستمنح السادة الأئمة ومفتشى المساجد مكافآت تشجيعية على حسب ما يحرزون من درجات في المسابقة التي ستجريها الإدارة العامة للدعوة لهذا الغرض . . ومن الكتب المقررة لهذه المسابقة كتابا : —

١ — قاعدة جلية في التوسل والوسيلة للإمام أحمد بن تيمية .

٢ — زاد المعاد في هدى خير العباد للإمام ابن قيم الجوزية .

« صحيفة الجمهورية يوم ٢٠/١٠/١٩٦٣ »

• • إنه لتقدير عظيم . وتكريم مشكور أن تقرر وزارة الأوقاف جعل مؤلفات هذين الإمامين الجليلين ضمن المسابقة . ولا شك أن هذا يدل على مدى الفرق الشاسع بين الماضي والحاضر لمكانة كتب الإمامين .

فلقد كان الجهال من الناس في الماضي يعتبرون مؤلفات الإمامين بعيدة عن نور الكتاب وهدى السنة . بل كانوا يعتبرون الإمامين « ضالين مضلين » فتمرضا — رحمهما الله — لكل ألوان الأذى والحرب والتعذيب في تلك العصور حين ثارا على العقاليذ والجود والثنيات والخرافات التي اتخذها للناس ديناً لهم في تلك العصور . . واليوم وبعد أن حظيت مؤلفات الإمامين بدراسة عميقة . وفهم صحيح من المنصفين . غدا الإمامان موضع اهتمام وأصبحت مؤلفاتهما مراجع هامة في التشريع والأحكام . ومنهلا هذبا للعلم والمعرفة .

ولعل أصحاب الفضيلة الذين يرغبون في الدخول في هذه المسابقة تكون لديهم الرغبة الصادقة في دراسة هذه المؤلفات . لا بقصد الحصول على المكافأة والشهرة . . بل بقصد

دراسة ما احتوته هذه الكتب من الفقه والهدى والحق . ونبذ الأباطيل والمراء الذى انطوت عليه الكتب الضعفاء . وتمصب لها الشيوخ وملأوا بها عقول المسلمين . وشوهوا بها معتقداتهم .

ولا يفوتنا فى هذه المناسبة أن نوجه كلمة شكر وتقدير للاستاذ الكبير الدكتور محمد البهى وزير الأوقاف لتقديره العظيم لمؤلفات الإمامين الراحلين وجمله كتبهما فى مقدمة الكتب المقررة لهذه المسابقة . فإن هذا الصنيع المشكور هو فى الحقيقة تقدير منه لمنهج الإمامين وما قاما به من نضال معروف فى سبيل إعادة الأمة الإسلامية إلى عهد السلف الصالح وتعريفهما بعقيدة التوحيد الخالصة . وإبعادها عن حياة البدع واللهو ولتتقيد العمياء .

ومرة أخرى . . . للاستاذ الدكتور البهى . عظيم الشكر والثناء . وعاطر التحية .

* * *

القضاء على الخرافات

والأضرحة الخالية من الرفات

تدرس وزارة الداخلية ما يدخل فى اختصاصها للقضاء على البدع والخرافات التى تحدث أثناء الاحتفالات بموالد الأولياء مثل — الشعوذة . وأكل النار والشمابين إلى جانب انتهاز الفرص للنصب على السذج والاحتفال عليهم وترويج الخدرات . وثبت لوزارة الداخلية أن أكثر الأضرحة إما خالية^(١) أو أن أصحابها مجهولو النساب .

(١) وليس أدل على ذلك من حادثة الضريح الذى كان مقاما بمبنى محافظة القاهرة القديم . والذى كان يطلق عليه اسم « الشيخة سعادة » .

وعند ما شرع المسئولون فى هدم مبنى المحافظة لبنائه من جديد اضطروا إلى هدم الضريح أيضاً . فلم يجدوا تحته سوى بقايا ساقية . وبعض المواشير والأسلاك والاحجار . =

ولا يقوم الدلائل على صحة الكرامات التي تنسب إليهم . كما ثبت أن كثيرين من الأولياء المزهومين لاصلة لهم بالفقه أو الاجتهاد الديني في التفسير والتشريع ... وقد تبين أن الأتراك هم الذين كانوا يقيمون أضرحة ليدفنوا بها حيواناتهم المدللة . ويرغمون عبيدهم وأتباعهم على الترحم عليها وأوقفوا عليها الأموال والعقارات . ثم تطور الأمر في نظر الجهلاء فاعتقدوا بمضى الزمن أنها تضم أولياء صالحين . كما انتهز بعض المستغلين الفرص فوضعوها بجوار هذه الأضرحة صناديق لجمع الفذور .

وترى وزارة الداخلية أن سبيل القضاء على هذه المساوئ التي نسيء إلى الدين هو تأليف لجنة تضم ممثلين عن بعض أجهزة الدولة المختصة بالإرشاد وشئون الدين تكون مهمتها تصفية الأضرحة التي تحوم حولها الشكوك وتحويلها إلى أماكن للعبادة السليمة . ورسم خطة لأجهزة الإعلام لإرشاد المواطنين بأن سكان الأضرحة لا يملكون للأحياء ضرراً أو نفعاً .

« مساء يوم ٢٩/١٠/١٩٦٣ »

.. الآن فقط بدأت حقيقة هذه الأضرحة الكاذبة والخرافات والبدع تتكشف

للمسؤولين .. فالحمد لله الذي استجاب لدعوة دعاة الحق ..

فمنذ أكثر من ثلث قرن من الزمن وجماعة أنصار السنة الحمديدية لا تكف عن إرسال الصيحات المدوية من منابر مساجدها ، وكراشي الدروس ، وفي صفحات مجلتها ، ومؤلفات دعائها . لا تكف عن إرسال الصيحات المخلصة مطالبة بهدم مئات الأضرحة الوهمية المنتشرة في كل ناحية من أنحاء بلادنا .. بل وفي العالم الإسلامي ، لاعتقادها أن سكان هذه الأضرحة - على فرض وجود رفاتهم بالأضرحة - لا يملكون لغيرهم - فضلاً عن

= وحسبنا أن هذه الحادثة قد كشفت عن الاضرحة الوهمية . ودمغت مرتادها بعبادة

الاصنام ، وتقديس الأوهام . راجع صفح يوم ١٨/٢/١٩٦٢ .

أنفسهم - ضراً أو نفعاً . وأن الاستغناء بهم والفرع إلى رحابهم لدفع ضرر أو جلب نفع هو في الحقيقة عقيدة شركية : ونزعة وثنية تخالف عقيدة التوحيد .

كذلك حارب أنصار السنة تلك الخرافات والبدع وأعمال الشعوذة التي تراها اليوم في ساحات الموالد والأعياد الشركية التي تقام لأصحاب الأضرحة طوال العام .

واقدر تركز اهتمام هذه الجبهة في دعوتها الحققة في هدم الأضرحة ونبذ الخرافات والبدع لاعتقادها أنها مصدر الوثنية التي كانت سبباً في إهلاك الأمم السابقة حين عبدت الأصنام . . . وأنها مفتاح كل شر أفسد حياة المجتمع الإسلامي ، ودمر أخلاقه وهدم معنوياته ومقوماته وفي سبيل ذلك لقي أنصار السنة وما زالوا يلقون كثيراً من الأذى والإساءة والضيق .

والقى نرجوه - مخلصين - أن يكون اهتمام المسؤولين بهذه المشكلة الحيوية اهتماماً ينتقل إلى الطيبة والعمل . . . اهتماماً نابعاً من إيمانهم بضرورة تخليص الشريعة الإسلامية من هذه المساوئ العقائدية . وألا يكون اهتماماً لا يتجاوز حدود التقارير والورق وأدراج المكاتب .

— مصدر مصادره محمد

جميع منتجات الألبان الطازجة وأنحر أنواع البقالة

تجدها عند شركة

شاكر القمبشواوى وعبد المجيد الشريف

٤٥١ شارع بور سعيد (بين الصورين سابقاً) بالقاهرة

سجل تجارى رقم ٧٥٦٩٣

تليفون ٩٠٧٤٠٤

٢٦ - نظرات في التصوف

« انتهيت من الحديث عن الحب عند الصوفية ، وهنا أبدأ الحديث عن التوحيد عندهم » .

« التوحيد »

سئل الجنيد^(١) عن التوحيد ، فقال : « معنى تَضَمَّنَ فِيهِ الرسوم ، وَتَنَدَّرَجَ فِيهِ العلوم ، ويكون الله تعالى كما لم يزل » وسئل أيضاً عن توحيد الخواص فقال : « أن يكون العبد شَبَحًا بين يدي الله سبحانه تجري عليه تصاريف تدبيره في مجاري أحكام قدرته في لجج بحار توحيده بالفناء عن نفسه ، وعن دعوة الخلق له ، وعن استجابته بحقائق وجوده ووحدانيته في حقيقة قربيه بذهاب حسه وحركته ؛ لقيام الحق سبحانه له فيما أراد منه ، وهو أن يرجع آخر العبد إلى أوله ، فيسكون كما كان قبل أن يكون » .

خلاصة هذا : إلغاء الوجود الإنساني والإرادة الإنسانية ، والفكر الإنساني ليزعم الدجال الصوفي أن الله هو الذي يفعل له ، ويتصرف له ويتكلم على لسانه ، ويشعر ويحس بدلاً عنه ! فلم إذن كان خلق السموات والأرض ، ولم إذن جعل الله آدم في الأرض خليفة ، وسخر له ما في السموات والأرض ؟ ولم أرسل الله الرسل ، ومنح عباده العقل ؟ وخلاصته إن دين الصوفية يؤكد أنه لا وجود إلا وجود الله ، ولا فعل إلا فعل الله ، فلا شر ولا ضلال ولا باطل ولا عوج في السلوك ، فكل الأفعال منسوبة إلى الله حقيقة لا مجازاً . ولقد قيل للجنيد : « أيزنى العارف يا أبا القاسم ؟ » فقال : « وكان أمر الله قدراً مقدوراً^(٢) » . والعارف هو صفوة الصفوة من الصّديقين والقديسين عند الصوفيين !! .

(١) نختار الجنيد لأنه سيد الصوفية القدامى كما يعبر الصوفيون ، ولأن بعض من يحسن الظن بالتصوف القديم يظن الخير في الجنيد ، فليقرأ إذن هؤلاء ما يقوله الجنيد ، ليعلموا أن التصوف هو التصوف !! .

(٢) ص ١٣٥ ، ١٦٠ الرسالة للقشيري وتدبر — بعد زعم سيد الصوفية الجنيد — قول الله سبحانه : (قل : أمر ربي بالقسط) وقوله جل شأنه : (قل : إن الله لا يأمر =

وأى نفع للأمة من رجل فان عن نفسه ، وعن تعاونه معهم ، عن رجل يزعم
أنّ خُش الخطايا الذى يتلوّث به لا تجرى عليه معايير القيم ولا موازين الأحكام ؛ لأن الله
هو الذى يتصرف له ، فهو تحت جبرية ساحقة ماحقة لا تأذن له أن يهمس بهمة ١١ .

وقال الجنيد أيضاً : « التوحيد الذى انفرد به الصوفية هو أفراد القديم عن المحدث
والخروج عن الأوطان وقطع المَحَابِّ ، وترك ما علم وجهل ، وأن يكون الحق سبحانه
مكان الجميع » .

وإفراد القديم من المحدث لا يدل على حقيقة التوحيد الذى أرسل الله به رسوله ؛ فعبدة
الأصنام والمجوس والصابئة والفلاسفة ينسبون إلى الله القدم وينزهونه عن المحدث فلم ينفرد به
الصوفية كما زعم الجنيد ثم هو لا يهب للصوفية مكانا بين المسلمين ؛ فإنه بعض الحق لا كله .
قد يعتذر عشاق الجنيد عنه بأنه يريد إفراد القديم عن المحدث بمعنى إثبات مباينة الرب
سبحانه لخلقه ، وعلوه فوق عرشه ، وإثبات صفاته التى أثبتها لنفسه ، ويريد أيضاً إفراده
سبحانه بالعبادة . وهذا الحق لا يريد الجنيد ، ولا توحى به عبارته ، ولو كان يريد شيئاً منه
لذكره ، فإن ليس بالْعَبِيدِيّ فى البيان ، ولا بالْعَبِيدِيّ فى التعبير عن أفكاره ١١ وحسبك قوله :
« ترك ما علم وجهل » بهذا الإطلاق وهذا التعميم ١١ فما علمته أن الله ليس كمثل شىء ،
وأنه هو السميع البصير ، فهل يجوز ترك مثل هذا العلم ؟ ثم ما هذا التعميم فى قوله : « وأن
يكون الحق - أى الله - مكان الجميع » إن من سمات هؤلاء مكر النفاق ، ولهذا يدعون
كلماتهم مطلقة الاحتمال ، فإذا أخذوا بها ، قالوا : نريد منها كذا وكذا ، ولو كانوا
يريدون حقاً هذا الحق لصرحوا به فى غير موارد ولا مداجاة . ولا سيما ، وهم متمكنون
من ناصية البيان . إن حقيقة ما يدين به الجنيد : هو أن ينظر الصوفى إلى الوجود كوحدة ،
ليس فيه إلا الوجود القديم ١١ .

= بالفحشاء أتقولون على الله ما لاتعلمون (أما سيد الطائفة ، فيزعم أن العارف لا يزن
إلا عن أمر من الله له ١.١ .

ثم إننا لا نجد في الكتاب ولا في السنة وصف الله بالقديم^(١) ، ولا إطلاق اسم القديم عليه ، وكلمة « القديم » كما وردت في القرآن لا يجوز إطلاقها على الله .

اقرأ هذه الآيات : (١٢ : ٩٥ قالوا : تالله إنك لفي ضلالك القديم) ، (٣٦ : ٣٩ والقمر قد رزناه منازل ، حتى عاد كالعرجون القديم) ، (٤٦ : ١١ وإذ لم يهتدوا به ؛ فيقولون هذا إلفك قديم) ، (٤٦ : ١١ ، ١٢ قال : أفراأيتم ما كنتم تعبدون ، أنتم وأباؤكم الأقدمون ، فإنهم عدّوا لي إلا رب العالمين) . فقد قيل عن الضلال إنه قديم ، وكذلك عن الإلفك وأعداؤك النخل والآباء السابقين ، فهل يجوز إطلاق « القديم » على الله سبحانه وهذا معناه ، وهذه هي مواردها في القرآن ؟ .

أما ما ورد في القرآن مما لا يشوبه ما في كلمة « القديم » من نقص فقوله سبحانه : (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) ، ولهذا كان من مناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم « أنت الأول ، فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر ، فليس بعدك شيء » . وهكذا لم يرد علماء « الكشف » غير ما رددته الضلالة القديمة .

ولقد سئل الشبلي :

أخبرنا عن توحيد مجرد بلسان حق مفرد ، فقال : « ويحك ! مَنْ أجاب عن التوحيد بالمباركة فهو ملحد ، ومن أشار إليه فهو ثنوي ، ومن أومأ إليه فهو عابد وثني ، ومن نطق فيه فهو غافل ، ومن سكت عنه فهو جاهل ، ومن وهم أنه واصل فليس له حاصل ، ومن رأى أنه قريب فهو بعيد ، ومن تواجد فهو فاقد ، وكل ما ميزتموه بأوهامكم ، وأدر كتموه بعقولكم في أتم معانيكم ، فهو مصروف مردود إليكم ، يحدث مثللكم » ، وقيل : « التوحيد إسقاط الياءات . لا تقول : لي ، وبني ، وبنّي ، وإلي » ، وقال رويم :

(١) قال ابن فارس في معجمه ، يقال شيء قديم إذا كان زمانه سالفا . وقال الراغب في مفرداته « ولم يرد شيء من القرآن والآثار الصحيحة « القديم » في وصف الله تعالى ، والمتكلمون يستعملونه ويصفونه به وأكثر ما يستعمل القديم يستعمل باعيار الزمان » .

« التوحيد محور آثار البشرية ، وتجرّد الألوهية » ، وقال الشبلى : « ما شئ روائح التوحيد من تصوّر عنده التوحيد » ، وقالوا : « من الناس من يكون في توحيده مكاشفاً بالأفعال يرى الحادثات بالله تعالى ، ومنهم من هو مكاشفٌ بالحقيقة ، فيضمحل إحساسه بما سواه ، فهو يشاهد الجمع سرّاً بسر وظاهره بوصف التفرقة ^(١) » .

وفي كلام الشبلى استحالة التوحيد ، وعدوان أحق الجراءة على القرآن ، فقد جاءت آياته كلها مفصحة في جلاء وإعجاز عن حقيقة التوحيد . توحيد الله في ربوبيته وتوحيده في ألوهيته ، على حين يقول الشبلى : « من أجاب عن التوحيد بالعبارة فهو مُلحد ، ومن أشار إليه فهو ثنوى » ، وهو في تعبيره هذا يفصح عن حقيقة معتقده ؛ فالإشارة تستلزم وجود مُشير ، ووجود مُشار إليه ، وتستلزم المباينة بينهما . ولهذا قال الشبلى : من أشار إليه فهو ثنوى ! ! أى يدين بالهين ! ! .

هذا لأن الشبلى يدين بأن وجود الخلق عين وجود الخالق ؛ فلا مشير ، ولا مشار إليه ، بل المشار إليه عين المشير ! ! .

أما إسقاط الياقات ، فجَبَرِيَّةٌ صماء ، أو هي تعبير ما كر عن وحدة الوجود أيضاً ، أما بقية التعريفات فتدور حول ما بيننا .

تثليث : قيل لأبي بكر العزمستاني : « ما التوحيد ؟ فقال : توحيد وموحد وموحد هذه ثلاثة ^(٢) » نفس الصورة أو الأقسام « الآب والابن والروح القدس » .

وليس فيما نقلناه من تعريفات نور من الحق ، ولا عبق من طيب التوحيد .

قناع : يدين التصوف بأن للدين ظاهراً وباطناً ^(٣) ، لهذا نجد للصوفية أقوالاً يرضون

(١) اقرأ هذه التعريفات في باب التوحيد من رساله القشيري . (٢) ص ١٣٦ الرسالة .
(٣) ينسب الغزالي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الزور : « ما من آية من آيات القرآن إلا ولها ظهر وبطن ، ولبطنه بطن إلى سبعة أبطن » ، وهذا الزور أيضاً : « للقرآن ظاهر وباطن وحد ومطلع » ص ٢٨ ، ٣٣١ الجواهر الغوالي ط الكردي . وكلا القولين مفترى على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

بها أهل الظاهر في عرفهم « أهل الظاهر هم أهل الحق الوثيق الجليل ؛ لأنهم يدينون بما أرسل الله به خاتم النبيين ، يؤمنون به إيماناً مستقيماً لا اعوجاج فيه » .

ومن أقوال الصوفية التي ينطقون بها في التوحيد تجنبنا لسفك ذمائمهم بما روه عن الجنيد ، وقد سئل عن التوحيد : « إقران الموحّد بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته أنه الواحد الذي لم يلد ، ولم يُولَدْ بنفى الأضداد والأنداد والأشباه بلا تشبيه ولا تكييف ولا تصوير ولا تمثيل ، ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير » . وفي هذا التعريف - رغم وجود ألفاظ يكثر بمعناها - تعبير عن توحيد الربوبية . غير أن الجنيد القائل لهذا هو عين الجنيد الذي نقلنا لك تعريفه من قبل للتوحيد ، عين الجنيد الذي يقول : « إذا تنهات عقول العقلاء إلى التوحيد تنهات إلى الحيرة » . إذن لا توحيد ولا يقين ١١ .

وسئل البوشنجي عن التوحيد ، فقال : « غير مشبه الذات ، ولا منفي الصفات » . وفي تعريفه سكر صوفي يرأى الحق والإيمان والباطل والكفر . ويمثل هذه التعريفات التي تلمع بلمعة من نور الحق يتخذ الصوفية لأنفسهم جنة يذرون بها من صولة الحق وأنصاره في بيئة تقديس الحق .

أمّا هم - كما رأيت ، وكما سترى - لا يدينون بحقيقة التوحيد الذي أرسل الله به رسوله ولهم وجه إلى العوام ، ووجه إلى الخواص . والعوام هم من يأخذون دينهم عن الكتاب والسنة . أما الخواص : فهم من يأخذون دينهم عن كشف ١١ .

وسنضرب مثلاً : الهروي ، والفزالي ؛ فقد كان لكتابيهما وجهان : وجه يلقي به المؤمنين ، وآخر يلقي به الصوفيين ، وهو الوجه الذي يحبه ، ويجب أن تعرفه به .

عبد الرحمن العركيل

بَابُ الْفِتَاوَى

أُسْئَلَةُ مِنَ الْأَخِ عَمْرِو الْحَاجِّ قَسَمَ اللَّهُ بِالنُّهْدِ - سُودَان :

س ١ - مَا حَكَمَ مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا ؟ وَهَلْ هُوَ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ أَبَدًا كَمَا هُوَ نَصُ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ ؟ .

الجواب - قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا) ، فَهَذَا وَعِيدٌ شَدِيدٌ لِمَنْ يَقْدُمُ عَلَى هَذِهِ الْجَرِيْمَةِ الْفَكَرَاءِ حَيْثُ جُمِلَ جَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ مَعَ الْخُلُودِ وَالْبَقَاءِ وَسُجِّلَ عَلَيْهِ غَضَبُ اللَّهِ وَلَعْنَتُهُ وَهِيَءٌ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ أَشَدَّهُ وَأَلَمَهُ ، وَلَمْ يَرِدْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ هَذَا التَّغَايِظُ فِي الْعُقُوبَةِ بِالنِّسْبَةِ لِلذَّنْبِ آخِرَ غَيْرِ الْقَتْلِ ، وَقَدْ جَاءَ فِي السَّنَةِ الْمَطْهُرَةِ مَا يُؤَيِّدُ هَذَا مِثْلَ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « لَزُوالِ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ » ، وَقَوْلِهِ : « لَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ فِي فَسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يَصُبْ دَمًا حَرَامًا » .

وَلِهَذَا ذَهَبَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِلَى حَمْلِ الْآيَةِ عَلَى ظَاهِرِهَا ، وَقَالَ : إِنْ الْقَاتِلُ لَا تَوْبَةَ لَهُ ، وَكَانَ يَرَى أَنَّ الْآيَةَ مُحْكَمَةٌ لَمْ يَنْسَخْهَا شَيْءٌ لِأَنَّهَا مِنْ سُورَةِ النَّسَاءِ وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ ، وَمِنْ آخِرِ مَا نَزَلَ .

وَأَجَابَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى مِنْ سُورَةِ الْفُرْقَانِ : (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا . يَضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا . إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) . بَأَنَّ هَذَا فِي حَقِّ مَنْ فَعَلَ هَذِهِ الْأُمُورَ فِي حَالِ شُرْكَهِ ثُمَّ أَسْلَمَ ، فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَجِبُ مَا قَبْلَهُ .

وَأَمَّا آيَةُ النَّسَاءِ فَنُفِيَ عَنْهَا مِنْ كَانَ مُسْلِمًا فَقَتَلَ نَفْسًا مُؤْمِنَةً بِغَيْرِ حَقٍّ ، فَهَذَا لَا تَقْبَلُ تَوْبَتَهُ .

ولكن الصحيح في مذهب جمهور العلماء أن القتل كفره من الذنوب التي تجوز التوبة منها ، وأنه إذا مات ولم يتب فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه ، لقوله تعالى : (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) ، وما دون الشرك عام يتناول القتل وغيره إلا أنه يبقى حق القاتل فلا يسقط إلا بعفوه كما هو الشأن في حقوق العباد كلها .

وقد أجاب الجمهور عن الخلود في الآية الكريمة بأن المراد به المكث الطويل أو أن هذا جزاؤه لوجوزي ، ويجوز أن يعفو الله عنه ، أو أن هذا الوعيد بالنسبة إلى من قتل المؤمن مستحلاً لقتله والله أعلم .

س ٢ - ما حكم من طلق امرأته ، ثم قيل له إنها مرجوعة ، ثم طلق الثانية ، ثم قيل له مرجوعة ، ثم طلق الثالثة ، هل تحرم عليه بعد ذلك ؟ .

ج ٢ - إذا كان قد طلق امرأته طلاقاً سُنَّياً ، بأن طلقها في طهر لم يجامعها فيه ، ثم تركها حتى حاضت ، ثم طهرت ، ثم طلق الثانية ولم يراجع ، ثم تركها كذلك حتى حاضت ، ثم طهرت فطلقها الثالثة ؛ فهذه تحرم عليه ولا تحمل له حتى تنكح زوجاً غيره بنكاح صحيح ويطلقها وتنقض عدها منه ، ثم ترجع إلى زوجها الأول بعقد ومهر جديدين . وأما الطلاق البدعي ، وهو أن يطلق في الحيض أو في طهر قد جامعها فيه ، فهذا لا يلتفت إليه .

س ٣ - ما حكم من يفرشون للمآتم لتقبل العزاء ؟ وما حكم البكاء على الميت ؟ .

ج ٣ - لم يكن من عادة السلف رضي الله عنهم أن يعدوا أمكنة خاصة لتقبل العزاء فيها ، ولا كانوا يجلسون للعزاء ليالي وأياماً ، وإنما كانوا يؤدون هذا الواجب حسبما تيسر فأحياناً على القبر وأحياناً في المسجد . وأما ما يفعله الناس من ذلك فهو عادة عمقوتة لاسيما وقد اتخذت مجالاً للباهة والإسراف .

وأما البكاء على الميت فإن كان بدمع العين من غير رفع صوت ولا نياحة فلا بأس به بل هو محمود ؛ فقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم بكى وفاضت عينه يوم مات ولد ابنته ، ولما سئل قال : « إنها رحمة جعلها الله في قلوب عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء » ، وبكى كذلك يوم مات ولده إبراهيم ، وقال : « إن الدين تدمع وإن القاب يحزن ولا نقول إلا ما يرضى ربنا » ، وقال : « إن الله لا يعذب بدمع الدين ولا يحزن القلب ، ولكن يعذب بهذا أو يرحم » وأشار إلى لسانه .

س ٤ - ما حكم من أتى من الحج وجلس ثلاثة أيام في داره ويعمل السكرات (الذبائح) لهذا السبب جرياً على العادة .

ج ٤ - ليس للحاج إذا عاد إلى بلده أن يحبس نفسه في داره ، بل عليه أن يسعى إلى الجمعة والجماعة في المسجد ، وأن يعود مرضى المسلمين ويشيع جنازتهم ويمشي في حوائجهم إلى غير ذلك ؛ فهذه جاهلية لا يعرفها الإسلام ، كما أن الذبائح التي تذبح لهذه المناسبة إن كانت تذبح على اسم الله ويقصد بها التقرب إليه وليطعم منها الفقراء والمحرّمون فلا بأس فإنها من القرب النافعة ، وأما إن كانت تذبح لغير ذلك من الأغراض الفاسدة فهي فسق أهل لغير الله به ولا يجوز أكلها .

س ٥ - ما حكم آلاف القناطر من الفول التي توجد عندنا بالسودان هل يزكى عنها بالعشر أم لا ؟ .

ج ٥ - حكم الفول كحكم غيره من الحبوب التي تقطت وتذخر كالحنطة والشعير فالواجب إخراج زكاته إذا بلغ النصاب وهو خمسة أوسق ، إما العشر إذا كان يسقى بالسيح ، وإما نصف العشر إذا كان يسقى بالعمالة .

ومن الأخ عوض إبراهيم عثمان بمدينة الخرطوم ما يلي :

يروم كثير من جملة الصوفية في ألفاظ التشهد ، ويقولون : حينما عرج برسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لاحق عز وجل : التحيات لله . إلى آخر ألفاظ التشهد .

فترجواكم أن تفتونا بالبيان الشافي مما علمكم الله عن ألفاظ التشهد جملة جملة ، وتفسيرها من الكتاب والسنة ، حتى ينقطع ما بين الناس في ذلك من خلاف . إن الله يجزي الحسنين .

الجواب - أما ما يزعمه جهلة الصوفية وغيرهم في ألفاظ التشهد من أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما عرج به في ليلة الإسراء وقرب من ربه حتى كان قاب قوسين أو أدنى قال : « التحيات لله والصلوات والطيبات » ، فرد عليه ربه التحية وقال : « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته » . . . إلخ .

فهذا كلام لا أصل له ، ولكن الذي ورد في الأحاديث الصحيحة بالنسبة للتشهد قول ابن مسعود رضى الله عنه : « كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن ، يقول : « قولوا - التحيات لله ، والصلوات والطيبات ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله » .

وكذلك روى حديث التشهد عن ابن عباس رضى الله عنهما بلفظ آخر وهو : « التحيات المباركات الطيبات الصلوات لله » وروى أنهم قبل ذلك كانوا إذا تشهدوا يقولون : السلام على ربنا ، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله هو السلام ، فإذا تشهد أحدكم فليقل التحيات لله - وذكر الحديث » .

وأما تفسير ألفاظ التشهد : فالتحيات جمع تحية ، والمراد بها الثناء على الله عز وجل بالقول . وأما الصلوات فالمراد بها العبادات البدنية . وأما الطيبات فهي العبادات المسالية ، فكان المصلي يجعل عبادته كلها خالصة لله ، سواء كانت قولاً باللسان ، أو فعلاً بالجوارح والأبدان ، أو مالا من طيب حلال ، والله تعالى أعلم .

أسئلة من الأخ أبو بكر محمد أحمد طه بالقضارف - سودان :

س ١ - ماذا يقول المأموم بعد الرفع من الركوع ؟ وكيف كان الصحابة يعملون ويقولون خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ .

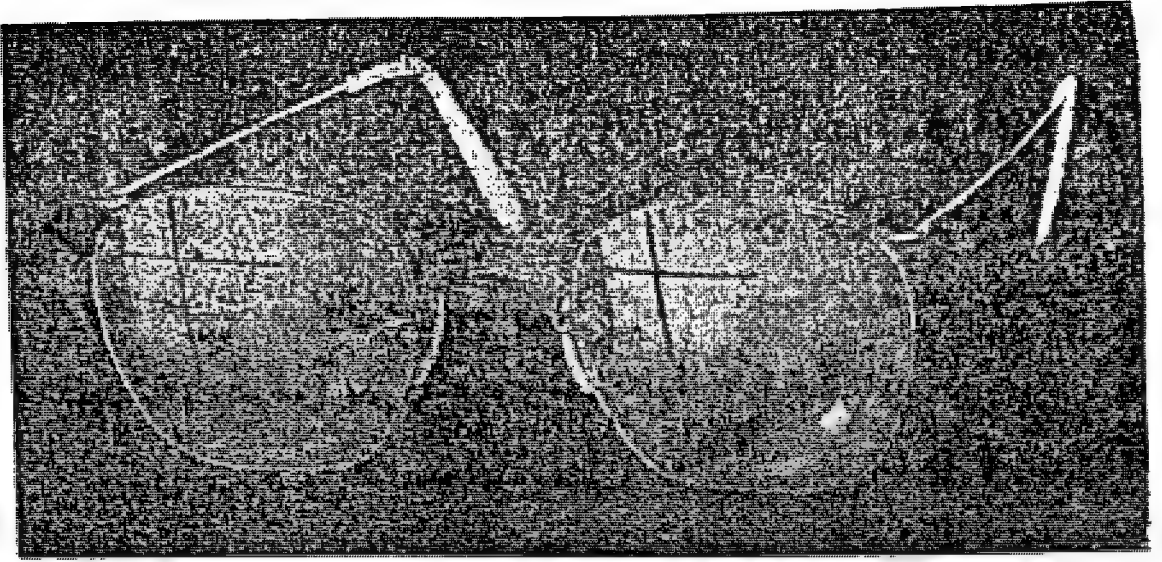
ج ١ - يسن للناوم إذا رفع الإمام رأسه من الركوع ، وقال : سمع الله لمن حمده ، أن يقول : ربنا ولك الحمد ، أو يقول : اللهم ربنا لك الحمد ، وإن زاد عليها قوله : حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، فحسن .

فقد ورد في الصحيح أن رجلاً من الصحابة قالها خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من الصلاة قال : « أيكم قال هذه الكلمات ؟ » فقال الرجل : أنا يا رسول الله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يبتدرونها أيهم يكتبها أول » ؛ وقد قيل : إن الحِكْمَةَ في هذا العدد من الملائكة أن عدد حروف هذه الكلمات بضعة وثلاثون حرفاً ، وإن شاء زاد على ذلك قوله : « ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد ، لا مانع لما أعطيت ، ولا معطى لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد » .

س ٢ - ما حكم الاضطجاع بعد صلاة رغبة الفجر ؟ وماذا كان يفعل الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه في ذلك ؟ .

ج ٢ - ورد في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أذن للفجر ركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه بلال فيؤذنه بصلاة الفجر . ومن هنا اختلف الصحابة رضي الله عنهم في هذه الضجعة ، فكان بعضهم يفعلها ويراها سنة ، وكان بعضهم ينكرها ويراها بدعة . وقد كان ابن عمر رضي الله عنهما مع ما هو معروف عنه من شدة التحري والاتباع للسنّة ينكر ذلك ، وكان إذا رأى أحداً اضطجع في المسجد بعد صلاة السنة ركعه بقدمه .

والصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يفعل ذلك تعبداً ولا سنة لأئمة ، وإنما كان يقصد به الراحة والاستجمام من تعب قيام الليل ، كما روى ذلك عن عائشة نفسها . وقد غلا ابن حزم الظاهري فجعل تلك الضجعة فريضة وهو قول لا دليل عليه .



أحدث النظارات الرائعة تجدها عند الأخصائي

أحمد محمد خليل

المصري الوحيد خريج جامعة باريس شارع الجوهري
رقم ١ ميدان العتبة والمر التجارى القديم شارع ٢٦ يوليو
س . ت ٢٣٤٥ - تليفون ٩٠٨٢٦٢

شركة غريب للساعات والمجوهرات

إدارة : محمد الغريب محمد الباز

بشارع محمد بك فريد رقم ١١٧ مصر عابدين

أحدث الساعات فى المتانة ودقة الصناعة

والمجوهرات والنظارات — أسعار مذهشة

تساهل فى الدفع على أقساط شهرية

المحل ورشة فنية للتصليح

﴿ أنصار السنة المحمدية لهم امتيازات خاصة ﴾

العدد ٨
الجلد ٢٨

شعبان
سنة ١٣٨٣

خير الهى قدنى محمد صلى الله عليه وسلم

الهذى النبوى

صدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير

عبد الرحمن الوكيل

مدير الإدارة

سليمارة مـونـ

٣٠ ملها

مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير
ت ٩٠٦٠١٧

الفهرس

صفحة	
٣	التفسير للأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل
١٥	عقيدة القرآن والسنة » محمد خليل هراس
١٨	الأسوة الحسنة » أحمد أحمد علي حسن
٢١	نظرات في التصوف » عبد الرحمن الوكيل
٣٠	غزوات الرسول (صلى الله عليه وسلم) » سعد صادق محمد
٣٧	الفتاوى » محمد خليل هراس
٤٤	النور المحمدى (قصيدة) » عمرو محمد حسن التندى
٤٧	تعليقات على الصحف » سعد صادق محمد

رجاء إلى السادة المشتركين والمتمهدين

نرجو من السادة المشتركين المتأخرين في سداد اشتراكاتهم أن يتفضلوا بالمبادرة إلى سدادها .

كما نرجو من المتمهدين بالفروع أن يتكرموا بإرسال مالههم من أثمان المجلة .
والمرجو إرسال جميع الحوالات وقيم الاشتراكات والذممات المتأخرة
باسم السيد / محمد رشدي خليل أمين صندوق الجماعة .

٨ شارع قوله بعابدين — القاهرة

خير الى عندئذ في صلي الله عليه وسلم

مدير الإدارة

سليمانه مومنه

الاشتراك السنوي

٣٠ - في الجمهورية العربية

المتحدة والسودان

٤٠ - في الخارج

المذبح النبوي

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة انصار السنة المحمدية

رئيس التحرير

عبد الرحمن الهوكيل

أصحاب الامتياز : ورثة

الشيخ محمد حامد الفقي

المركز العام : ٨ شارع قوله - عابدين القلعة - تلفون ٧٦٥٧٦

المجلد ٢٨

شعبان سنة ١٣٨٣

العدد ٨

نُورٌ مِنَ الْقُرْآنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال - جَلَّ ذِكْرُهُ - : (وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ^(١)) لَوْ بُوْءِخِذُهُمْ بِمَا كَتَبُوا لَمَعْجَلْ لَهُمُ الْعَذَابُ ، بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا * وَتِلْكَ الْأَفْرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ، وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا - الكهف : ٥٨ : ٥٩) .

(١) من دين نفاق الصفات نبي رحمة الله سبحانه ، لأن الرحمة تقتضي وجود رقة في القلب وقد رد الإمام ابن القيم عليهم رداً محكما في كتابه : « الصواعق المرسله » ، وإليك طرفاً من هذا الرد : « قولهم : الرحمة رقة القلب . تريدون : رحمة المخلوق أم رحمة الخالق ، أم كل ما سمي رحمة مشاهداً أو غائباً ؟ فإن قلتم بالاول صدقتم ، ولم ينفعكم ذلك شيئاً ، وإن قلتم بالثاني والثالث كنتم قائلين غير الحق ، فإن الرحمة صفة الرحيم ، وهي في كل موصوف بحسبه فإن كان الموصوف حيواناً له قلب ، فرحمته من جنسه رقة قائمة بقلبه ، وإن كان ملائكة فرحمته تناسب ذاته ، فإذا انصف أرحم الراحمين بالرحمة حقيقة لم يلزم أن تكون رحمته من جنس رحمة المخلوق لمخلوق ، وهذا يطرد في سائر الصفات كالعلم والقدرة والسمع والبصر والحياة والإرادة إلزاماً ووجوباً » ص ١١٤ ج ٢ ط ١٣٤٨ .

« معاني للفردات »

« موثلاً » الملقباً . والكلمة من الأول ، أى الرجوع إلى الأصل ، ولهذا سمي الموضع الذى يُرجع إليه موثلاً . وقد تكون من وَاُلَ إذا نجا . وَاوَالَ إليه إذا لجأ إليه .

« القرى » قال الراغب : القرية اسم للموضع الذى يجتمع فيه الناس ولناس جميعاً ، ويستعمل فى كل واحد منهما . . . يعنى أن اسم القرية يطلق على الموضع ، ويطلق أيضاً على الناس الذين يجتمعون فى هذا الموضع إطلاقاً حقيقياً .

وجاء فى « لسان العرب » : الْقَرْيَةُ وَالْقَرْيَةُ لَفَتَانِ : الْمَصْرُ الْجَامِعُ . . . والقرية من المساكن والأبنية والضياع ، وقد تُطلق على المدن .

« مَهْلِكُهُمْ ^(١) » فى هذا المصدر ثلاث لفات : فهو يفتح اللام وكسرها وضمها « مهلك ، مهلك ، مهلك » ، ويجوز أن يكون اسم زمان بمعنى : وقت الهلاك .

« المعنى »

« كتب ربُّكم على نفسه الرحمة » هذا وعد الله وكلامه ، ووعد الله حق ، وكلامه صدق . وما كتب سبحانه هذا على نفسه مخافةً من أحد ، أو تحت قهر أدبى أو مادى ؛ فهو القاهر فوق عباده ، وإنما كتب هذا على نفسه ؛ لأنه ربنا الرحمن الرحيم الذى أخبرنا أنه استوى على أوسع مخلوقاته ، وهو العرش ، بأوسع صفاته ، وهى الرحمة ، فقال : « الرحمن على العرش استوى » .

ولهذا جعل الرزق - وهو أعظم رحمة - مما كتبه على نفسه ، فقال سبحانه : (وما من دابةٍ فى الأرضِ إلا على الله رِزْقُهَا - هود : ٦) .

(١) هناك قراءة بضم الميم وإسكان الهاء وفتح اللام باعتبار الكلمة مصدراً ، من أهلكوا ويقول الطبرى : وأولى القراءتين بالصواب عندى فى ذلك قراءة من قرأ « لِمَهْلِكِهِمْ » بضم الميم وفتح اللام لإجماع الحجة من القراء عليه واستدلالاً بقوله « وتلك القرى أهلكناهم » تلك القرى صفة ، لأن أسماء الإشارة توصف بأسماء الأجناس .

والله في كبريائه وجلاله غنى عن العالمين ، فهو ليس في حاجة أبداً إلى أن يتزلف
بمثل هذا الخبر الأعظم في مضمونه ومفهومه وصدقه إلى عبيده كما يتزلف بعض الملوك الطغاة
إلى شعوبهم . إنما أخبر ؛ لأنه الرحمن المنان رب الفضل العظيم ؛ لهذا جرى بكلمة
« كتب » التي تفيد الإثبات والتقدير والإيجاب والفرض والعزم^(١) .

ومن جمال رحمة الله أن يخبرنا بما أثبت وأوجب وفرض . ومن جلال حبه لعباده
أن يقول لهم : « كتب ربكم » . ولكي يتبين لك شيء من جلال هذه المنة ، فإنني أرجو
أن تتصور حاكماً عظيماً - والله المثل الأعلى - ذا ملك عريض طويل ممتد الطول والعرض
يقول هذه الكلمة لشعبه .

ثم تدبرها وأنت على بينة من أن القائل ليس حاكماً شعب ، وإنما هو الخالق الرب .
ولن يقولها ؟ خلقه وعبيده !!

والله - سبحانه - يعامل عبيده برحمته وإحسانه قبل أن يعاملهم بعدله وعزة
سلطانه ؛ ولهذا نجد خلقاً على ظهر هذه الأرض ، فلو أن الله كان يؤخذ كل امرئ بما كسب
لاستأصل البشرية كلها ، ولأهلك ما على الأرض من دابة حتى تصير خراباً يباباً ،
فما من بشر إلا ويخطيء ، إلا ويقترب سيئة بعد سيئة . فلو حاسب الله الناس بعدله لأخذهم
أخذ عزيز مقتدر ، ولكنه بسط رحمته ، وبسط إحسانه ، فاعيش خافض ، والحياة
رخيّة رضية ، والرزق ميسور موفور ، والنعيم جلائل ، رغم الكفر الأصم ، والجحود
الكنود !!

ولهذا قال سبحانه عقب أن ذكرنا بموقف الكفار من المرسلين : (وربك الغفور
ذو الرحمة) لقد بين الله شيئاً من عمل أولئك الكفار وشيئاً مما عاملوا به رسل الله . وربما
يظن من لا يأخذ الإيمان بقلبه ، أو من يرتاب في أن الله قاهر جبار أن الله لا يستطيع

(١) هو الموجب ، وهو المثبت ، وهو الذي فرض ، فلا ينال استعمالها من جلاله شيئاً
بل تزيدنا إيماناً بجمال ربنا وسمو رحمته .

أن ينصر رسله ، إذ يرى هؤلاء المرتابون الذين في قلوبهم مرض أن الذين يماندون رسل الله ، ويكفرون بآيات الله لا يزالون يتقلبون في البلاد بجاه ونعمة وسلطان ، وأن الله لم ينزل بهم وعيده . فإما أن يقولوا إنه لا وعيد أولاً رب ، وإما أن يقولوا إن هؤلاء الكفار ليسوا بكفار ، وإنما هم خالص المؤمنين^(١) .

وما ظنوا بالله ظن الخير ، الظن الذي يليق بربوبيته وألوهيته ، وهو أنه غفور ، وأنه رحيم .

ولهؤلاء المرتابين ، ولهؤلاء الذين في قلوبهم مرض ، وللمؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم يبين الله سبب تركه هؤلاء الكفار دون عقوبة عاجلة في قوله : « وربك الغفور ذو الرحمة » .

وتدبر إضافة كلمة « رب » إلى ضمير المخاطب لتلحظ التكريم العظيم لمحمد صلى الله عليه وسلم . كان يمكن أن يقال : « والله الغفور ذو الرحمة » ولكن جاءت هكذا ليبين الله لمن كفروا بمحمد فضل محمد ، وليبين لهم أن رب محمد غفور وأنه رحيم ، وأن الإيمان الحق هو الإيمان الذي يتعلق برب محمد ، أى بالرب الذي جاء محمد يدعو إليه . لا الرب الذي تدعو إليه اليهودية أو الصليبية أو المجوسية . فهذه أرباب مصفوعة بالأوهام والظنون والأهواء .

ثم اختيار كلمة « رب » وحدها هنا دليل على أن الرحمة والمغفرة من صفات الربوبية ، أو أن من صفات الربوبية الرحمة والمغفرة . وأنه لا يكون الرب إلا غفوراً رحماً . فالتربية

(١) بهذه الفتنة فتن بعض الذين كانوا ينتسبون إلى الاسلام ممن كانوا يطلقون على أنفسهم أنهم علماء . فقد فتنهم حضارة الغرب المادية الهائلة . وقوة روسيا الجبارة ، فجنحوا إلى الشيوعية الملحدة ، وحنوا على الصليبية الغادرة ، واتجهوا أول ما اتجهوا إلى الاسلام يطالبون بعزله عن شئون الحياة .. فعنى زعم الصليبية التي تقول : « أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » ونفس زعم الشيوعية التي تبته الدين بأنه أفيون الشعوب ، وبأنه المعوق عن كل حضارة وتقدم ، وبأنه مخترع لإقطاعي .

إنشاء الشيء حالاً بمد حال حتى يبلغ تمامه . وفي هذه الأطوار يحتاج المربوب إلى صبر ربه ومغفرته ورحمته ، والإخبار بالمغفرة أولاً قبل الإخبار بالرحمة فيشرق بجمال التناسق . فالعبد محتاج أولاً إلى أن يستر الله معاصيه وخطاياها ، ويتجاوز عنهما . أى في حاجة إلى أن يسلم من العيوب قبل أن يتجمل بزينة لا يصح تعميره قبل تطهيره ، أو تجميله وسحات القبح لمّا تزلّ عليه بادية واضحة .

وأصل الغفر : التغطية والستر ، وإلباس ما يصون عن الدنس ، وهكذا نجى المغفرة فغطى عيوبه ، وتستر ذنوبه ، وتلبسه ما يصونه ، ثم تأتي الرحمة جمالا ونميا .

واختيار « غفور » بدلا من « غافر » دليل على أن الله لا يغفر مرة فحسب ؛ بل يغفر مرات ومرات ، ودليل أيضاً على ثبوت ودوام صفة المغفرة فهذه الصيغة بالنسبة للبشر تفيد المبالغة في الوصف ، ولكنها تفيد أسمى وأعظم بالنسبة لله سبحانه .

« ذو الرحمة » صاحب الرحمة . إنه رب الرحمة وصاحبها ، ورحمته يتراحم الناس ، ويرحم الآباء والأمهات والأبناء والبنات ، ويرحم الطير فراخه .

وحسبك أن تتدبر مرة أخرى : « كتب ربكم على نفسه الرحمة » لوقال « ذو رحمة » هنا لما كانت هكذا في هذا الجلال والجلال والشمول والعموم : فنجى « الرحمة » محلاة بكلمة « أل » يبين لك أن كل رحمة هي رحمته ، أو أن الرحمة هي منه وما لك ، وله وحده ، فنضرع إلى الله أن يمدنا برحمته .

« لويؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب » تفيد المؤاخذة : المجازاة والمحاسبة ، وتعطى فوق هذا معنى أدق تستطيع أن تدركه إذا تدبرت مادة الأخذ .

وما يكسبه الانسان هو ما يقدمه من قول وعمل ، وما يضم عليه قلبه من اعتقاد ، فإنه يقدم كل هذا رجاء أن يكسب به الخير لنفسه في الدنيا أو في الآخرة . وقد يكون ليس سبباً في كسب ، وإنما هو سبب في خسارة . غير أنه لا يظن أنه كذلك والله لا يعاقب

إلا على كسب مشوب بالظلم ، أو نتج عن ظلم^(١) .

فلو أن الله سبحانه آخذ هؤلاء الذين كفروا بمحمد ، وكفروا برسله مؤاخذه تآني عقب هذا الكسب مباشرة لعجل لهم عذابهم . ولكنه جل شأنه لم يفعل ؛ لأنه الغفور ذو الرحمة .

ولقد جاء الإخبار بنفي المؤاخذه بعد إثبات اللصفتين كدليل على مغفرته ورحمته ، أو كمثل يضرب لمغفرته سبحانه ورحمته .

« بل لم موعد لن يجدوا من دونه موئلاً » إنه - جل شأنه - لا يتجاوز عن هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم إلا لميقات معلوم . لقد تركت رحمته سبحانه لهم أجلاً لهم يندمون ويتوبون ، فينيبون إلى ربهم ويسلمون له . غير أنهم لم يفعلوا ، فجاء عدله بجهنمه ينتقم من الطاعة البغاة . تدبر قوله سبحانه : (وَأَمْلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مُتَبِنٌ) وتدبر عقاب الله للقرية التي كانت حاضرة البحر (فلما نسوا ما ذُكِّروا به أنجيئنا الذين ينهون عن سوء ، وأخذنا الذين ظلموا بمذاب بئس بما كانوا يفسقون) غير أن هذا العذاب الشديد لم يحملهم على التوبة ، فعاقبهم الله بما ذكره في هذه الآية . (فلما عَقَوْا عَمَّا نُهِوا عَنْهُ فَلَمَّا هُمْ كُونُوا : قِرَادَةً خَاسِئِينَ — الأعراف : ١٦٥ ، ١٦٦) هكذا يؤجل العذاب برحمته ، ثم يأتي به بعدله . ولن يجد هؤلاء الذين يتوعدهم الله بوعيدة مكان نجاة ، أو مكاناً يلجأون إليه حين يأتيهم أجل الله سبحانه .

والإتيان بكلمة « لن » يقطع كل أمل في المستقبل ، فلا أمل في نجاة أو منجى ، ولا في لجوء أو ملجأ ، سواء أكان قريباً أم بعيداً . فكلمة « من دونه » تنفي وجود الملجأ القريب ، ولا ريب في أنها تفيد نفي الملجأ البعيد . وهذه سنة الله سبحانه مع الناس جميعاً وإليك هاتين الآيتين :

(١) تدبر « ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم » ثم مثلتها في سورة فاطر : « ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا » فقد وضع « كسبوا » مكان « بظلمهم » ليتبين لنا أن الله لا يعاقب إلا على الكسب الذي يكون سببه الظلم .

(ولو يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ، فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ، وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ — الفحل : ٦١) .

(ولو يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظُهُرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا — فاطر : ٤٥) .

هذه سنة الله ، وإن تجدد لسنة الله تبديلا ، فلا يفترق بالكفار من يراهم الآن في مَنعة وقوة ومتاع . ولا يفتر كافر بتقلبه في المتاع ؛ فعند الله أجل مسمى .

« وتلك القرى أهلكناهم ^(١) لما ظلموا وجعلنا لهم موعدا » هذا نذير للكفار الذين كانوا يقفون في طريق دعوة الحق التي يدعو بها خاتم النبيين ، ولقد توعدهم الله في آية تكاد تحدد أمكنة هذه القرى التي أهلكها الله . تلك هي قوله سبحانه : (ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى ، وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون . فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة ، بل ضلوا عنهم ، وذلك إفكهم ، وما كانوا يفترون — الأحقاف : ٢٧ ، ٢٨) .

فهو نذير وتذكير بتاريخ حي واقع لا تزال أخباره متواترة ، ولا تزال آثاره باقية ^(٢) . ولقد مكن الله هذه القرى التي أهلكها في أكثر مما مكن فيه قوم محمد . كانوا أحسن أئنا ورثيا . كانوا أشد قوة . فما أغنى عنهم شيء من ذلك كله حتى أولياؤهم الذين كانوا يدعونهم من دون الله ، فأهلكهم الله ، فكيف يظن قوم محمد أن الله لا يهلكهم ، أو لا يستطيع هذا ؟ !

(١) لم يقل أهلكناها ، لأنه يريد أهلها .

(٢) يذكرهم الله بمصير حجر نمود ، وهي بينهم وبين الشام ، وبسدوم وهي قرية قوم لوط في فلسطين ، وأحقاف عاد بحضرة وتومارب لسبا وهم أهل اليمن ، ومدين لقوم شعيب وكانت في طريق قريش ومهم إلى غزة ،

وقد بين الله اقريش سبب إهلاكه لهذه القرى بقوله : « لما ظلموا » ؛ ليحذرهم عاقبة الظلم . وليبين لهم أن الله لا يتجاوز عنه مهما كان شأن المقترف له . وليتدبروا قول الله : (وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ ، أَهْلُكُنَّاهُمْ فَلَاحِظٌ لَهُمْ نَاصِرٌ لَّهُمْ - محمد : ١٣) فمن ينصر قريشاً وسواهم ، ومن كانوا أشد منهم قوة لم يجدوا لهم ناصرأ ١٢ . والظلم أبغض رذيلة وصفة يمتنعها الله سبحانه ، ولهذا نفاها عن نفسه ، وأحرماها على نفسه كما ورد في الحديث القدسي . فما من رذيلة ، أو خطيئة ، أو معصية إلا وتندب إلى الظلم ، أو تنتج عنه . وأعظم ظلم لا يغفره الله سبحانه هو الشرك سنة الله مع القرى : ولقد فصل القرآن دلائل وآيات سنة الله مع القرى إحياء وإماتة ، وإسعاداً وإشقاء ، ليحذر أهل القرى أسباب الفناء والدمار والهلاك ، وليأخذوا بأسباب البقاء والسعادة .

سنة الله في بقاء القرى أو الأمة وسعادتها : يقول ربنا سبحانه (وَآوْ أَنْ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا ، وَاتَّقَوْا فَنُفْتَحْ لَهُمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَلَكِنْ كَذَّبُوا ، فَآخْذُنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ - الأعراف : ٩٦) .

فلا سعادة لأمة ، ولا بقاء لها إلا بالإيمان والتقوى . فبهما يفتح الله عليهما بركاته . فيمكنها من أسباب السعادة التي قد تكون في السماء ، أو تكون في الأرض .

أسباب هلاك القرى : بطل المعيشة (وكم أهلكننا من قرية بطرت^(١) معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً وكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ - القصص : ٥٨) .

(١) عرفه ابن الأثير بقوله : البطر الطغيان عند النعمة وطول الغنى « وبسط الراغب تعريفه بقوله : « دهش يعترى الإنسان من سوء احتمال النعمة وقلة القيام بحقوقها وصرفها إلى غير وجهها » .

فسوق المترفين : ومن أسباب هلاك الأمم فسوق أهلها (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ، ففسقوا فيها حقاً عليها القول ، فدمرناها تدميراً - الإسراء : ١٦) .

فعل الخبائث : وهي نوع من أنواع الفسوق ، وهذه الخبائث هي التي كان يترفها قوم لوط . وهي التي تشير إليها الآية الكريمة : (ولوطاً إذ قال لقومه : أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين . إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون - الأعراف : ٨٠ ، ٨١) فلتتق الله قرية تقترف جريمة قوم لوط ، وإلا فصيرهم مصير قوم لوط .

وعن قرية قوم لوط هؤلاء يقول الله : (ولوطاً آتيناها حكماً وعلماً ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث ، إنهم كانوا قوم سوء فاسقين - الأنبياء : ٧٤) .

الكفر بالمرسلين : (وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون - سبأ : ٣٤)

الافتقار بضلالة الآباء : أو إنا وجدنا آباءنا على أمة : (وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها : إنا وجدنا آباءنا على أمة ، وإنا على آثارهم مقتدون - الزخرف : ٣٣) .

وأنا لا أحصر لك كل أسباب الهلاك وإنما أذكر ببعض ما ذكر القرآن ، وتستطيع أن تجمل كل هذه الأسباب تحت سبب واحد . ذلك هو الظلم . فالشرك ظلم ، وبطط المعيشة^(١) ظلم ، والكفر ظلم ، والفسوق ظلم ، وبغى الأغنياء على الفقراء ظلم ، وفعل الخبائث ظلم . والافتقار بضلالة الآباء والحرص على التراث الملعون ظلم . ولهذا أجل الله كل هذه الأسباب في سبب واحد ، أو سماها باسم واحد هو الظلم . تدبر الله : (وما كنا مُهلِكِي القرى إلا وأهلها ظالمون . القصص : ٥٩) (وقال الذين كفروا للرسول : لنُخْرِجَنَّكُمْ)

(١) يقول ربنا . (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها . القصص : ٥٨) .

من أرضنا ، أو لَتَمُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ، فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ - إبراهيم : ١٣)
والله لا يهلك القرى إلا بعد أن ينذرها ، ويحذرها ، أو بمعنى آخر يرسل فيها
رسولاً أو نذيراً من عنده ينهاها عن النكر ويأمرها بالمعروف (وما أَهْلَكْنَا من قرية
إلا لها مُنذِرُونَ . ذِكْرَى ، وما كنا ظالمين - الشعراء : ٢٠٨ ، ٢٠٩) .

(وما كان رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حتى يبعث في أمّها رسولا يتلو عليهم آياتنا ، وما كنا
مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون - القصص : ٥٩) ومن أم القرى تنتشر الرسالة فيما
حولها من صفار القرى .

الابتلاء قبل الإهلاك بالبأساء والضراء : تمنح القرى إلى الظلم فيحذرهما الله بعقوبة
غير مستأصلة ، فيبتليها بالبأساء والضراء كال فقر والمرض . ونقص من الأموال والأنفس
والثمرات وغير هذا لعلها تتوب : (وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء
والضراء لعلهم يَضُرَّعُونَ . ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ ^(١) حَتَّى عَفَّوْا ^(٢) ، وقالوا : قد
قد مَسَّ آبَاءُنَا الضَّراءُ وَالسَّراءُ ^(٣) ، فأخذناهم بَغْتَةً ، وهم لَا يَشْعُرُونَ - الاعراف : ٩٤ ، ٩٥)
الإملاء للقرية : (وَكَأَيُّنَ ^(٤) من قرية أَمْلَأْتُهَا ^(٥) ، وهي ظالمة ، ثم أَخَذْنَاهَا وَإِلَى
المصير - الحج : ٤٤) .

الله لا يهلك قرية صالحة : (وما كان ربك لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ -
هود : ١١٧) .

-
- (١) أى ابتلاهم بالنعمة والسلامة والغنى والصحة بعد ابتلائهم بأضدادها .
 - (٢) كثروا عدداً ومعدداً .
 - (٣) قالوا ذلك ظانين أنها ليست عقوبة من الله ، فكما أصيب آبائهم أصيبوا هم ، وهذه عادة
الزمن لا عقوبة من الله .
 - (٤) وكَم من أهل قرية .
 - (٥) أمهلناها .

لا بد من رسول أو منذر قبل الإهلاك : (وما كان ربك متهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا ، وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون . القصص : ٥٩)
(وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون . الشعراء : ٢٠٨) .

قرى أهلكها الله : يقول الله سبحانه : (وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك ، أهلكناهم فلا ناصر لهم . محمد ١٣) .

ويقول (ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون . الأحقاف : ٢٧) وهذي القرى كما يقال هي حجر ثمود بين أهل مكة وأهل الشام ، وقرية قوم لوط وهي سدوم ، وعاد بالأحقاف من حضرموت ومأرب لسبأ وهم أهل اليمن ومدين وكانت في طريق العرب . وهم ذاهبون إلى غزة . وكل هذه القرى أخبر الله أنه أهلكها ، وتدبر آيات الله لتعرف بهم أهلكها .

وتدبر حال القرية التي وصفت في سورة الأعراف بأنها حاضرة البحر ؛ لتعلم أن الخالفة عن أمر الله هلاك ، ولتعلم أن الله لا يؤاخذ بما كسب الناس مباشرة ، بل يمهلهم قليلاً .
لكل قرية كتاب : وكما جعل الله لكل أجل كتاباً ، ولكل فرد كتاباً ، جعل كذلك لكل قرية ، ولكل أمة ، كتاباً يقول ربنا سبحانه (وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم . الحجر : ٤) .

متى ينزل وعيد الله ؟ : ووعيد الله ينزل بالقرى في أي وقت يشاء ، والذي يتدبر آيات القرآن يتبين له أن الله يختار أوقاتاً يكون نزول العذاب فيها أشد وقمًا وهولاً . تدبر قوله سبحانه : (أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون ١١ أو آمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون ؟ أفأمنوا مكر الله ، فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون . الأعراف . ٩٧ : ٩٩) وقوله سبحانه في نفس السورة : (وكم من قرية أهلكناها ، فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون . الأعراف : ٤) .

هذا وعيد الله للقرى ، ويحسن بنا أن نذكر أيضاً بوعده سبحانه ، لعل الذين لا يتدبرون ، يتدبرون . ولعل الذين يبحثون عن أسباب الفقر يعرفون أسبابه .

(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا ، وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ : الأعراف : ٩٦) .

فهل تؤمن بوعيد الله ووعدده ؟ وهل نسعى سعى من يريد البركات الإلهية التي تفيض من السماء ، وتصعد من الأرض ؟ .

نضرع إلى الله سبحانه أن يملأ قلوبنا خوفاً من وعيده وحباً لوعده ، وأن يوفقنا إلى عمل ما يحبه ويرضيه إنه سميع مجيب .

عبد الرحمن الوكيل

يصدر قريباً

كتاب

صِرَاحُ بَيْنِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ

يبعث في البدع والخرافات والعمادات والتقاليد التي ورثها المسلمون عن الآباء والشيوخ وظنوا أنها من الاسلام ، ويقرر في وضوح وجلاء بطلانها ومجافاتها للاسلام بأدلة قوية من كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

يطلب من مؤلفه « سعد صادق محمد » بدار الجماعة رقم ٨ شارع قوله — عابدين . الاشتراك قبل الطبع عشرة قروش وتمثله بعد الطبع خمسة عشر قرشاً .

توحيد الله عز وجل

ومن أسمائه الحسنى سبحانه : (الواحد) وهو من الوجد بضم الواو ، بمعنى الغنى والسمعة كما في قوله تعالى : (أسكنوهم من حيث سكتهم من وُجدكم) أى بما وجدتموه وقدرتم عليه .

ولم يذكر هذا الاسم في القرآن بلفظه ولكن مرادفه وهو (الغنى) قد ذكر كثيراً في القرآن فإن الاسمين بمعنى واحد ، أو هما على الأقل متقاربان فلا يتحقق الغنى إلا مع وجود الشيء وتملكه . وأما فقدته فهو الفقر أو العدم . فالغنى يقابله الفقر والوجد يقابله العدم ، ومعنى كونه تعالى (واحداً) أن كل أسباب الغنى حاصلة له ، فهو لا يفتقر إلى شيء أصلاً لا في وجوده ، ولا في دوام وجوده ، ولا فيما يجب له من صفات الكمال ، فكلها حاصلة له على أكمل وجه وأتمه من غير أن يفتقر في حصولها إلى أحد . فإن غناه وصف ذاتي له لا ينفك عنه لحظة ، فلا يتصور في حقه فقر ولا حاجة ، كما أن فقر الأشياء كلها إليه فقر ذاتي لا ينفك عنها لحظة فلا يتصور لها استغناء عنه أبداً لا في ابتداء وجودها ولا في دوام وجودها ، ولا فيما يمدّها به من أسباب الترقى والكمال .

وإطلاق هذا الاسم على الله عز وجل خبر من إطلاق هذا الاسم الحادث الذي يطلقه عليه علماء الكلام وهو قولهم (موجود) فإن الواحد كما قلنا أفاد استغناءه في وجوده وفي جميع كمالاته عن غيره ، بخلاف الموجود فإنه لا يدل على ذلك . إذ من الموجودات ما هو ممكن محتاج في وجوده إلى غيره . ولهذا يحتاج هؤلاء إلى أن يقولوا : « موجود واجب الوجود » .

ولا شك أن لفظ الوجد على اختصاره أفاد هذا المعنى وزيادة ، فضلاً عما امتاز به من مجيئه على اسم الفاعل دون اسم المفعول .

وحينئذ فلا يجوز أن يعدل عن ألفاظ الشرع إلى تلك الألفاظ الحديثة المبتدعة . فإن ألفاظ النصوص فيها من الدقة والعمق والدلالة على المعنى المقصود ما لا يمكن أن يتوفر في غيرها . ولنضرب لك مثلاً آخر يوضح لك الفرق بين ألفاظ الشرع وألفاظ أهل البدعة فنقول : لقد سمي الله عز وجل نفسه في كتابه (الأول) فوضع المتكلمون بدلاً عنه القديم ، وأنت إذا تأملت هذا اللفظ وجدته مع استهجان في النطق لا يدل على المعنى المطلوب ، وهو تقدمه تعالى على كل شيء ، فإنه موضوع لكل ما تقدم بالزمان على غيره ، سواء كان تقدمه مطلقاً أو نسبياً ، ولهذا توصف به بعض الحوادث باعتبار تقدمها على غيرها مما يسمى جديداً بالنسبة لها . كقول أبناء يعقوب عليه السلام له : (تالله إنك لفي ضلالك القديم) وكقوله تعالى من سورة يس : (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) وكقول إبراهيم عليه السلام لقومه : (أفأرأيتم ما كنتم تعبدون . أنتم وآبائكم الأقدمون) وكقول الفقهاء . قال الشافعي في المذهب القديم كذا وقال في الجديد كذا .

وأما لفظ (الأول) فإنه مع حلاوة جرسه يدل على سبقه سبحانه للأشياء كلها بحيث لا يكون شيء منها سابقاً عليه ولا مقارناً له ولهذا فسرهُ الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « أنت الأول فليس قبلك شيء » كما يدل على أن الأشياء كلها آيلة ومستندة إليه فإن الأول مأخوذ من الأول وهو الرجوع والانتفاء ، فهو مبدأ كل موجود ونهاية كل مقصود .

ومن الأسماء الحسنى كذلك (الماجد والمجيد) وهما من المجد الذي هو الشرف والسعة وكثرة الخير ، فهو يرجع إلى كثرة الصفات الوجودية وسعتها وبلوغها غاية الكمال والعظمة ، كما يدل على عظيم فضله وإحسانه وبره وجوده .

وقد ورد في القرآن اسمه تعالى (المجيد) قال تعالى في سورة هود على لسان الرسل
الذين جاؤا إبراهيم للبشارة بإسحق (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد)
وقال سبحانه من سورة البروج : (وهو الغفور الودود . ذو العرش المجيد) فقد قرىء المجيد
بالرفع على أنه اسم لله ، كما قرىء بالجر على أنه صفة للعرش . والقراءة الأولى أولى وأصح .
وقد ورد في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول أحياناً عند الرفع من الركوع :
« اللهم ربنا لك الحمد ، ملء السموات وملء الأرض ، وملء ما شئت من شيء بعد ،
أهل الثناء والمجد » .

ويقول أمية بن أبي الصلت في بعض شعره في التوحيد :

مجدوا الله فهو للمجد أهل ربنا في السماء أمسى كبيراً
بالبناء الأعلى الذي بهر النا س وسوى فوق السماء سريراً
شرحناً^(١) ما ينال به بصر العين ترى حوله الملائك صوراً^(٢)

وكثيراً ما يجمع بين اسمه تعالى (المجيد) وبين اسمه (المجيد) كما في الآية السابقة ،
وكما في قولنا في التشهد عند الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (إنك حميد مجيد) . .
والحكمة في هذا الاقتران أن الحمد دال على كمال الأفعال والمجد دال على كمال الصفات
فمن جمع بينهما فقد أثبت لله الكمال كله في صفته وفعله .
والله تعالى أعلم .

محمد خليل هراس
المدرس بكلية أصول الدين

(١) الشرجع العالي البعيد . (٢) الصور جمع أصور وهو المائل العنق .

الأسوة الحسنة

قال الله تعالى في سورة الأحزاب (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيراً) « الآية ٢١ » .

لو نظرنا في تاريخ الإسلام لوجدنا أنه نشر نفسه بنفسه فلم يحتاج إلى الحديد والنار إلا لحماية دعوته من المعاندين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً من أجل زعامتهم وكهانتهم ، ولو درسنا فتوحات السيطرة في التاريخ كسيطرة الإسكندر وفتوحات نابليون وضمنا إلى دراستها مكر الاستعمار الأوربي الحديث ، لوصل بنا الموضوع إلى أن كل ذلك لم ينل من الأمم المغلوبة إلا القشرة السطحية ، فهو لم يصل بعد إلى قلوب تلك الأمم ولم يغير شيئاً من مشاعرهم وفهومها بل لم يزد عليها إلا بفضاً لتلك الأنظمة ومقتاً لهذه السيطرة وكرهاً لهؤلاء المسيطرين . أما الإسلام فلو اتجهنا إلى دراسة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم لوجدنا أن حسن القدرة ودقة الأسوة هي العامل الأول لنشر الدين ، فهناك نبل الخلق ، وجمال الفضائل وسمو السكال مختلطة بلحم الرسول الأكرم ودمه صلوات الله وسلامه عليه « وإنك لعلى خلق عظيم » ، إيمان عميق ملك على حسه وشعوره ، وحب كامل أنساء كل شيء ، ما عدا تلك العقيدة الصافية ينبوع ، وأمل واقمى الغاية لا تسكاد تفلت نتائجه من يد المؤمل الكريم .

آمن بدعوته إيماناً لا يزعزعه عنه وضع الشمس في يمينه والقمر في يساره ، وأحب الناس جميعاً ، وصار قصاراه أن يقنعهم بدعوته مهما أتعبوه وهاندوه وآذوه « رب اهد قومي فإنهم لا يعلمون » وتسلح بخلق كامل لو أننا بحثنا عنه في جميع أفراد المعمور ما وجدنا مثله من أدب وصدق ووفاء ، وشجاعة ، وصبر ومثابرة ، وحرص على بلوغ الغاية ، وتلطف في الدعوة ، وقصد في الحجة ، وتعليم بالأسوة والقودة ، ونقاء في السيرة والسريرة ، لا ضمن ولا حقد ، ولا ختل ولا مكر ، سخي بما يملك ، لا يمد عينيه إلى متاع الناس ، ضحى بحظوظ نفسه في سبيل الدعوة إلى الحق ، مع صلابة في تأييدها مهما لحق به من أذى في شخصه ،

لم يكن همهم نفع جزئي لأسرته أو لقريش أو للجزيرة العربية ولكنه كان يقصد نفع الناس جميعاً ، ويريد أن يعم هذا النور محيط الأرض كلها ، ولم يكن رحمة لاتباعه فحسب ولكنه وإن جعل لاتباعه أوفر نصيب منها إلا أنه كان رحمة لأوليائه وأعدائه أجمعين (عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) .

وهذا الوصف من جانب الرسول الكريم كان يؤيده أوصاف أخرى من جانب صحابته وأتباعه ، فقد تلقوا رسالته بالقبول ، واختلطت بلحومهم ودمائهم لمواءمتها للفطر السليمة ، فقد نبتوا في أرض فسيحة لم تدنسها أقدام الفاحخين والغزاة المفسدين ، فما وصلت العقيدة إلى قلوبهم حتى انساحوا في الأرض فنشروها بأخلاقهم وعدلهم ومحبتهم ، وحسن معاملتهم لمن عداهم من سكان الأرض المفتوحة .

وإن تعجب فعجب أن جميع الأديان التي تبشر برسالاتها في المستعمرات وغيرها تتخذ الهدايا والمال وعلاج الأمراض وضمان الفناء والحياة للأرض التي يبشرون فيها . . . وأما الإسلام مع انطواء الداعين إليه والمبشرين به فإننا نجد حصيلة في الداخلين فيه تفوق أضعاف الداخلين في جميع الأديان ، وليس له من الأسلحة سوى القدوة الحسنة والاسوة الطيبة ، وبذلك التاريخ الصحيح عن وصول الإسلام للهند والسند والصين ومجاهل إفريقيا ، وأن انتشاره كان بحسن القدوة من معتنقيه الذين احترقوا القجارة واستوطنوا في تلك الجهات .

* * *

والذي أدعو إليه إنما هو القدوة الحسنة والأسوة الطيبة التي أمرنا الله بها (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) .

إن الأسوة الحسنة هي الطريق الوحيد لنشر الإسلام والسمو بالمسلمين إلى الدرجة التي يطمحون إليها ، وجدير بأنصار السنة في جميع الأقطار الإسلامية وغيرها أن يكون اقتداؤهم بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم اقتداءً فعلياً في عقيدتهم وعباداتهم وأخلاقهم ومعاملاتهم ، فإن القدوة الطيبة من أقوى الأسلحة إلى التنفيذ لأعماق القلوب ، والله يقول

الحق وهو يهدي السبيل .

أشهد أن محمداً عبده ورسوله

رئيس جامعة أنصار السنة المحمدية بسوهاج

الإمام الأكبر الشيخ شلتوت

توفى إلى رحمة الله تعالى الاستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر وبوفاة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت فقد العالم الإسلامي ، شيخاً وقوراً واستاذاً جليلاً قدم للبحث العلمى أجل الخدمات بما زود به المكتبة الإسلامية من مؤلفات وأبحاث قيمة ، ترجمت إلى عدة لغات أجنبية وكانت مؤلفاته تعتبر مراجع للفتوى والتشريع فى كافة انحاء العالم الإسلامى .

• • ولد رحمه الله فى أبريل ١٨٩٣ ببلدة منية بنى منصور مركز إيتاى البارود .
والتحق بمعهد الإسكندرية الدينى سنة ١٩٠٦ ونال شهادة العالمية سنة ١٩١٨ وكان أول الناجحين فيها .

• • وفى سنة ١٩٣٧ مثل الأزهر فى مؤتمر لاهى الدولى للقانون المقارن وتمكن بأبحاثه التى قدمها للمؤتمر أن يحصل على قرار إجماعى بصلاحية الشريعة الإسلامية مصدراً للتشريع فى العالم واعتبار الشريعة الإسلامية حية صالحة للتطور وقائمة بذاتها وليست مأخوذة من غيرها .

• • وفى سنة ١٩٤١ قدم رسالة فى المسؤولية المدنية والجناية فى الشريعة الإسلامية ونال بها عضوية جماعة كبار العلماء بالإجماع وكان أصغر الأعضاء سناً .

• • فى سنة ١٩٥٠ عين مراقباً عاماً للبحوث والثقافة الإسلامية بالأزهر .

• • فى سنة ١٩٥٧ عين مستشاراً فى المؤتمر الإسلامى ، ثم وكيلاً للجامع الأزهر وفى ٢٢ أكتوبر ١٩٥٨ عين شيخاً للأزهر .

تغمده الله الفقيد العظيم بواسع رحمته وأدخله فسيح جنته ، وعوض العالم الإسلامى عن خسارته الكبرى بفقده .

٢٧ - نظرات في التصوف

« التوحيد عند الصوفية »

التوحيد عند الهروي: يقول ابن القيم عن الهروي : « كان شيخ الإسلام - قدس الله روحه - راسخاً في إثبات الصفات ونفي التعطيل ومعاداة أهله ، وله في ذلك كتب مثل : كتاب ذم الكلام وغير ذلك مما يخالف طريق المعطلة والحلولية والاتحادية^(١) » وبمثل هذا استحق الهروي عند من لا يستبطنونه ذلك اللقب الضخم « شيخ الإسلام » . وبمثل ذلك استحق أن يخلع عليه زيف التاريخ طيئسان الجاه العظيم ، وأن تنسب إليه القدم الراسخة في العلم !!.

تكلم الهروي عن التوحيد في كتابه : « منازل السائرين^(٢) » فجعله ثلاث مراتب . ثم قال عن المرتبة الأخيرة هذه الأبيات :

ما وحد الواحد من واحد	إذ كل من وحده جاحد
توحيد من ينطق عن نعمته	عارية أبطلها الواحد - د
توحيد - د ه إياه توحيد - د ه	ونعت من يفعله لا - د ه

(١) ص ٥٢١ ج ٣ مدارج السالكين .

(٢) ألف ابن القيم كتابه مدارج السالكين ليشرح به كتاب الهروي « منازل السائرين » وقد حاول الامام الجليل ابن القيم الاعتذار في بعض المواضع عن الهروي . غير أن الصوفية الجاحدة في كتاب الهروي جعلت ابن القيم في كثير من المواضع يجهر بمخالفة ما ذهب إليه الهروي مما يخالف الاسلام مخالفة صريحة .

« ما وحد الواحد من واحد » هذا النفي يستغرق البشرية وغيرها ، فلا رسل الله ، ولا أنبياءه ، ولا ملائكته ، ولا الصديقون ، ولا الشهداء ، ولا الصالحون . لا فرد من هؤلاء قد وحد الله سبحانه ، وما سبحت باسمه ذرة في السماء ولا في الأرض ؛ لماذا ؟ لأن التوحيد يستلزم وجود اثنين موحد ، وموحد وفي هذا نقص لوحدة الوجود التي يدين بها الصوفية ، والتي تؤكد أن الموحّد هو الله ، وأن الموحّد هو الله . فإذا نسبنا إلى أحد أنه وحد الله سبحانه ، فقد حكمنا بثنائية الوجود ، أو بأن مع الله موجوداً غيره !! وما ثم غير ولا ثان ؛ إذ كل شيء هو الله القائم بتوحيد نفسه !!

إن الحكم على رسول واحد بأنه يوحد الله كبيرة تقذف بمقترفيها من حالق إلى البعيد العميق المجهول من أغوار الهاوية ، فما بالك ببقية السكبات التي اقترفيها الهروى ؟.

ويقول في الشطرة الأخرى : « إذ كل من وحده جاحد » يزعم : أن من وحد الله فهو في حقيقته جاحد لله ، جاحد بوجوده وذاته ، لماذا ؟ إن الهروى يؤكد ما قاله في الشطرة الأولى : « التوحيد يقتضى وجود خالق وخلق ، والموحد بتوحيده يؤكد إيمانه بأن الخالق غير الخلق ، وأن الله ليس كمثل شيء . وهذا الإيمان في دين الهروى كفر غليظ وجحود أصم ، لأنه يجعل لغير الله وجوداً ، مع أن هذا « الغير » هو عين الله ، ووجوده عين وجود الله ، فلا يجوز أن ننسب إليه وجوداً غير وجود الله !! وإني لأسأل الهروى وأشياعه : أكان خاتم النبيين جاحداً ؟ إن الهروى بدينه هذا يؤكد ذلك ؛ لأن محمداً عليه الصلاة والسلام دعا إلى عبادة الله وحده ، وبلغ الناس في إشراق من البيان ما أمره الله أن يبلغه ، وهو أن الله سبحانه ليس هو الخلق ، وإنما رب الخلق ، وأنه ليس كمثل شيء ، وأنه هو السميع البصير . وهذا ما جعل الهروى وأشياعه ينفثون حقدهم ضد رسول الله والقرآن ؛ لأن دعوة الرسول بالقرآن تقضى على خرافة الصوفية الملمدة التي تزعم أن الخلق هم الله ؛ وأن الله هو عين الخلق ذاتاً وصفة !! وكل من يزعم أن الله شيء آخر غير هذا ، فهو لحقيقته جاحد وعلى كفره شاهد .

ثم يقول : « توحيد من ينطق عن نعمته . الخ » يقول الهروى : لا تزعموا أن هؤلاء الذين ينطقون بتوحيد الله شئاً آخر غير الله ، لماذا ؟ لأن كلا منهم هو الله سبحانه الواحد المطلق السارى فى مسمى المخلوقات والمبدعات .

إن كلا منهم هو الخالق والخلق تجمعهما حقيقة واحدة تسمى الحقيقة الإلهية .

إن هؤلاء الذين ينطقون بتوحيد الله ويتكلمون عنه يجب علينا وعليهم الإيمان به ، الناطق بما يقولون : هو الله الذى أعارهم نطقه وحقيقته وصفاته .

لقد سميت هذه الكائنات ووضعت بأسماء وصفات نوحى بأنها شئ آخر غير الله ، ولها فطرها ، وغرائزها ، وشهواتها ، ونشواتها التى تؤكد بواقعيتها التى تلمع باليقين أنها مخلوقات أو مصنوعات ولن يستطيع العقل أبداً أن يظن أن الصنعة عين الصانع ، أو أن الخلق عين الخالق ، فى هذا الظن حكم على الله بأنه عدم ، أو على الظان بأنه مجنون ، أو بأنه حاقد جاحد ، ولكن الهروى يحذرك من هذا الإيمان العقلى والقابى والإلهى ، ويؤكد لك أن هذه الأسماء والصفات والفطر والغرائز والمشاعر والاحساسات عاريات أعارها الله هؤلاء الذين تراهم وتحسب أنهم شئ غير الله ! ! .

ولا يجوز لمن استمار أن يزعم أنه رب العارية ومالكها والتى ظن واحد من هؤلاء الذين ينطقون بتوحيد الله أنه شئ غير الله ، وأن حقيقته ليست حقيقة الله ، وأن صفاته وأسماءه ليست صفات الله وأسماءه ، فقد جحد الحقيقة ، وعبر عن جملة العميق بها ، فالواجب عليه الإيمان بأن مايقوله على الله يجب أن يحكم به ويقول على نفسه حقيقة لا مجازاً ؛ لأنه هو الله ، والإيمان أيضاً بأن مايقوله على نفسه إنما يحكم به على الله حقيقة لا مجازاً ؛ لأن الله هو عينه ! ! .

وفى بيته الأخير يؤكد ديبه هذا ، فى شطره الأول يقرر أن التوحيد الحق هو توحيد الله لنفسه ؛ وما ثم من يوحده سواه إذ لا يوجد غيره حتى ينسب إليه أنه يوحده الله ! وفى شطره الأخير يحكم بالإلحاد على الذين يوحدون الله بما وحده به الرسل ؛ أو يختص الله بالوحدانية ، أو يميزه بصفة عن خلقه ؛ لأن هذا الموحد بتوحيده يعبر بوجود رب هو

للموحد ، ويقر بمبدٍ هو الموحد . وفي هذا كفر بوحدة الوجود الصوفية التي تسوى بين الموحد والموحد في كل شيء . وإذا كان الله هو عين خلقه ، فإنه يستحيل حصر صفاته وأسمائه والحصول على حدٍّ أو تعريف لذاته ؛ فإن الخلق غير متناهٍ . وتبعاً لهذا يحكم الصوفية على أسماء الله وصفاته بأنها لا تنفاهي ، ولا يحصوها عدّ ، فكل اسم في الوجود هو اسمه ، وكل صفة هي صفته حتى أسماء الجمادات وصفاتها ١١ .

ذاكم هو دين الهروي ، ودين الصوفية في غلب جحودها بالله سبحانه ، فهي لا تعترف أبداً بأن لله وجوداً ، وإنما تعترف بهذا الـكون وحده ربّاً معبوداً ، وإلهاً مشهوداً ١١ .

ومن يلو فكره وقلبه عن هذا الاعتقاد ، فهو عند الهروي ملحد جاحد ، ومن آمن به فهو العليم بحقيقة التوحيد للفائز بالتوحيد .

هذا واحد من الذين كان لهم قناع ووجه ١١ أما قناعه فكان يرأى به أهل السنة ، وأما وجهه فصوفي تملظ في عينيه لظى صوفيته . غير أنه لم يخدع بقناعه الموشى من أهل السنة أحداً سوى من كانت به إثارة مسٍّ من صوفيته .

أما الإمام الجليل ابن تيمية ، فيقول : وهو يتحدث عن الحلوليين الذين يزعمون أن روح الله تحمل في الكائنات : « وحقيقة قول هؤلاء يشبه قول القائل : إن ما قاله النصاري في المسيح حق ، وهو موجد لغيره من الأنبياء والأولياء لـكن ما يمكن التصريح به ؛ لأن صاحب الشرع لم يأذن في ذلك . وكلام صاحب منازل السائرين « الهروي » وأمثاله يشير إلى هذا » ، ثم ذكر هذه الأبيات التي نقلتها عن الهروي ، ثم قال : « فإن حقيقة قول هؤلاء : إن الموحد هو الموحد ، وأن الناطق بالتوحيد على لسان العبد هو الحق ، وأنه لا يوحده إلا نفسه ، فلا يكون الموحد إلا الموحد ، ويفرقون بين قول فرعون : أنا ربكم الأعلى ، وبين قول الحلاج : أنا الحق أو سبحانه ؛ فإن فرعون قال ذلك ، وهو يشهد

نفسه ، فقال عن نفسه ، وأما أهل الفناء ، فغابوا عن نفوسهم ، وكان الناطق على لسانهم غيرهم^(١) ، ولا فرق بين قول الحلاج ، وقول فرعون !! .

وهكذا نرى شيخ الإسلام في بصيرته المشرقة النفاذة يصدع بالحق ، ويضع الهروى حيث يجب أن يوضع ، دون أن يهطفه أن الهروى كان حنبلي المذهب ، أو أنه ناصر عقيدة السلف في الصفات .

التوحيد عند الغزالي : يؤكد الغزالي أن التوحيد من علم المكاشفة ، وأنه البحر الخضم الذي لا ساحل له !! هكذا فصل بين التوحيد ، وبين براهين الكتاب والسنة وبراهين العقل ، وهكذا يحاول أن يغمر القلب باليأس العميق من معرفة توحيد الله ، مؤكداً أنه لا يفوز بالوصول إلى حقيقة التوحيد إلا عصاة الصوفية !! أو إلا عن طريقهم ، وبئس الطريق !! .

ثم هو ينفى من وراء هذا القول أن يحملنا على تقبل ما سيقوله عن التوحيد الذي يعمده ، والذي يعلم أنه مخالف لتوحيد القرآن وتوحيد الرسل ، وأن يحول بيننا وبين نقده والاعتراض عليه إذا جابهنا شططه وجابهتنا مخالفته لله ورسوله !! لأنه يزعم أن علمه مستمد من الكشف ، والكشف مقياس نفسه ، وبه يقاس كل شيء ، ولا يخضع لعقل ، ولا لعقل !! .

مراتب التوحيد : يزعم الغزالي أن للتوحيد أربع مراتب ، وأنه ينقسم إلى لب ، وإلى لب لب اللب ، وإلى قشر ، وإلى قشر القشر .

المرتبة الأولى : هو قول لا إله إلا الله باللسان والقلب غافل أو منكر ، وهو توحيد المنافقين ، واسكنه يعصم صاحبه في الدنيا عن السيف والسمان .

المرتبة الثانية : أن يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق به هموم المسلمين ، وهو اعتقاد

(١) ص ٩٨ وما بعدها ج ٢ مجموعة الرسائل الكبرى .

العوام . ويسمى صاحب هذا موحداً بمعنى أنه معتقد بقلبه مفهوم لفظه ، وقلبه خالٍ عن التكذيب بما انعقد عليه قلبه ، وهو عقدة على القلب ليس فيه انشراح وانفساح ، ولكنه يحفظ صاحبه من العذاب في الآخرة إن توفى عليه ، ولم تضعف بالمعاصي عقده .

الرتبة الثالثة : أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق ، وهو مقام المقربين . وذلك بأن يرى أشياء كثيرة ، ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار ، ويسمى موحداً بمعنى أنه لم يشاهد إلا فاعلاً واحداً إذا انكشف له الحق كما هو عليه ، ولا يرى فاعلاً بالحقيقة إلا واحداً ، وقد انكشفت له الحقيقة كما هي عليه ، لا أنه كلف قلبه أن يعقد على مفهوم لفظ الحقيقة ، فإن تلك رتبة العوام والمتكلمين^(١) .

ويقول في كتابه « الإملاء » : « ومن أهل هذه للرتبة الثالثة يكون النقباء والنجباء والشهداء والصالحون .

المرتبة الرابعة : أن لا يرى في الوجود إلا واحداً وهي مشاهدة الصديقين ، وتسميه الصوفية : الفناء في التوحيد ؛ لأنه من حيث لا يرى إلا واحداً ، فلا يرى نفسه أيضاً ، وإذا لم ير نفسه ؛ لكونه مستغرقاً بالتوحيد كان قائماً عن نفسه في توحيده بمعنى : أنه فنى عن رؤية نفسه والخلق ، ويسمى موحداً بمعنى أنه لم يحضر في شهود غير الواحد ، فلا يرى الكل من حيث أنه كثير ، بل من حيث أنه واحد وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد » . ويقول في كتابه « الإملاء » : « ومن أهل هذا المقام يكون القطب والأوتاد والبدلاء » . وما القطب والأوتاد والبدلاء إلا أسطورة اقترفت ، لتعريف الناس عن رب الوجود !!

ثم يتكلم الغزالي عن قيم التوحيد هذه ، فيحكم على التوحيد الأول بأنه كالقشرة العليا

(١) بهذا طعن الغزالي أستاذه أبا الحسن الأشعري وكبار تلاميذ الأشعري ، فقد كانوا متكلمين بل طعن الغزالي كتبه الكلامية كلها ، فقد كان واحداً من كبار متكلمي الأشاعرة .

من الجوز ، وعلى التوحيد الثانى بأنه كالقشرة للسفلى ، وعلى الثالث بأنه كالب ، والرابع بأنه كالدهن المستخرج من الب .

ويقول عن التوحيد الأول أيضاً إنه عديم الجدوى كثير الضرر ، مذموم الظاهر والباطن ، وعن الثانى - وهو الاعتقاد بالقلب - إنه ناقص القدر ؛ لأنه بدون كشف ، وعن الثالث - وهو توحيد الفاعل القائم على الكشف إنه المقصود بقوله تعالى . (فمن يُرد الله أن يهديه بشرح صدره للإسلام) وبقوله : (أفنّ شرح الله صدره للإسلام فهو على نورٍ من ربه) غير أنه ينقد هذا النوع من التوحيد بأنه لا يخلو عن شوب لأن فيه ملاحظة للغير والتفاتاً إلى الكثرة !!

ثم يقول عن النوع الرابع الذى سماه الغاية المقصوى من التوحيد : فإن قلت كيف يتصور ألا يشاهد إلا واحداً ، وهو يشاهد السماء والأرض ، وسائر الأجسام المحسوسة ، وهى كثيرة ، فكيف يكون الكثير واحداً ؟ فأعلم أن هذه غاية علوم المسكاشفات ، وأسرار هذا العلم لا يجوز أن تُسطر في كتاب ، فقد قال العارفون : إنشاء سر الربوبية كفر ؟ ثم هو غير متعلق بعلم المعاملة نعم ذكر ما يكسر سورة استبعادك ممكن ، وهو أن الشئ قد يكون كثيراً بنوع مشاهدة واعتبار ، ويكون واحداً بنوع آخر من المشاهدة والاعتبار . وهذا كما أن الإنسان كثيراً إن التفت إلى روحه وجسده وأطرافه وعروقه وأحشائه ، وهو باعتبار آخر ومشاهدة أخرى واحدٌ ؛ إذ نقول إنه إنسان واحد . . . فكذلك كل ما فى الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة ، فهو باعتبارٍ واحدٍ من الاعتبارات واحدٌ ، وباعتبارات أخرى سواء كثيراً . ويستبين بهذا الكلام ترك الإنكار والجحود لمقام لم تبلغه ، وتؤمن به إيمان تصديق . وهذه المشاهدة التى لا يظهر فيها إلا الواحد الحق تارة تدوم ، وتارة تطرأ كالبرق الخاطف ، وهو الأكثر . والدوام نادر عزيز . وإلى هذا أشار الحسين بن منصور الحلاج حيث رأى الخواص يدور فى الأسفار ، فقال : فيما ذا أنت ؟ فقال : أدور فى الأسفار ؛ لأصبح حالتى فى التوكل ، فقال الحسين : قد أفنيت

عمر ك في عمران باطنك^(١) ، فأين الفناء في التوحيد ، فكأن الخواص كان في تصحيح المقام الثالث في التوحيد ، فطالبه بالمقام الرابع « ثم يحكم الغزالي على التوكل بأنه لا ينبغي على التوحيد الرابع ؟ هذا ؛ لأن التوكل فيه ملاحظة الغير ملاحظة المتوكل لنفسه وملاحظة من توكل عليه . والتوحيد الرابع ينفي الغيرية نفياً باتماً ، إذ يثبت أن للتوكل هو ومن توكل عليه حقيقة واحدة !!

ثم يقول إن التوحيد الثالث هو الذي ينفي عليه التوكل ، وحاصله ألا يكشف لك ألا فاعلَ إلا الله ، ويرى من الشرك الالتفات إلى الجمادات واختيار الحيوانات . وخلاصة ما سوده في صفحاته هو الحكم بالجبرية القاهرة على الإنسان ونفي الاختيار نفياً باتماً عنه . فهو إما قلم تحركه يد ، وإما يد يحركها إنسان ، وإما حيوان يقهره غيره على أن يفعل ، دون أن يكون له قدرة أو إرادة يعارض بهما القهر المهيمن عليه !! والأمثلة التي ذكرتها هي أمثلة الغزالي نفسه ، ويقول عن المكاشفين تعقيباً على هذا إنهم « شاهدوا بنور البصائر كون السكائب مُسَخَّرًا مضطراً » ثم يقول تمجيداً لأهل هذا العلم وأرباب القلوب والمشاهدات ، قد أنطق الله تعالى في حقهم كل ذرة في السموات والأرض بقدرته التي بها نطق كل شيء ، حتى سمعوا تقديمها وتسبيحها لله تعالى وشهادتها على نفسها بالعجز بلسان زلق تتكلم بلا حرف ولا صوت .. بكلام ليس هو عربي ولا عجمي « ثم يقول : « واعلم أن لكل ذرة في السموات والأرض مع أرباب القلوب مناجاة في السر وذلك مما لا ينحصر ولا ينقضي ، فإنها كلمات تستمد من بحر كلام الله تعالى الذي لا نهاية له .. ثم إنها تنقضي بأمرار الملك والملايكوت وإفشاء السر لؤم ، بل صدور الأحرار قبور الأسرار^(٢) » .

(١) الذي ينفي عمره في عمران باطنه بالحق والخير هو الصديق الولي لله رب العالمين وهل يوجد مثل أعلى للبشرية في إيمانها أعظم من أن يكون الباطن معموراً بالآيمان الصحيح الدافع إلى العمل الصالح .

(١) انظر ص ٢١١ وما بعدها ج ٤ « باب كتاب التوكل والتوحيد » لإحياء علوم الدين ص ١٣٠ ج ١ من كتاب الإملاء على هامش الإحياء

وهكذا زج الفزالي بنفسه وبين تابعوه في تيه مهلكة داجية الظلمات لا يميز هو نفسه فيها معالم تهديه ، ولا يعرف منجاة تنجيه ، ولا توهم فجر قد يرف لحظة في دياجيته .

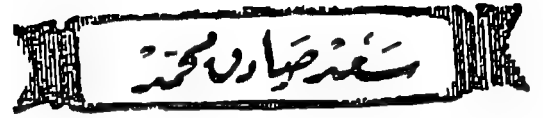
كنا نترقب من حجة الإسلام ، وهو يتحدثنا عن أمر ، هو ملاك الدين كله ، وقوام النجاة ، وصلاح الدنيا ، وسعادة الآخرة — كنا ننتظر — أن نظفر منه — وهو يتكلم عن التوحيد بحجة بيضاء من القرآن ، ودليل غالب من السنة ، أو برهان ساطع من العقل ، غير أن حجة الإسلام أدار ظهره للنور ، حتى لا يكشف الناس وجهه ، بيد أن النور غمره من كل مكان ، فبدأ الفزالي في صورته الحقيقية صورة الصوفي الثائه . صورة الرجل الذي لا يقيم للقرآن ولا للسنة ولا للعقل وزنا .

أما السنة ، فقد حاربها بما ملأ به كتابه الإحياء من أحاديث جملها موضوع ، والأخرى : واهنة السند ، وقل أن تعثر فيه على حديث صحيح . أما العقل ، فصادمه بأسطورة الكشف أو بهذا عزله عن نقده ، وعزل نفسه عن أحكامه ، أما القرآن ، فناهضه بالتحريف الصوفي لمعاني آياته .

كنا ننتظر منه أن يلزم الناس الحجة بما أوتيته من بصر بكتاب الله ، غير أنه — مخافة أن ينكشف عواره ، وبقيته السطو على ضمايف الإيمان والقلوب — لجأ إلى ادعاء أن العلم بحقيقة التوحيد لا يؤخذ إلا عن طريق الكشف !! فإن جئناه من القرآن أو السنة أو العقل بما يناقض ظنونه وأوهامه وزعمه ، زم شفتيه وصعر خديه ، وقال : والسكنى أخذت على عن طريق الكشف !! هذا مبلغ حجة الإسلام من العلم ، حسبه أن يزعم أن الوحي السماوي يجد السبيل إلى قلوب أمثاله ، وأنه يهديه إلى ما لم تأت به نبوة ، ويدله على ما لم ينزل به كتاب .

عبد الرحمن الوكيل

« لانتظرات بقايا »



عَزَواتُ الرِّسُولِ

صلى الله عليه وسلم

فتح مكة

« وقفنا في حديثنا السابق عن فتح مكة عند إسلام أبي سفيان وعودته إلى مكة ليعلم فيها أن الرسول صلوات الله عليه قد أعطى الأمان لأهل مكة لمن يدخل منهم دار أبي سفيان . ولمن يفتح عليه بابه ، ولمن يدخل المسجد الحرام ، وهنا تقمة الحديث » .

الكتائب تمر أمام أبي سفيان : ولكن إسلام أبي سفيان لم يمنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن يحتاط لنفسه وأن يتخذ كل ما عنده من أساليب القوة والحذر والأهبة لدخول مكة ، فإن القائد الحكيم الذي يرنو إلى النصر والظفر لا بد أن يحتاط لنفسه ، وأن يستعد للمعركة بكل ما عنده من أهبة وقوة . لا أن يعتمد على الأمل والتفاؤل فإن الله تعالى أمر بالاستعداد والأهبة والأخذ بأسباب النصر في قوله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم — الأنفال : ٦٠) ، لذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحبس أبو سفيان بمضييق الوادي عند مدخل الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها ، فينقل إلى قومه ماراته عيناه ما في المسلمين من بأس وقوة ، فتهاجمهم قريش وترهبهم ، ولا يجرؤ على التحدي والمقارمة ، وبذلك يدخل مكة بدون حرب .

وحبس أبو سفيان ، فرت الكتائب وهو ينظر إليها ، وكما مرت به قبيلة سأل

عنها العباس بن عبد المطلب ، وعند ما يخبره العباس باسمها لا يعيرها اهتماما ، وظل أبو سفيان على هذا الحال حتى سارت جميع القبائل مارة أمامه .

ثم مرت أمامه الكتيبة الخضراء وفيها رسول الله صلوات الله عليه ، يحف به المهاجرون والأنصار ، لا يرى منهم إلا الحدق والحديد ، فراحه منظر هذه الكتيبة ، فقال مبهوراً : سبحان الله ! يا عباس : من هؤلاء ؟ قال : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار ، قال أبو سفيان : ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة ، ثم قال : والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك بن أخيك اليوم عظيماً ، قال العباس : يا أبا سفيان إنها النبوة ، قال أبو سفيان : فقم إذن ، قال العباس : النجاء إلى قومك .

إثارة في غير موضعها : فلما مرت راية الأنصار بأبي سفيان — وكانت يومئذ مع سعد بن عباد — قال له سعد بقصد الإثارة والإغظة : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة ، اليوم أزل الله قريشاً .

فلما حاذى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان قال له شاكياً : يا رسول الله ، ألم تسمع ما قال سعد ؟ قال رسول الله « وما قال » ؟ قال : قال كذا وكذا .

وهنا تدخل الصحابييان الجليلان عثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف في الأمر وقال لرسول الله : يا رسول الله ، ما نأمن أن يكون له^(١) في قريش صولة . . فأراد النبي أن يطيب خاطر أبي سفيان ، فقال « بل اليوم يوم تعظم فيه الكعبة ، اليوم يوم أعز الله فيه قريشاً » ، ثم بعث رسول الله إلى سعد بن عباد فتنزع منه الراية ودفعها إلى ابنه قيس^(٢) . . . أجل ، لقد كان ماصدر من سعد إثارة في غير موضعها ، فلم يكن من الحكمة بعد أن انتهى أمر أبي سفيان بالإذعان لدعوة الإسلام ، وأطمأن الرسول إلى أنه

(١) ويقصدان به « سعد بن عباد » .

(٢) ويروى أن النبي أعطى الراية للزبير بن العوام ، راجع زاد المعاد للإمام ابن قيم الجوزية ص ٣٩٢ ج ٢) .

سيدخل مكة بغير حرب .. لم يكن من الحكمة إذن تحريك النفوس إلى الشر والفتنة ، ولقد عرف النبي صلى الله عليه وسلم خطأ تصرف سعد بن عبادة في هذا فاضطر إلى أن ينزع منه الراية ويسلمها لابنه .

أهل مكة يتفرون : أما أبو سفيان فقد أخذ طريقه إلى قومه ، حتى إذا أتاهم صرخ بأعلى صوته : يامعشر قريش : هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن .

وثارت هند بنت عتبة لما قاله أبو سفيان ، فقامت إليه وأمسكت بشاربه وقالت : اقتلوا الحميت^(١) الدسم^(٢) الأحمس^(٣) السابقين ، قبح من طليعة قوم ، قال لهم أبو سفيان : ويلكم لا تفرونكم هذه من أنفسكم ، فإنه قد جاءكم بما لا قبل لكم به ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن . فقال له الناس في استخفاف : قاتلك الله ! وما تنفي عنا دارك ؟ ! قال : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد .

عند دخول مكة : وسار النبي صلوات الله عليه حتى إذا دخل مكة من أعلاها ، ضربت له هنالك قبة ، ثم فرق الجيش إلى أربع فرق ، وأمرهم ألا يقتلوا أحداً إلا إذا أكرهوا على القتال ، فجعل الزبير بن العوام على الجناح الأيسر ليدخل مكة من شمالها ، وجعل أبا عبيدة بن الجراح على الحسر والرجالة ليدخل مكة من أعلاها ، وجعل خالد ابن الوليد على الجناح الأيمن ليدخل مكة من أسفلها ، ورسول الله في كتيبة ، ثم أمر رسول الله خالد بن الوليد فقال : « إن عرض لكم عارض من قريش فاحصدوه حصداً حتى توافونا على الصفا » .

ودخلت جيوش المسلمين مكة ، فلم يبق أحد منها مقاومة ، إلا جيش خالد ، فقد تجمع

(١) الحميت : زق السمن . (٢) الدسم : اللحم السمين ،

(٣) الأحمس : الشديد اللحم . وكلها صفات في الضخامة والسنة .

نفر من سفهاء القوم ممن كانوا لا يزلون على الحقد والتعصب ولم يستمعوا لنداء أبي سفيان .
تجمع هؤلاء السفهاء بالخدمة^(١) بعدتهم لقتال المسلمين . وكان فيهم عكرمة بن أبي جهل .
وصفوان بن أمية . وسهيل بن عمرو . وما أن تعرضوا للمسلمين حتى أمطروهم جيش خالد
بوابل من النبل . واقتتل الفريقان . فتمكن خالد من ضربهم وتمزيقهم وتشتيتهم . ففر
صفوان وعكرمة ضمن من فروا . واستشهد من المسلمين رجلان : كرز بن جابر الفهري .
وخنيس بن خالد بن ربيعة ، وكانا قد سلكا طريقاً غير طريق خالد وضلا . أما المشركون
فقد قتل منهم اثنا عشر رجلاً .

ومما يروى في شدة قتال الخدمة أن حماس بن قيس بن خالد كان يعد سلاحاً قبل
دخول المسلمين مكة لقتالهم ، فقالت له امرأته : لماذا تعد ما أرى ؟ قال : لحمد وأصحابه ،
قالت : والله ما يقوم لحمد وأصحابه شيئاً ، فقال لها : والله إنى لأرجو أن اخذ ملك بعضهم ،
ثم أنشأ يقول :

إن يقبلوا اليوم فما لى علم هذا سلاح كامل وإله

* وذو غِرَارَيْنِ سريع السـله *

وعند ما انهزم المشركون . وفر حماس بسلاحه مع صفوان وعكرمة ، دخل بيته وأمر
امرأته بأن تغلق عليه بابه ، فلما سأله عما كان يقوله قبل المعركة ، قال :

إنك لو شهدت يوم الخدمة إذ فر صفوان وفر عكرمة

وأبو يزيد قائم كالوثمن واستقبلتنا بالسـيوف المسله

يقطعن كل ساعد وجمجمه ضرباً فلا يسمع إلا غفمه

لهم نهيت حولنا وهمهم لم تنطق في اللوم أدنى كلمه

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى وهو بالجبل ما يدور في أسفله من قتال فكان مضطراً أن يقبله ، ولو خالف ذلك خطته السلمية في دخول مكة ، مادام سفهاء قريش قد أجبروا المسلمين على القتال .

الرسول يدخل مكة : ونهض الرسول والمهاجرون والأنصار بين يديه وخلفه ومن حوله ، فدخل المسجد ، وأقبل على الحجر الأسود فاستلمه ، ثم طاف بالبيت على راحلته ويده قوس أخذ يضرب به الأصنام التي كانت منتشرة حول البيت وعليه ، وعددها ثلاثمائة وستون صنماً ، أخذ يطعنهما ويقول : (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً — الإسراء : ١٧) جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد .

وتهاوت الأصنام وسقطت على الأرض ، واقتصر الرسول (ص) على الطواف لأنه لم يكن محرماً ، فما أن أكمل طوافه حتى دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ، فأمر بفتحها ، فلما دخلها رأى فيها صوراً كما رأى صور إبراهيم وإسماعيل يستقيمان بالأزلام فقال : « قاتلهم الله ، والله ما استقيما بها قط » فأمر بمحو هذه الصور ، فمحيت ، ثم أغلق عليه وعلى أسامة باب الكعبة ، واستقبل الجدار المقابل للباب ، وعلى مسافة تبعد عن الجدار بثلاثة أذرع صلى ركعتين ، ثم دار في البيت وكبر في نواحيه ووجد الله ، ثم فتح الباب وخرج من البيت ، وقريش قد ملأت المسجد صفوفاً ينظرون ماذا يصنع بهم فاتجه إليهم رسول الله صلوات الله عليه وقال « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ألا كل مأثرة أو مال أو دم : فهو تحت قدمي هاتين ، إلا سدانة البيت ، وسقاية الحاج ، ألا وقتل الخطأ شبه العمد : السوط والعصا ، ففيه اللية مغلظة : مائة من الإبل : أربعون منها في بطون أولادها ، يامعشر قريش : إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعظمها بالآباء ، الناس من آدم ، وآدم من تراب . ثم تلا قوله تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير — الحجرات : ١٣) .

أخ كريم وابن أخ كريم : ثم سأل الرسول صلى الله عليه وسلم قريشاً « يا معشر قريش ما ترون إني فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً . . أخ كريم ، وابن أخ كريم . قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه « فإني أقول كما قال يوسف لأخوته (لا تثريب عليكم اليوم) اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

ياله من عفو جميل صادر من نفس كريمة !! ما أكرم النفس التي تأتيها القدرة على الانتقام . فتسمو وترتفع عما تقدر عليه . . إنها ولا شك نفس جبلت على السمو والعفو ، وفطرت على الصفح والكرم ، لأن الله الكريم هو صانعها للكرم الجميل . وهادياً إلى الخلق العظيم .

لقد صفح الرسول صلوات الله عليه عن قريش في أحلك اللحظات . وأقصى الظروف . بينما كانت قريش لا تكف لحظة عن إيذائه والإساءة إليه وإلى أصحابه يوم كانت صاحبة سلطان .. بل ولم تسكن تتورع عن قتله لو سئحت لها الفرصة ، كما سؤل لها الشيطان يوم أن هاجر إلى يثرب . . وهكذا يدلل الإسلام على أنه دين عفو وكرم إلى جانب أنه دين يأخذ المعتدى بالشدة إذا ما اعتدى .

ثم دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن طلحة فسلمه مفتاح السكبة ، وقال له : « هاك مفتاحك يا عثمان . اليوم يوم برٍّ ووفاء » . . كما دعى إليه بلالا وأمره أن يصعد على السكبة ليؤذن ففعل .

ثم دخل رسول الله دار أم هانئ بنت أبي طالب فاغتسل ، وصلى ثماني ركعات في بيتها وكان الوقت ضحى ، فظنّها الناس صلاة الضحى .

ووقف الرسول صلى الله عليه وسلم وقفة تأمل يجيل بصره فيما حوله من وادي مكة وشعابها . وقلبه مغمم بشكر الله تعالى أن تفضل عليه وأعاده إلى مسقط رأسه . وأرض الرسالة الطيبة منتعراً عزيزاً بعد أن أخرجه قومه من أهله ودياره معذباً مهانئاً .

ولما استقر الفتح أمّن الرسول صلى الله عليه وسلم الناس كلهم إلا تسعة نفر . أمر بقتلهم . وإن وجدوا تحت أستار الكعبة . وهم : عبد الله بن سعد بن أبي سرح . وعكرمة ابن أبي جهل . وعبد العزى بن خطل والحارث بن نفيل بن وهب ونفيس بن صبابه وهبار بن الأسود . وقينتان لابن خطل . وسارة مولاة لبعض بنى عبد المطلب . ولكن خمسة من هؤلاء أسلموا وحسن إسلامهم فقبلهم رسول الله وعفا عنهم ، وهم : عبد الله ابن أبي سرح . وعكرمة بن أبي جهل . وهبار بن الأسود وإحدى القينتين . وسارة . أما الباقيون فقد قتلوا .

الرسول يخطب في الناس : وفي غداة الفتح قام رسول الله صلوات الله عليه في الناس خطيباً ، فقال : « أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، فلا يحل لأمرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دماً أو يفضد بها شجرة . فإن أحد ترخص بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا : إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لك . وإنما حلت لي ساعة من نهار . وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس . فليبلغ الشاهد الغائب » .

النبي يأمر بكسر الأوثان : وفي خلال إقامته بمكة أخذ يرشد أهلها إلى أمور الدين ومبادئه . كما بعث إلى الأوثان التي حول الكعبة ، فكسرت : اللات . والعزى . ومناة وغيرها .

ونادى مناديه بمكة يقول : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنماً إلا كسره » .

وبهذا محا رسول الله صلوات الله عليه آثار الوثنية في مكة . . ورفع عليها منار التوحيد الخالص .

بَابُ الْمَفْتَاوِي

جاءتنا هذه الأسئلة من الأخ صالح حسن درويش بالقبابات :

أرجو التكرم بالإجابة على هذه الأسئلة بمجلة الهدى النبوى الغراء .

س ١ - اتفق جماعة من الناس على أداء الجمعة في أحد منادر القرية مع تعدد المساجد بها فهل هذا جائز شرعاً ؟ .

س ٢ - ما هى الأضحية المجزية وما شروط كل نوع منها من الضأن والمعز والغنم والبقر من حيث السن وخلافه ؟ وهل يجوز شراء لحم من الجزار يوم وقفة عرفات وتوزيعه على الفقراء ثم الذبح من أول يوم إلى رابع يوم العيد دون إخراج شيء من الأضحية نفسها ؟ أرجو بياناً وافياً عن الأضاحى يقطع كل لبس .

س ٣ - أمرنا الله ورسوله بصلة الرحم فمن هم رحم المرء المقصودون بأمر الله ورسوله ؟ .

س ٤ - فى هذا العصر كثرت المزروعات مما لم يكن فى صدر الإسلام فهل كل المزروعات متى بلغت النصاب وجبت زكاتها ؟ وما هو حد الزكاة بالنسبة لمكاييل أيامنا ؟ هل الحد ٥٠ كيلة بالكيل وهى تساوى أربعة أراذب وكيلتين ؟ أرجو توضيح الزكاة وما يتعلق بها توضيحاً يفى عن السؤال . وما حكم المزروعات التى لا تقوم بالكيل كالخضروات مثلاً ؟

س ٥ - كيف تكون الزكاة الشرعية (الذبح) وهل هناك تحديد للذبح لكل الذبائح أم أن لكل ذبيحة وضماً خاصاً ؟

س ٦ - سجل رجل لأولاده جزءاً كبيراً من أملاكه دون مقابل وذلك لغرض خاص ليس منه حرمان وارث من حقه ثم مات فهل تعتبر التركة المسجل منها وغير المسجل كلاً ؟ أم يحصل من سجل له شيء وعليه ، وحده ثم يأخذ نصيبه فيما تركه المورث دون تسجيل لأحد ؟ مع بيان الوصية والفرق بين الوصية لو ارث والوصية لغير وارث ؟

الحمد لله :

ج ١ - لم يؤثر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أدى صلاة الجمعة في غير المسجد إلا ما رواه ابن سعد وأصحاب السير من أنه صلاها مرة في بطن الوادي ، وهذا لم يصح . فواظبته عليه السلام على أدائها في المسجد دليل عدم جواز أدائها في غيره .

وبناء على هذا لا يجوز أدائها في أحد منادر القرية مع تعدد المساجد بها .

ج ٢ - لا تجزئ في الأضحية إلا المسنة من الإبل والبقر أو الجذع من الضأن وهو ماتم له سنة على الصحيح لما رواه جابر رضي الله عنه من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تذبحوا إلا مسنة إلا أن يعسر عليكم فتذبحوا جذعة من الضأن » .

وأما جذعة المعز فلا تجزئ في الأضحية لقوله عليه السلام لمن ذبح قبل الصلاة وأراد أن يذبح مكانها جذعة المعز « اذبحها ولا تصلح لغيرك » وقال النووي إن هذا متفق عليه . ولا تجوز الأضحية بأعضب القرن وهو الذي ذهب نصف قرنه فأكثر ولا بالعوراء البين عورها ، ولا بالمريضة البين مرضها ، ولا بالعرجاء البين ضلعها ولا بالكسراء التي لا تنقي ، ولا بالمصفرة التي استوصلت أذنها .

ويستحب تسمين الأضحية لما رواه البخاري عن أبي أمامة بن سهل قال « كنا نسمن الأضحية بالمدينة وكان المسلمون يسمنون » .

ولما رواه أحمد عن عائشة قالت (ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين سمينين عظيمين أملحين أقرنين موجواين) .

ويستحب كذلك أن تكون عفراء أى بيضاء بياضاً ليس بالشديد لما رواه أحمد عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « دم عفراء أحب إلى الله من دم سوداوين » ويجزئ الجذع من الضأن عن واحد وأهل بيته ونجزيء المسنة من الإبل والبقر عن سبعة كذلك . وقيل تجزئ البدنة من الإبل عن عشرة ومن البقر سبعة لحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال « كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فحضر الأضحية فذبحنا البقرة عن سبعة والبعير عن عشرة » .

ولا يجوز ذبح الأضحية قبل الصلاة لقوله عليه السلام لمن فعل ذلك : (شاتك شاة لحم)
 وأيام التشريق كلها أيام ذبح وهى يوم الأضحية وثلاثة أيام بعده ، فمن أخر الذبح إلى اليوم
 الرابع جاز ، ولكن عليه إذا ذبح أن يأكل منها ويطعم الفقراء والمساكين .
 كما يجوز له أن يدخر منها لحديث سلمة بن الأكوع المتفق عليه : قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم :

« من ضحى منكم فلا يصبحن بعد ثلاثة وفي بيته منها شيء » . فلما كان في العام المقبل
 قالوا يا رسول الله نفعل كما فعلنا في العام الماضي ؟ قال : « كلوا وأطعموا وادخروا فإن ذلك
 العام كان بالناس جهد فأردت أن تعيموا فيها » .

ج ٣ - والرحم التي أمر الله ورسوله بوصلمها هى كل من أدلى إليك بقراءة من جهة
 إليك وأملك أو من جهة أحدهما ، فيتناول الإخوة والأخوات والأعمام والعلمات والأخوال
 والحالات وفروع هؤلاء جميعا ، كل على حسب درجته في القرب والبعد . وكلما كان
 الشخص أقرب في الدرجة كان حقه في الصلة أوكد ، كما قال عليه السلام لمن سأله عن أحق
 الناس بحسن صحابته : « أملك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك » .

ج ٤ - وأما المزروعات التي تجب فيها الزكاة متى بلغت نصابا ، قالصحيح أنها
 كل ما يمتقات به ويدخر من الحبوب والثمار ، كالحنطة والذرة والشعير والفول والتمر
 والزبيب ونحو ذلك بخلاف ما لا يمتقات به كالبرسيم أو مالا يدخر كالخضروات .

ومقدار النصاب الذي تجب فيه الزكاة هو خمسة أوسق لقوله عليه الصلاة والسلام :
 « ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة » وقد ر ذلك بالكيل المصرى بنحو خمسين كيلة .
 والمقدار الذي يجب إخراجه هو نصف العشر إن كان الزرع قد سقى بالناضح يعنى
 بآلة ، والعشر إن كان قد سقى بالسبح أى من غير آلة . والله أعلم .

ج ٥ - وأما الذكاة الشرعية فشرطها للتسمية في ابتدائها ، وأن يكون الذبح بمحدد
 لا يكون سنا ولا ظفراً لقوله عليه السلام : « ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فمكلا

ما لم يكن سنّاً أو ظفراً » وبسن للذابح أن يحد شفرته قبل الذبح لتجهز على الحيوان بأقل ألم وفي أسرع وقت وأن يريح البهيمة ولا يجرها جراً عنيفاً ولا يريها المذبة قبل الذبح .
فقد روى شداد بن أوس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته » .

والسنة في الإبل أن تفحر في لبثها وفي البقر والغنم وغيرها أن تذبح بقطع أوداجها .
ج ٦ - صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لا وصية لوارث) .
فلا يجوز لأحد أن يخص بعض أولاده بشيء من ماله على سبيل الوصية فإن الوصية حينئذ باطلة . وأما إن كان قد سجل له شيئاً في حياته فإن هذا يخرج من ماله ولا يضم إلى التركة عند القسمة ، ولا يسقط هذا نصيب ذلك الولد في الميراث ولكن ذلك يعتبر ظلماً وجوراً من المورث . والله أعلم .

ومن عبد الرحمن محمد العبادي — درديب — سودان .

س ١ : اشتركت في بنك يقال له التجاري وكنت أظن أن هذا البنك يشتغل في الأعمال التجارية فقط ، ولكنني علمت أن البنك يقوم بجميع أعمال البنوك من دفع الفوائد (الفايز) على الأموال المودعة وغيرها . ولذلك أردت سحب المبلغ الذي ساهمت به في هذا البنك . لكن هذا البنك راح جداً . فقد كان السهم فيه بخمسة واحد ، والآن السهم فيه بأربعة جنيهات .

فهل يمكنني أن أسحب مبلغى الخاص وأن أصرف الفوائد كلها للفقراء والمساكين ، بدلا من أن أتركها لأصحاب البنك المخالفين لأمر الله .

س ٢ : من هو العبد ؟ وهل العبيد نوع واحد أم عدة أنواع . مثلاً أن يكون عبد شرعى وعبد غير شرعى . وهل يوجد نوع من الناس خلقهم الله عبيداً أعنى - عبيد الرق - ؟ أرجو الإفادة والسلام من الله الأجر والثواب .

ج ١ - مادمت قد تحققت من أن البنك يمارس أعمال الربا ويقوم بدفع فوائد على الأموال المودعة فيه فلا يحل لك أخذ شيء من هذه الفوائد ولو بنية التصديق به على الفقراء والمساكين فقد روى أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً » .

وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يكسب عبد مالا من حرام فينفق منه فيبارك له فيه ، ولا يتصدق به فيقبل منه ، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار . إن الله لا يمحو السيء بالسيء ، ولكن يمحو السيء بالحسن ، إن الخبيث لا يمحو الخبيث » .

ج ٢ - إن الله عز وجل خلق الناس كلهم أحراراً فكلهم لآدم وآدم من تراب . وليس لابن البيضاء فضل على ابن السوداء إلا بالتقوى قال تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير) .

ولكن الشعوب هي التي أحدثت نظام الرق فكانت الأمم الغالبة تسترق من تحت يدها من الشعوب المغلوبة ، وكانوا يسترقون الأسارى والسبايا من النساء حين يحارب بعضهم بعضاً .

فلما جاء الإسلام وجد أن الضرورة قاضية ببقاء هذا النظام ، فإنه لو ألغاه لكان ذلك إلغاءً من جانب واحد ولكنه لم يجعل للرق إلا سبباً واحداً فقط وهو أن يغلب المسلمون على قوم من الكفار فيأخذوا منهم أسرى من الرجال أو سبائاً من النساء فيصحبوا غنيمة للمسلمين فيقتسمهم الإمام بين الغانمين .

وقد عمل الإسلام على تصفية الرق فرغب في عتق الرقاب وجعل العتق كفارة لكثير من المخالفات كقتل الخطأ والظهار والجماع عمداً في نهار رمضان وغير ذلك .

قال عبد الشرعى هو من ملكك رقبتك لهذا السبب وحده وهو وقوعه أسيراً للمسلمين .
وليس هناك أمة من الناس خلقها الله عبيداً بالفطرة فيباعون ويشتررون .

ومن أبو بكر محمد طه بالقضارف — سودان .

نشرت بعض الصحف بالسودان السؤال الآتى مع الجواب عليه . نرجو إقادتنا إذا
كان الجواب صحيحاً أم لا . (ونشر ذلك بالهدى النبوى) وجزاكم الله خيراً .

السؤال — يقولون — الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر — وافرض إننى لا أعمل
فحشاء ولا منكر . لماذا أصلى . ويقولون — الصيام : لى يشعر الإنسان بأخيه الإنسان
ويعرف مرارة الجوع والفقر . وأنا أشعر بكل ذلك فلماذا أصوم .

سليمان إسماعيل محمد الشاعر

وكان الجواب :

١ — أنت تصلى رغماً من أنك لا تفعل فاحشة ولا منكراً ، لأنك أولاً تؤدى فرضاً
واجباً عليك ، ولأن الصلاة بجانب مكانتها الدينية تكسبك فوائد كثيرة ، إنها تفتح
للناس فرص اللقاء فى المساجد وغيرها ، فيستفيدون من هذا اللقاء فى حياتهم ، ثم إن الصلاة
تفيد المرء من حيث النظافة التى يلقاها من الوضوء والحركات التى يؤديها ، وقد علل عالم
أمريكى قلة مرض السل لدى المسلمين مع أنهم فقراء فى الغالب الأعم ، لأنهم يزيلون
بالوضوء الجراثيم التى تسبب الأمراض التى تفعل بهم .

٢ — أما فيما يتعلق بالصوم فأنت تصوم رغماً عن أنك تحس بما يلاقيه أخوك المسلم
من حرارة الجوع لأنك تؤدى فرضاً واجباً عليك فى المقام الأول ، ثم تكسب معدتك
راحة من غناء أحد عشر شهراً ، ولا يخفى ما فى ذلك من فوائد صحية ، كما أنك فى الوقت
نفسه تعلم ضبط النفس والسيطرة عليها ، إلى غير هذا من فوائد الصوم الكثيرة .

ج — ما نشر فى بعض الصحف جواباً عن سأل عن فائدة الصلاة لمن لا يرتكب
فاحشة ولا منكراً ، وفائدة الصيام لمن يحس بألم الفقراء هو جواب صحيح .

ونزید علی هذا أن الآية الشریفة أعنی قوله تعالى (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنکر) لم تحصر فائدة الصلاة فی ذلك فإن الصلاة لها من الفوائد الروحية والاجتماعية بل والبدنية مالا حصر لها ، ولكن القى لا یصلی فإنه لابد أن یرتکب الفحشاء والمنکر ، فإن عدم إقامة الصلاة دلیل على فراغ القلب من حب الله ، والقلب لا بد أن یحب وبشهى ، فإذا فرغ من حب الله فإنه یتعلق بأنواع من الشهوات کحب النساء والأموال والأولاد وغير ذلك ، فالصلاة هی التى تنفى ذلك عن القلب لأنها توجهه إلى محبوب واحد وهو الله عز وجل .

وإذا لم یکن لله عز وجل من الوقار والهيبة فی نفس العبد ما یحمله على أداء فرائضه ، فكیف یرجى منه أن یقوم بحق غیره فیبذل للناس الخیر أو یکف عنهم شره وأذاه .

محمد خلیل هراس

جميع منتجات الألبان الطازجة وأخر أنواع البقالة

تجددها عند شركة

شاكر القمبشاوى وعبد الحميد الشريف

٤٥١ شارع بور سعيد (بين الصورين سابقا) بالقاهرة

سجل تجارى رقم ٧٥٦٩٣

تليفون ٩٠٧٤٠٤

النور المحمدي

هذه قصيدة ضمنها ردًا على العقائد الشركية التي اصطنعها أعداء الله من الشيعة والمتصوفة التي شابت ردحًا من الزمن جمال التوحيد ونضارة وجهه المشرق ، كقولهم إن نور النبي صلى الله عليه وسلم خلق قبل آدم ، وتناقضته الأصلاب والأرحام ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قبضة من نور الله ، إلى غير ذلك . . ولعلني وفقت في هذه القصيدة .

وتحضرني قصة بهذه المناسبة: ذلك أن واعظًا رسميًا ، ذهب إلى قرية (دروة) من أعمال مركز ملوى ، وقال فيما يعظ به الناس : « إن الله أخذ قبضة من نوره فقال كوني محمدًا ، فكانت محمدًا !! » وظن أنه في الريف قد يتسع المجال لأمثال هذه الترهات . ولكن أبى الله إلا أن يرسل إليه مصليًا من الفلاحين — لا من العلماء — وسأله قائلاً : يا سيدي الشيخ ! هل هذه القبضة حسية أم معنوية ؟ فبهت الشيخ ، فأردف الفلاح قائلاً : إن قلت يا سيدي (حسية) فقد كفرت .. فحمد حسي ، والله ليس بحسي . . وإن قلت إن النور معنوي فيكون وهماً ، والله ورسوله ليسا ب وهم . . ونحن أحوج إلى بيان خلق الرسول صلى الله عليه وسلم ، فإن الله قد أراحنا وقال له : (قل إنما أنا بشر مثلكم) فأغلق على الشيخ واضطرب وجلس مع المصلين واستمع لوعظ خطيب المسجد ، وهو مدرس ابتدائي ؛ والقصة تنفاقلها الألسن دائماً في (دروة) . وهذه هي القصيدة :

نور الرسالة للوجود منارٌ	يسعى إليه الهائم المختارُ
هدى الرسالة والرسول يهداها	وحى الكتاب ، وكلمها أنوار
والقلب مشكاة الهداية مبهر	بالعلم يمنحه الهدى القهار
والحق بالإيمان فيه موضح . .	كالشمس ما حجب الضياء ستار
لا يهتدى للنور إلا مؤمن	يهوى المسكارم والهدى بختار
كم جاهل جاء النبي محمدًا	فتنوّرت بلمقائه الأفكار
يأتيه بسأل عن هداية دينه	كيف النجاة من الردى وفرار ؟

ما كان يسأله الشفاعة طالباً هل كان يملكها له المخنار ؟؟
الله يملكها ويأذن مانحاً إن الشفاعة أهلها الأطهار

ما كان نور محمد متنفلاً . .
بل كان نوراً في القلوب مكانه
نور من الله العلي مخلد . .
لم تخلق الدنيا لأجل محمد
هل كان يخلق للرسول مكذبا ؟
بل كان خلق رسوله لقيادة
الله يخلق للعبادة خلقه^(١)
قالوا ضياء العرش نور محمد
ما كان خلق محمد من قبضة
من (آدم) كل الخليقة إنسهم
هل كان نور الله جسمًا باديًا ؟
مثل النصارى يمدحون مسيحهم
قالوا المسيح هو الإله ، وتارة
كم شبهوا ذات الإله وضلوا
كم أولوا قول الكتاب وآمنوا
الله يشهد ، والكتاب مبين
والسنة الفراء يدفع نورها
الشمس تكسف يوم موت وليده
فترى الرسول يردم عن قولهم
الشمس جرم ، والسكواكب مثلها

يحويه صلب فاجر كفار
يحظى به أهل التقى الأبرار
للمؤمنين ، وفيضه المدرار
زعم - وربى - كله أوزار
من أجله ؟ أم زاغت الأبصار
بالحق يسمى جندها الجرار
وهو المقدر ، جلّت الأقدار
إفك - وربك - للاضلال يثار
من نور ربك ، قالها الفجار
والرسل إنس - كلهم أخيار
أو بعضه مما ترى الأنظار ؟ !
ولهم جدال باطل وحوار
ابن له ، كم يكذب الكفار !
كم حرفوا قول الرسول وجاروا !
بالإفك ، تلك ضلالة وبوار
والحق بسطع ، والهداة تغار
ذاك الظلام ، وباطلا ينهار
قالوا : عجيب تحزن الأتقار ؟ !
ويقول : تلك جهالة وعثار
خلق يطيع ، بأمره دوار

(١) الإشارة إلى قوله تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) .

لا شأن للرسل الكرام وغيرهم والله يحكم ، لا يرد قرارُ
يا قوم إن الله يبعث آية .. للمؤمنين ، فيؤمن الأخيارُ

ماذا تقول وفي التشيع محنة ١٩ وكذا التصوف نكبة وخسار
كم قائل بالنور حل بشيخهم فتطاول الأشـمـاخ والأشرار
وتشبهوا بالمشرـكـين عقيدة وشيوخهم رهبانها ، الأخيار
شدوا الرجال إلى القبور عبادة في ساحها كم يشرك الزوارُ
هـذا يقبل أرضها متبركاً .. بالترب ، تلك فضيحة وشنارُ
أو ذاك يهتف ضارعاً ومنادياً للهـامدين فتعبد الأحجار
وترى المواكب بالذباح قربة للقبر ، تلك مذلة وصفارُ

يا قوم هذا ملحد متربص ! بالمسلمين ، وحاقد جبار !
يا قوم قد صاح النذير منادياً أهل التقى ، هل ينفع الإنذار ١٩
يا قوم نور الوحي يسطع في الدجى حتى يراه مجاهد صبار
الذكر باق والشريعة عزة والدين حق ، كله إكبار
والشرك والإلحاد أحقر ذلة لا تركنوا للذل ، فهو دمار
أنتم جنود الله فارعوا حقه والنصر مكفول لكم ونخار
سيروا على هدى الكتاب ويمموا نحو الشريعة ، والصراف نهار
وتوسلوا بالصالحات وسارعوا لجنان خلد تحتها الأنهار
الله يكلؤكم بصالح سعيكم وينير قلباً بالهدى ، فيفار

عمرو محمد حسن القنري

إمام وخطيب للمسجد المجيدى بملوى



مجلة الشبان . . والتوسل بالأولياء

في مجلة الشبان المسلمين باب تحت عنوان « الشرق والغرب يتلقيان في لجنة الفتوى » ومهمة هذا الباب حل المشكلات الدينية التي يبعث بها إليها قراؤها . والرد عليها . . وفي هذا العدد تلقت اللجنة سؤالين من قارئ بطنطا يسألها حكم الدين في التوسل بأولياء الله الصالحين . وتقديم الذبائح لهم .

أما السؤال الأول فقد قالت اللجنة فيه « نفيد بأن التوسل إلى الله تعالى بأوليائه الصالحين باعتبار أنهم أعظم عند الله شأنًا . وأقرب إليه من غيرهم بعملهم أمر لا شيء فيه ما دام ذلك لم يؤد إلى ارتكاب محرم » .

... وأما السؤال الثاني فقد فتح الله على اللجنة فأصابت الحقيقة في الرد عليه فقالت « أما ذبح الذبائح ونذر النذور للأولياء ، فإن قصد به الفاعل لنفس الأولياء فإن ذلك باطل والوفاء به حرام . أما إذا قصد الفاعل به انتفاع الفقراء فقط فهو جائز لأنه نوع من الصدقة ، ولا يلزم نقل الذبائح إلى مقار الأولياء . بل له أن يذبحها بمكانه هو ويوزعها على الفقراء ببلده . »

« مجلة الشبان عدد جمادى الآخر ١٣٨٣ الموافق أول نوفمبر ١٩٦٣ »

وهكذا لم توفق اللجنة الموقرة فيما افتت فيه عن السؤال الأول ، كما وفقت في الإجابة عن السؤال الثاني .

ولما كان موضوع الفتوى يتصل اتصالاً وثيقاً بمقيدة التوحيد وحقائقه . فمن حقنا نحن المسلمين أن نسأل : إلى أى شيء استندت اللجنة في أن التوسل بالموتى باعتبار أنهم أقرب عند الله شأنًا وأن ذلك أمر لا غبار عليه ؟ وكيف عرفت أن التوسل بالموتى أمر لاهرمه فيه ١٢ . هل بنت هذا الرأى على دليل من آية قرآنية ، أو سنة صريحة ١٣ ؟ إن الذى نعتقده أخذاً من القرآن والسنة أن الشريعة الإسلامية ليس فيها ما يؤيد — من قريب أو بعيد — ما زعمته اللجنة في شأن التوسل . بل الإسلام على النقيض من ذلك ينهى أن يلتجئ إلى الولى الميت في ساعات الشدة والكرب — مهما بلغ الولى في تقواه ومنزله عند الله — لينقل إلى الله شكايته وطلبه . . لقد اعتبر الإسلام هذا العمل شركاً صريحاً يوجب غضب الله ومقتته .

وما أمر به الإسلام في شأن التوسل هو أن يلجأ الإنسان إلى الله بدون واسطة يتضرع إليه . ويسأله قضاء حاجته . سواء في الصلاة أو في أى وقت آخر . والله تعالى — وهو السميع البصير الخبير بأحوال العباد — قادر على أن يجيب دعوة الداع إذا آمن به وأخلص له التوجه والدعاء . وفي هذا يقول تعالى (وإذا سألك عبادى عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) البقرة . ١٨٦ . هذا هو التوسل المشروع الذى يرضى الله عنه ويستجيب لصاحبه . وفي قصة الثلاثة الذين أوتوا إلى الغار ليحميهم من المطر فانطبق عليهم الباب بصخرة . فسألوا الله بصالح أعمالهم وخرجوا من الغار . . في تلك القصة دليل على كبير على وجوب التوسل إلى الله بصالح العمل دون ما يعمل به الناس من وسائط هى الشرك بعينه .

وإذا قلبنا صفحات التاريخ لنعرف صلة الأمم السابقة بالشرك . نجد أنهم كانوا يعتقدون أن الله هو خالق كل شيء . ويده وحده تدبير الأمور . يقول تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله) العنكبوت : ٦١ ، ويقول عز من قائل (قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون . سيقولون لله . المؤمنون : ٨٨ ، ٨٩) .

ومع إقرارهم بألوهيته تعالى في الخلق والتدبير ، فإنهم حين سئلوا عن سبب توسلهم بالموتى قالوا (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) . الزمر : ٣ .

هكذا حكى القرآن عن شرك الجاهلية الأولى حين اتخذت الموتى وسطاء وشفعاء . .
وهكذا نجد الجاهلية الثانية وهى تتخذ الموتى وسطاء وشفعاء . ولجنة الفتوى بالشبان المسلمين تفتى بذلك وتقول إنه : أمر لا شىء فيه . فما أشبه التوسلين . . وما أشبه الليلة بالبارجة ! ! .

* * *

الذكر . . وصلته بالإسلام

تحت عنوان « الثننى والتمايل والعريضة الحركية ليست من الدين فى شىء » كتب الأستاذ عبد الوهاب دنيا كلمة فى باب « مع الناس » بجريدة - المساء - يستهجن فيها أعمال العريضة والمجون والتقاليد السيئة التى يمارسها بعض دعاة الدين باسم « ذكر الله » وما كتبه فى هذا قوله :

إن هذه التقاليد السيئة تندرج تحت لفظ « الشعوذة والهجول الرخيص » ومحاولة ارتداء ثوب الزهد والورع والتقوى والفضيلة لاستغلال البعض من الجماهير استغلالاً بشعاً يمكن أن يوصف بالاحتيال .

ومن العادات التى ينبغى أن يقضى عليها « الأذكار » فما زال ىرن فى أذنى ما قاله البعض من الأجانب عند ما كانوا بطوفون بمولد كبير من الموالد التى تقام فى العاصمة عند مشاهدتهم لبعض الناس يتمايلون ويثنون ويهتفون باسم الله عز وجل فى صوت مبجوح من كثرة الثننى والتمايل . . لقد قالوا : هل تعاليم الدين يطالبكم بالقيام بهذه الحركات المحمومة المستيرية ؟ .

إن الدين برىء من هذه الحركات الدخيلة عليه : فلا الدين طالبنا بأن نثنى وتمايل ونحن نذكر اسم الله ، ولا أقره أحد من أئمة المسلمين الأولين .

وإذا كان في العاصمة التي يوجد فيها الأزهر الشريف بعلماؤه السكبار . توجد فيها مثل هذه المهازل . فما بال القرى التي ما زال للأذكار فيها مكانة كبيرة ؟ .

وهذه البدع لا تقتصر على أضرحة الموالد فقط . بل إنها تمتد لتشمل المقابر أيضاً .

إن الدين الإسلامي حسب التعاليم السامية السمحة التي نراها بوضوح في القرآن والحديث لم يطالبنا بشيء من هذا . من أجل ذلك يجب أن يتحرك الأزهر للقضاء على هذه البدع المضلة والشعوذة والدجل .

إن علماء الدين في بلادنا . وهم أقدر الناس على فهم التفاصيل الدقيقة لتعاليمنا الروحية مطالبون بأن يحرروا أفكار السذج من تلك الأوهام الكاذبة التي يحاول المشعوذون إلباسها ثوب القدسية الروحية ، وعن هذا الطريق يثرون إرثاء فاحشاً عريضاً .

« المساء » يوم ٢٣ نوفمبر ١٩٦٣ »

كلمة حق تقال في أمر يتصل بسمعة الإسلام ومبادئه السامية . فالواقع إنه ليحزن المسلم النقيور أن يرى هؤلاء المفتونين الدجاجلة وهم يعبتون بقيم الدين ومبادئه وحقائقه — باسم الإسلام — ثم لا يتحرك ، ولا ينبه ولا يستنكر هذه المساوئ بقلبه . وهذا أضعف الإيمان .

ونحن مع الأستاذ الكاتب في كل ما قاله — بكل تفاصيله — عن ذلك الأسلوب المبتدع البغيض الذي يتبعه المنحرفون المضللون في أذكارهم لله تعالى . فإن المسلم الحق لا يليق به أن يذكر الله بهذه الصورة المزرية المنفرة . بل خليق به أن يذكر الله بما شرع وبما بين رسوله صلى الله عليه وسلم حتى لا تبدو مبادئ الإسلام مبتورة في نظر أعدائه فيتخذون منها مادة للإساءة إليه . كما تبشيتها أهواؤهم وأحقادهم .

وإذا كنا مع الأستاذ الكاتب فيما قاله استنكاراً لما يفعله تجار الدين الآثمون في حلقات الذكر . . ودفاعاً عن حقائق الإسلام ومنهجه وشرعه ، فإننا نخالفه رأيه فيما يتصل بموقف شيوخ الأزهر من بدعة الأذكار .

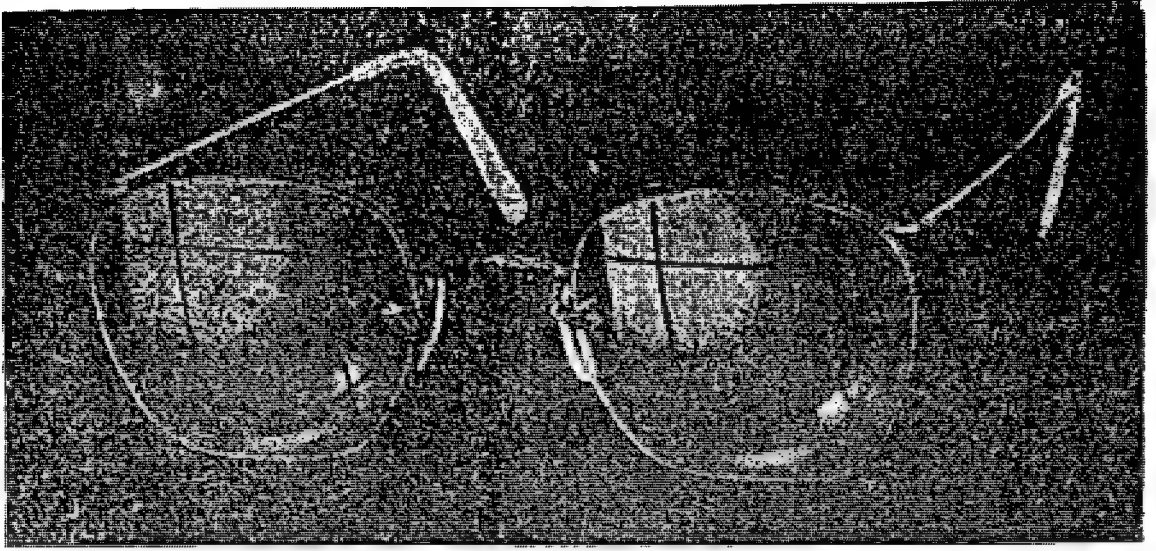
قالوا أن بعض علماء الأزهر وغيرهم من دعاة الحق - أفراداً وجماعات - أدوا وما زالوا يؤدون ما عليهم من واجب التنبيه والتحذير في كل أنحاء البلاد بقدر ما يملكون من جهد سلبى . . وماذا يملكون أكثر من وسيلة البيان والتنبيه .

وفى اعتقادنا أن الذى يملك الوسائل الفعالة الإيجابية لإبطال أعمال الدجل والبدع هى الدولة . فهى وحدها التى تملك السلطة التنفيذية لتنقية الدين من هذه الشوائب والمساخر . . نعم : الدولة قادرة على فعل ذلك بجرعة قلم . . وبصورة حاسمة .

ونذكر أنه فى عام ١٩٦٠ طلب المسئولون فى شئون الإحصاء والتمداد من وزارة الثقافة والإرشاد إبطال مولد « العريان » - الذى يوجد ضريحه بطريق المعادى ، بعض الوقت . إذ تبين أن المحتفلين بالمولد كانوا يقضون فى ساحته سبعة أيام أو أكثر . الأمر الذى عطل أعمال التعداد فى تلك السنة . وفعلًا استجابت وزارة الثقافة للطلب وأبطلت المولد لمدة معينة . . فلم يثر أحد من إبطال المولد . . بل ولم يغضب العريان نفسه لعدم إقامة مولده فى مواعده - كما يتوهم أكثر الناس -

نسوق هذه الحادثة للتدليل على قدرة الدولة فى تنفيذ ما يصعب تنفيذه على رجال الأزهر وغيرهم ، من دعاة الحق .

إننا نطالب أجهزة الدولة أن تتحرك نحو الأمكنة التى تمارس فيها هذه البدع للقضاء عليها قضاء مبرما فإن هذه البدع محال أن تزال بخطب الواعظين . وإنما تزال بسلطان المسئولين « وإن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » كما يقول الحديث الشريف .



أحدث النظارات الرائعة تجدها عند الأخصائي

أحمد محمد خليل

المصري الوحيد خريج جامعة باريس شارع الجوهري

رقم ١ ميدان العتبة والعر التجاري القديم شارع ٢٦ يوليو

س . ت ٢٣٤٥ — تليفون ٩٠٨٢٦٢

شركة غريب للساعات والمجوهرات

إدارة : محمد الغريب محمد البار

بشارع محمد بك فريد رقم ١١٧ مصر عابدين

أحدث الساعات في المتانة ودقة الصناعة

والمجوهرات والنظارات — أسعار مذهلة

تساهل في الدفع على أقساط شهرية

المحل ورشة فنية للتصليح

﴿ أنصار السنة المحمدية لهم امتيازات خاصة ﴾

المدد ٩

المجلد ٢٨

رمضان
سنة ١٣٨٣

خير اللهى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

المهدي النبوي

تصديرها جماعة أنصار السنة المحمدية

مدير الإدارة

سليمان ميمون

رئيس التحرير

عبد الرحمن الوكيل

٣٠ ملما

مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير
ت ٩٠٦٠١٧

الفهرس

صفحة	
٣	التفسير للأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل
١٥	بساطة العقيدة الإسلامية » أحمد أحمد على حسن
١٨	البحر للسيدة الجليلة حرم الدكتور محمد رضا (رحمه الله)
٣٣	ذكريات رمضان للأستاذ سعد صادق محمد
٢٦	الحكم والحكام في الإسلام للأستاذ الشيخ السيد عبد الحلیم ملاقی
٣٠	الفتاوى » محمد خليل هراس
٣٥	تحية شهر رمضان (قصيدة) للأستاذ نجاتي عبد الرحمن
٣٨	نظرات في التصوف للأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل
٤٦	ذكريات للأستاذ نجاتي عبد الرحمن
٤٩	البدع (قصيدة) للأستاذ عبد المنعم محمد حلى عبد الرحمن

رجاء إلى السادة المشتركين

والمتمهدين

نرجو من السادة المشتركين المتأخرين في سداد اشتراكاتهم أن يتفضلوا بالمبادرة إلى سدادها .

كما نرجو من المتمهدين بالفروع أن يتكرموا بإرسال مالههم من أثمان المجلة .
والمرجو إرسال جميع الحوالات وقيم الاشتراكات والذممات المتأخرة
باسم السيد / محمد رشدي خليل أمين صندوق الجماعة .

٨ شارع قوله بمابدين — القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مدير الإدارة

للمجاهد مومن

الاشتراك السنوي

٣٠ - في الجمهورية العربية

المتحدة والسودان

٤٠ - في الخارج

المهدي النبوي

مجلة شهرية دينية

صدرها جماعة انصار السنة المحمدية

رئيس التحرير

عبد الرحمن الوكيل

أصحاب الامتياز : ورثة

الشيخ محمد حامد الفقي

المركز العام : ٨ شارع قولة - عابدين القاهرة - تليفون ٧٦٥٧٦

المجلد ٢٨

رمضان سنة ١٣٨٣

العدد ٩

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال - جَلَّ ذِكْرُهُ - : (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ : لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ ، أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا . فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ مَرَجًا . فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ : آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا . قَالَ : أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ ، فَإِنِّي نَسِيتُ الْخُوتَ وَمَا أَنَسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ، وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا . قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ، فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا . فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتِيَهُمَا رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا . قَالَ لَهُ مُوسَى : هَلْ أَتَيْتَكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ يَمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا . قَالَ : إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا . وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا أَلَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا . قَالَ : سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا . قَالَ : فَإِنْ أَتَيْتَنِي ، فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا . السكهف : ٦٠ - ٧٠) .

معاني المفردات

« لا أبرح » قال الراغب : البراح المكان المتسع الظاهر القى لابتاء فيه ، ولا شجر ، و برح ثبت في البراح ومنه قوله عز وجل : لا أبرح . وخص بالاثبات كقولهم لا أزال : لأن برح وزال اقتضيا معنى النفي ^(١) .

و « لا » للنفي . والنفيان يحصل من اجتماعهما لإثبات مجمع البحرين ^(٢) : قال قتادة وغير واحد: ملتي بحر فارس مما يلي المشرق وبحر الروم مما يلي المغرب ، وعن محمد بن كعب القرظي : مجمع البحرين عند طنجة يعني في أقصى بلاد المغرب . وأقول : لعله طرف شبه جزيرة سيناء جنوباً حيث يلتقي الخليجان ، فما نعرف مجعاً لبحر فارس والروم .

« حَقَبًا » : جاء في المختار : الحَقْب الدهرُ وجمعه أحقاب والحَقْب بالضم وسكون القاف ثمانون سنة ، وقيل أكثر من ذلك وجمعه حِقَاب . والحِقبة واحدة الحَقْب وهي السنون . وقد اختلف في مدة الحقب . فقال ابن كثير إنها في لغة قيس سنة ، ونقل عن عبد الله بن عمرو أن الحقب ثمانون سنة ، وعن مجاهد أنه سبعون خريفاً ، وعن ابن عباس وقتادة أنه دهر . وقول ابن عباس وقتادة هو المعتمد ؛ ولهذا يقول الراغب : والصحيح : مدة من الزمان مبهمة ، وجاء في البخاري تفسيرها بالزمان .

« حوتهما » الحوت : للعظيم من السمك ، وهو مذكر وجمعه حيتان .
 « سَرَبًا » قال الراغب : السَّرْبُ الذهب في حُدُور . والسَّرْب الطريق المنحدر .
 « فتاه » ورد في البخاري أنه يُوشَعُ بن « نون » . وقد جاء في سِفْرِ الخُرُوج من

(١) خلاصة هذا أن كلمة لا أبرح هنا تساوى في المعنى : لا أزال أسير حتى أبلغ مجمع البحرين . وقد يكون التقدير لا يبرح مسيرى حتى أبلغ .

(٢) تزعم الصوفية أن البحرين هما موسى والخضر ، إذ كان موسى بحر علم الظاهر وكان الخضر بحر علم الباطن .

العهد القديم كتاب اليهود ما يأتى « وكان موسى ابن مائة وعشرين سنة حين مات ، ولم تسلك عينه ولا ذهبت نضارته . . . ويشوع بن نون كان قد امتلأ روح حكمة ، إذ رضع موسى عليه يديه فسمع له بنو إسرائيل ، وعملوا كما أوصى الرب موسى . . . وكان بعد موت موسى عبد الرب أن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلاً : موسى عبدى قد مات ؛ فالآن قم اعبر هذا الأزدن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التى أنا معطيها لهم أى لبني إسرائيل ^(١) » وهذا يفيد أن يشوع نبى من أنبياء بني إسرائيل . والله أعلم بهذا . وليوشع سفر خاص مسمى باسم « يشوع » يقع فى « العهد القديم ^(٢) » بعد سفر « التثنية » وعدد إصحاحاته أو فصوله أربعة وعشرون .

« غداءنا » الطعام الذى يتناول وقت الغداة وهى الضحوة ونحسب من أول النهار . وبعض اللغويين فرق بين الغداة والغدوة . فالغدوة هى ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس . والغداة كما بينت . وبعضهم سَوَّى بينهما فى المعنى . ويبدو هنا أن الغداة هى الضحوة إذ المعروف أن موسى تناول طعامه بعد سفر من أول النهار .

« أوينا » أوى إلى الشيء انضم إليه . والمقصود ملنا إلى الصخرة وأقمنا عندها « واتخذ سبيله فى البحر عجباً » قد يكون تقديرها : واتخذ الحوت سبيله فى البحر سبيلاً عجباً . أو : واتخذ الحوت سبيله فى للبحر اتخاذاً عجباً . وقد تكون كلمة « عجباً » من كلام الفتى . كأنه قال فى آخر كلامه : عجباً . وقد تكون من كلام موسى : أى قال موسى فى آخر جوابه : عجباً . فيكون المعنى : إن الحوت اتخذ له سبيلاً فى البحر أثار العجب والدهشة فى نفس موسى وفناء . أو أن موسى اتخذ له عجباً من سبيل الحوت فى البحر .

(١) انظر الإصحاح الأخير من سفر التثنية والأول من يوشع .

(٢) العهد القديم مكون من التوراة المحرقة وعدة أسفار تنسب إلى أنبياء بني إسرائيل وعلى هذه جميعاً أطلق النصارى اسم « العهد القديم » أما مجموعة أناجيل النصارى وأسفار رسلهم فسموها العهد الجديد .

« نبع » الابتغاء مجاوزة الحد في الطلب . أو هو طلب عن شوق شديد . أو لهفة بالغة
« فارتدا على آثارها » أى رجعا يسلكان نفس الطريق الذى سلكاه من قبل ،
وحا يمشيان على مآركا من آثار في هذا الطريق حتى يهتديا إلى الصخرة التى نسيا
عندها الخوت .

« قصصا » هو مصدر مؤكد لفعله المحذوف الذى تقديره : يقصان .
والقص : تتبع الأثر . ومعنى هذا أن موسى وفتاه كانا يتبعان آثارهما على الطريق
اتباعاً محكماً دقيقاً حتى لا ينحرفا عن الطريق المؤدى إلى الصخرة قيد شعرة . وهذا يدل
على أنهما كانا يسلكان طريقاً معالمة قليلة وغير جليلة . أولاً معالم فيه سوى آثارهما .
وأستطيع استنباط أنه كان فى صحراء وسيمة .
« رشدأ » الرشد عكس الفنى يستعمل استعمال الهداية . والفنى هو جهل عن اعتقاد
فاسد فيكون الرشد هو علم من اعتقاد صحيح . وهو الصلاح ، وهو خلاف الفنى والضلال
وهو إصابة الصواب .

« خُبرأ » الخبرة : المعرفة ببواطن الأمور ، وقيل إن الخبر هو العلم بالأشياء المعلومه
من جهة الخبر .

« ذكرا » يقال ذكرته بقلبي وبلسانى . فكل قول باللسان يسمى ذكراً ،
وكذلك كل قول قلبي : يريد أنه سيعلمه علماً يكون على قلبه ولسانه هُدى له .

« المعنى »

يذكرنا الله سبحانه بقصة رسول هو من أولى العزم من الرسل ، قصة حبه العظيم
للمعرفة ، حتى ليستبين بالسعى الجهد حقها طوالاً فى سبيل الحصول على المعرفة . المعرفة
التي تزيده قوة يقين ، وسمو إيمان وجمال توكل واستسلام بالغ الفذل والعبودية لله سبحانه ،
المعرفة التي تزيده بصراً بأمور الحياة وطبائع النفوس البشرية ، فيكسبه هذا خبرة دقيقة ،
وتجارب يستطيع بعدها معالجة القضايا البشرية التي تعرض له كنبى ورسول وقائد أمة
أجهده ، وأكدته ، وصابرها طويلاً .

لقد رأى من العبد الصالح الجحود بالجميل حيث ظن وجوب العرفان به ، والسعى في سبيل المكافأة عليه ، ثم تبين له أن هذا الذى ظنه إنما هو البر الكريم والعمل الذى كان يجب أن يكون به وحده التمييز عن العرفان بالجميل .

ورأى القتل يحدث حيث كان يجب - في ظنه أن يكون الحب دافعا هنا إلى الحرص البالغ على حياة القتيل وصونها من كل ما قد يغال من نضرتها الحلوة الزاهية .

ثم تبين له أن هذا القتل الذى أثار سخطه ، وأنساه الوفاء بوعدده والحفاظ على عهده ، ما هو إلا أصدق تعبير عن حُمو الحب وشفافيته الرقيقة الرفيقة الصافية ، وروحانيته التى تقدست بقدسية الغيب ، وعن تجسد قوة الإيمان فى عمل يحتاج إلى مجاهدة للمعاطفة البشرية حين تمفو بصاحبها إلى العطف على جميل رائع الصبا ساحر الفتنة . تبين له أن قدرة الله لا تسير على هوى الإرادة البشرية ، وإنما بإرادة القوى الحكيم الخبير . تبين له أن الذى يقع هو ما يجب أن يكون ويجب الله أن يكون ، لا ما نريد نحن أن يكون ، وتنظما أهواؤنا إلى أن يكون !! .

ورأى كيف كان الإحسان الرائع جزاء للإساءة البالغة التى تدمى الحياء ، وتجرح الكرامة ، فاستوفزت نفسه إلى القصاص العادل من هؤلاء ، ثم يتجلى له بعد أن هذا الإحسان كان يجب أن يكون ، وأنه لم يكن جزاء لإساءة وإنما كان ثوابا لإحسان قديم هكذا علمه الله على يد بشرى مثله لم يكن فى مكانته ، وإن كان على علم من الله سبحانه فاخترقت همسات الإعجاب بنفسه فى نفسه ، وازداد إيمانا - كما آمنت الملائكة من قبل - بأن الله وحده علم الغيب . وأنه لا يمكن لسكان ما أن يعلم منه شيئا إلا بفضل من الله سبحانه .

فهل يستطيع العقل البشرى وحده أن يستقل بمعرفة الخير والشر ؟ أو أن يفصل فى أمور الدين بين الحق والباطل ؟ .

هذا رسول عظيم استطاعت ظواهر الأشياء أن تصرفه عن حقيقتها ، فحكم على

العرفان بالجليل أنه جحود وعلى الفضيلة أنها رذيلة ، وعلى الطاعة أنها معصية ، وعلى القيام بالواجب أنه ذل وامتهان .

هكذا حكمت بشرية موسى بهذا الحكم حين لم يسمفها الوحي بالحكم الصادق !! فهل نستطيع أن نحكم نحن البشر ، ولسنا رسلا ، حكما صحيحاً على حقائق الأشياء الدينية دون عون من وحي الله ؟

لا أحد يستطيع أن يهمس بهذا سوى من خدعتهم أهواء بشريتهم عن الحقيقة ، ومن فتنهم الشيطان عن سبيل الله ، ومن أخذ التصوف بخطامهم فدلّاهم إلى سواء الجحيم . فنضرع إلى الله سبحانه أن يلممنا الحكم الصائب في قضايا الدنيا والدين .

ولم ترد قصة موسى هذه مع العبد الصالح إلا في سورة الكهف ، وقد وردت وروداً يستطيع من أوتى حظاً من القراءة والكتابة أن يفقه منه العبرة البالغة . ولم تفصل القصة كلّ ما كان يمكن أن يقال . فهي لم تذكر السبب الذي من أجله خرج موسى مسافراً ولم تذكر اسم العبد الصالح ، وإنما ذكرت بعض صفاته التي تتعلق بها العظة ، وهي أنه رجل آتاه الله رحمة من عنده ، وعلمه من لدنه . وهاتان الصفتان تقضيان على كل ما سطر الصوفية من أضراب وأباطيل وأساطير حول الحقيقة والشرعية . فالذي كان العبد الصالح على بينة منه هو من الله وهو الحقيقة في الشريعة . والذي كان موسى على بينة منه هو الحقيقة في الشريعة . غير أن موسى وقت الاختبار كان موكولاً إلى نفسه !!

أما العبد الصالح ، فكان يتصرف بوحى من الله ، لا من نفسه ، فطابق عمله علمه ، أو طابقت شريعته حقيقته . فلم يكن ما فعله مخالفاً لشريعته . وإنما كان مطابقاً كما ترى لما علمه الله ، وأوحاه إليه . وتدبر قول الله سبحانه « وعلمناه من لدنا علماً » ليتجلى لك أن العبد الصالح ما كان يعمل إلا عن علم من الله . وسيأتى - إن شاء الله - فضل بيان عن هذا .

موسى صاحب القصة : هو - ولا ريب - موسى الرسول نبي بنى إسرائيل
 كلم الله . فقد نسب إلى كعب الأخبار وغيره أنهم يقول إن موسى القصة هو
 « موسى بن ميثا من أولاد يوسف بن يعقوب الذى كان نبياً قبل موسى » وهذا
 الزعم أسطورى ، فإن الله سبحانه لم يذكر فى القرآن مرة اسم موسى إلا وكان المراد منه
 موسى كلم الله سبحانه . فلو أن الله سبحانه كان يريد فى قصة الكهف موسى سواء ،
 لذكر معه صفة تميزه عن صاحب التوراة ، وقرينة تفصل فصلاً تاماً بين موسى صاحب
 التوراة وموسى بن ميثان كما يزعمون !!

وتجمع الأحاديث التى رويت عن أبى بن كعب أن سبب ابتلاء الله لموسى بالعبد
 الصالح أنه سئل : أى الناس أعلم فقال : أنا أعلم . وموسى فى مقياس الحقيقة التى تقاس
 بمقاييس البشرية المؤمنة غير مخطئ ، هذا لأنه كلم الله . فهل يوجد من هو أعلم من
 كلم الله . ثم إن موسى لم يقل أنا العليم . ولكنه ذكر أنه أعلم الناس ، لأن يستمد علمه
 من الله دون وساطة من أحد . ولكن رغم هذا تذكر الروايات أن الله عتب عليه إذ لم يرد
 العلم إليه . فإنما النبوة فى جلاله وجماله لا يقبل مثل هذا التعالى : « أنا أعلم » إنما يقول
 إيمان النبوة الذى يرد كل سبب إلى سببه الحق : « الله أعلم » وإن كان السؤال غير
 متوجه فى الأصل إلى هذا الجواب .

تؤكد الآيات بسياقها المعجز فى روعته وبلاغته أنه كان لموسى موعد عند مجمع
 البحرين ؛ ليلقى عنده عبداً صالحاً ، وأن موسى أكد عزمه على السير حتى يلقاه ،
 وإلا فسيظل أحقاباً طويلاً يخب فى مسيره الدائب لا ينى عنه .

دلائل متلاحقة على قوة موسى ، وسمو همته ، وشغفه الذى أشربه فى قلبه بالمعرفة .
 ونستطيع من الآية القرآنية أن نفهم تماماً أنه قيل له مامعناه : ستلقى بفيتك عند مجمع
 البحرين عقب أن يضيع منك حوتك عند الصخرة . وكذلك ذكرت الأحاديث
 إذ تقول « فأوحى الله إليه - إلى موسى - إن لى عبداً عند مجمع البحرين هو أعلم منك .

قال موسى : يارب فكيف لى به ، قال : تأخذ معك حوتاً فتجعله فى مِكتَل^(١) فحينما فقدت الحوت ، فهو نَمَّ « أى فهو هناك .

وظل موسى سائراً وفتاه يحمل حوتاً ، حتى بلغا مجمع البحرين ، ونمت شُغْلا عن أمر الحوت^(٢) ، فانسَل الحوت من مكنته ومضى يتخذ له سبيلاً منهدراً إلى البحر .

لم يذكر القرآن شيئاً عن قوم موسى وفتاه ، وقرأ الآية مرة أخرى . كل ما يقوله : « فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما » لكن بعض الأحاديث تسند إلى موسى أنه نام ، والأخرى تسند النوم إلى موسى وفتاه ، فانسَل الحوت من مكنته .

وبعض الروايات فى البخارى لا تذكر شيئاً عن نوم موسى ، أو عن نوم فتاه . ونعود إلى سياق القصة فى القرآن : وجاوز موسى المكان الذى نسيا عنده الحوت . فقال لفتاه — وقد أحس الجوع والتعب — آتفا طعامنا ، وكانا فى غدوة النهار ، ولهذا سمى الطعام غداء .

ونلاحظ هنا من نسق الآية ونظامها أن موسى طلب الغداء عقب أن جاوز الصخرة بقليل^(٣) ، فلا يعقل أن يظل سائراً بقية نهاره وليله ولا يتذكر غداءه إلا غدوة النهار اللاحق ، رجل مسافر مجهد تطالبه الفطرة البشرية بأن يتناول طعامه ، أتراه وهو فى سفره ووعشاء سفره يصبر على طعامه ، أو ينسأه نهائراً وليلة ١٩ .

وذكر موسى — كما يبين الله — ما يشبه أن يكون علة لطلب الغداء . وهو القول

(١) مِكتَل أو مكنته ، الزبيل الكبير . قيل إنه يسع خمسة عشر صاعاً كان فيه كتلا من التمر أو قطعاً مجففة . وبهذا نستدل على أن الحوت لم يكن ضخماً ضخامة عجيبة كما تصور ، فالمِكتَل وعاء يسع أقل من ثلاث كيلات على أكثر تقدير .

(٢) نسب النسيان إلى موسى وفتاه لأن موسى مسئول عن هذا النسيان مسئولية فتاه . ثم نسب الفتى النسيان إلى نفسه تأدباً مع موسى .

(٣) بذلك على هذا وجود الفاء فى كلمة « فلما » .

الذى قصه الله : « لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا » . والحكم على الفتى فى هذه الصورة البيانية بأنه لقي تعباً فى سفره كاللقى موسى ، يدل على بر موسى ورأفته وتواضعه ، فأنت لا تحس من كلمات موسى سوى أنه يخاطب رفيقاً أو صديقاً لا خادماً . وتحس بأنه شعر بما شعر به الفتى ، أو حكم عليه بما حكم به على نفسه لأنه آدمى مثله^(١) ، وهذه أريحية نفسية تشرق بها نفوس الذين يخشون ربهم .

وقال الفتى بطريقة تشرك بالآلفة العامة بينه وبين موسى ، وتوحى إليك بعمق هذه المودة بين الخادم ومخدومه « أرايت إذا وينا إلى الصخرة » يبعث بذكريات موسى وحواسه إلى وقت قريب ، ومكان غير بعيد ، يبعث بذكرياته وبصره إلى الوقت الذى أويافيه إلى الصخرة ، حتى إذا تذكر موسى الأحداث أعان هذا التذكر على الصفح عن الفتى لأنه يتحمل التبعة مثله ، ولكن الفتى أتبع هذا التذكير باعتراف يحمل به نفسه المسئولية ، فقال : إني نسيت الحوت .

ثم وجه النظر إلى عدو برجه كل مسلم بلغته ، وهو الشيطان ، فقال : « وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره » أى وما أنساني ذكره سوى الشيطان . . بهذا القول كشف الفتى عن أدبه الرائع ، فآله سبحانه ينسب النسيان إلى موسى وفتاه فى قوله « فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما » . غير أن الفتى الأديب الطيب الخلدوم ، أبى إلا أن ينسب النسيان إلى نفسه هو لا إلى موسى ، غير أنه فى حذر الحكمة ودقتها فى البيان أشار دون إساءة ما إلى أن موسى يحمل معه أيضاً أمر النسيان وذلك فى قوله « أرايت إذا وينا إلى الصخرة » بهذا يتذكر موسى العمل المشترك بينه وبين الفتى ، فيتذكر أيضاً أنه نسى مع الفتى . غير أن الفتى بعد أن يسند فعل « أوينا » إلى نفسه وإلى موسى ، يسند فعل النسيان إلى نفسه فقط ، فتدبر هذا الحظ العظيم من الأدب العظيم .

(١) أين هذا من يحكون على من يزعمون أنهم عبيد لهم بالوقوف طيلة النهار إما على أحدين ، وإما على مخدمه ، وإما على شهواته ، وإما على تدليك قدميه .

وفرح موسى بما حدث؛ لانه آية على قرب نواله ما كد، وتعب من أجله، ثم عادا يقصان الأثر؛ ليصلا إلى نفس المكان الذى نسيا عنده الحوت، فوجدا عبداً صالحاً من عباد الله لم يذكر القرآن اسمه، وإنما ذكره بصفة هي أعظم ما يتصف به المرء المسلم في حياته، وهى أنه عبد لله وذكر وصفه مُنْكَرّاً، فقال «عبداً» ولم يقل «العبد». وجاء بعده بما يؤكد انتساب هذه للعبودية إلى ربها العظيم، فليس هو عبد الصنم، ولا عبد الطاغوت، ولا عبداً لشهوة، ولا عبداً لحاكم، وإنما هو عبد من عباد الله سبحانه، والجهل بالاسم لا ينال من قيمة العبرة بما فعل المسمى، ولا سبياً والله قد وصفه بما يرفع من شأنه، فوصفه بأنه عبده، وبأن الله آتاه رحمة من عنده، وعلمه من عنده علماً. وهذه العنصرية تكشف في جلاء عن جمال هذه الرحمة وجلالها، وجلال هذا العلم وسموه. كان يمكن أن يقال «آتاه رحمة، وعلمه علماً». ولكن جاءت الكلمتان «عنده» و«لنا» تضيئان، وتهديان الروح والعقل إلى سمو الرحمة والعلم.

والإتيان بكلمة «علم» نكرة، تفيد أنه نوع خاص من العلم، هو استبطان حقائق الأشياء ومعرفة غيبها، وهذا ما كان يحمله موسى عليه السلام.

وبوصف الله له أنه آتاه رحمة، وأنه علمه من لدنه علماً تحدت مكانة العبد الصالح، وعرف أنه نبي، فهو ليس شيخ طريقة كما يزعم عبدة التصوف، وهو ليس من أهل الباطن المحدود مفهومه في عرف الصوفية، وإنما هو نبي من عند الله سبحانه.

وجاء موسى في أدب جم يعرض على العبد الصالح رجاءه في أسلوب يكشف عن شوق موسى ولهفته، وأدبه العظيم، إذ قال له «هل أتبعك» إن كلمة «هل» هنا تبسط لنا نفسية موسى حينئذ، وتكشف عن شغفه بالعلم، وعن أدبه في الطلب. ما قال: «سأتبعك» ما قال: «علمنى». وإنما عرض تبعيته أولاً، ثم طلب جزاء كريماً على التبعية، هو أن يعلمه العبد الصالح بما عُلِّمَ ثم جاء بكلمة تكشف عن حقيقة العلم الذى يريده، وهى حكمة «رشدًا» إنه لا يريد إلا علماً خاصاً. هو العلم الذى يهب له رشدًا.

قال العبد الصالح بإلهام من الله وتعليم منه : « إنك لن تستطيع معي صبرا » ، إذ ما كان له أن يتحدث عن غيب من نفسه ، ولا سببا ، وهو لم ير موسى من قبل ، ولم يجرب فكره ، ولا خلقه من قبل . ولقد جاء العبد الصالح بمؤكدات تثبت لنا أنه كان على يقين مما يقول مما يدل دلالة قاطعة على أنه كان يقول عن تعليم من الله ، لقد جاء « يان » التي تؤكد الجملة الإسمية ، وجاء بكلمة « عن » التي تستغرق المستقبل في نفيها ، وجاء بكلمة « صبر » نكرة ؛ لينفي عنه حتى القليل من الصبر . ولكن العبد الصالح جاء بكلمة « معي » ليقيد نفي الصبر عن موسى بها . فهو لا ينفي عنه الصبر مطلقاً بل ينفي عنه الصبر معه فقط . وقد حدث ما قاله العبد الصالح ، وانقطع صبر موسى عقب كل عمل كان يقوم به العبد الصالح ، وكان يعتذر ، ويعد ، ثم يرغمه ما يرى من العبد الصالح على الخروج عن صبره وعلى نسيان وعده .

ولقد تلمس العبد الصالح نفسه لموسى العذر بعد أن نفي عنه الصبر ، فقال له « وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا » أن تطلع النفس إلى معرفة الأسباب الخفية وشغفها بمعرفة المجهول ، ولمح الغيوب ، فطرة كامنة فيها ، وموسى بشر ، لهذا حكم عليه العبد الصالح بما هو مركز في جبلة البشر ؛ وهو أنه لن يصبر على شيء يراه دون أن يعرف أمراره ، وبواطنه ، ورد موسى في لهفة المؤمن : « ستجدني إن شاء الله صابراً » والفصل بين « ستجدني » ومفعولها الثاني « صابراً » بالاتكال على مشيئة الله ، إيمان دقيق قوى ملهم ، وتعليم لنا أن نكمل الأمر إلى مشيئة الله مع القيام بأسبابه ، وبأنه يجب علينا ألا نجزم بأن شيئاً ما سيكون إلا بعد أن تأذن له مشيئة الله ، فهذه مشيئة رسول من أعظم الرسل لم تجر كما قدر لها صاحبها ونفذت مشيئة الله سبحانه (١) .

« ولا أعصى لك أمراً » استسلام رائع يجلي لنا حب موسى للعلم ، ومحبة « أمر » نكرة فيها شمول وعموم كان يلزم موسى بطاعة العبد الصالح في كل شيء . وما قال موسى

(١) كيف يزعم بعد هذا زاعم أن مشيئة الشيوخ لها الحكم على مشيئة الله ؟ .

هذا إلا بعد أن تبين له تقوى العبد الصالح وأنه لن يأمره بمعصية ، وإلا فقد كان له أن يقول « ولا أعصى لك أمراً صالحاً » .

وضح العبد الصالح شرطه ، وهو ألا يسأله عن شيء حتى يحدثه العبد الصالح عن أنبائه ، وطوى القرآن التصريح بما أجاب به موسى عن هذا الشرط ، غير أن سياق الآيات يدلنا على أن موسى وافق على هذا .

وقبل أن أترك الحديث أعود إلى رجاء القارئ ، وهو أن يتدبر القصة من القرآن بعد أن يقرأ ما كتبت ، فربما نذت عنى كلمة ، أو بدر من القول ما لا يوافق سياقها الكريم الجليل في القرآن .

وفي العدد القادم - إن شاء الله - أتكلم عن القصة كما وردت في الأحاديث ، وعن الخضر الذى صورته الأساطير !

أضرع إلى الله أن يهب لنا السداد فيما نعمل ونقول ، وأن يوفقنا إلى ما يحقق لنا محبته ورضوانه .

عبد الرحمن الركبل

« ليس الصيام من الأكل والشرب ، وإنما الصيام من اللغو والرفث ، فإن سابك أحد أو جهل عليك فقل : إني صائم ، إني صائم ، وكم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والغما ، وكم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر » حديث شريف .

« لا تزال أمتي بخير ما أخرجوا السحور وعجلوا الفطر . وتسحروا فإن في السحور بركة » حديث شريف .

بساطة العقيدة الإسلامية

ما أبسط عقيدة الإسلام ، وما أبسرها على النفس المؤمنة . إنها اليسر الذى لا حرج معه والكمال الذى لا نقص فيه . هى إيمان نظرى يمدّه تصديق تام بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، وحلوه ومره ، دون تفريق بين أحد من رسله . وإسلام عملى نتيجة الإيمان النظرى يدفع للؤمن إلى الانقياد التطبيقى لجميع المسامرات فعلا ، والمنهيات تركا .

والانقياد التطبيقى وهو الإسلام لا يخرج عن العادات العملية كالصلاة والصوم ، والزكاة والحج ، والتزام الصراط السوى فى الإلهيات ، وعدم الانحراف بها إلى التشريك الذى هو أساس كل بلاء .

وهو لا يخرج أيضا عن المعاملات التى لا تنحصر فى البيع والشراء ، والشركة والمزارعة والمضاربة فحسب ، وإنما تمتد إلى ما وراء ذلك من شتى الروابط الإنسانية .

والغاية من كل ذلك تزكية النفس ، ونظافة القلب ، وسمو الخلق . فكمال الأخلاق نعمة الدين ، والهدف من ذلك . إصلاح الفرد الذى يؤدى إلى إصلاح الجماعة فيعيش المسلم فى مجتمع سليم قانونه الضمان الاجتماعى ، ورائده الحب فى الله والبغض فى الله ، بل يتجاوز ذلك المجتمع الإسلامى إلى الأخوة الآدمية يفرها بالعدل والمساواة والسلام ، ويتمنى لها الهداية « كلّكم لآدم وآدم من تراب » ^(١) كما فى قوله تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) « سورة الحجرات » .

* * *

والقرآن الكريم يطلب من الإنسان أن تكون العقيدة منبعها العقل وليس المنفعة ، أو تقليد الآباء ، أو طاعة السادة والكبراء ، أو تميز إلى الصف الذى يفر أهله بالمنافع العاجلة ، أو يدفع عنهم الخوف المدمر .

ويعصمهم بالآيات ﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ﴾ (سورة الزخرف) ﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ﴾ (سورة الحج) ﴿ إنا أطمعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ﴾ (سورة الأحزاب) ﴿ وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا ﴾ (سورة القصص) .

ويهيب بهم أن ينظروا ويتفكروا ﴿ أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأناروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها ﴾ (سورة الروم) ﴿ أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين . أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء ﴾ (سورة الأعراف) ﴿ قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تنفي الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾ (سورة يونس) .

* * *

والدين الإسلامى فى يسره لم يوجب أن يكون الشرط فى صحة النظر فى الإسلام بترتيب المقدمات المنطقية ، والفلسفات العقلية ، وإنما الغرض الوصول إلى الإيمان من أقرب طريق ، وأبواب النظر مفتوحة للجميع من أى مستوى . فالخلق دليل على الخالق والرزق دليل على الرازق . والبصرة تدل على البعير . والعالم كله أوجده ، ودبره ، وكلاه المبدع العظيم ﴿ رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين ﴾ .

الملحدون

ربما يعترضنا سؤال عن نزعة الالحاد المتفشية فى بعض المجتمعات التى تنسب نفسها إلى المدنية الحديثة فكيف يحجب عنه . ونحن نقول أن نزعة الشك البريئة البعيدة عن الدواعى البيئية والتعصب الأعمى الممقوت إنما هى نتيجة الغفلة . فرجال الأعمال والأموال الذين ألهتهم أموالهم وأعمالهم عن كل شيء واستفرقت كل أوقاتهم ، يقولون إنهم لا يدرون شيئاً ، والقرآن يقرع أسماعهم وعقولهم لإيقاظها وافتها إلى المعالم المنشورة فى كل مكان . وفى كل شيء له آية تدل على أنه الواحد حتى لا يقولوا ﴿ إنا كنا عن هذا غافلين ﴾

وقد يكون مبعث الجحود غروراً يصاحب الجاحد بسبب علم وصل إليه ، أو قوة مستعظمة ، أو غنى مفرط ، أو غير ذلك .

﴿ فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم ﴾ (سورة غافر) .
 ﴿ وقالوا من أشد منا قوة ﴾ (سورة فصلت) ﴿ إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ﴾
 سورة العلق . هذا القدر الضئيل من العلم ، أو القوة ، أو الغنى إنما هو قطرة من بحر في جانب علم الله وقوته وغناه . ففاتيح الغيب لا يعلمها إلا الله ، ولو اجتمع الأقوياء جميعاً لم يستطيعوا أن يخلقوا ذبابة ولو اجتمعوا له ، كما لا يستطيعون أن يقتصوا منه إذا سلبهم الذباب شيئاً ، وتحداهم الله باختلاف الليل والنهار وأن يغيروها بسرمدية أحدهما . . . وهناك أشد عوامل الإلحاد وهو الرغبة الجاححة في عبادة الفرائز الدنيا ﴿ أفأريت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ﴾ (سورة الجاثية) أولئك الذين سدوا منافذ الهداية ، فكفروا ليفجروا وأنكروا وجود الخالق وسبحوا في عالم اللذة سبوحاً طويلاً متصلاً بغاية الهلاك . والاستعمار الغربي هو الذي فتح باب عبادة الهوى ليخلق من شبابنا الأغرار شباباً طرياً ، لا يهمه الوطن ولا تهمه القومية . ولكن يهدف إلى تقوية الاستعمار من حيث لا يدري ، وحسبه إرواء ظمئه من اللذات الخبيثة . وكان من أجل ذلك البهائية وغيرها من النحل المنحرفة .

ولو أن شباب المسلمين تركوا وفطرتهم لجنحوا إلى استقامة العقيدة وتكون منهم المجتمع الفاضل ، وتحقق وعد الله لهم في قوله ﴿ وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً ﴾ .

ولطالما صاح الواعظون : نحن في أشد الحاجة إلى أخلاق كاملة ولكن من أين نأتي بالأخلاق الكاملة وليس مناظها سوى العقيدة الراسخة في أعماق القلوب ، وإقامة العبادات التي تبعثها تلك العقيدة بعنا يشمر مكارم الأخلاق وحسن المعاملات . وأرجو أن أن أوفق في فرصة قريبة — إن شاء الله — إلى بيان نتائج العبادات وصلتها بفرس الأخلاق . والله المستعان

أحمد أحمد علي حسن

البحر

بقلم السيدة الجليلة حرم الدكتور محمد رضا رحمه الله

« سافرت الأخت الجليلة مع محرم لها إلى أوروبا لأمر صحي ، واقتضت عليها - حين ودعتها ليلة سفرها - أن تكتب لنا عما تشاهده من آثار قدرة الله وجلاله وجماله ، وعما تشعر به من عبرة يجليها قلمها العبقري .

والله يقول : « أولم يسروا في الأرض ، فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأناروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها ، وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » .

وقد برت السيدة الجليلة بما وعدت . وهذه أولى مقالاتها وقد كتبتها عن بديع صنع الله في البحر في أسلوب رقيق مشرق يكشف عن موهبة رائعة في الأدب الفنى . والله أسأل أن يمد لنا في عمر السيدة الجليلة ، وأن يجزيها عن الإسلام وأهله أبر الجزاء . ولعلنا نحن أنصار السنة أحوج ما نكون إلى تعلم البيان القوى ؛ لأننا نعرف الحجة القوية . ولنذكر الحديث « إن من البيان لسحرا » .

عبد الرحمن الوكيل

* * *

(الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون)
(الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار) .

يذكر الله تعالى عبده فى هاتين الآيتين الكريمتين بفضيلة البحر . إذ لولا البحار ما كانت الأمطار . ولولا الأمطار ما كانت الأنهار . فإن البحر مخزن مياه الأرض : ومن الماء كل شئ حى . والبحر أيضاً سبيل المواصلات بين الموانئ والقارات . فلولو البحر

ما تيسر للبلاد معها كانت نائية أن تتبادل تجارتها ومحصولاتها فتنتفع وتنفع غيرها . إذ لولا البحر ما جرت الفلك بما تحمل من فضل الله لثقله إلى شتى البلدان . فإن البواخر تحمل الكثير من البضائع والأقوات والصناعات . بل تحمل الآلات الضخمة والسيارات . فلقد دهشت لما رأيت في الثغور مما تنزله الباخرة إلى الأرض من صناديق وسيارات وحيوانات ثم تملأ من هذه الأرض ما أفرغته من مخازن لتفرغه في أرض أخرى . فصبهان من سخر الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس .

أبحرت الباخرة (إسبانيا) وتقدمت بنا بين زرقتين مختلفتين ، زرقاة قائمة مائجة تنبسط تحتنا مستديرة إلى الآفاق . وزرقاة صافية هادئة تمثل فوقنا حتى تلتقي الزرقتان حولنا . وبعد قليل رأينا شاطئ الأسكندرية وقد ابتعد عنا أو بالأحرى قد ابتعدنا عنه ، فبدأ كأنه شريط في الأفق يخاله الناظر يعلو ويهبط ، فيبدو ويتوارى خلف مؤخرة الباخرة لأنها كانت تتأرجح فوق أمواج نائرة صاحبة ، حتى إذا أدركت كل منها غريمها انقضت عليها فارتطمتا قافذتين . وانهالتا مزبدتين . ثم تلاشتا معا في رذاذ يتناثر متساقطا إلى الجانبين . جيش عرمرم يهوج ويمتد إلى الآفاق . يتقدم في سرعة . ويتلاحم في قوة . ويبطش في قسوة . ويتفانى حتى يفنى إذ تذوب كل موجة في موجة أخرى . كل ذلك والباخرة تشق بمقدمتها هذه الصفوف من جيوش الموج المهاجمة فتقذف بها إلى الجانبين مقهورة متلاطمة . ولكنها كانت تمور مورا ، وتمايل ذات اليمين وذات اليسار وتقفز صاعدة ثم تنزل هابطة كأنها ريشة في مهب ريح صرصر عاتية ، أو حبة قمح في قدر ينفلى فيه ماء . وكان لون البحر شديد الزرقاة ترسم فوقه تموجات من الزبد تغلوى وتتراقص وتنثر على صفحته من رذاذها الأبيض فتكسوه حلة رقطاء . وعند الغروب انعكس احمرار ضوء الشمس على ماء البحر فصار كنفار تتأجج ، وكأن أمواجه ألسنة من اللهب تندلع مزججة وتغلوى راقصة .

إعترانا دوار فأوينا إلى فراشنا فإذا بنا كأننا نرقد في غربال يقذف بنا إلى جميع النواحي وظللنا كذلك حتى غابنا النوم .

استيقظنا في الغد فإذا بالبحر قد هدأ نائره ، والحمد لله على فضله ، وظل يهددنا على

صدره في رفق . وسر يومان والبحر على هدوئه وفي اليوم الثالث اقتربنا من خليج (مسينا) وبدأ لنا شاطئ إيطاليا كالدهان ، أو كسحب قائمة في الأفق . ثم أخذت الجبال تتضح بالتدريج صفا من وراء صف ، وكل صف يبدو أقم مما وراءه ، إذ كلما زاد الوضوح كلما زها اللون . فكان من سلاسل هذه الجبال شريط مدرج اللون يمتد أفقيا بين زرقة السماء وزرقة الماء . ثم ظهر ما على الجبال من نتوء وفروج ، فكان ما نتأ منها يلعب بضوء الشمس وما انخفض يتوارى مظلما . فيترأى للناظر كثوب أدكن اللون قد نقش عليه بلا نظام رسومات لامعة متنوعة الشكل مختلفة الحجم .

وبعد قليل بدأ لأعيننا مدخل خليج (مسينا) وقد انفرج شاطئاه وامتدا متباعدين كأنه يمد ذراعيه ليحتضن ويعانق القادم إليه حفاوة وترحيبا . وتقدمت الباخرة إلى حضنه ودخلنا في صدره متوغلين بين شاطئ جزيرة صقلية عن يسارنا وشاطئ إيطاليا أو مسينا عن يميننا . ورأينا على الجانبين جبالا تنتشر فوقها مساكن جميلة ذات أسقف حمر وكثيرا من مصاب الأنهار تنحدر إلى البحر من الجبال فيلتقي الماءان ويختلط اللونان زرقة ماء البحر . بابيضاض ماء النهر .

ابتدأ الخليج عريضا ثم تقارب الشاطئان كلما تقدمنا حتى صار عرضه كعرض نهر النيل أربع مرات أو زيادة . ثم خرجنا منه بعد أن اجتزناه في أكثر من ساعتين وتركنا هذه الشواطئ وهذه الجبال تتضائل كلما نأينا عنها حتى غابت عن أعيننا في الأفق . فما أجمل النمو والوضوح بعد الغموض . وما أروع التلاشي والاختفاء بعد الظهور . فلقد رأينا ما رأينا دخانا في الأفق ثم شيئا غامضا ثم اتضح هذا الغموض تدريجيا حتى تجلى ونجسم . ثم عاد إلى التلاشي التدريجي فتضائل حتى غاب كأنه ما كان لولا ما انطبع في ذاكرتنا . وهكذا هي الحياة الدنيا بفرحها وترحمها وسعادتها وشقتها . نشوء فنمو . ثم تلاش فغياب .

ابتعدنا عن صقلية ومسينا واختفى أثرهما ومصرنا في بحر لا نرى فيه إلا الآفاق تحيط بنا دائرة من كل النواحي كأننا في وسط قرص أزرق قائم اللون تظله وتحيط به قبة زرقاء زاهية تحتضن زرقة قائمة . وتماوج ضوء الشمس على سطح البحر فصار كالاستعبرق إذ كان

يلمع وتنفوخ زرقته من زاهية إلى أزهى . ومن صافية إلى أصنى وأبهى . وصرنا في سكون لا يسمع فيه إلا زفير المساء وهو يتمزق بمقدمة الباخرة التي كانت تمخر متبخرة وتمايل ذات اليمين وذات اليسار كأنها تميس دلالة واختيالاً في لانهاية زرقاء وكأنها تسبح في زرقة السماء لا في لجة المساء .

وفي الليل اقتربنا من بركان استرمبولي . وما أدراك ما استرمبولي . إنه هرم هائل يعلو عن سطح البحر ٩٢٦ متراً يبرز من البحر وحده ، وينبعث من فوهتيه عمودان من الدخان الأحمر فيتراكبان فوق صحابة حمراء . أليس عجيباً أن يكون جبل نار في وسط البحر تتأجج فيه النيران فيحترق من الداخل ويغتسل من الخارج ؟ . زدنا قرباً من البركان فبدأ لنا في الظلام عينان حمراوان متقدتان يتطاير منهما الشرر . إذ للبركان تحت قمته المدببة الهرمية ثفرتان متوهجتان كلما هبت النار واندمجت من فوهته العليا تفجرت منهما مواد ملتهبة متوهجة ومدفقت كالماء جارية كأنهما غديران من النار قد نبعا من رأسه وانحدرا إلى سفحه . فمن وقت لآخر يرعد ويزجر ويندلع من فوهته في قمته لهب أحمر ينير ما يظلمه وما يتراكم فوقه وما يقذف به من دخان ، فترى فوقه صحابة حمراء قانية ويزيد توهج عينييه ومدفق النار وتطاير الشرر منهما . فيا للهول ويا للعجب . ما القى يفضبك أيها الجبل المسكين حتى تبكي طوال حياتك دموعاً من نار وتزفر زفرات ملتهبة مستمرة . ويتأجج في قلبك لهيب الغضب والسخط فيطارد من عينيك المتقدمين الشرر ؟ . أيفضبك ما تراه من فجور الإنسان وكفره أنيران وجد . أم نيران حقد : ما أشد غضبك . أو ما أعظم حبك . وما أثبت قلبك . حتى تتأجج النار بين جوانحك من قديم ولم تحب ولن تحمد إلى أن يأذن الله .

وقفت ساعمة أنظر إلى البركان والسحب تشف عن وجه البدر . ونوره الخافت يتلألأ راقصاً على أمواج البحر ، أرى احمرار نار البركان يلمع متوهجاً . وابتضاض ضوء البدر يلمع متموجاً . هذا يتأجج غضباً . وذاك يرقص طرباً . وهذا يبدو ساخطاً ثائراً . وذاك يبدو هادئاً راضياً .

ومن أعجب العجب أن هناك مساكن على انحدار سفح البركان وأن يعيش قوم

منمزلين عن العالم في هذا القفر ، يصعدون الأسماك ويشربون من آبار أو مما يختزنون من ماء المطر .

إن هؤلاء الناس بفضلون جيرة النيران وخطر نورة البركان . على نورة وخيانة الإنسان . وصوت زجاجة الذهب . على ضجيج اللهو والطرب .

وصلنا ثغر (جنوا) قبل ظهر الغد . ونزل إليها آلاف من المسافرين وتلال من البضائع والحقائب . ورأيت بمعنى معنى قوله تعالى [ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله] .

من آداب الصائم

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « للصائم فرحتان : فرحة عند فطره ، إذا أفطر فرح بفطره . وفرحة عند لقاء ربه ، إذا لقي ربه فجزاه ، فرح بصومه . والذي نفسي بيده خلوف فم الصائم أطيب عند الله ، يوم القيامة ، من ريح المسك » .

ومن أكل ناسياً أو شرب ناسياً وهو صائم فليتم صومه ، فإنما أطعمه الله وسقاه . وفي رواية : إنما هو رزق ساقه الله إليه ، فلا قضاء عليه ولا كفارة .

وثلاث لا يفطرن الصائم : الحجامة والقيء والاحتلام . ومن ذرعه القيء وهو صائم فليس عليه قضاء . ومن استقاء عمداً فليقض . وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستاك أول النهار وآخره وهو صائم .

وأول شهر رمضان رحمة ، ووسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار . وخير خصال الصائم السواك . والصائم في عبادة من حين يصبح إلى يمسي ما لم يفتب مسلماً أو يؤذه ، فإذا اغتاب خرق صومه ، والصيام جنة ، وحسن حصين من النار ما لم يخرقها بكذب أو غيبة .

ذكريات عزيزة في رمضان

من الذكريات العزيزة التي ترسخ في أعماق النفس . وينمطف إليها القلب هي تلك الذكريات التي ترتبط بأحداث جليلة مما أفرد لها التاريخ صفحات بيضاء ناصعة في سجله الحافل لتكون حية خالدة على مر الدهور والأزمنة .

وشهر رمضان الذي نستقبله اليوم حافلة أيامه بذكريات عزيزة من هذا النوع . . ذكريات خالدة مجيدة لا ينالها الزمن بالحو . ولا تهيل السفن على معالمها النسيان . ذلك لأن أحداث هذه الذكريات غيرت من حياة أمم وشعوب . وصنعت تاريخاً جديداً للجمع كان يعيش في ظلمات وجهالة . ويتقلب في حياة مليئة بمفاسد عقائدية واجتماعية .

وإذا فتشنا في سجل التاريخ الاسلامي عن أولى الذكريات التي توجت شهر رمضان . فسنجدها ذكرى عزيزة غالية تمثل من قلب كل مسلم مكان الصدارة والاعتزاز . . تلك هي نزول القرآن « المعجزة الإلهية الكبرى » .

ففي يوم عظيم حافل بالتأملات والمناجاة من أيام شهر رمضان المبارك هبط الوحي « جبريل » على رسول الله صلوات الله عليه وهو في غار حراء بعيداً عن مفاسد قريش ومعتقداتها وأصنامها ، فجلس إليه وقال له : اقرأ . قال الرسول « ما أنا بقارى » فعصره جبريل حتى ظن الرسول أن الموت قد حضره . ثم أرسله وقال : اقرأ . قال الرسول « ما أنا بقارى » فعصره مرة ثانية حتى ظن أنه الموت . ثم أرسله وقال : اقرأ . قال الرسول « ما أنا بقارى » ؛ فعصره مرة ثالثة حتى ظن أنه الموت ثم أرسله وقال : « اقرأ باسم ربك » الذي خلق . خلق الإنسان من علق .. » .

وهكذا نزل القرآن في هذا الشهر يشرق على العالمين بالنور والهدى والخير ، لينير لهم طريق الحياة الطيبة . ويهديهم للتي هي أقوم . كما يقول تعالى (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان — ١٨٥ : البقرة) .

وفي شهر رمضان المبارك يتلو المسلمون القرآن كله طوال لياليه تذكراً منهم بنعمة إنزال القرآن ، وشكراً لله على هذه النعمة الجليلة . وقد كان جبريل يأتي رسول الله صلوات الله وسلامه عليه كل ليلة في رمضان ليدارسه القرآن .

ويذكرنا شهر رمضان بعدة غزوات خرج إليها الرسول والمسلمون حيث تردد صداها الكبير في شبه جزيرة العرب مؤذنة بنصرة دين الله والقضاء على دين الوثنية والباطل . وأولى تلك الغزوات هي السرية التي خرج فيها حمزة بن عبد المطلب في جيش قوامه ثلاثون رجلاً من المهاجرين يعترضون عيراً لقريش آتية من الشام . وفي العير أبو جهل ابن هشام . فلما بلغ المسلمون سيف البحر من ناحية العيص ، التقوا بالمشركين واصطف الفريقان للقتال : ولما كان حليفاً لهما حال بينهما فعاد المسلمون إلى المدينة دون قتال .

ثم كانت غزوة بدر الكبرى في السابع عشر من رمضان . . تلك الغزوة التي كانت بحق حداً فاصلاً بين عهدين . عهد وثنية وظلمات وضلال . . وعهد توحيد ونور وهدى . ومن أجل تلك الغزوة خرج الرسول صلوات الله عليه والمسلمون معه ليعترضوا قافلة أبي سفيان وهي مقبلة من الشام . وكانت هذه العير قد افلقت من النبي صلى الله عليه وسلم حين سارت بإزاء الساحل وهي متجهة إلى الشام بتجارة عظيمة .

وعندما عرف أبو سفيان بما اعتزمه النبي ، أسرع بإرسال مبعوث إلى قريش يستنفرها لحماية عيرها . فخرجت النجدة وعلى رأسها أبو جهل وأنجمت إلى بدر وهناك نازل المسلمون جيش قريش . والتقت سيوف الجميع في معركة حامية انتهت بهزيمة جيش قريش على يد جيش المسلمين الذين أمدهم الله بقوة من عنده . . وبذلك انتصرت قوى الخير على قوى الشر والبنى والباطل .

ثم كانت بعد ذلك غزوة بني سليم حيث خرج إليها الرسول صلى الله عليه وسلم بعد

غراغه من بدر بسبعة أيام . فمكث ثلاثة أيام في مكان يقال له السكدر^(١) في انتظار المشركين . ثم عاد إلى المدينة ولم يقاتل أحدا .

ثم كان الخروج إلى غزوة النصر العظيم . والظفر الكبير وهي « فتح مكة » وفي تلك الغزوة أمر رسول الله أهله بتجهيزه . كما أمر الناس بالتجهز . وأخبرهم أنه سائر إلى مكة . ونصحهم بالتهيب والجد وقال « اللهم خذ العيون والأخبار على قريش حتى نبقتها في بلادها » ثم خرج من المدينة قاصداً مكة في عشرة آلاف من المسلمين المهاجرين والأنصار . ولم يتخلف عنه منهم أحد .

فلما غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مشارف مكة من على أبي سفيان - وكان قد أسلم - بأن جعل من يدخل بيته من أهل مكة آمناً . . ومن يدخل المسجد فهو آمن . ومن يغلق عليه بابه فهو آمن .

وعندما التقى أبو سفيان بقريش صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لـكم به فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن وأن من أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن . .

ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فاتحاً . فقصده إلى المسجد وطاف بالبيت الحرام . ثم حطم الأصنام التي كانت حوله . كما أمر بمحو الصور التي بالكعبة . ثم وقف ببابه وقال : رافعاً صوته صوب قريش « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده . ونصر عبده وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده . . إلخ » وبذلك استقر الأمر لدولة المسلمين في بلاد العرب ، وبدأوا فتوحاتهم للبلاد والأمصار .

تلك هي الذكريات العزيزة التي حدثت في رمضان في فجر الإسلام . والتي شهدناها الزمن . وسجلها التاريخ في صفحاته بمداد الفخر والتجيد . . فما أعظمها ذكريات عطرة ، تذكر المسلمين بماضي أسلافهم الجيد . وتشعرهم بما في دينهم الحق من عظمة وقوة ووعزة .

سهر صادق محمد

﴿ الحكم والحكام في الإسلام ﴾

آية السعادة أن يعيش الإنسان في طمأنينة وراحة . وسلام ومحبة ، وسكينة واستقرار . وطيب الحياة وهناءتها ، وعزها وسعادتها لا تكون فيما يختاره المرء لنفسه أو فيما اختاره له غيره من البشر . لأن الإنسان هو العبد الخلق الذي لا يدرك حسن الأشياء وقيمتها من مدلولاتها الواقعية في الماضي البعيد ، أو المستقبل القريب . . . !! وذلك لا يكون إلا من لدن حكيم خبير !! .

وَمَنْ غَيْرُ اللَّهِ يَعْلَمُ مَا خَفِيَ وَمَا ظَهَرَ ، وَمَا غَابَ وَمَا حَضَرَ ، وَمَا يَضُرُّ وَمَا يَنْفَعُ وَمَا يَسْعَدُ وَمَا يَشْقَى ؟ . . . !! إنه خالق للعبد بقدرته ، ونافع فيه من روحه ، ومـسـويه بمشيئته ، فلا يدعه في الدنيا هائماً على وجهه . لا يدري لم خلق ، ولا كيف يسير ، ولا إلى أين المصير ؟ !! كلا . . . فتعالى ربنا عن اللهو والعبث ، إنه هو الحكيم العليم . . . !

فهو سبحانه شرع لهؤلاء الخلق في دنياهم ما يكفل لهم سعادتهم وهناءتهم ، وعزهم وراحتهم كل أمة وما يصلح لها ، حتى جاءت آخر الأمم . الأمة الباقية إلى نهاية هذا الوجود وكان دستورهما دستور السابقين لها في أصول الشرائع : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه » « يريد الله ليبين لكم ، ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم ، والله عليم حكيم ، والله يريد أن يتوب عليكم ، ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً . يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً » .

وأمر صاحب هذه الرسالة (صلى الله عليه وسلم) أن يحكم بينهم بما أنزل إليه . ويعلم أمته أن هلاكها في التولى عن شرعته ومنهاجه : « وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم ، واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ، فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون » . . .

ومقتضى إيمان المؤمن أن يخضع لأوامر الله . ويجعلها محل توقيره واحترامه . ويجتهد في إنفاذها سرا وجهرا . ولا يحصى لمؤمن أبدا إذا أمر الله بشيء أن يهجر أمر ربه ويدع حكمه . وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل خلافا مبينا . « إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا » لا عصينا وجحدنا !!

فرد الحكم إلى الله ولنبيه المبلغ (ص) في كل ما نشب فيه الخلاف ليس لأهواء الناس وآرائهم . ويكون الأذعان والقبول لما حكما به « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .

فن ظن أن الله لا يحكم بالعدل فهو كافر . ومن حكم غير الله في شئون الخلق فهو كافر ، فإن من ضروب الوثنية استغناء مخلوق في الحل والحزمة : فشيخ الطريقة الذي يحل لأتباعه ويحرم عليهم من وحى هواه وشهوته كافر . والذي يسير على حكمه وثني لاتخاذ إياه ندا مع الله : كذلك الحاكم الذي يجعل مرد الأشياء إليه مجرم كفور . والذي يرضى بحكمه ويتبعه فيه وثني موتور ، روى ابن كثير في تفسيره أن عدى بن حاتم عند ما سمع قول الله جل شأنه يصف المسيحين : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا الها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون » قال عدى : يا رسول الله . ما كنا نعبد الأحرار والرهبان فقال له الرسول (ص) : ألم تكونوا تسألونهم في شئون الحلال والحرام . فيفتونكم بما يرون ؟ يحلون الحرام ، ويحرمون الحلال ؟ قال بلى : قال فذلك اتخذهم أربابا من دون الله . « فاتخذهم أربابا من دون الله لم يكن بالسجود لهم ، وعبادتهم لم تكن بالمعنى المتبادر إلى الأذهان . وإنما كان بتحكييمهم في شئون الناس ، وحكمهم بغير ما أنزل الله .

فالسمع والطاعة لما أنزل الله هما أمانة الإيمان المقبول . وعلامة اليقين الصحيح !! أما أن يقول الإنسان لا سمع ولا طاعة — لما أنزل الله من أحكام — فهو مخالف بهذا

لمقتضى الإيمان . وخارج على حدود الله !! والخروج على حدود الله هو عين الجحود والكفران . وعدم الحكم بما أنزل الله هو — أيضاً — منبع الكفر والظلم . والفسوق والعصيان !! قال الله جل شأنه : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأنتك هم الكافرون . . . ومن لم يحكم بما أنزل الله فأنتك هم الظالمون ومن لم يحكم بما أنزل الله فأنتك هم الفاسقون » .

قال ابن عباس : من لم يحكم بما أنزل الله جاحداً به فهو كافر . ومن أقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق . وعليه فلا سمع ولا طاعة لخلق في معصية الخالق !! ولا يليق بالمؤمنين أن يتركوا شرائعهم إلى شرائع البشر . وواجبهم أن يظلوا على حفاظهم لله ورسوله ودينه كي لا يكونوا ممن قال الله فيهم : « أفسدكم الجاهلية يبنون ؟ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون » .

فالحكم منزله خطيرة عند الله لذلك أولاه من التوضيح والتبيين ما لم يول سواء مثله ، ذلك لأنه هو المشرع فالخضوع إليه لا يكون إلا بما شرع وسن . والخضوع لمشرع معه أو غيره عين الشرك به . فمن ذلك كانت منزلة الحاكم أخطر وأشد لأنه يقوم عليها . ويسهر على تنفيذها إن كان من المؤمنين ، ويعطلها ويدومها إن كان من الفاسقين !!

عدل الحاكم بين رعاياه وحبه لشعبه ، وإخلاصه له ، وحنوه عليه ، هذا شأنه أن يوثق الصلة بين الحاكم والمحكوم ، ويربط بينهما برباط وثيق لا تنفصم عروته ، ولا تنهق قوته ، فتشيع الطمأنينة ، وتستقر الأوضاع ، ويمضى كل إلى غايته . فبينما الحاكم يعمل دائماً على إصلاح أمته والنهوض بها ، إذا بالمحكوم يتجاوب معه . ويضطلع بعصب الإصلاح عن رضى واختيار وقد أظلم الجميع ألوية الأمن والسلام . ومن ثم أعظم الإسلام شأن الحاكم العادل ونوه به . فيوم من أيام عدله في ميزان حسناته خير من عبادة ستين سنة وقيام ليالها وصيام نهارها . روى الطبراني عن ابن عباس بسند حسن أن النبي (ص) قال : « يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة » وهو رفيع المنزلة عظيم الجاه عند الله والناس . روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله (ص) قال : « أحب الناس إلى الله يوم القيامة

وأدناهم منه مجلسا . إمام عادل ، وأبفض الناس إلى الله تعالى ، وأبعدهم منه مجلسا إمام جائر .

والحاكم العادل مستجاب الدعوة وفي ظل الله يوم لا ظل إلا ظله !! .

روى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن المقسطين عند الله على منابر من نور ، عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين . الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا » . وهو موطد السلطان ما بقي العدل خلقا له . فإذا تقلص عنه ظله وهو عدله ، كان ذلك إيذانا بزوال حكمه وغروب شمسهِ . . . !!

روى الإمام أحمد عن أبي موسى أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه قال : « إن هذا الأمر في قريش ما إذا استرحموا رحموا ، وإذا حكموا عدلوا ، وإذا قسموا أقسطوا ، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل » .

بل الأمة التي يفسحوا فيها الظلم ، والبغى ، ويغلب فيها الضعيف على أمره ، لا تستحق الحياة ونسقط من رعاية الله !!

روى الطبراني عن ابن مسعود عن معاوية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقدر أمة لا يقضى فيها بالحق . ولا يأخذ الضعيف حقه من القوى غير متعتم » . وصالح الناس وفسادهم بصلاح الأمراء وفسادهم ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « صنفان من أمتي إذا صلحا صلح الناس ، وإذا فسادا فسد الناس ، العلماء والأمراء » . والسلطان في يده من القوة والقهر ما يجعل الناس تستقيم أو تعوج ، قال عثمان رضي الله عنه « إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » .

فإذا استجاب الحاكم لما شرع الله ، كانت له الحسنى وزيادة ، وإن كانت الأخرى فعليه الحسرة والندامة ، يوم لا ينفعه فيه سلطانه ، ولا يغنى عنه جنده ووزراؤه ، ويقف دائم الحسرات ، ويقول رب أرجعني لأحكم بالآيات البينات وللنن الواضحات ، فيقال له هيهات هيهات ، لقد عمرت وكفرت بالآيات فلك جهنم ، وبئس المهاد ، وليتذكر الطفلة . إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، والله يتقبل التائبين .

السيد عبير الخليم محمد حسين مرفى

بَابُ الْفِتَاوَى

سؤال

من العريف : محمود إسماعيل بشرطة النجدة بالفيوم .

قرأت في إحدى المجلات السؤال الآتي وجوابه ، نرجو بيان الحق في ذلك .

السؤال : عندي مال مدخر وخوفاً من الضياع صنعت به خاتمين من ذهب وأخرج عنهما الزكاة في كل عام . وسمعت أحد العلماء يوم الجمعة يحرم لبس الذهب . وقال آخر : إن الحرمة هي ضيق النقد . أى الاستعانة به وقت الضيق . فهل يباح لى لبس الذهب بناء على ماورد بهذه المجلة ؟ .

وكان الجواب : — الحمد لله وحده . والصلاة والسلام على من لا نبي بعده . فقد جاء في كتاب البريقة الحمودية في شرح الطريقة المحمدية ما يأتى :

« قال فى الجامع الصغير : لا يتختم إلا بالفضة ، وهذا اللفظ يقضى حرمة الذهب والحديد وغيرها على الرجال . أما حرمة الذهب : فذهب عامة العلماء — وعن بعضهم لا بأس به ، لأن البراء بن عازب لبس خاتم الذهب وقال : كسانيه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكذا وجد على طلحة بن عبيد الله خاتم ذهب عند قتله — فأما التختيم بالحديد والرصاص والصفير فحرام على الرجال والنساء ، وجوز قاضى خان التختيم بالعقيق ، والمهرة للحلقة لا للفض ، فيجوز أن يكون الفص من ياقوت أو عقيق أو فيروزج » .

أرجو التكرم بالرد على صفحات مجلتنا (الهدى النبوى) مع البيان الشافى فى هذه المسألة ، وما درجة هذه الآثار المروية عن بعض الصحابة ؟ .

جعلكم الله عوناً لنا فى نشر الدين والسنة الصحيحة .

بسم الله الرحمن الرحيم

ج ١ - صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم النهى عن لبس الحرير والذهب للرجال ، وأن من لبسهما فى الدنيا لم يلبسهما فى الآخرة وهذا أمر مجمع عليه بين المسلمين .

فاندعيه المجلة المذكورة وتنسبه لبعض العلماء من أن التختم بالذهب لا بأس به لأن البراء ابن عازب لبس خاتم الذهب الخ ، كلمة هراء لا يلتفت إليه ولا توجد هذه الأحاديث في كتب السنة للعقبة إلا ما ورد من أن طلحة بن عبد الله قطع أنفه يوم أحد فأذن له الرسول في اتخاذ خرطوم من ذهب كما أباح للزبير وعبد الرحمن بن عوف لباس الحرير لحسكة كانت بهما . فهذه ضرورات لا يجوز القياس عليها . والله أعلم .

(٢) ومن الأخ الطاهر حسين سعيد من — كريمه — سودان .

س ١ — أنا عامل بمصنع البلح ويصادف أن يكون عملي مستديماً في يوم الجمعة بحيث لا يمكنني الذهاب للمسجد لصلاة الجمعة ، فهل أصليها ظهراً أم جمعة ركعتين ، مع أني لم أذهب للمسجد ، ولم أسمع خطبة ولم تكن معي جماعة ، فما حكم الإسلام القاطع ؟ وفقكم الله .

س ٢ — ما حكم من يدخل المسجد والإمام يخطب ولم يصل تحية المسجد ، مع أنه عالم من خريجي المعاهد الدينية ، ويعرف قول الرسول صلى الله عليه وسلم وحكمه في هذا ، ويقول : قال مذهبنا كذا وكذا ، خلافاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ .

ج ١ — لا يجوز التخلف عن الجمعة لمثل هذا العذر القبيح ذكره السائل ، فإن الأعذار المسقطه لوجوب الجمعة هي المرض أو السفر أو نحوها ، بل يجب عليه أن يطلب من إدارة المصنع أن تعطيه فرصة لشهود الجمعة ، وقد ورد في الحديث الصحيح « إن من ترك ثلاث جمع تهاوناً طبع الله على قلبه » .

ومن تخلف عن الجمعة فلم يشمدها في المسجد ولم يسمع الخطبة فالواجب في حقه أن يصل الظهر أربعاً لأن الجمعة لا تجب إلا بشرائط خاصة وهي كونها في جماعة والخطبة ونحو ذلك ، وقد أجمع الأئمة الأربعة على أن من فاتته الجمعة يصليها ظهراً والله أعلم .

ج ٢ — بسن السكل من دخل المسجد أن يصلي ركعتين قبل أن يجلس ولو كان الإمام يخطب فقد جاء سايك العطفاني إلى المسجد والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب فجلس

ولم يصل فقطع النبي صلى الله عليه وسلم الخطبة والتفت إليه وقال له : أصليت يا ساميك ؟ قال لا يا رسول الله ، قال قم فصل ركعتين .

وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا جاء أحدكم المسجد والإمام يخطب فليصل ركعتين وليتجاوز فيهما » .

وأما قولهم : « إذا صعد الخطيب المنبر فلا صلاة ولا كلام » فهو بالنسبة لمن كان داخل المسجد عند خروج الإمام .

سؤال من الأخ محمد على الخطيب فزاره - أسيوط

س ١ - سمعت فضيلة المفتي بالإذاعة وقد سئل عن قصة داود عليه السلام فقال كلامًا لا يطمئن له ضمير المسلم الذي يؤمن بعصمة الأنبياء : وهو أنه أحب امرأة قائد له يقال له (أورياء) فأراد أن يضمها إلى زوجاته التسع والتسعين ليكمل بها المائة ، وأنه لكي تخلص له هذه المرأة أرسل هذا القائد إلى خط القتال ليقتل ، فهل هذا صحيح ؟ وما الرأي الصحيح في تفسير هذه القصة ؟ أفتونا مأجورين إن شاء الله .

ج ١ - هذه فرية افترها اليهود قبحهم الله ، على نبي الله داود عليه السلام وكان من عادتهم الجرأة على الأنبياء وإلصاق التهم الشنيعة بهم ، وقد حكى القرآن عنهم أنهم كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم إما أن يكذبوه أو يقتلوه .

ومن العجيب أن عامة المفسرين ينقلون هذه القصة السكراء يفسرون بها القصة الواردة في القرآن الكريم من سورة (ص) ، وهي قصة الخصمين اللذين تسورا على داود الحراب ليلا وسألاه أن يحكم بينهما بالحق فيما تنازعا فيه من أمر نعاجهما .

ويغفل هؤلاء الجهالة الأغبياء عما في تضاعيف هذه القصة من رمي نبي كريم بجرائم لو ارتكبها آحاد الناس لحق عليه أبلغ الذم وأشد العقاب ، وإلا فأى جرم أشنع من أن يحب الإنسان امرأة غيره ثم يدفعه هذا الحب إلى ارتكاب حماقة أفظع ، وهو تدبير الحيلة اللائمة والسكيد الدنيء لثلاثة أشخاص من هذا الغريم حتى تخلص له المرأة التي عشقها في الحرام

فلا يليق بمسلم يؤمن بالله وبعبدة رسوله وأتباعه أن يصدق هذا الهراء ولو كان قائله فضيلة مفتي الديار ، فيا للعار والشنار .

وأما الرأي الصحيح في الآية فهو ما يدل عليه ظاهرها دون تكلف لتفسير الخصمين بما يمكن ولا لتفسير الفعاج بالنساء ، بل هما خصمان حقيقيان أراد أحدهما وهو صاحب الذع والذميين أن يضم إليه نعمة أخيه فمز على هذا الأخير أن يقبل هذا الظلم الصارخ

فلم يطق صبراً حتى الصباح فانطلق هو وأخوه ليبحثكما إلى داود عليه السلام فلما وجدا الباب مغلقاً وعليه الحراس تسوروا الحراب ، ولا يستغرب هذا من الرعاة لأن أخلاقهم فيها مجافاة للذوق وعدم رعاية للأدب ، ففرغ منهم داود عليه السلام فسكنوا روعه بأنهم لم يجيئنا بشر ولكنهما خصمان بغى بعضهما على بعض وطلبنا إليه أن يحكم بينهما بالحق ، ثم ذكر له صاحب النعمة ما راوده عليه أخوه من ضم نعمة إلى نعمة فجاثت عاطفة داود بالإلحاح لهذا الظلم ، وتمجّل النطق بالحكم قبل أن يسمع كلام المتهم لعل عنده ما يدفع عنه وقال (لقد ظلمك بسؤال نعمة لك إلى نعمة) وانصرف الخصمان وتنبه داود إلى خطئته (فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب) ولهذا ينبه الله عز وجل إلى ما يجب على منله من الحكم بالحق وعدم الميل مع الهوى فقال (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) .

فالقصة كلها في شأن الحكم والقضاء ولا علاقة لها بالحب والنساء ، ولـكن أرى لنا بشفاء هذه الأمة من دائها العمياء في الجري وراء الأساطير والخرافات بلا تعقل ولا تفكير ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

ومن الأنخ عثمان محمد الحاج بوادي حلفا - سودان :

س ١ - إذا مات زوج امرأة وهي حامل ثم وضعت بعد الدفن ، فهل عليها أن تتم عدة الميت عنها زوجها ، وهي أربعة أشهر وعشراً أم لا ؟ .

وهل آية سورة (الطلاق) (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) حجة في هذا أم خاصة بالطلاق ؟ .

أفتونا مأجورين ولستم من الله الثواب .

ج ١ — اختلف في عدة الحامل المتوفى عنها زوجها ، فقليل تعتد بأبعد الأجلين ، وهو رأي ابن عباس ، وقيل عدتها وضع الحمل مطلقاً ولو لأقل من أربعة أشهر وعشر وهو الصحيح لأن النبي صلى الله عليه وسلم أذن لسبيعة الأسلمية بعد ما وضعت حملها أن تتعرض للخطاب وكان ذلك بعد وفاة زوجها بأيام قليلة فقوله تعالى (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) عام يقتناول المعتدة من طلاق والمعتدة من وفاة ، وأما قوله تعالى من سورة البقرة (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً) فهو خاص بغير أولات الأحمال ، والله أعلم .

محمد خليل هراس

بذل الفضل

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك . وإن تمسكه شر لك . ولا تلام على كفاف . وابدأ بمن تعول . واليد العليا خير من اليد السفلى » .

تحية شهر رمضان

أشرق على جنبات الكون مبسماً فقد تجسم فيك البشر وارتسما
وأخى باليمن والإقبال أفئدة قاست من الحن الأهوال والألما
نرى بطلعتك الفراء بلسماً وفي جبينك ما يستأصل النقما
وفي سمائك آمالاً محلقةً كالعلم ، يارب حقق ذلك الحلم
واجمع شتاتاً من الإسلام طال به دهرأً ، وكان بحبل الله معتصما
قد فرقته يدٌ بالنار لاهية فسار خلف هوى اللاهين وانقسما
حاكت شباكاً من الأحقاد محكمةً فأوقمت وفق ما تهوى بها أمما
تفانرت أممٌ من بعد ما أتلفت واستحكمت الخلف بين الناس واحتدما
أعمى البصائر ما حاك الحسود لها فسارعت بينها ديناً ولا رحماً
والنفس لو وجّهت للشر لانجحت والشر يورث من يأتي به الندما
ولو تسامت لفعل الخير لاندفعت ومن تعودّه من دهره سلما

* * *

شهر الصيام تبدى في هلالك ما يحى الأمانى وما يستنهض الهمما
تطلعت نظرات المسلمين إلى سنا هلالك لما طارد الظلما
وكبروا لجلال الله وارتفعت أصواتهم بدعاء طال وانسجما
تحية من صميم القلب صادرةً ما بارحت من عداد المسلمين فما
الله أكبر ندوى في السماء لها صوتٌ يجلجل مثل الرعد إن هزما
قد هال رجع صداها كل طاغية وأسمع الخلق حتى من شكا الصمما

* * *

شهر الصيام لقد فضلت منزلة
وقفت عشراً وشهراً من أهله
كفاك يا شهر بالقرآن معجزة
أتى به الوحي آيات مفصلة
يهدى إلى الرشd من زاغت عقيدته
روضت بالصوم من أنفاس فجرت
وذاق ذو عسرة من كف ميسرة
والجوع يخلق من نفس البخيل إذا
شهر يتوب بك العاصي لخالفه
ماضر لو يتآخى المسلمون به
شمل تفرق والإسلام يجمعه
ضمته جامعة شرقية جمعت
هزت جبابة الدنيا عروبتها
إن العروبة إن ثارت حميتها

والله يسبغ ضاني فضله كرمًا
وكنت بالهدى فيها المفرد العلى
على الشهور إذا ما شأنها عظما
من العظاات لجاءت كلها حكما
ويبعث النور في عين امرئ ظلما
وحللت في الماضى كل ما حرما
ما لم يكن ذاقه من قبل أو طعما
ما ذاقه ، كرمًا من ماله حمما
عن المعاصى ويمحو كل ما اجترما
فلا ترى واجدا منهم ومنقما
كالجرح سال ولكن جف والثأما
فيها الشهامة والإقدام والشما
والنسر لا يهرب العقبان والرخما
صارت جحيا من النيران مضطرمما

* * *

شهر الصيام بمن أعلاك منزلة
أشرق بيمين وبدد كل غاشية
ففى هلاك آيات مسطرة
جار الزمان وجار الطامعون به
رحماك رب فإن الخلق قد سئموا

عظمى وزادك فى عين الورى عظما
ضل الخلائق حتى مارعوا ذمما
دلائل اليسر قد كانت لها قلما
واسقأسد الذئب حتى هاجم الأكما
وأنت أعظم من والى ومن رحما

« الجيزة »

٢٨ - نظرات في التصوف

« ذكرت في العدد السابق مراتب التوحيد عند الغزالي وزعمه أن التوحيد لا يعرف إلا عن طريق الكشف ، فهو — أى التوحيد — علم المكاشفة لا علم القرآن والسنة ، والمرتبة الأولى من التوحيد هي مرتبة المنافقين الذين ينطقون بالشهادتين وقلوبهم مكذبة والثانية هي : مرتبة العوام وهم الذين تصدق قلوبهم بمعنى الشهادة . . والمرتبة الثالثة هي : التي يرى صاحبها عن طريق الكشف أن الفاعل واحد رغم التعدد والكثرة . والمرتبة الرابعة هي أن يرى وحدة الوجود ! ! وفي هذا المقال رد عليه . »

وقبل أن نرد عليه نقول هذه السكامة : إننا نتكلم عن دين ، وعن حقيقة التوحيد في هذا الدين ، ولهذا الدين كتاب واحد هو القرآن ، وله نبي خاتم هو محمد صلى الله عليه وسلم ، فإذا شئنا أن نقبين أحكامه ، فما لنا من سبيل إلى ذلك إلا الرد إلى الله ورسوله . أما إذا جمع بأحدهم الهوى وعصف به الرأي فقال : ولم لا نعمل بكذا ، أو نقول به .

أما إذا قيل هذا ، فإنما نقول لصاحبه : أنت وهواك ، ولكن ليس لك أن تزعم أنك بما ترى وبما تقول — مما ليس له شاهد من الكتاب والسنة — تدين بالإسلام ، وإن حاولت فسنقول لك الزم مكانك ، لا ترم النجم ، وأنت في القاع المظلم من الخضيض لا تريم . نقول هذا لمن يحاول أن يجعل كلام الغزالي حجة في الدين ، أو يرى الرأي يهدد به نزوة أو شهوة ، ثم يحاول أن يدنس به الإسلام ! ! لا يرهبنى أن أكون صغيراً ، والغزالي كبير ، وحوله تاريخ عتيق عبق بمباخر الجوسية وأساطير وخرافات رفعوه بها إلى مرتبة الألوهية . لا يرهبنى شيء من هذا ، فاقه أكبر ؛ وكتابه هو المذهب على كل كتاب .

قد يقول الذين مررتنا على العبودية للأصنام ، والذين يحقرون من شأن نعمة الله التي من بها عليهم نعمة الدين والعقل : وهل تفهم في الدين كما يفهم الغزالي ؟ !

وأقول : إن الله لم يحرم على ولا على أحد الفهم ، بل أوجب التدبر على كل مسلم . ثم إن ما ذكره الغزالي لا يحتاج ببيان ما فيه من زيغ إلى فهم دقيق أو جهد كبير . جرد نفسك من سلطانه عليك وتدبر كتاب الله ثم انظر واستبصر من النظرة الأولى زيغه وجنوحه عن حقيقة التوحيد .

إن ما يحجب الناس عن نور الحقيقة وبعميمهم عن البدهيات والضروريات أحياناً هو إيمانهم بشيوخهم ، هو عى التقليد وضلالته . . . ولو أنك سألت عامياً لم تخط قدمه إلى مدرسة ، ولم يفسد عليه فطرته التقليد : أترى الخالق عين الخلق ، أو ترى الله وخلقه شيئاً واحداً ، لرماك بالنظر الشرر ، ولرماك إماماً بالجنون أو الكفر ، فقد أودع الله في فطرته التي لم تفسد : أن الله ليس كمثل شيء ، وأنه الواحد الخلاق القهار المهيمن ، وأنه رب العالمين .

يقول شيخ الإسلام الجليل ابن تيمية وهو يتحدث عن السلف : « وكان من أعظم ما أنعم الله به عليهم اعتصامهم بالكتاب والسنة ، فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن ، لا برأيه ، ولا بذوقه ، ولا معقوله ، ولا قياسه ولا وجوده ، فإنهم ثبت عندهم بالبراهين القطعية ، والآيات البينات أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق ، وأن القرآن يهdy للتي هي أقوم : فيه نبأ من قبلهم ، وخبر ما بعدهم ، وحكم ما بينهم . هو الفصل ليس بالهزل ، مَنْ تركه مِنْ جَبَّارٍ قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله . هو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسن ، ولا يخلق من كثرة التردد^(١) ، فإذا رُدَّد مرة بعد مرة لم يخلق ، ولم يمل كفيده من الكلام ، لا تنقض عجايبه ، ولا تشيع منه العلماء . من قال به صدق ،

(١) قارن بين كلمة هذا المؤمن الجليل ، وبين ما زعمه الغزالي في باب السماع ، وهو أن القرآن يذهب تأثيره عند المرة الثالثة ١١ .

ومن حمل به أُجِر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعى إليه هدى إلى صراط مستقيم ، فكان القرآنُ هو الإمامَ الذى يُقتدى به ؛ ولهذا لا يوجد فى كلام أحد من السلف أنه عارض القرآن بعقل ورأى وقياس ولا بذوق ووجد ومكاشفة ، ولا قال قط : قد تعارض فى هذا العقل والنقل فضلا عن أن يقول : فيجب تقديم العقل ، ولا فيهم من يقول : أن له ذوقاً أو وجداً أو مخاطبةً ؛ أو مكاشفة تخالف القرآن والحديث فضلا عن أن يدعى أحدهم أنه يأخذ من حيث يأخذ الملك القدى يأتى الرسول . . فإن هذه الأقوال لم تكن حدثت بهد فى المسلمين . وإنما يعرف مثل هذا عن ملاحدة اليهود والنصارى^(١) ، وحق جليل ما قاله الإمام الجليل ، فإذا جاء الغزالي يزعم أنه يستمد ما يقوله عن حقيقة التوحيد عن طريق الكشف ، فإننا نقول له : إن ما تقوله لا يعرفه مؤمن من القرآن ، ولم يدن به أحد من خيار سلفنا الصالح ، وإنما هو قول جماعة آخرين ذكرهم شيخ الإسلام ! ! .

ولا حديث لنا مع الغزالي عن الرتبة الأولى والثانية من مراتب التوحيد ، وإنما نسأله أولاً عن الثالثة التى قرر أنها تقوم على أساس شهود وحدة الفاعل ! ! يريد من وراء هذا إثبات أن كل فعل يفعله إنسان أو جن أو ملك أو حيوان ، فهو فعل الله سبحانه ، وما هؤلاء إلا آلاتُ فعله ! ! ولن ندخل معه فى جدل كلامي ممل ، وإنما نذكره ونذكر الذين سلكوا دربه بآيات من كتاب الله : (٢ : ١٢٥ وما تفعلوا من خير ، فإن الله به عليم) (٤ : ١١٤ لا خَيْرَ فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله ، فسوف نؤتيه أجراً عظيماً) (٣ : ١١٥ وما يفعلوا من خير فلان يكفروه والله عليم بالمتقين) (٣٩ : ٣٠ ووفيت كل نفس نفس ما عملت ، وهو أعلم بما يفعلون) (٢٢ : ٧٧ اركعوا واسجدوا ، واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون) (٢٣ : ٤ والذين هم لذكاة فاعلون) هذا فى الخير

أما في الشر ، فقال جل شأنه : (٤ : ٣٠ ومن يفعل ذلك عدواناً وظلماً فسوف نصليه ناراً) وقال عن بنى إسرائيل (٥ : ٧٩ كانوا لا يتفاهون عن منكر فعلوه) .
 تثبت الآيات نسبة الفعل إلى غير الله سبحانه حقيقة ومجازاً سواء كان خيراً أم شراً ؛
 لتتحقق المسئولية والجزاء ؛ فكيف يطلب الغزالي أن نصدق كشفه الذي يزعم أن توحيد
 الرتبة الثالثة هو شهود وحدة الفاعل ؟ ويفرض علينا أن نذهب كل فعل -- حتى فعل
 المشركين -- إلى الله حقيقة لا مجازاً . ثم اقرأ قوله تعالى : (٣ : ١٨٨ لا تحسبن الذين
 يفرحون بما أتوا ، ويحبون أن يمدحوا بما لم يفعلوا ، فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ،
 ولهم عذاب أليم) فاللحد أو الذم إنما يقع على ما يفعل الإنسان نفسه من خير أو شر لا على
 ما يفعل غيره ، فكيف يمدح مؤمن أو يذم كافر ، ولم يكن نواب وعقاب أو جنة ونار
 مادام الفاعل هو الله ؟ .

لا يسأل وهم يسألون : يقول الله : (٢١ : ٢٣ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) .
 ليس فوقه سبحانه من أحد يحاسبه ، وفعله كله حق وخير وإحسان وعدل وحكمة ،
 أما الإنسان ، فهو المسئول كما تقرر الآية ، فهل يصدق معناها إذا كان الفاعل هو الله ؟ ! .
إن الله يفعل ما يريد : هذا هدى القرآن ، فإذا كان الفاعل واحداً فلم نرى بعض
الناس تتحقق إرادتهم ، والبعض الآخر لا تتحقق له إرادة .

نرى آلاف الآلاف يعدمهم العجز البالغ عن فعل ما يريدون ؟ .
 لو كان الأمر كما يقول الغزالي ، لما رأينا إنساناً يعجز عن شيء ، ولما رأينا إرادة
 تقف في طريقها عقبة ، بل لرأينا كل امرئ إلهياً يفعل ما يريد . .
 وهذا الإلزام الذي نلزمه به يعترف به في ثانيا ما يتحدث به عن كرامات الأولياء
 ويتحدث به تلاميذه كذلك ، فالولى عندهم يفعل ما يريد . . .

والغزالي يثبت لنفسه أنه قد كوشف بالحقيقة^(١) ، وشهد وحدة الفاعل ووحدة

(١) يقول الغزالي عن سر القدر : « ووراء هذا البحر سر القدر الذي تحير فيه
 الأكثرون ، ومنع من إفشاء سره المكاشفون ص ٢٢٣ ج ٤ الإحياء .

الوجود فلم لم يفعل المسلمين الخير في أيامه ؟ لم لم يطرد الصليبية وهي تدوس بنجمها الآثم بيت المقدس ، وتمزق للصاحف ؟ .

وإذا كان الفاعل واحداً فلماذا لام الفزالي الفلاسفة في بعض كتبه على إلحادهم ؟ .
إذن فلنترك الصليبية والصهيونية والشيوعية . لنترك هؤلاء يفعلون بنا ما يشاءون !!
أليس الفاعل هو الله عند الفزالي ؟ ! .

هناك حجج عديدة تبطل خرف الفزالي ، ولكن يكفي إلزام واحد لدحض ما قال :
يقول الإمام ابن تيمية وهو يعدد فرق المحتجين بالقدر فيما يقتفون من مفكرات :
« ومنهم من يقول - هذا في حق أهل الحقيقة الذين شهدوا توحيد الربوبية ، وفنوا عما سواه ، فيرون ألا فاعل إلا الله ، فهؤلاء لا يستحسنون حسنة ، ولا يستقبحون سيئة ؛ فإنهم لا يرون لمخلوق فعلا ، بل لا يرون فاعلا إلا الله بخلاف من شهد لنفسه فعلا ، فإنه يذم ويعاقب ، وهذا قول كثير من متأخري الصوفية المدعين للحقيقة ، وقد يحملون هذا نهاية التحقيق ، وغاية العرفان والتوحيد » .

وهذا الذي حكاه ابن تيمية هو عين قول الفزالي ، بل لعل الفزالي قد زاد ، فيخلط هذا السوء بما هو أسوأ ، إذ جعل الرتبة الرابعة فوق هذه الرتبة ، فزاد الخطيئة شناعة ! ! .
ثم يعقب ابن تيمية على رأى القائلين بهذا . « وفي الجملة فهذا المعنى دائر في نفوس كثير من الخاصة من أهل العلم والعبادة ، فضلا عن العامة ، وهو مناقض لدين الإسلام^(١) » .

وحسبنا هذا في الرد على الرتبة الثالثة .

شهود وحدة الوجود : هذه هي الغاية القصوى من التوحيد عند الفزالي وهي ألا يشهد السالك في التوحيد إلا واحداً ، أو لا يرى الخالق والخلق إلا شيئاً واحداً

كالإنسان وأعضائه والشجرة وفروعها ١١ . ولسنا ندري وفي الوجود أمثال إبليس وأبي جهل وأبي لهب وفرعون ، كيف يرى السالك أن هؤلاء جميعاً هم الله ١١ كيف يرى الخنازير والقردة والجيف هي الله ؟^(١) .

على أن الغزالي - وقد رأى أن هذه الغفوسية العرفية قد تقتله بيد الناس في عصره ، قد لجأ بسرعة إلى التقية ؛ إذ قال : « وأسرار هذا العلم لا يجوز أن تسطر في كتاب ، فقد قال العارفون إفشاء أسرار الربوبية كفر » ولا عاقل يدري ، ولا مسلم يدري كيف يكون البيان عن حقيقة التوحيد ككفر ؟ ١ ، والقرآن كله كلام عن حقيقة التوحيد ؟ ١ . قالها الغزالي !! فهل نضرب بقوله هدى القرآن ؟ .

سيقول عبّاد الغزالي : نعم ، فإنه حجة الإسلام ، وحجة الإسلام أعرف بالحق وأخذ به من القرآن ، لأن القرآن كتاب الظاهر ، أما الغزالي فيأخذ عن الباطن أى عن الله مباشرة ، ونسائل الغزالي وأتباعه في هدوء :

ترى هل في كتاب الله وسنة رسوله مثل ذلك القول ، وهو أن إفشاء سر الربوبية كفر ؟ لا يأتونا بأقوال شيوخهم . فإن هؤلاء الشيوخ يكونون من نفس الدن الحديث . ولكن ليأتونا - إن كانوا مسلمين - بآية واحدة أو حديث صحيح يدعم زعم الغزالي ؟ ! لن يستطيعوا .

(١) يقول صاحب كتاب النفحات الأقدسية في شرح الصلوات الأحمدية الإدريسية ط ١٣١٤ في ص ١٦ ، ٣٣٨ ما يأتي : « بعث الرسول ليم مكارم أخلاق الله ؛ فكذب وشم وأوذى وجاع وظمى ومرض واستمرض ، وكل ذلك وارد في حق الله تعالى ، فانطبق اسم الله على محمد بالكمال والتمام » « ينسحب على الوجود الإلهي السخرية والظما والمرض والجوع والنسيان » وتجد أشنع من هذا عند ابن عربي ، وسيأتي إن شاء الله . ولقد نقل صاحب هذا الكتاب - وهو صوفي معتق - عن شيخه الأكبر ابن عربي ما يأتي : وما الكلب والخنزير إلا إلهنا وما الله إلا راهب في كنيسة

ونسأل مرة أخرى : هل أفشى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الحقيقة أولاً ؟
 إنه صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين رؤوفٌ رحيمٌ ، كما وصفه الله ، ورأفته ورحمته تحولان بينه
 وبين أن يكتم عن أمته ما يصح لها توحيدها لله . ثم إن الله أوجب عليه البلاغ ،
 وطاعته لله توجب . عليه أن يسمع ويفعل ، فأين ما أفشاه ؟ ما أظن أن الغزالي يقولها ؛
 لأنه يحكم على المنشين بالكفر ، فلم يبق له إذن إلا الزعم بأنه صلى الله عليه وسلم
 كتمها !! وماذا كتم ؟ - علم الغاية القصوى من التوحيد . وهذه وحدها كبيرة تردى
 في الهاكمة . ثم إنه بعد أن كتمها عن أصحابه همس بها سرّاً لبعض خاصته^(١) ، وظل
 ما كتمه ينتقل عبر الأجيال في سرية تامة حتى علم به الغزالي الذي أبى هو أيضاً أن يفشيه
 في كتاب ، وهمس به لبعض خاصته !! وهذه كبيرة تزلف صاحبها إلى الجحيم . وإذا
 لم يكن ذلك كذلك ، فكيف يلم بها الغزالي ؟ لعله يزعم أنه تلقاها عن الله مباشرة !!
 ولم لا ، وهو يدعى أنه مكاشف ، والكشف اتصال مباشر بالله عند الصوفية ، وفي هذا
 مافيه من محاولة للقضاء على القرآن ، وعلى عقيدة ختم النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم

(١) يزعم الغزالي في كتابه ما يأتي :

« إن النبي - صلى الله عليه وسلم - يصرح بعلوم المعاملات ، وأشار بما وراءها
 بما لا يفهمه إلا أرباب التخصص » والتوحيد عند الغزالي ليس من علوم المعاملات .
 وهذا يدل على أن الغزالي يدين بأن القرآن والسنة ليس فيهما البيان الجلي عن التوحيد .
 وإنما فيهما مجرد إشارات لا يفهمها إلا طائفة خاصة . ويقول ابن عجيبة في شرحه لحكم
 ابن عطاء عن علم التصوف : « وأما واضع هذا العلم ، فهو النبي - صلى الله عليه وسلم -
 علمه الله له بالوحي والإلهام ، فنزل جبريل - عليه السلام - أولاً بالشرعة ، فلما تقرر
 نزل ثانياً بالحقيقة ، فخص بها بعضاً دون بعض . وأول من تكلم فيه وأظهره سيدنا علي »
 وهي كلمة صريحة تعبر تعبيراً تاماً عن زندقة التصوف ، ولا تحتاج إلى تعليق . انظر النص
 الأول ص ١٨٠ ج ١ الإملاء على هامش الإحياء ، والنص الثاني ص ٥ من كتاب
 إيقاظ الهمم ج ١ ط ٢ سنة ١٣٣١ .

أو مافيه من اتهام للرسول صلى الله عليه وسلم بأنه لم يكن على بينة من التوحيد الغزالي ،
إذ ليس في كلام الرسول عنه شيء !! واتهام للقرآن بأنه لا يوصله إلى يقين التوحيد
وحقيقته ، إذ ليس فيه توحيد الغزالي ، وحسبنا زعم الغزالي أن التعبير عن التوحيد الرابع
كفر لنؤمن من أنه لا يمكن أن يكون في القرآن ، فإني القرآن إلا كلمة الإيمان .

واستشهاد الغزالي بقصة الحلاج يؤكد لنا إيمان الغزالي به ، وتقديسه لحلوليته ،
وإلا فأى مسلم لا يمكن أن تهمس في قلبه ، أو على سنن قلبه همسة عطف على هذا
الزنديق الحلولى ! .

لقد زادت الصليبية بحلول الله في عيسى ، أما الحلاج فيعرف الغزالي كما نعرف أنه
يدين بحلول الله في كل شيء !! فكيف يتخذ الغزالي من كلام الحلاج مع الخواص
حجة له ؟ إن الحلاج مثل أعلى للغزالي ، والخطأ الوحيد الذى وقع فيه — عند الغزالي —
هو أنه باح بسر الربوبية !! . « للنظرات بقايا إن شاء الله »

عبد الرحمن الوكيل

الأستاذ الفاضل رئيس تحرير مجلة الهدى النبوى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد : فقد ألف الناس في هذه الأيام وشاع فجاً بينهم نعى الموتى بشكل وصورة
تكاد لا تختلف عن عادة العرب في الجاهلية وكان من شأنهم إذا مات منهم أحد ،
أن يركب رجل فرساً يجرى به ذات اليمين وذات الشمال منادياً « نعاء فلاناً » ويزيد
على ذلك ماشاء وشاءت له شهوة الفخر فيذكر من صفات الميت ما يرفع قدره ويعلو شأنه .
وأبطل الإسلام تلك العادة ضمن ما أبطل من عادات الجاهلية — ودعى الناس إلى
التزام الوفاق وتشجيع جنازة الأموات في خشوع وصلاة يتوجهون فيها إلى الله تعالى بما يليق
من الدعاء والاستغفار .

وقد روى الإمام أحمد وابن ماجه والبيهقي والترمذى رضى الله عنهم عن حذيفة ابن اليمان رضى الله عنه قال — سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن النعى ، كذلك روى الإمام أحمد أن جابراً رضى الله عنه سئل عن ذلك فقال — ما أباح لنا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر — رضى الله عنهما .

وروى الترمذى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إياكم والنعى فإن النعى من عمل الجاهلية » .

وورد عن كثير من أهل العلم في الصدر الأول من الإسلام أنهم نهوا عن الإعلام بموتهم خشية أن يكون من النعى المنهى عنه ومن هؤلاء عبد الله بن مسعود وعلقمة وعمرو ابن شرحبيل والربيع وغيرهم .

واليوم نرى الأفراد والهيئات قد استغنوا عن سنن عيادة المرضى وصلاة الجنازة بهذه البدعة ، بدعة النعى الشبيه بصنيع الجاهلية ، ولما كان بعض المنتسبين إلى السنة قد جاروا غيرهم في هذا الأمر ، فنرجو التفضل ببيان الحق في ذلك .

والسلام عليكم ورحمة الله .
همام هارث

(الهدى النبوى) منجيب عن هذا السؤال في العدد القادم إن شاء الله .

جميع منتجات الألبان الطازجة وأنخر أنواع البقالة

نجدها عند شركة

شاكر القمبشاوى وعبد المجيد الشريف

٤٥١ شارع بور سعيد (بين الصورين سابقا) بالقاهرة

سجل تجارى رقم ٧٥٦٩٣

تليفون ٩٠٧٤٠٤

ذكريات

وتهنئة :

من هو رئيس الجماعة في سوهاج ؟

الشيخ أحمد علي حسن من رجال التعليم ومن أبناء محافظة سوهاج ، عالم أديب كثير الاطلاع ، غزير المادة .

كان هو وشقيقه المرحوم الأستاذ شاكر علي حسن من أكبر أعوان وأشد أنصار أستاذنا المرحوم الشيخ « أبي الوفاء » ولهما مواقف كثيرة في شد أزره عند ماتمخزبت الأمور في سوهاج وتحالف المعارضون المفرضون على الأستاذ أبي الوفاء ، وتآلبوا عليه لا يقاف سير حركته في دعوته الدينية ، وكان لهؤلاء وفد خليط من طبقات مختلفة لا شأن لها بالعلم ولا صلة بالدين ، وكنا نسميهم « الكليشييه » الذي يتحين الفرص لمقابلة كل حاكم جديد يمين أو ينقل « لمحافظة جرجا » ولا يعرف من أمرها شيئاً ، فيقولون مايقولون بغير دليل أو برهان حتى كشف الله أمرهم وأحبط عملهم في محاضرة جمعت فأوعت ألقاها « الأستاذ أبو الوفاء » رحمه الله ، في حفل عام أمته الناس من كل فج عميق ، ومن كل جنس وملة ، أعدده له الخا كمن بأمرهم ، وإذا بهؤلاء الحاسدين الموتورين يتوارون عن الأنظار ، ويختفون وراء ستار ، ويدفنون رؤوسهم في التراب كما يفعل النعام ، فلم تقم لهم قائمة بعد ذلك ، وانتصر حزب الله ، ألا إن حزب الله هم الغالبون .

وفي مؤلف الأستاذ أبي الوفاء « صيحة الحق » مقدمة طويلة شرح فيها الأحداث كلها وبين للناس ما كان من أمر هؤلاء الذين تصدوا له بالباطل ولكنهم لم يبالوا منه شيئاً .

* * *

وأخيراً أصبح الشيخ أحمد علي حسن رئيساً لجماعة أنصار السنة المحمدية في سوهاج

بعد وفاة رئيسها ونستطيع الآن أن نخرجه من تواضعه الكريم ، لا إلى تسجيل جهده دینی مشكور ، بذل فيه ما بذل ، وتحمل ما تحمل فيما سبق ، ولكن إلى ما هو أبقي عند الله لخدمة المبدأ والعقيدة بالكتاب والسنة والتوحيد الخالص ، تلك العقيدة التي أسهم فيها بالنصيب الأوفى من أول ما تألفت جماعة أنصار السنة المحمدية في سوهاج إلى وقتنا هذا ، وسنرى إن شاء الله نوعاً جديداً من الجهاد الذي يحفظ سيرة الرئيس الراحل الكريم . كما يحفظ مبادئ دعوة الجماعة وأغراضها .

والأستاذ الشيخ أحمد على حسن هو هو في حسن عقيدته ، ولسنا الآن بسبيل الكلام عن أدبه وعلمه ، وإنما هي كلمة ترحيب نتلقى بها نبأ اختياره رئيساً للجماعة الموقرة في سوهاج ، وإن شئت فهي باقية من الشعر نحيي بها الأستاذ مع الأخ عبد الرحمن الوكيل حيث لقي الشيخ أحمد على حسن ما هو خليق به من التوفيق وحسن التقدير .

« نم نمتي الأستاذ الشاعر قصيدة نكتفي بإيراد بعض أبياتها شاكرين للأستاذ

نجاتي حسن ظنه الكريم « الهدى النبوي » :

على بركات الله نجمك سائر	يحوطك طرفٌ للعناية ساهر
خبرناك حيناً مرّ كالبرق خاطفاً	تجلت به للعين منك المرائر
أبانت لنا عن غضبةٍ مضرية	سقى نبتها ماءً نقي وطاهر
وعن قدرةٍ للطيبات عريقة	تروق لمن بالمكرمات يفاخر
وإنك أهل الجد تعمل دائماً	وأنت على حمل الرسالة صابر

* * *

حليف « الوفا » سعيّاً وفعلًا وغاية	تقبل تحايا صاغها لك شاعر
إذا أنا ماهنأت ، هنأت مخلصاً	صَدَتْ منه عن صدق الجهاد الغمائر
كفأك وُدّ التوحيد ما عشت إنه	رضاء به أصفاك في الناس قادر
رحمبك من روح الوفاء سجية	وإن تخفها فالحب في الدين ظاهر

طويلاً زماناً مرّ كالحلم في الكرى لنا فيه من حسن الوداد ماسر
تصافت به منا القلوب وأخلصت وأوفت بما توفى إليها الخواطر
وصارت كأطيار على الروض حلفت بلى طائرٌ ألفاً ويصدق آخر
فعدراً إذا قصرت في القول مثنيّاً فإن يقيني فيك أنك عاذر
وإن تكن الأيام فرقن بيننا فإنك مهما غبت في القلب حاضر
توكل على الخلاق ماعشت واعتمد عليه فإن الله لا يخلق ناظر
سيجزيك من حسن الفعال مثوبةً وأنت لما يجزيك ربك « شاكر »

نجاني عبد الرحمن

« الجيزة »

يصدر قريباً

كتاب

صِرَاعُ بَيْنِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ

يبحث في البدع والخرافات والعادات والتقاليد التي ورثها المسلمون عن الآباء
والشيوخ وظنوا أنها من الإسلام ، ويقرر في وضوح وجلاء بطلانها ومخالفاتها للإسلام
بأدلة قوية من كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

يطلب من مؤلفه « سعد صادق محمد » بدار الجماعة رقم ٨ شارع قوله — عابدين .
الاشتراك قبل الطبع عشرة قروش ونمنه بعد الطبع خمسة عشر قرشاً .

المحدثات (البدع)

المحدثات منفرة	فمن المروق معبره
أصحابها زغب الحجا	وبطونهم ماوى الشره
تركوا المقاتل والفرا	نض والحقوق المهدره
بل واثنوا ببغوت أمـ	رأ ليس فيه تبصره
تخذوا من الدين الحنيـ	ف إلى هوام قنطره
يبغوت ديناً غيره	بفعلهم ذى المنكره !
جعلوا من التشويه فى	دين المهيمن مفخره !!
بل وادعوا أن الذى	لم يبتدع فى معثره !!!
بل إنهم بفعلهم	هذى هووا فى مصهره
فروا من الدين المتبيـ	ن فرارهم من قـوره
جعلوا الديانة مــــــــــــــ	فقلوبهم متحجره
وأذانبهم متميع !	هل جا بهذا مأثره ؟ !
كرهوا الأذات كما جرى	زمن الصحاب الخيرة !
كرهاً لكيفية النبـ	ى ويدعون التذكركه ! !
أفنحن أعداء النبى ! !	أم هؤلاء المقذره ! !
من أبغضوا فعل النبـ	ى هم الأعادى المعـوره
شرع النبى مقــــــــــــــ	لا شرعكم ! ! يا معشره !
أنكفرون من اهتـدى	بالــــــــــــــة المتطهره ! !
ماذا تركتم لـهـــــــــــــ	د من الفعال المنكره ؟ !
تلبيس إبليس الاعمىـ	ن على قلوب مقفره

الكفر والمعصية والفرق بينهما

جاءنا هذا السؤال من الأخ محمد النور الشيخ الطيب — الخرطوم :
يختلف كثير من الناس في كلمتي : كَفَرًا — وَعَصَى — والجميع يؤمنون بأن
للكافر عذاب الخلد ، ولكنهم يختلفون بالنسبة للمعاصي ، فمنهم يرجو له عذاباً مؤقتاً
ثم مآله إلى الجنة ، ولو مات تاركاً لأصلاته ، ومنهم من يقول غير ذلك .
نرجو بيان الحق في ذلك . إن الله يجزي المحسنين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الجواب

نعم هناك فرق بين كلمة « كفر » وكلمة « معصية » فإن الكفر في اللغة معناه
الستر والتغطية ، ولهذا يسمى الزارع كافراً لأنه يدفن الحب في الأرض كما قال تعالى :
(كمثل غيث أعجب الكفار نباته) .

والكفر في لسان الشرع مأخوذ من هذا المعنى اللغوي ، فإن معناه ستر الحق
بالحجود والإنكار .

فكل من جحد شيئاً مما علم أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء به بيقين كالإيمان بالله
وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر وكوجوب الصلاة والزكاة
والصيام والحج .

وكحرمة الزنا والقتل والربا والسحر الخ . فهذا كافر باتفاق المسلمين وحكمه
التخليد في النار .

وأما المعصية فمعناها المخالفة بترك مأمور أو بفعل محظور ، فمن ترك شيئاً من الواجبات
أو فعل شيئاً من المحرمات فهو عاص وحكمه أنه مؤمن ناقص الإيمان ينقص من إيمانه
بقدر معصيته وأمره في الآخرة إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه بقدر معصيته
ثم يخرج من النار لقوله تعالى :

(إن الله لا يمعز أن يشرك به ويفغر ما دون ذلك لمن يشاء) .

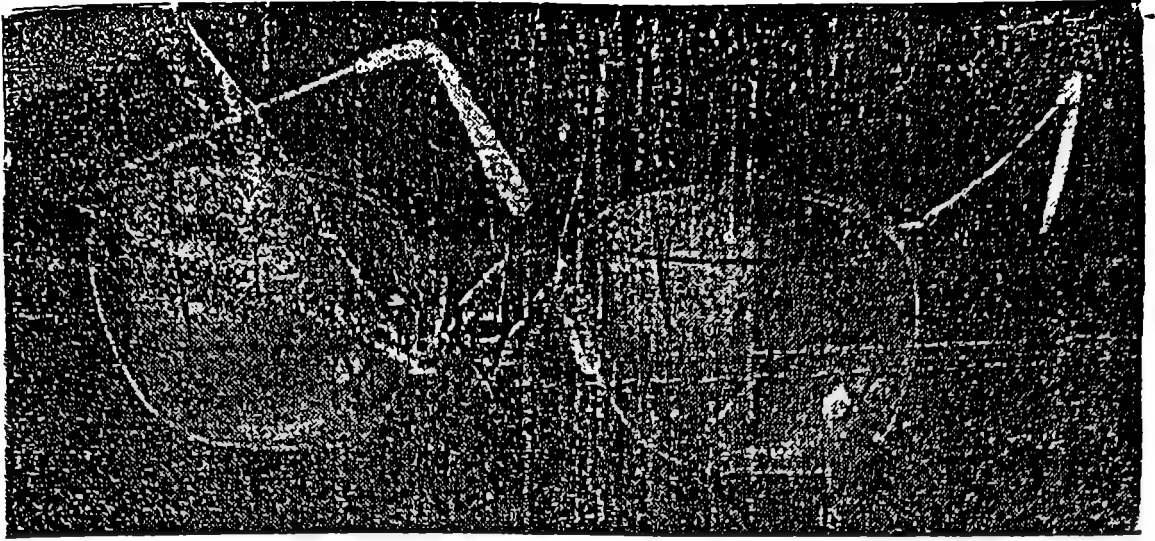
وأما ترك الصلاة والزكاة وغيرهما من بقية أركان الإسلام ، فقد اختلف أهل السنة في حق تاركها ، والصحيح أنه يكفر بترك واحدة منها مبدءاً لورود النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة بتسميته كافراً ، فقد جاء في حديث عبد الله بن عمر المتفق عليه . « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً » .

وليس معنى قوله « بنى الإسلام على هذه الخمس » ، أن الإسلام شيء آخر غيرها بل هو عينها فمن تركها أو واحدة منها فلا حظ له من الإسلام كما قال سعيد بن جبير : من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر بالله ومن ترك صوم رمضان متعمداً فقد كفر بالله . فواجب العبد الناصح لنفسه أن لا يستهين بشيء من هذه الفرائض وأن لا يجري وراء الأماني الكاذبة فليس الإيمان بالتمنى ولكن ما وقع في القلب وصدقة العمل . والله أعلم .

محمد خليل هراس

المغفرة في رمضان

عن كعب بن عجرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « احضروا ، فحضرنا فلما ارتقى الدرجة قال : آمين ، ثم ارتقى الدرجة الثانية فقال : آمين ، ثم ارتقى الدرجة الثالثة فقال : آمين . فلما فرغ ، نزل عن المنبر ، فقلنا يا رسول الله سمعنا منك اليوم شيئاً ما كنا نسمعه ، فقال : إن جبريل عرض لى فقال : « بَعْدَ مَنْ من أدرك رمضان فلم يغفر له ، فقلت آمين ، فلما رقيت الثانية قال « بَعْدَ مَنْ ذكرت عنده فلم يصل عليك ، فقلت آمين ، فلما رقيت الثالثة قال : « بَعْدَ مَنْ أدرك أبويه الكبير أو أحدهما فلم يدخل الجنة فقلت آمين » .



أحدث النظارات الرائعة تجدها عند الأخصائي

أحمد محمد خليل

المصري الوحيد خريج جامعة باريس

في شارع قصر النيل

ت ٢٣٤٥ - تليفون ٤٣٤٢٢

شركة غريب للساعات والمجوهرات

إدارة : محمد الغريب محمد الباز

بشارع محمد بك فريد رقم ١١٧ مصر عابدين

أحدث الساعات في المتانة ودقة الصناعة

والمجوهرات والنظارات — أسعار مذهشة

تساهل في الدفع على أقساط شهرية

بالمحل ورشة فنية للتصليح

﴿ أنصار السنة المحمدية لهم امتيازات خاصة ﴾

العدد ١٠

شوال

المجلد ٢٨

سنة ١٣٨٣

خير الهوى فمضى ثم صلي الله عليه وسلم

الهادي النبوي

تصنيفها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير

مدير الإدارة

عبد الرحمن الوكيل

سليمان مسمونه

٣٠ ملها

مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير
ت ٩٠٦٠١٧

الفهرس

صفحة

٣	التفسير	للأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل
١٦	عقيدة القرآن والسنة	» » محمد خليل هراس
٢٠	أهداف العبادات في الإسلام	» » أحمد أحمد على حسن
٢٣	سويسرا	للسيدة الجليلة حرم الدكتور محمد رضا (رحمه الله)
٢٩	غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم	للأستاذ سعد صادق محمد
٣٧	صلاة الجمعة في غير المسجد	للأستاذ محمد صالح سعدان
٤٠	سنن العيدين	» » محمد خليل هراس
٤٤	وشهد شاهد	للأستاذ الشيخ زكريا على يوسف
٤٧	الفتاوى	» » محمد خليل هراس

عيد سعيد

نتقدم جماعة أنصار السفة المحمدية بالقاهرة ومجلة الهدى النبوى
إلى المسلمين فى مشارق الأرض ومفارها بنخالص التهنية والتبريك بعيد
الفطر المبارك . جملة الله عيداً ميمون الطالع مباركاً على الأمة الإسلامية
والعالم أجمع وأن يجمع شمل ملوك المسلمين ورؤسائهم إلى ما فيه الخير
لهم ولأمتهم .

نيرالحي خدی محمد صلی اللہ علیہ وسلم

مدیر الإدارة:

سليمانه مسونه

الاشتراك السنوى

٣٠ - فى الجمهورية العربية

المتحدة والسودان

٤٠ - فى الخارج

الهدى النبوى

مجلة شهرية دينية

تسدرها جماعة انصار السنة المحمدية

رئيس التحرير

عبد الرحمن الوكيل

أصحاب الامتياز : ورثة

السبح محمد حامد الفقى

المركز العام : ٨ شارع قوله - عابدين القاهرة - تليفون ٧٦٥٧٦

المجلد ٢٨

شوال سنة ١٣٨٣

العدد ١٠

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال - جَلْ ذكره - : (وإذا قال موسى لفتهاه : لا أبرحُ حتى أبلغَ مجمعَ
الْبَحْرَيْنِ أو أَمْضِيَ خُفْيَا - الكهف : ٦٠) .

* * *

فى العدد السابق تكلمت عن تفسير هذه الآية وما يملها إلى قوله سبحانه وتعالى :
(قال : فإن ائبعتنى ، فلا تسألنى عن شىء حتى أُحدِثَ لك مِنْهُ ذكرا) وقلت فى العدد
الماضى أننى سأكتب فى هذا العدد عن قصة موسى والخضر كما وردت فى الأحاديث .
وعن الخضر كما هذت به الأساطير . وأبدأ بقصة موسى والخضر فى الأحاديث .

روى البخارى حديث الخضر وموسى فى عدة أبواب ، فرواه فى العلم عن عبد الله
ابن محمد ، وعن أبى القاسم خالد بن خلى ، وعن محمد بن غزير الزهرى ، وفى أحاديث
الأنبياء عن على بن عبد الله ، وعن عمرو بن محمد الناذل ، وفى التفسير عن قتيبة ، وفى صفة

إبليس وفي النذور عن الحميدى ، وفي الإجارة وفي الشروط وفي التفسير عن إبراهيم
ابن موسى ، وعن الحميدى ، وفي التوحيد عن عبد الله بن محمد .

ورواه مسلم في فضائل الأنبياء عن عمرو بن محمد الناقد ، وإسحاق بن إبراهيم ،
وأبى قدامة عبيد الله بن سعيد ، ومحمد بن يحيى بن أبى عمر ، وعن عبد الله بن حميد ،
وعن محمد بن عبد الأعلى ، وعن حرملة بن يحيى ، وعن عمرو بن محمد الناقد .

ورواه الترمذى في التفسير عن محمد بن يحيى بن أبى عمر ، وعن محمد بن عبد الأعلى .
وحديث الغلام الذى قتله الخضر رواه مسلم في القدر عن القعنبي وأبو داود في السنة عن
القعنبي ، وعن محمود بن خالد السلى ، والترمذى في التفسير عن عمرو بن على .

وعبر نقل كل ما روى من أحاديث حول قصة موسى والخضر ، وعبر أيضاً التعليق
على جميعها ، ولهذا سأختار رواية من الروايات التى ذكرها البخارى في كتاب العلم ،
وأخرى من الروايات التى ذكرها البخارى في كتاب التفسير .

أما الرواية التى ذكرها البخارى في صحيحه في كتاب العلم ، فنصها « ما ذكر في
ذهاب موسى صلى الله عليه وسلم في البحر إلى الخضر وقوله تعالى (هل أتبعك على أن
تعلمني مما علمت رشداً) حدثني محمد بن غرير الزهرى قال : حدثنا يعقوب بن إبراهيم
قال حدثني أبى عن صالح عن بن شهاب حدث : أن عبيد الله بن عبد الله أخبره عن بن عباس
أنه تمارى هو والخضر بن قيس بن حصن الفؤادى في صاحب موسى ، قال : بن عباس :
هو خضر فربهما أبى بن كعب ، فدعاه بن عباس فقال : إني تماريت أنا وصاحبي
هذا في صاحب موسى الذى سأل موسى السبيل إلى لقية : هل سمعت النبي صلى الله
عليه وسلم يذكر شأنه ؟ قال : نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بينما موسى
في ملا من بنى إسرائيل جاءه رجل فقال : هل تعلم أحداً لا أعلم منك ؟ قال : موسى :
فأوحى الله إلى موسى : بلى عبدنا خضر فسأل موسى السبيل إليه ، فجعل الله له الحوت

آية . وقيل له : إذا فقدت الحوتَ فارجع فإنك سلتناه وكان يتبع أثر الحوتِ في البحر فقال لموسى فتاه : أرأيت إذا أُوِينَا إلى الصخرةِ فإني نسيت الحوت ، وما أنسانيه إلا الشيطانُ إن أذكره . قال ذلك ما كنا نبغي ، فارتدا على آثارهما قصصاً ، فوجدَا خَضِرًا ، فكان من شأنهما الذي قصَّ الله عز وجل في كتابه « وواضح جداً أن هذه الرواية لم تجيء بزيادات عما في القرآن إلا ما ورد عن قول موسى إنه أعلم ، وأن الله قال له بل الخضر ، ثم يتفق كل ما بقي مع روح الآية . وأجمل ما ذكر فيها قول الراوى : « فكان من شأنهما الذي قص الله عز وجل » .

لقد استبرأ الراوى لدينه . فأبى أن يزيد شيئاً عما ورد في القرآن . أما الرواية التي في تفسير سورة الكهف ، فهذا نصها : حدثنا الحميدى ، حدثنا سفيان ، حدثنا عمرو بن دينار قال أخبرني سعيد بن جبير قال . قلت لابن عباس : إن نوحاً البـكالى يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بنى إسرائيل فقال له ابن عباس : كذب عدو الله حدثني أبى بن كعب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن موسى قام خطيباً في بنى إسرائيل فسئل : أى الناس أعلم ؟ فقال : أنا ، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه ، فأوحى الله إليه : إن لى عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك . قال موسى : يا رب فكيف لى به ؟ قال : تأخذ معك حوتاً ، فتجعله فى مكمل ، فحينما فقدت الحوت فهو ثمَّ فأخذ حوتاً ، فجعله فى مكمل ، ثم انطلق ، وانطلق معه فتاه « يوشع بن نون » حتى إذا أتيا الصخرة وضعا برؤسهما فناما ، واضطرب الحوتُ فى المكمل ، فخرج منه فسقط فى البحر ، فاتخذ سبيله فى البحر سرباً ، وأمسك الله عن الحوت جَرِيَّةَ الماء فصار عليه مثل الطاق ، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلمما حتى إذا كانا من الغد قال موسى لفتاه : آتينا غداً نا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا . قال : ولم يجد موسى النَّصَبَ حتى جاوز المسكان الذى أمر الله به . فقال له فتاه : أرأيت إذا أُوِينَا إلى الصخرة ، فإني نسيت الحوت ، وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره ، واتخذ

سبيله في البحر عجباً قال : فكان للاحوتِ مَرَبّاً ، ولموسى ولفته عجباً ، فقال موسى : ذلك ما كنّا نبنى ، فارتدا على آثارهما قصصاً . قال : رجعا يقصان آثارهما حتى اتبها إلى الصخرة فإذا رجل مُسَجَّى ثَوْباً ، فلم عليه موسى ، فقال الخضر : وأنى بأرضك السلام ؟ قال أنا موسى قال موسى بنى إسرائيل ؟ قال : نعم أتيتك لتعلمنى عما علمت رشداً قال : إنك لن تستطيع معى صبرا يا موسى . إني على علم من الله علمنيه لا تعلمه أنت ، وأنت على علم من علم الله علمك الله لا أعلمه . فقال موسى : ستجدنى إن شاء الله صابراً ، ولا أعصى لك أمراً ، فقال له الخضر : فإن اتبعتنى فلا تسألنى عن شيء ، حتى أحدث لك منه ذكراً .

فانطلقا يمشيان على ساحل البحر ، فمرت سفينة ، فكلموهم أن يحملوهم فمرفوا الخضر فحملوهم بغير نول ، فلما ركبا في السفينة لم يفعلاً إلا والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدوم فقال له موسى : قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم ، فخرقتها ؛ لتفرك أهلها لقد جئت شيئاً إمرأ . قال : ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبرا . قال لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسراً . قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وكانت الأولى من موسى نسياناً . قال : وجاء عصفور فوق على حرف السفينة ، ففقر في البحر نقرة ، فقال له الخضر : ما علمى وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر ، ثم خرجا من السفينة فبينما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان ، فأخذ الخضر رأسه بيده فاقتلمه بيده ، فقتله ، فقال موسى : أقتلت نفساً زاكية بغير نفس . لقد جئت شيئاً نكراً قال : ألم أقل لك : إنك لن تستطيع معى صبراً قال : وهذا أشد من الأولى قال : إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبنى . قد بلغت من لدنى عذراً ، فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض ، قال : مائل ، فقام الخضر ، فأقامه بيده فقال موسى : قوم أتيناكم فلم يطعمونا ، ولم يضيفونا لو شئت لا تمذت عليه ، أجراً قال : هذا فراق بينى وبينك إلى قوله ذلك إلى تأويل

ما لم تسطع عليه صبرا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرها . قال سميد بن جبير فكان بن عباس يقرأ ، وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا ، وكان يقرأ وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما ، فاتخذ سبيله في البحر سربا « مذهبا يسرب » يسلك . منه : سارب بالنهار^(١) » وسعأتى معانى مفردات الحديث فى آخر المقال — إن شاء الله —

تعقيب : يقينى أن قصة القرآن فى وضوحها وإشراقها ليست فى حاجة أبداً إلى مزيد ، ولكنه القطلع إلى المجهول يثير شغف الإنسان إلى أن يعرف وإلى أن يشرف علمه على المصير . وأنا هنا فى أنقل من قصة تزيد قليلا عما نص عليه القرآن إنما أنقل عن ثقة بسندها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد مهد عُذْرَه ، فرواها عن كل من حدثه بها ليخلص للصدق والأمانة الدقيقة روايته ، وسنرى بعض الاختلاف الذى قد يأتى به تطاول الزمن ، واختلاف الألسنة على قصة طيبة ، فتزيد قليلا ، أو تنقص ، أو تأتى بفهم يخالف فهم الآخر ، أو بتعبير لا يكون فى دقة تعبير الراوى الآخر .

فى القرآن مثالا يذكر الله سبحانه أن موسى قال للعبد الصالح (هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشداً) وأن العبد الصالح قال له : (إنك إن تستطيع معى صبرا ، وكيف تعير على ما لم تحط به خبراً) .

وهكذا نمضى الآيات فى إعجازها الإلهى فى تقرير القصة ، ثم نجد بعض الأحاديث

(١) لم يرو حديث الخضر وموسى سوى أبى بن كعب رضى الله عنه وهو أبى بن كعب الأنصارى الخزرجى ، كان يكتب الوحي للرسول صلى الله عليه وسلم ، وأحد الستة الذين حفظوا القرآن على عهد ، وكناه النبی : أبى المنذر ، وكناه عمر : أبى الطفيل ، ولقبه الرسول بسيد الأنصار ، وعمر بسيد المسلمين مات سنة تسع من الهجرة بالمدينة .

تذكر عن الخضر أنه قال لموسى : « يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت . وأنت على علم علمك لا أعلمه » وهي في مضمونها لا تخالف روح القصة القرآنية .

وفي رواية أخرى نجد ما يأتي : « فوجد خضراً فكان من شأنهما الذي قص الله عز وجل في كتابه » فأحالت الرواية على القرآن . ونعم الإحالة الهادية . وفي رواية أخرى نجد موافقة تامة للرواية الأولى في هذه المسألة . وفي رواية رابعة ، وهي التي رويت عن إبراهيم بن موسى ، وأخبرت أن مصادر ابن جريج في رواية الحديث هما يعل بن مسلم ، وعمرو بن دينار وغيرهما .

في هذه الرواية جاءت هذه المسألة هكذا : « قال — أى موسى للخضر — جئت لتعلمني مما علمت رشداً ، قال : أما يكفيك أن التوراة بيديك وأن الوحي يأتيك يا موسى ، إن لي علماً لا ينبغي لك أن تعلمه ، وأن لك علماً لا ينبغي لي أن أعلمه » ومن يتأمل ما وضعت تحته خطاً يجد أن هذه الرواية ليست في دقة ولا ضبط الروايات الأخرى ، وقد لمح البخاري في سندها إلى ما يشير إلى هذا الجملة « لا ينبغي أن تعلمه ، وجملة : لا ينبغي لي أن أعلمه » لا تستقيم أبداً مع قوله تعالى : (إنك لن تستطيع معي صبراً ، وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً) ولا مع الروايات الأخرى ، فالروايات الأخرى تنفي فقطع عن موسى أنه يعلم علم الخضر ، وعن الخضر أنه يعلم علم موسى ، أما هذه فتقول : إنه لا يصح لموسى أن يعلم علم الخضر ، ولا يصح للخضر أن يعلم علم موسى .

كأنما الإسلام الذي جاء يدعو إليه موسى لا ينبغي أن يعلمه الخضر !! .

ومثل هذا الفهم والتعبير أعطى للصوفية حجبتهم في مسألة الظاهر والباطن ، أو الشريعة والحقيقة ، وأن الخضر كان يعلم الحقيقة أو الباطن ، أما موسى فكان لا يعلم سوى الشريعة أو الظاهر ، ولهذا يفضلون الخضر على موسى ، وتأمل التعبير في سند هذه الرواية « يزيد أحدهما على صاحبه » . لتعلم أى دقة كان يتحررها البخاري في روايته .

مقارنات بين بعض الروايات

ومن الخير أن نعقد بعض المقارنات بين بعض المسائل التي وردت في الأحاديث .

سبب ابتلاء الله لموسى : تجمع كل الروايات على سبب واحد ، وهو قول موسى :
أنا أعلم حينما سئل : أى الناس أعلم .

الحوت : في الحديث المروى عن إبراهيم بن موسى أن الحوت كان ميتاً غير أنه لم يذكر أن الحوت شرب من ماء الحياة ، ثم إنه سمي الحوت (نوناً) . وقد أسند ابن جريج مسألة الحوت الميت إلى يعلى ، ولم يسندها إلى الراوى الآخر الذى روى عنه ، وهو عمرو ابن دينار ، وفي المروى عن خالد بن خلى جاء عن الحوت : « فجعل الله له الحوت آية ، وقيل له : إذا فقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه ، فكان موسى صلى الله عليه وسلم متتبع الحوت فى البحر » .

وفي الحديث المروى عن قتيبة بن سعيد جاء أن فى أصل الصخرة عين ماء يقال لها : الحياة لا يصيب من مائها شيء إلا حيى ، فأصاب الحوت من ماء تلك العين ، قال : فتحرك وانسل من المكمل .

وفي المروى عن الحميدى لم يرد ذكر أن الحوت ميت ، ولم يحىء ذكر للعين التي التي قال قتيبة إنها كانت بأصل الصخرة .

وكذلك المروى عن محمد بن جرير الزهرى . وفي المروى عن عبد الله بن محمد ، إذ لم يرد فيهما أن الحوت كان ميتاً ، ولم يحىء ذكر هذه العين التي فى أصل الصخرة ، وكذلك فى المروى عن خالد بن خلى .

انسلال الحوت : فى الرواية عن محمد بن جرير لم يرد عن انسلال الحوت من المكمل إلا ما يأتى : « إذا فقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه ، وكان يتبع أثر الحوت فى البحر » ومثلها الرواية عن خالد بن خلى .

وفي الرواية عن عبد الله بن محمد جاء : « وحملنا حوتاً في مكمل حتى كانا عند الصخرة وضفا رؤوسهما ، وناما ، فأنسل الحوت من المكمل فاتخذ سبيله في البحر سراباً ، وكان لموسى وفتاه مجباً » .

وفي المروى عن قتيبة بن سعيد أن الحوت تحرك ، ودخل البحر ، ولكنه لم يتعرض لما قيل من أن الماء توقف عن الجرى على الحوت ، فكان عليه مثل الطاق . وفي المروى عن إبراهيم ابن موسى ذكر أن الله أمسك عنه جرية البحر حتى كأن أثره في حجر . وفي المروى عن الحميدى : « وأمسك الله عن الحوت جرية الماء ، فصار عليه مثل الطاق » .

الصخرة وما يتعلق بها : لم تزد الرواية عن ابن جرير عما ذكره القرآن شيئاً . وكذلك الرواية عن عبد الله بن محمد . أما في رواية الحميدى : « أتيا الصخرة ، وضما رؤوسهما ، فناما ، واضطرب الحوت » .

وفي المروى عن قتيبة بن سعيد : « انتهيا إلى الصخرة ، فنزلا عندها ، فوضع موسى رأسه فنام ، وفي أصل الصخرة عين يقال لها الحياة ، لا يصيب من مائها شيء إلا حي » . وفي المروى عن إبراهيم بن موسى : « فبينما هما في ظل صخرة في مكان يريان إذ تضرب الحوت ، وموسى نائم ، فقال فتاه لا أوقظه » .

انطلاق موسى وفتاه : لم تزد الرواية عن ابن جرير عما ذكر القرآن ، أما في رواية عبد الله بن محمد ، فقد ذكر أمراً زائداً لا يطابق المفهوم من الآية ولا بعض الروايات الأخرى ؛ إذ تذكر : « فانطلقا — أى موسى ويوشع — بقية ليلتهما ويومهما ، فلما أصبح قال موسى لفتاه : آتينا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً » وهذا يفيد أن موسى لم يطالب غداءه إلا في اليوم التالي لليوم الذي فقد فيه الحوت ، وسياق القصة في القرآن وفي الروايات الأخرى يناهض هذا المفهوم ، ومثل رواية عبد الله بن محمد — رواية الحميدى إذ تقول : « فانطلقا بقية يومهما وليلتهم حتى إذا كانا من الغد قال موسى لفتاه آتينا غداءنا » .

أما بقية الروايات ، فلا تزيد عما ذكر في القرآن شيئاً .

الخضر وصفته ومكانه : جاء في رواية الحميدى « رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة ، فإذا رجل مُسَجَّى ثوباً فسلم عليه موسى ، فقال الخضر : وأنى بأرضك السلام ؟ قال أنا موسى ، قال موسى بنى إسرائيل ؟ قال نعم » .

تحدد الرواية مكان الخضر بأنه عند الصخرة التي نسي عندها الحوت وتصفه بأنه مغطى بثوب .

وجاء في رواية إبراهيم بن موسى : « فرجما فوجدا خضراً ، قال لى عثمان بن أبي سليمان : على طُنْفَسَةٍ خضراء على كبد البحر . قال سعيد بن جبير : مسجى بثوبه وقد جعل طرفه تحت رجله وطرفه تحت رأسه ، فسلم عليه موسى ، فكشف عن وجهه ، قال هل بأرض من سلام ، من أنت ؟ قال : أنا موسى ، قال موسى بنى إسرائيل ؟ قال : نعم » .

وهنا يحدد من اسمه عثمان بن أبي سليمان مكان الخضر بأنه على كبد البحر ، أى على جزيرة فى البحر ، وزاد أنه كان يجلس على طنفسة ، وزاد أيضاً بيان هيئة تغطيه بثوبه . وجاء فى رواية قتيبة بن سعيد : « فلما انتهيا إلى الصخرة إذاهما برجل مسجى بثوب ، فسلم عليه موسى ، قال : وأنى بأرضك السلام ، فقال : أنا موسى ، قال : موسى بنى إسرائيل ؟ قال : نعم . أما رواية محمد بن غرير الزهرى ، فلم تذكر فى هذا غير ما ذكر القرآن .

فى المتجادلين فى شأن الخضر : تذكر رواية محمد بن غرير أنهما ابن عباس والحار بن قيس ، ثم تذكر أن أبيا مر بهما ، فآلاه عن هذا الشأن ، أما رواية عبد الله بن محمد ، فلم تذكر المتجادلين ، وإن ذكرت أن ابن جبير قال لابن عباس عن نوف البكالى أنه يزعم أن موسى الخضر ، ليس موسى بنى إسرائيل ، وأن ابن عباس قال : كذب عدو الله ، ثم مضى يحدثه بما سمع عن أبى ، ومنها الرواية عن الحميدى ، ومنها

الرواية عن إبراهيم بن موسى مع خلاف يسير ، ومثلها الرواية عن قتيبة بن سيد ، ولا تعارض في هذا الأمر .

وأنصح إخواني بأن يتدبروا قبل كل شيء القصة في القرآن ، لتكون لهم بصيرة تهديهم فيما يقرءون من بعده .

« الخضر في الأساطير »

جاء في شرح القسطلاني لصحيح البخاري ما يأتي عن الخضر : « وكنيته : أبو العباس ، واختلف في اسمه كآبيه ، وهل هو نبي أو رسول ، أو ملك ، وهل هو حي ، أو ميت . فقال ابن قتيبة اسمه بلياً بن مذكّان ، وقيل إنه ابن فرعون صاحب موسى ، وهو غريب جداً ، وقيل ابن مالك وهو أخو إلياس ، وقيل ابن آدم لصلبه . . . والصحيح أنه نبي معمر محبوب عن الأبصار ، وأنه باق إلى يوم القيامة لشربه من ماء الحياة ، وعليه الجاهير ، واتفاق الصوفية ، وإجماع كثير من الصالحين ، وأنكر جماعة حياته منهم المؤلف — يعني البخاري — وابن المبارك ، والحربي ، وابن الجوزي^(١) . »

أما كونه حياً فيقطع بكذبه قول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم « وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد » والخلد بقاء طويل دون سرمدية أو أبدية . أما كونه نبياً . فالقرآن يهدي إليه بقوله سبحانه « علمناه من لدنا علماً » وقول العبد الصالح كما قص الله : « وما فعلته عن أمري » أما بقية الكلام فلا سند له مطلقاً !! ولا يزيد عن كونه قولاً بغير علم !! وقال ابن حجر الهيتمي — وهو من أخطر أنصار الخرافة وحمالة التصوف : « وما ذكرته من حياة الخضر هو الذي قطع به الأولياء ، ورجحه الفقهاء والأصوليون ، وأكثر المحدثين . وقد اجتمع به ، وأخبر عنه من لا يحصى من الصديقين والأولياء في كل زمان . بل والله لقد أخبروني أنه اجتمع بي ، وسألني عن شيء ، فأجبته ، ولم أعرفه ، لأنه لم يعرفه إلا صاحب

استعداد ممن شاء الله^(١) .

الميتى يوغل فى الخرافة . ثم يؤكدھا بقسم جليل باسم الله . فما قطع بحياة الخضر الأبدية سوى أولياء الشيطان . أما كونه لقي الميتى وسأله فيكفيك علماً أن الميتى ربيب الصوفية إذ يقول : « إني إنما ربيب في حجبور بعض أهل هذه الطائفة^(٢) » ومن ربي في حجرم . فلا يمكن أن يعيش إلا نضوا للأساطير . وعبداً للخرافات ثم إن الميتى لم يذكر لنا هؤلاء الذين أخبروه بأن الخضر اجتمع بالميتى !! وهكذا تنكشف لنا حقيقة أصحاب الأسماء الرنانة الطنانة التى دوت فى التاريخ بما لم تدويه أسماء صفوة الأبطال والشهداء !! تنكشف ، فترى عبداً ضلالة وخرافة .

ومن سنين عديدة كان هناك من يزعم من خطباء المساجد أن الرجل الذى لقيه موسى هو محمد عليه الصلاة والسلام الذى يظهر فى صور عديدة متعاقبة ، وقد رددت عليه فى صحيفة الهدى النبوى .

وما زال بعض العوام حتى الآن يقولون فجأة : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته دون أن يحميمهم أحد بتحية السلام !! فإذا سئلوا عن ذلك أجابوك : بأن الخضر قد مر الآن ، وألقى السلام ، ونسألهم : وما الدليل ؟ . فتكون الإجابة أنهم شموا رائحة عطرية وهذا دليل مروره !! وهو زعم خرف به من خرف . ثم مضى ينتشر كالوباء بين الناس نبأ إلى الله من كل ما يخالف كتابه .

بين موسى والخضر

تستدل الصوفية بقصة الخضر على وجود ما يسمى الحقيقة والشرعية وأنه يجوز لمن يعلم الحقيقة أن يخالف ما فى الشرعية . وقد رد الإمام الجليل ابن تيمية على هذه الفرية رداً محكماً ، فقال عن الصوفية أن منهم من يسوغ لنفسه اتباع طرق وإن خالفت شرع

(١) س ٢٣٧ الفتاوى الحديثة .

(٢) س ٢٣٨ المرجع السابق .

رسول الله ، ويحتجون بقصة الخضر ، ثم يقول : « ولا حجة فيها لوجهين » أحدهما « أن موسى لم يكن مبعوثاً إلى الخضر ، ولا كان يجب على الخضر إتباع موسى ، فإن موسى كان مبعوثاً إلى بني إسرائيل . . فليس لأحد الخروج عن مبايعة محمد باطناً وظاهراً ، ولا عن متابعة ما جاء به من الكتاب والسنة في دقيق ولا جليل ، لا في العلوم ، ولا الأعمال ، وليس لأحد أن يقول له كما قال الخضر لموسى .

وأما موسى ، فلم يكن مبعوثاً إلى الخضر .

« الثانى » أن قصة الخضر ليس فيها مخالفة للشريعة بل الأمور التى فعلها تباح فى الشريعة إذا علم العبد أسبابها ، كما علمها الخضر ، ولهذا لما بين أسبابها لموسى وافقه على ذلك ، ولو كان مخالفاً لشريعته لم يوافقه بحال . فإن خرق السفينة مضمونه أن المال المعصوم يجوز للإنسان أن يحفظه لصاحبه بإتلاف بعضه ! فإن ذلك خير من ذهابه بالكلية . وقصة الغلام مضمونها جواز قتل الصبي الصائل .

ولهذا قال ابن عباس : وأما الفلمان فإن كنت تعلم منهم ما علمه الخضر من ذلك الغلام فاقتلهم ، وإلا فلا تقتلهم ، وأما إقامة الجدار ، ففيها فعل المعروف بلا أجرة مع الحاجة إذا كان لذرية قوم صالحين^(١) .

ويقول فى كتاب آخر عما فعله الخضر « كان الذى فعله مصلحة ، وهو شريعة أمر الله الله بها ، ولم يكن ذلك مخالفاً لشرع الله لىكن لما لم يعرف موسى الباطن ، كان فى الظاهر عنده أن هذا لا يجوز ، فلما بين له الخضر الأمور وافقه ، فلم يكن ذلك مخالفاً لشرع^(٢) » وقد قلت من قبل فى كتابى « معصر التصوف » : « على فرض أن فى القصة مخالفة الباطن للظاهر ، فهذا بالنسبة إلى شريعتين . شريعة الخضر وشريعة موسى ، أما الأمر

(١) ص ٦٧ ج ٤ مجموعة الرسائل والمسائل :

(٢) ص ٩٧ ج ٢ مجموعة الرسائل الكبرى .

بالنسبة إلى الخضر ، فكان مافعله هو عين الظاهر في شريعته فلم يخالف ظاهر مافعل باطن مابه أمر ، فليس إذن ثمَّ باطن خالف ظاهراً . كما دعوى الصوفية . فنفتري جواز مخالفة الباطن للظاهر في الشريعة الواحدة^(١) .

خاتمة : أضرع إلى الله أن يجعل ما كتبت قبساً من نور هديه ، وأن يجنبنا فيما نكتب ونعمل ونعتقد الزلل والخطأ إنه سميع مجيب .

عبد الرحمن الوكيل

معاني بعض المفردات التي وردت في الحديث : مسجى : منطى . مكمل . وعاء كان يسع خمسة عشر صاعاً كما جاء في النهاية لابن الأثير .

طنفسة = بساط له حمل رقيق أو ما نسميه نحن « سجادة » .

(١) ص ٢٢ مصرع التصوف لعبد الرحمن الوكيل :

يصدر قريباً

كتاب

صِرَاحُ بَيْنِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ

يبحث في البدع والخرافات والمعادات والتقاليد التي ورثها المسلمون عن الآباء والشيوخ وظنوا أنها من الاسلام ، ويقرر في وضوح وجلاء بطلانها ومجافاتها للاسلام بأدلة قوية من كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

يطلب من مؤلفه « سعد صادق محمد » بدار الجماعة رقم ٨ شارع قوله — عابدين . الاشتراك قبل الطبع عشرة قروش ونمنه بعد الطبع خمسة عشر قرشاً .

عقيدة القرآن والسنة :

« توحيد الله عز وجل »

وإذا كانت أسماؤه عز وجل وما تتضمنه من معان ومدلولات مما لا يفي به الحصر ولا يمكن أن يتسع له جهد بشر ، فإنى أكتفى بهذا القدر الذى قدمته فى التعليق على ما تقدم من الأسماء الحسنى التى تعبر كالأصول لما دونها . وأذكر هنا جملة من القواعد الهامة التى تجب مراعاتها فى باب الصفات عامة ، وهى قواعد تعصم المتمسك بها من الزيغ والانحراف فى هذا الباب الذى ضل فيه كثير من الطوائف لعدم اتباعهم للنصوص من الكتاب والسنة ، وتعويلهم على ما يسمونه أقيسة عقلية أو مكاشفات صوفية أو غير ذلك مما ابتدعه الناس بأهوائهم فأضلهم عن المنهج الصحيح فى هذا الباب بل وفى كل ما أخبر عنه الشرع من الغيوب التى لا مجال للعقول فى بحثها والتفتيش عنها . وظيفتها فقط أن تؤمن بصدق الخبر عنها ولا تجعله من مجالات العقول ، ثم تمسك عما وراء ذلك من حقائق هذه الأخبار وكيفياتها .

وإليك أيها القارئ بعض هذه القواعد ، فاحفظها وتفهمها لتكون من الممتدئين على بصيرة .

أولا : ليس كل ما يجوز الإخبار به عنه سبحانه يكون داخلا فى باب أسمائه وصفاته فإن ما يدخل فى باب الأخبار أوسع مما يدخل فى باب الأسماء والصفات وذلك مثل : الشئ والموجود والقائم بنفسه ، وغيرها من الألفاظ التى تتضمن معانى صحيحة وإن لم يرد الشرع بتسميته سبحانه بها فهمى إخبار عنه وليست أسماء .

ثانيا : إن الصفة إذا كان إطلاقها محتملا للسكال والنقص لم تدخل بمطلقها فى أسمائه

بل لا يطلق عليه منها إلا ما كان كالا ، وذلك مثل المريد والفاعل والصانع ، فلا يجوز أن يسمى في حال الإطلاق بل لا بد من تقييدها بما يجعلها متمحضة للكمال كقوله تعالى (فعال لما يريد) وكقوله (صنع الله الذي أتقن كل شيء) .

ثالثا . أنه لا يلزم من الإخبار عنه بالفعل مقيداً أن يشتق له منه اسم مطلق ، فلا يجوز مثلاً أن يسمى ما كراً لأنه قال (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) ولا فائناً لأنه قال (لنفتنهم فيه) ولا كائداً ولا مضلاً ولا مستهزئاً أخذاً من الآيات التي نسبت إليه ذلك فعلاً . فمذه كلاماً من باب الإخبار لا الأسماء .

رابعاً : إن الاسم إذا أطلق عليه سبحانه جاز أن يشتق منه المصدر والفعل وأن يقع كل منهما خبراً عنه وذلك مثل : السميع ، البصير ، القدير ، فيقال هو ذو سمع وبصر وقدرة كما قال (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير) وكما قال (فقدرنا فنعم القادرون) .

خامساً : إن أسماء سبحانه كلها حسنى ، ليس فيها اسم غير ذلك أصلاً . وإذا كان هناك من الأسماء ما يطلق عليه باعتبار الفعل نحو الخالق والرازق والحى والمميت ، فهم تدل على أن أفعاله كلها خير محض لا يدخلها الشر بوجه ، إذ لو فعل الشر لجاز أن يشتق له منه اسم ، ولم تكن أسمائه كلها حسنى . فالشر لا يضاف إليه سبحانه ، لأفعاله ولا وصفاً وإنما يدخل في مفعولاته التي هي مخلوقة منفصلة عنه .

سادساً : إن كل ما يطلق عليه وعلى غيره من الأسماء والصفات له ثلاث اعتبارات ، لأنه إما أن يؤخذ من حيث هو بقطع النظر عن تقيده بالرب تبارك وتعالى أو بالعبد ، وإما أن يؤخذ مضافاً إلى الرب مختصاً به وإما أن يؤخذ مضافاً إلى العبد مقيداً به . فمأخذ مضافاً إلى الرب فهو مختص به لا يشاركه فيه الخلق ، وما أخذ مضافاً إلى العبد فهو صفته التي يتنزه عنها الخالق . وما أخذ مطلقاً غير مقيد فهو ثابت للرب والعبد ، ولرب منه ما يليق بكماله وللعبد منه ما يليق به . وهذا كاسم السميع الذى يلزمه إدراك السموعات والبصير الذى

يلزمه رؤية المبصرات والعليم والقدير وسائر الأسماء فإن شرط صحة إطلاقها حصول معانيها وحققها للموصوف بها ، فما يلزمه هذه الأسماء لذاتها عند الإصلاق فإثباته للرب جل شأنه لا محذور فيه بوجه ، ولكن ثبت له على وجه لا يماثل فيه خلقه ، فمن نفاه عنه لإطلاقه على الخلق ألحد في أسمائه وجمد صفات كماله . ومن أثبت له على وجه يماثل فيه خلقه به فقد شبهه بخلقه ومن شبه الله بخلقه فقد كفر . وأما من أثبت له على وجه لا يماثل فيه خلقه بل كما يليق بجلاله وعظمته فقد برىء من التعطيل والتشبيه جميعاً . وهذا هو طريق أهل السنة الوسط بين الفريقين .

سابعاً : إن الأسماء الحسنى لا تدخل تحت حصر ولا تحد بعدد ، فإن الله تعالى من الأسماء والصفات ما استأثرها هو بعلمه فلا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل ، كما في الحديث الصحيح : « أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك » . وكما في قوله عليه السلام : « سبحانك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » .

ثامناً : إن من أسمائه الحسنى ما يكون دالاً على عدة صفات بحيث يكون متناولاً لجميعها تناول الاسم الدال على الصفة الواحدة وذلك مثل اسمه العظيم والجليل والحمد ، وقد فسر ابن عباس الصمد بأنه السيد الذي قد كل في مؤدده والشريف الذي قد كل في شرفه والعظيم الذي قد كل في عظمته والحليم الذي قد كل في حلمه إلخ . ثم قال هذه صفته لا تنبى إلا له ليس له كفواً أحد ، وليس كمثل شيء سبحانه الله الواحد القهار .

تاسعاً : إن الإلحاد في أسمائه تعالى أنواع : أحدها أن يسمى الأصنام بها كتسميتهم اللات من الإلهية والعزى من العزيز ، وتسميتهم الصنم إلهاً ، وهذا إلحاد حقيقة لأنهم عدلوا بأسمائه سبحانه إلى أوثانهم وآلهتهم الباطلة .

الثاني : تسميته بما لا يليق به ، كتسمية النصارى له أبا ، وتسمية الفلاسفة له موجبا جذاته ، أو علة فاعلة بالطبع ، أو نحو ذلك .

ثالثها : وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص ، كقول اليهود قبحهم الله : إنه فقير وأنه استراح يوم السبت بعد أن فرغ من الخلق . وقولهم يد الله مفلولة .

رابعها : تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها ، كقول من يقول من الجهمية ، إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني ، وأنها أسماء مترادفة مدلولها هو نفس الذات ، فيطلقون عليه اسم السميع والبصير والحى والرحيم ، ويقولون لا حياة له ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا إرادة .

وهذا من أعظم الإلحاد فى أسمائه ، فإن كل من جحد شيئا مما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله فقد ألحد فى ذلك .

وخامسها : تشبيه صفاته بصفات خلقه ، تعالى الله عما يقوله هؤلاء المشبهة . وإلحاد هؤلاء يقابله المعطلة ، فإن أولئك نفوا صفات كاله وجحدوها ، وهؤلاء شبهوها بصفات خلقه . فجمعهم الإلحاد وإن تفرقت بهم سبله ، وبرا الله أتباع رسوله وورثته القائمون بسنته عن ذلك فلم يصفوه إلا بما وصف به نفسه ولم يحدوا صفاته ولم يشبهوها بصفات خلقه ولم يعدلوا بها عما أنزل عليه لفظاً ومعنى ، بل أثبتوا له الأسماء والصفات ، ونفوا عنه مشابهة المخلوقات فكان إثباتهم بريئاً من التشبيه ، وكان تنزيههم خليئاً من التعطيل . والله يهdy من يشاء إلى سواء السبيل .

محمد خليل هراس

المدرس بكلية أصول الدين

أهداف العبادات في الإسلام

بينما فيما سبق بعد « رمضان » (بساطة العقيدة الإسلامية) ، وأن عقيدة التوحيد هي هدف النشاط الحمدي المرموق يعيش من أجله ، ويتحمل جميع أنواع المشقات في سبيل تركيزها في قلبه وقلوب جميع أتباعه دون مبالاة بما يصيبه من نصب ناصب ، ووصب مدمر ، يتحرك في محيطها حركته الدروب المتفاني في أمرها . وهبها حياته وأنفاسه وصحته وحبه وماله « قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له » . (سورة الأنعام)

ووعدت أن أوضح إن شاء الله تعالى أهداف العبادات التطبيقية وهي : الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج .

* * *

أهداف الصلاة

الصلاة عمود الإسلام ، ولذلك كان اهتمام المصطفى - صلوات الله وسلامه عليه - بها عظيماً . يكون مع أصحابه يمازحهم بالحق ، ويخلط نفسه بهم ، فإذا ما حان وقتها قام من بينهم كأنه لا يعرفهم ولا يعرفونه ، ينفذ همومه عن نفسه التي بين جنبيه في الصلاة ، يجد فيها الروح والريحان والراحة وقوة اليقين ، وسرور النفس ، تملك عليه حسه ومشاعره . ما هذا ؟ لا بد أن لذلك سرّاً غريباً ركزه الله في قلب السيد الرسول الطاهر .

أجل ! إن الصلاة هي الرابطة الروحية المثالية بين المسلم وربه ، وبينه وبين إمامه ، وبينه وبين إخوانه المؤمنين في مشارق الأرض ومقاربها .

* * *

هذه الرابطة الروحية الهائلة تتمثل تماماً في صلاة الجماعة التي ترى فيها صفوف المصلين متماسكة مناكبهم بعضها ببعض متحدة حركاتهم ، متوالية مناجاتهم لربهم كأنهم يحاربون لغزوات الشياطين ، وخبث وسوساتها . انحدوا في ركوعهم وسجودهم ، واثموا بإمامهم ،

وانجهوا إلى قبلة واحدة ، قبل طلوع الشمس ، وقبل غروبها ، وبعد استوائها وبعد غروبها حتى لا يخلو زمن من مناجاة الخالق بديع السموات والأرض ، ولا يخلو مكان من اللجأ إلى الله القدير يحأرون جميعاً « إياك نعبد وإياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم » ، يسألون ربهم من فوقهم لهم وللمصالحين من إخوانهم « السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » .

* * *

هذه العبادة المهذبة تنظم جميع المسلمين في صلاتهم الجماعية والإفرادية ، فإن المنفرد في صلاته من حوله ومن خلفه ، ومن بين يديه ، وعن يمينه وعن شماله ، يقف إخوان له في مختلف أنحاء الأرض يرددون أدعيته ، ويشتركون معه في المناجاة الربانية .

إنهم جميعاً وفد الرحمن وأعداء الشيطان . إنهم في وحدة قوية متماسكة لا تنقسم جيلهم الحاضر فحسب ، ولكنها تضم عصر النبوة الحمدية الأولى ، إلى عصر النبوات التي قبلها ممن أجابوا دعوة الرسل ، واطمأنوا بالإيمان بهم ، وكذلك تضم دنيا الأجيال الماضية والحاضرة والمستقبلية من أتباع خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه وعلى إخوانه المرسلين « ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا » .
(سورة الحشر)

* * *

ودليل ذلك واضح في القبلتين اللتين صلى إليهما الرسول الأعظم ، فإنه في القبلة الأولى انضم إلى إخوانه من أنبياء بني إسرائيل ، فوصل إلى بيت المقدس يشعر أتباعهم أنه لا يفرق بين أحد من رسل الله « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله » . (سورة البقرة)

ثم صلى إلى الكعبة عوداً منه إلى الأصل .

والكعبة هي البيت الذي بناه أبو الأنبياء الذي أقر بنبوته جميعهم ، وهو إبراهيم

عليه السلام « إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدي للعالمين . فيه آيات
بينات مقام إبراهيم » الآية . (سورة آل عمران)

* * *

وللقبلة قصة أى قصة ! إنها ربطت بين مشاعر المسلمين في جميع أنحاء الأرض ،
ووحدت بين قلوبهم ، وقد كانت في أول الأمر إلى بيت المقدس ، وحان الوقت ونحولت
إلى الكعبة ، وأثار المرجفون حولها الأراجيف ، فصكهم القرآن بحججه الدامغة ، ورد
كيدهم في منحورهم بعد أن أبان لهم حكمة التشريع « لنعلم من يقبض الرسول ممن ينفقلب على
عقبه » (سورة البقرة) . « قل لله المشرق والمغرب » (سورة البقرة) . « فأينما تولوا
فثم وجه الله » (سورة البقرة) .

* * *

أما الأهداف الخلقية للصلاة فهي أكثر من أن تحصى ، فهي المساواة بعينها ،
والقضاء على الأنانية المدمرة ، والحض على لجماعية المطلقة ، ونهيها عن الفحشاء والمنكر
لاشك فيه ، والتعارف والتآلف والتناصر ، والتشاور ، والتسامي ، والبعد عن سفاسف
الأمور و . . .

* * *

ولقد أراد المولى جل شأنه أن تكون عبادة الصلاة جامعة لروابط شتى بين الأسرة
الإسلامية كلها ، وبين جميع الأنبياء والمرسلين ، وقصة القبليتين يكشف لنا أن بيت المقدس
هو بيت الإخوة من المرسلين ، والكعبة بيت الجد الأعلى للأنبياء .

ولم تكن أى من القبليتين الأولى أو الثانية مقصودة لذاتها ، ولكنه التقرب الروحي
إلى الله العلي العظيم ، جمع شمل الأنبياء ، وضم بعضهم إلى بعض ، وآمن كل منهم بأخيه في
أمره واحدة هدفها المعبود الأعلى ، وهو الله العلي العظيم ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
إذ يقول : « نحن معاشر الأنبياء أبناء علات أبوم واحد وأمهاتهم شتى » وصدق الله العظيم
في قوله : « وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » . (سورة الأنبياء)

أحمد أحمد علي حسن

رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بسوهاج

٢ - سويسرا^(١)

بقلم السيدة الجليلة مريم الركفور محمد رضا

مكثنا في القطار تسع ساعات ولم نضجر لبديع ما رأينا من مناظر على الجانبين بعد ما اجتزنا أرض إيطاليا . فلقد زاد الطريق روعة وجمالا في سويسرا وأحاطت طريق القطار غابات ونباتات متفجرة . ومياه متدفقة ساقطة من عل ، وغدران جارئة تسابق القطار في سرعته وترافقه جنباً إلى جنب ، وهي تقفز فوق الأحجار أو تمر من بين الصخور الضخمة التي تعترض طريقها مزبدة صاخبة إذ ترتطم بها ، فتتلوى دائرة حولها . تارة تجري في قرار عميق تفحني عليها الأشجار ، وتتماق فوقها أغصانها ، وتارة تندفع داخل غابة وتمدو متلوية بين جذوع أشجارها ، وتارة تنطلق في الفضاء تفلأ تحت أشعه الشمس كالفضة لامعة . وتارة تنحدر إلى هاوية فيزيد زبدتها وتصير كاللبن ناصعة . وتارة يتسع مجراها فتهدأ وينقلب أبيضاضها وزبدتها إلى زرقة باهتة . وتنبسط غصون وجعها وتمشي مشية رزينة ثابتة . وأجل من ذلك ما يهبط من الغدران من أعلى الجبال ثم يجري تحنها . فمنها ما يتفجر في قوة ويندفع إلى الأمام ، فتراه طائراً في الهواء ينتثر رذاذه على رؤوس الأشجار فتغسل تحتها . ومنها ما ينحدر على صخور نائمة تنصب في طريقها عدة مرات ، فتصطدم بها وتنفثر رذاذاً أبيض كالدهان . ومنها ما يتعوي راقصاً ويتفرع إلى عدة غداثر فيشبه البرق لمائناً وسرعة وشكلاً . ومنها ما يسيل في تودة ورزانة من فوق رف بارز ألقى من الصخور ، وينساقط مذمماً متموجاً في الفضاء كأنه ستار من الحرير الأبيض الشفاف ، يغطي الجبل من رأسه إلى سفحه مهتزاً في الهواء . ومنها ما يتفجر في قوة وينطلق خارجاً

(١) تتابع السيدة الجليلة في هذا المقال وصف ما شاهده في رحلتها من بديع وجمال صنع الله

من فرج ضيق مزبداً كأنه يحاول الخلاص من هذا السجن المظلم إلى الهواء والنور فيلقى
بنفسه في أحضان نهير ، ويمجى معه فرحاً طروباً .

ومَّا زاد المنظر بهجة ما يحيط به من شتى الأشجار واختلاف أشكالها وألوانها .
فإن منها ما شحب لونها ، وشاب رأسها ، واكفهرت أوراقها ، أو احمرت أو ابيضت
لامعة كالفضة . فترى شجرة حمراء قانية . بجانب شجرة خضراء زاهية . وشجرة صفراء
قائمة . بجانب شجرة بيضاء ناصعة ، فهناك نوع من الشجر مستدير تغطى غصونه أوراق
رفيعة دقيقة طويلة كالشعر قد شحب لونها حتى لمعت كالفضة . وهناك شجرة أوراق
أغصانها حمراء . وهناك شجرة قد كساها التفاح الأحمر اللامع حتى أخفى أوراقها . منظر
بديع يتمتع الأعين إذ تنوعت ألوان الشجر بل تفاوت كل لون من قائم إلى زاه وباهت .
فتصور هذه الأشجار المتنوعة الألوان المتعددة الأشكال وهى تصطف إلى مدى النظر ،
وتكسو الجبال من رأسها إلى سفحها وتملأ قاع الوديان تجري تحتها وفوقها وبينها الغدران ،
وتتوهج كل هذه للناسر تحت زرقة السماء شريط من الثلوج البيضاء الناصعة تتدلى
منها أفرع من المياه المزبدة اللامعة ، فسبحان من خلق وأبدع . ولون وجل ونوع . وأنعم
ونعم ومتع .

إن هذه المناظر تذكرنا بما يصفه الله سبحانه فى الجنة من خللال وقطوف دانية .
وبناييع متفجرة وأنهار جارية . وكان القطار يلج من حين لآخر فى نفق تحت الجبال
فنظل فى ظلام دامس عدة دقائق قد تصل أحياناً إلى عشرين دقيقة . وكان ذلك رجعة
إذ استريح أعيننا من التحديق . نعم . لقد تعبنا عيناى من كثرة التحديق إلى جمال صنع
الله حتى كل بصرى وتألم . لكثرة ما رتبع وتنعم .

[ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت ، فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع
البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير] .

وصلنا مدينة « لوسيرن » الجميلة وفى صباح الغد توجهنا إلى ساحل البحيرة وركبنا

باخرة صغير بيضاء ، فأنجرت ونوغات بين الجبال . ورأينا ما يهر العين ، ومالا يخطر على بال . فيا البديع صنع الله يا للجمال !! ليتك يا عين تسجلين ما بهرك ، وليتك يا ذاكرة تحفظين ما سرك ، وليتك يا قلب تذكر ما أبهجك ، وليتك يا عقل تنسى ما أزعجك ، وليتك يا لسان تستطيع التعبير ، وليتك يا قلم تستطيع التصوير . ما هذا الجمال ؟ إن هذا الجليل ! شمس ساطعة . وسحب ناصعة . وثلوج لامعة . ونهار يانعة . وخضرة زاهية . وزرقة صافية . وجبال عالية . وعيون جارية . وقمم دقيقة . ووديان سحيقة . وهاويات عميقة . وذرى شاهقة . ومياه دافقة . وأشجار باسقة . وأغصان متعانقة . كانت صفحة البحيرة البلورية تلمع ساكنة كأنها مرآة مصقولة فانعكس على جانبيها اخضرار الجبال وعلى وسطها زرقة السماء وبياض السحب .

وكان المنظر يتنوع ويتغير كلما تقدمنا فنرى البحيرة تنسع ، ثم تضيق وتسطيل ثم تنعرج مع الجبال يمفا ويسرة ويتوغل ماؤها الأزرق بين جذوع الشجر ، إلى أن يتغلغل بين الجبال في أخاديد ومضايق متعرجة كثيفة الظلال . نرى بعض الأشجار ينحني بفصونه ، فتتدلى ، وتغنسل أطرافها في الماء ، والبعض يرفع قامته المشوكة ويتأيل زهوا في الهواء . والبعض يداعب البعض الآخر أغصانه يعانقه في حب وولاء . ونرى الصف الأول من الجبال يلبس ثوبا من الحشائش الخضر تـكـوـه زاهية لامعة كأنها حلة من القטיפفة . قد زينت برسوم داكنة الاخضرار بما انتثر فوقها من غابات كثيفة . ونرى بعض الجبال يحمل فوق قمته غابة فيبدو كأن شعر رأسه قطط منفوش . أو كأن فوق رأسه تاجا من اترش . وبعض الجبال قد اكنت بفررة خضراء كثة الشعر بما غطاها من قم الأشجار المتلاصقة فبدت كالمهن المنفوش ، تعلوها سحب بيض كالقطن المنفوش . ورى جبالا هرمية الشكل أو مستديرة كالأقباب أو مستطيلة صفوفاً متفاوتة الأشكال والأحجام والألوان تظل من خلفها جبال شامخة تناطح السحب شاحبة اللون بادية الصخور جرداء القمم ، صلعاء الرؤوس تنوع ألوان صخورها . كل هذه المناظر تحيط بالبحيرة الزرقاء اللامعة . جمال يحيط بجمال . وجمال يتوسط جمالا . ومما يزيد هذا الجمال جمالا هذه القصور

المبينة على ساحل البحيرة وسفوح الجبال وما يحيط بها من حدائق فيح وغابات غن .
وصلنا بعد ساعة وربع إلى شاطئ جبل (بيلانوس) وعلوه « ٢١٣٢ » متراً . وصعدنا
إلى القطار المنحدر المتسلق عليه وتوغلنا بعد قليل بين أشجار كثيفة الظلال فرأينا زرقة
البحيرة من خلال جذوعها وزرقة السماء من خلال غصونها .

وكانت أشعة الشمس تصوص من خلال الفصوص فتزين الأرض برسومات ذهبية
تتلاها وتتراقص فوق سندس أخضر ، وبعد ذلك تراكت الفصوص وزادت كثافتها
فزاد جمالها وجلالها وهيبتها . إذ كلما تكاثفت الظلال . كلما أوحى الهيبة والجلال .
فصارت إذا تغفل نظرنا بين جذوعها فنرى ظلالاً معتمة مهيبه ، وظلمة غامضة رهيبه ،
فياله من ظلام أخضر أجمل من النور . ونرى جذوعاً معتدلة مرصوفة فوق أرض خضراء
تمتلئها غصون يانعة يلثم بعضها بعضاً ، ويمد يده مداعباً وذراعه معانقاً . ونرى سماء
من الأغصان المورقة المتنوعة الأشكال والألوان تظللنا وتحيط بنا . وما استرعى إعجابي
منظر شجر السابان الهرمي الشكل المشوق القدر المعتدل القامة . يحيط بجذعه غصون
أفقية متساوية الأطوال منبسطة كأنها أذرع ممتدة تبسط يدها ضارعة ، إهرامات خضر
بعضها زاهى اللون ، وبعضها يضرب إلى السواد ، ويضرب أطراف غصونها إلى البياض
تمتد معتدلة وتمد حولها من الأذرع تحبى ما يحيط بها من عالم الأشجار .

وبعد ذلك اجتزنا عدة أنفاق مظلمة مبتلة الجوانب والأسقف كأنها اسطوانة حجرية .
ثم علونا وتغلغلنا بين الجبال الوعرة فرأينا تحتنا هاويات ووديان عميقة سحيقة يهلم
لرؤيتها القلب إذ يمر القطار على حافة الهاوية وبشرف على الحضيض . وتنحدر إلى بعض
قاع الهاويات وتسقط إليها من عل خيوط من الماء المتدفق تتلوى لامعة فوق الصخور
الجرد والحشائش الخضراء . علونا ثم علونا وما زلنا نصعد ، فنعلمو حتى وصلنا بين القمم
الجرد الصلع . بعضها يبيض وبعضها قاتم أو أرقط .

رءوس عديدة مختلفة الأحجام والأشكال والألوان بعضها أمامنا وبعضها تحتنا وبعضها

فوقها تتخللها هاويات وأخاديد مختلفة العمق والاتساع ، تندفق في بعضها مياه تجري بسرعة كأنها خائفة هاربة . وتتلوى مزبدة كأنها ساخطة غاضبة ، ثم ترتطم بجذوع الشجر وتقفز فوق الأحجار صاخبة .

وبعد ذلك وصلنا إلى رأس جبل (بيلانوس) ذى القرنين وشعرنا ببرد قارس إذ كنا نمشى على الجليد ورأينا على جانبي رأس الجبل قمتين مدينتين ولذلك سميت ذات القرنين ، وبين هاتين القمتين فندق كبير ومطعم فاخر يمتد أمامه سباط واسع . يرى منه الناظر إلى الحضيض صفحة البحيرة بقرعاتها ومضايقتها وأجنحتها وما حولها من جبال ووديان وهضبات وغابات وسهول متنوعة الألوان تبدو على جانب منها مدينة (لوسيرن) وبيوتها الفخيمة وعماراتها العالية ، منظر يسر العين من هذا العلو الشاهق يبدو كأنه رسم ملون فوق قرطاس . وما يزيده جمالا قطع السحب البيض تداعب القمم السفلى تحمنا وتتخلل الوديان وتكمل بياضها الغابات الخضر . نراها أسفل منا وأعلى منا تنكسر على القمتين فتتناثر وتنشأت كالدهان فيزيد حجمها واتساعها وتنفخ كثافتها فتشف عن زرقة السماء كأنها حرير شفيف فوق استبرق أزرق .

دخلنا من ممشى بجانب المطعم إلى فجوة داخل الجبل مستديرة لا تعلو عن رءوسنا إلا قليلا ينساقط من سقفها قطرات من الماء تزيد لمعة صخورها الخشنة غير المستوية من جميع النواحي . مشينا في هذا النفق أو السرداب على أرضه الصخرية المبتلة تنساقط على رؤوسنا قطرات من الماء البارد وأظن أن هذا الماء يرشح من الصخور مما يذوب من الثلوج التي تعلوها وتسكوها . بعد ما تقدمنا قليلا صرنا في ظلام دامس وبرد قارس ، وبعد قليل رأينا بصيصاً من نور ضئيل ينبع كس لامعاً على الأرض الصخرية المبتلة ثم رأينا ما ينفذ منه النور إلينا وهو نافذة أو بالأحرى ثقب مستدير يشرف على المناظر البديعة ، ثم تركناه فصرنا ثانياً في ظلام ، ثم استنرنا ثانياً بثقب آخر ثم عدنا إلى الظلام وعرجنا بسرعة ثم بئمة ثم بسرعة ، عدة مرات وأقدامنا تسكاد نزلت لابتلال الأرض ، والقطرات

المثلجة تبل رأسنا ووجهنا ثم بدا لنا بصيص من النور وازداد بالتدريج واستغرنا بنقب كما سبق ، ثم تلاشى النور بالتدريج حتى صرنا فى ظلام دامس وهكذا إلى أن خرجنا من الليل إلى النهار ومن الظلام إلى النور ورأينا أشعة الشمس تلمع على الصخور ووجدنا أنفسنا فى الناحية الأخرى المقابلة للناحية التى دخلنا منها أى دخلنا عن يسار المطعم وخرجنا عن يمينه لأن هذا النفق يمتد وراء المطعم ويقع فوق جبين الجبل مستديراً بين قرنيه .

عدنا إلى القطار وهبطنا فيه وكانت المناظر تختلف كلما هبطنا فنرى من بين الجبال زاوية مختلفة من البحيرة وغابة أخرى وقمة أخرى . فكلما انخفضنا وعرجنا كلما كنا أمام واد جديد ومنظر مختلف بديع وشاطيء آخر من البحيرة يقر العين ويبهج النفس ، إذ تبدو من فروج بين الجبال قطعة زرقاء من صفحتها ، تارة مثلثة وتارة مستديرة أو مستطيلة أو يفصلها جبل أو هضبة خضراء إلى قطعتين أو ثلاث مختلفة الشكل والحجم . وما أجمل قمم الجبال وظهورها المحدودة المتموجة وهى تصطف قائمة يطل طولها من فوق كتف أو رأس قصيرها ، أو من بين رأسين كأنه يتوق إلى رؤية البحيرة أو كأنه أنيق يحب أن يرى وجهه على مرآة صفحتها الفضية .

فصبحان من أبداع ونظم . وأنقن وأحكم . ومتع ونعم . ورزق وأنعم . [ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حير] .

الأخذ بالرخص

عن عائشة رضى الله عنها قالت : صنع النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً ترخص فيه ، وتنزه عنه قوم . فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله ثم قال « ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصغره ؟ فوالله إني أعلمهم بالله وأشدهم له خشية » رواه البخارى .

غزوات الرسول

صلى الله عليه وسلم

غزوة حنين^(١)

بعد أن دخل الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه مكة أقاموا بها مفتبطين بنصر الله ، فرحين بذلك الفتح العظيم . إذ أمكنهم الله من مكة — أم القرى — دون أن نسفك في أرضها دماء كثيرة . ليعلمن في أرجائها : ألا أصنام . . ولا أوثان ولا آلهة تعبد بعد اليوم ، بل إله واحد معبود بحق ، لا إله إلا هو الله الواحد القهار .

هوازن وفتح مكة : ولم يكمد المسلمون يستقرون بالمدينة عدة أيام حتى سمعت هوازن بما تم المسلمين من فتح وما أعقب ذلك من تحطيم الأصنام وانتصار دعوة التوحيد . فخشيت أن تدور عليها هي الأخرى الدائرة كما دارت على قريش وغيرها من قبل .

لذلك جمع مالك بن عوف النضري هوازن وثقيفاً . كما اجتمعت إليه مضر وجشم وأناس غيرهم من الحاقدين على الإسلام . وتخلفت كعب وكلاب من هوازن . فلما اكتمل جمعهم سار بهم مالك وأخذ معه نساءهم وذريتهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتاله . وعند ما نزلوا بأوطاس . وكان فيهم دريد بن الصمة — وهو شيخ كبير وكان شجاعاً مجرباً — عرف دريد أنهم ساقوا أموالهم ونساءهم وذريتهم ، دعى إليه مالك بن عوف

(١) وتعرف أيضاً بغزوة « أوطاس » وقد وقعت عام ثمان من الهجرة .

وسأله عن ذلك فأجابه مالك بأنه أراد أن يشجع المحاربين ، فقال دريد : وهل يرد المهزم شيء ؟ . إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه . وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك . ولكن مالكا رفض النزول على رأى دريد وقال مخاطباً قومه في عناد : والله لتطعننى يامعشر هوازن أو لأتكنن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري . فتبعه قومه . وقالوا : أطعناك . . فلما رأى دريد من كعب الإصرار والاختلاف ، لم يشهد معهم الغزوة . وإن كان قد تابعهم .

مالك يرسم خطة للمهجوم : وأمر مالك من معه أن ينحازوا إلى قم حنين وشمابه .

فإذا هبط المسلمون وادى حنين ، عليهم أن يكسروا جفون أسلحتهم . وأن يشدوا عليهم شدة رجل واحد . ثم بعث مالك عيوناً من رجاله ليقفوا على أخبار الرسول — صلوات الله عليه — فعاد الرجال إلى مالك وقد أصابهم فزع شديد من هول مارأوا عليه المسلمين من قوة وكثرة . فقال لهم مالك : ويلكم ما شأنكم ؟ قالوا : رأينا رجالاً بيضاً على خيل بلق . والله ماتما سكتنا أن أصابنا ماترى . ولكن مالكا لم يثنه عن عزمه مارآه رجاله في المسلمين من كثرة غالبه . بل تحدى وقرر أن يمضى إلى ما يريد لعله يصيب المسلمين بهزيمة فيتفرقوا ويعودوا إلى المدينة ، وبذلك يزول انتصارهم في مكة .

إعجاب المسلمين بكثرتهم : أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد علم بأمر مالك بن عوف وهوازن . فقرر السير إليهم . فاستعمل عتاب بن أسيد على مكة أميراً . ثم خرج ومعه ألفا رجل ممن أسلم من قريش وعشرة آلاف من أصحابه .

وسار جيش النبي بهذه القوة الهائلة . تلمع في أيديهم سيوفهم ودروعهم . وتغمرهم الفرحة بكثرتهم حتى لقد قال بعضهم لبعض غروراً منهم وإعجاباً : ان تغلب اليوم من قلة . وفي شأنهم نزل قول الله تعالى : (لقد نصركم الله في موطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً ، وضائق عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين) — التوبة : ٢٥ .

مفاجأة المسلمين بالقتال : ولما بلغ المسلمون حنيناً نزلوا على واد بها وأمضوا هنالك ليأتهم ثم انحدروا في عمية الفجر إلى واد من أودية تهامة في حنين . فلم يلبثوا أن رآهم

رجال مالك وفاجأهم ، وانقضوا عليهم على غرة ، وشدوا عليهم شدة رجل واحد وأمطروهم وابلا من النبل ، وعندئذ اضطرب المسلمون ، وتراجعوا وتفرق جمعهم وجروا لا يولى أحد منهم على شيء ، حتى إن ما أصاب المسلمين في هذه الغزوة حرك نفوس بعض أهل مكة من غير المخلصين الجفاة . فقال أبو سفيان بلسان المفتبط الشامت : لا تنتهى هزيمتهم دون البحر . . وإن الأزلام^(١) لمى في كنفانتي . . وقال كلدة بن حنبل : ألا بطل السحر . فرد عليه أخوه صفوان من أمه أسكت فض الله فاك . فوالله لأن يربنى رجل من المسلمين أحب إلى من أن يربنى رجل من هوازن . وقال شيبة بن عثمان — وكان أبوه قد قتل يوم أحد — اليوم أدرك ثأرى من محمد . اليوم أقتل محمداً . ولما هم شيبة ليقتل رسول الله صلوات الله عليه أحس شيبة بشيء يفتش فؤاده فلم يطقه . فأيقن أنه قد حيل بينه وبين ما يريد . فأنصرف عن رسول الله . يقول : شيبة فننادانى رسول الله فدنوت منه فسح على صدرى ثم قال : اللهم أعذه من الشيطان ، فوالله هو أحب إلى من سمى وبصرى ونفسى ، وأذهب الله ما كان فى نفسى . ثم قال : أدن فقاتل ، فتقدمت أمامه أضرب بسيفي فقلت إنى أشهد أن لا إله إلا الله وأنتك رسول الله . ثم قلت استغفر لى . فقال : غفر الله لك .

الرسول ينادى فى الناس : وبينما هذه الأحداث تتعاقب كان رسول الله صلوات الله عليه يرقب ما يجرى . ويفكر فيما يصنعه إزاءها . وقد انحاز إلى ركن ذات اليمين وثبت فيه . وأحاطت به جماعة من المهاجرين والأنصار وأهل بيته . . . فماذا يصنع رسول الله فى هذه الملاحظات الحرجة الشديدة ؟ هل يترك هو الآخر الميدان المحفوف بالمخاطر لتذهب بذهابه جمود تلك السفين الطويلة التى قضاهما فى تضحيات وكفاح ، والتى كان من ثمارها الطيبة فتح مكة ؟ ! أم يثبت فى مكانه متطلعاً إلى نصر الله الذى ينصر من ينصر دينه ، ليعيد إلى جيشه الطمأنينة والإيمان . ويجمع شتات المسلمين . ويقودهم إلى النصر ؟ .

(١) الأزلام : السهام التى كان الجاهليون يفتسمون بها .

ففضى من مكانه الذى ثبت فيه وأخذ ينادى في الناس : « إلى أين أيها الناس : هلم إلى أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله » ولكن الفزع كان قد استبد بالمسلمين مما جعلهم لا يستمعون إلى شيء من هذا النداء . فكانت نداءات الرسول صلوات الله عليه تضع وسط ذلك الهرج وجلبته .

أما هوازن فقد انحدرت من مكانها بشعاب جبال حنين تطارد المسلمين في كل اتجاه ، يتقدمها رجل منهم على جمل له أحمر ، بيده راية سوداء في رأس رمح طويل . فإذا أدرك هذا الرجل أحداً من المسلمين طعنه برمحه ، وتبعه من وراءه من هوازن وثقيف يطعنون المسلمين .

المسلمون ينتصرون : وبينما الرجل الذى من هوازن يفعل كذلك ثارت الحمية في نفس على بن أبي طالب فاندفع هو وأحد الأنصار نحو الرجل . فضرب على عرقوبى جملة فوق الجمل على عجزه . فوثب الأنصارى على الرجل فضربه ضربة أطن^(١) قدمه بنصف ساقه . فأنجمف عن رحله^(٢) .

أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لما رأى أنه لم يسمع أحد نداءه أمر العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه أن ينادى في الناس . . ويقول العباس : إني لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بمحكمة بغلته البيضاء قد شجرتها وكنت امرءاً جسيماً شديد الصوت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين رأى من الناس ذلك « إلى أين أيها الناس » فلم أر الناس يلوون على شيء فقال « يا عباس اصرخ : يا معشر الأنصار ، يا معشر أصحاب السمره ، فأجابوا : إليك أبيتك لبيتك » .

ومرغان ما تجاوزت أصدااء النداء في الوادى . وكانت ظلمة الفجر قد بدأت تنجاب عن أفق الوادى وينشر في ضبابه ضوء النهار . وتذكر الناس عهدهم مع رسول الله

(١) أطن قدمه : أطارها وسمع لضربه دوى .

(٢) سقط صريعاً .

في بيعة الرضوان^(١) تحت الشجرة . . وتذكروا عهدهم لرسول الله حين بايعوه على :
 ألا يفروا منه حتى الموت ، كما تذكروا ما بذلوه من تضحيات ، وما أحرزوه من بطولات
 رائعة في سبيل نصرته الإسلام . فعز عليهم أن يضع كل هذا في ساعة شدة وأن تنتصر
 دعوة الباطل . فاندفع الناس نحو رسول الله وقد رأوه واقفاً كالطود في ثبات وإيمان .
 ويقول العباس : بعد أن أبى المسلمون نداءه . فيذهب الرجل ليثني بعبده فلا يقدر على
 ذلك . فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه ويأخذ سيفه وقوسه وترسه ويقتحم عن بعبده ويحلى
 سبيله . فيؤم الصوت حتى ينتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هوازن تنهار وتفر : وأخذ المسلمون يعودون تبعاً إلى رسول الله فاجتمع عنده مائة
 منهم . ثم أصبحوا وجهاً لوجه مع هوازن وتابعيها ، فقاتلهم ، وقد عادت إليهم عزائمهم
 وامتلات قلوبهم بالصبر والإيمان والاستيقان بنصر الله . فجعل الأنصار يتصايحون :
 بالأنصار . ثم يتنادون : بالهزرج . . وأشرف رسول الله على المعركة فجعل ينظر إلى
 المسلمين وهم يقاتلون المشركين ببسالة واستماتة ، ييث في نفوسهم روح الحماس والإقدام
 ويقول « الآن حمى الوطيس » كما كان يقول :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وفي خلال المعركة تناول الرسول صلى الله عليه وسلم حفنة من التراب من يد العباس
 ورعى بها في وجوه الأعداء وهو يقول « انهزموا ورب محمد^(٢) » فلم يبق أحد من
 المشركين إلا وأصاب عينه التراب .

وعجزت هوازن ومن معها عن الصمود أمام قوة المسلمين ، وانهارت مقاومتهم .

(١) راجع حديث بيعة الرضوان ، ضمن سلسلة هذه الغزوات بعدد الهدى النبوي ٢٨
 الصادر في صفر سنة ١٣٨٣ هـ .

(٢) ويقال أيضاً . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عن بقلته وقبض قبضة من تراب
 الأرض ثم استقبل بها وجوه المشركين وقال « شاهت الوجوه » انظر زاد المعاد للإمام بن قيم
 أجوزية ص ٢٦٤ ج ٢ ط صبيح :

وولوا مدبرين لا يلوون على شيء تاركين وراءهم نساءهم وأبنائهم وأموالهم غنيمة المسلمين فلجأ بعضهم إلى الطائف ومعهم مالك بن عوف ، ولجأ بعضهم إلى أوطاس .

وقد قتل من هوازن ومن معهم يومئذ سبعون رجلاً ، وجرح عدد كبير . أما المسلمون فقد استشهد بعضهم نتيجة مباغطة المشركين لهم .

غنائم المسلمين : .وعند ما انتهت المعركة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجمع الغنائم والسبايا وإيداعها الجعرانة لتحبس هناك حتى يتم له النصر على هوازن . وقد كان عدد الأسرى ستة آلاف نفس . أما الغنائم فقد كان عددها أربعة وعشرين ألفاً من الإبل ، وأربعة آلاف من الشاء ، وأربعة آلاف أوقية من الفضة .

وهكذا نصر الله المسلمين في حنين ، وانهزم المشركون . وخيب الله آمالهم . وفي شأن هذه الغزوة نزل قوله تعالى (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين . ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين) - التوبة ٢٥ : ٢٦ .

غزوة الطائف

تعقب المشركين إلى الطائف : وتتبع المسلمون من فر من هوازن وتقيف إلى الطائف ، فلما بلغوها أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب المعسكر هناك في مكان قريب من حائط تقيف ، ولكن المشركين ما لبثوا أن رأوهم من أعلى الحصون فرموم بوابل شديد من النبل فقتل بعضهم ، وأصيب الآخر بجراح ، فاضطر المسلمون إلى الانسحاب بعيداً عن مرمى النبل ، إلى المكان الذي أقيم به مسجد الطائف بعد إسلام أهله . كما ضربت هناك خيمتان لزوجتي رسول الله « أم سلمة وزينب » .

حصار المشركين داخل الحصون : ولم يكن من اليسير على المسلمين اقتحام حصون الطائف التي احتمت بها تقيف لمناعتها فحاصر المسلمون هذه الحصون ، وضربوا

ثقيفاً بالمنجنيق^(١) ونصبوا لهم الدبابات ، وزحفوا تحتها ليخرقوا جدار الحصون . ولكن ثقيفاً أحوا قطع الحديد ورموا بها الدبابات فأحرقتها . فاضطر المسلمون إلى الخروج من تحتها . والتراجع إلى أمكنتهم ، فضربتهم ثقيف بالنبل فقتلت منهم جماعة ، ولما لم تفلح هذه الوسيلة في إخضاع ثقيف أمر النبي بقطع أعنابها . وعند ما رأت ثقيف أن هذه الوسيلة ستجبرهم على التسليم سألوا الرسول أن يدعها لله وللرحم . فاستجاب لهم ، ونادى مناديه فيهم : أيما عبد نزل من الحصن وخرج إلينا ، فهو حر . فأذعنوا للنداء وخرج منهم بضعة عشر رجلاً .

وطال حصار المسلمين لحصون الطائف ، وقبل أن تفتح الحصون أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب أن يؤذن في الناس بالرحيل ، فضجوا وقالوا : نرحل ولم يفتح علينا ؟ فأذن لهم رسول الله بالقتال . فعادوا لقتال ثقيف . ولكن الرسول صلوات الله عليه رأى أنه لن يدرك من ثقيف ما يريد في وقته ذاك ، وقد أقبل شهر ذى القعدة والقتال فيه حرام ، فأذن في الناس بالرحيل ، فطلب المسلمون منه أن يدعو على ثقيف فقال صلوات الله عليه « اللهم اهد ثقيفاً واثبت بهم » .

وقد استشهد من المسلمين في معركة الطائف اثنا عشر رجلاً ، سبعة من قريش وأربعة من الأنصار ورجل من ليث .

الرسول يخرج من الطائف : وخرج النبي صلى الله عليه وسلم من الطائف بعد

ذلك الحصار عن حصونها وتوجه إلى مكة ، ثم توقف بالجرانة حيث تولى تقسيم سبأيا وغنائم ثقيف وهوازن ، على المؤلفة^(٢) قلوبهم . واحتجز الخمس لنفسه .

وبينا هو بالجرانة أتاه وفد هوازن مسلمين فرجوه أن يرد عليهم أموالهم ونساءهم

(١) هي آلة من آلات الحصار يرمى بها الحجارة الثقيلة ونحوها

(٢) هم طلقاء يوم الفتح من قريش وكانوا حديثي العهد بالإسلام .

وابناءهم كما ذكره . بقربته لهم . فتحركت في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم عاطفة القرابة والبر بأهله^(١) فقال لهم :

« أبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم ؟ » قالوا : يا رسول الله خيرتنا بين أموالنا وأحسابنا ؟ بل ترد إلينا نساءنا وأبناءنا ، فهو أحب إلينا . . فرد عليهم نبي الله نساءهم وأولادهم .

إسلام مالك بن عوف : ثم سأل رسول الله وفد هوازن عن مالك بن عوف . فأخبروه أنه بالطائف مع ثقيف . فقال لهم النبي ﷺ : أخبروا مالكاً أنه إن أتاني مسلماً رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل « وسمع مالك بما من عليه رسول الله . فرأى أنه لا مفر من الدخول في الإسلام ، وأن ملك الإسلام يتسع يوماً بعد يوم في شبه جزيرة العرب . فأمرع ولحق برسول الله بالجرمارة . فأوفى الرسول بوعده ورد عليه أهله وماله والمائة الإبل فأسلم مالك . ثم أنشد هذه الأبيات ثناء على رسول الله صلوات الله عليه فقال :

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله في الناس كلهم بمثل محمد
أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتدى ومتى تشا يخبرك عما في غد

فاستعمله رسول الله على من أسلم من قومه . ثم خرج من الجمرات معتمراً إلى مكة فلما قضى عمرته عاد هو والأنصار والمهاجرون إلى المدينة . وخلف عقاب بن أسيد على مكة ومعه معاذ بن جبل يفقه الناس في دينهم ويعلمهم القرآن .

(١) وتذكر كتب السير : أن الأنصار غضبوا حين قسم رسول الله غنائم هوازن وثقيف على قريش والعرب دون الأنصار ، وتقلو إليه تألمهم مما فعل ، فدعاهم رسول الله وخطب فيهم وكلهم كلاماً حسناً حتى ابتلت فكوا لحامهم وقالوا : رضينا برسول الله قسماً وحكماً . راجع تهذيب سيرة بن هشام ص ٤٢٨ ج ٢ ،

صلاة الجمعة في غير المسجد

وجه سؤال إلى الأستاذ العلامة الشيخ محمد خليل هراس — بعدد شعبان — عن جماعة يؤدون صلاة الجمعة في أحد المنادر بقريتهم مع تعدد المساجد بها ، فأجاب : أنه لم يؤثر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلى في غير المسجد ، ولذا فإنها لا تجوز في المنادر مع تعدد المساجد » هذا موجز ما أجاب به الأستاذ الفاضل .

وأقول : لعل الذي حدا بهؤلاء إلى الصلاة في أحد المنادر دون مساجد القرية ، هو وجود القبور في تلك المساجد أو شيوع البدع والخرافات فتخرجوا من الصلاة فيها لهذا السبب ، فإن من المعروف من السنة النبوية المطهرة النهي عن الصلاة في المساجد المبنية على القبور ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم لمن من فعل ذلك ، فهم لهذا لا يريدون الصلاة في تلك المساجد ، ومع هذا فإن اتخاذ مكان ما للصلاة — جمعة كانت أم جماعة — وتخصيص ذلك المكان للصلاة ، وإقامة الصلوات الخمس ، والمناداة لكل صلاة ، مما يجعل حكم ذلك المكان حكم المسجد ، ولأن صلاة الجمعة حكمها حكم سائر الصلوات ، لا تمتاز عنها إلا بوجوب الخطبة والجماعة ، وما دام الأمر كذلك فالصلاة تجوز في كل مكان ، إلا في الأماكن المنهي عنها ، لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح المتفق عليه « وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل » وفي لفظ « فحينما أدركتم الصلاة فصلوا » .

وأرى أن هذا دليل عام يشمل جميع الصلوات ، وليس هناك ما يخرج الجمعة من هذا العموم .

روى أبو داود في سننه عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك — وكان قائد أبيه بعد ما ذهب بعصره — عن أبيه كعب بن مالك أنه كان إذا سمع النداء يوم الجمعة ترحم

لأسعد بن زرارة ، فقلت له : إذا سمعت النداء ترحب لأسعد بن زرارة ؟ قال : لأنه أول من جمع بنا في هزم النبييت من حرة بنى بياضة في نقيع يقال له نقيع الخضعات ، قلت : كم كنتم يومئذ ؟ قال : أربعين .

فهذا إثبات لصلاة الجمعة في غير المسجد ، لأن النقيع هو مستنقع المياه ، لا عمران فيه ولا مسجد ، وقد أقرهم النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك .

ويروى عن أبي هريرة رضى الله عنه أن أهل البحرين كتبوا إلى عمر بن الخطاب يسألونه عن الجمعة وهم بالبحرين ، فكتب إليهم : أن جمعوا حينما كنتم ، أورد ذلك الحافظ بن حجر في (الفتح) . وروى عبد الرزاق بسند صحيح عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه كان يرى أهل المياه^(١) بين مكة والمدينة يجمعون فلا يعيب عليهم ، ولا ينهام عن ذلك .

* * *

وقد أورد الإمام ابن حزم في (المحلى) عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى من الليل في حجرة وجدار الحجرة قصير ، فرأى أناس شخص النبي صلى الله عليه وسلم ، فقام الناس يصلون بصلاته ، وذكر الحديث ، قال : وحكم الإمامة سواء في الجمعة وغيرها والنافلة والفريضة ، لأنه لم يأت قرآن ولا سنة بالفرق بين أحوال الإمامة في ذلك ، ولا جاء نص من الأئمة بالإمام إذا اتصلت الصفوف فلا يجوز المنع من ذلك بالرأى الفاسد ، وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم « جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً فحينما أدركتك الصلاة فصل » فلا يحل أن يمنع أحد من الصلاة في موضع إلا موضعاً جاء النص بالمنع من الصلاة فيه ، فيكون مستثنى من هذه الجملة . رويناه عن القاسم بن محمد عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها كانت تصلى في بيتها بصلاة الإمام ، وهو في المسجد ، وقد جاء ذلك مبيناً في صلاة الكسوف ،

(١) هي الآبار التي في الطريق بين مكة والمدينة . .

إذ صلت في بيتها بصلاة النبي صلى الله عليه وسلم بالناس ، ومن طريق حماد أخبرني جبلة ابن أبي سليمان الشقري قال : رأيت أنس بن مالك يصلى في دار أبي عبد الله في الباب الصغير الذى يشرف على المسجد ، يرى ركوعهم وسجودهم .

وعن حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه أنه جاء يوم الجمعة إلى المسجد وقد امتلأ ، فدخل دار حميد بن عبد الرحمن بن عوف ، والطريق بينه وبين المسجد ، فصلى معهم وهو يرى ركوعهم وسجودهم . انتهى ما أردت نقله من بعض ما أورده الإمام ابن حزم في مسألة الصلاة في غير المسجد .

هذا وروى البيهقي من طريق الوليد بن مسلم : سألت الليث بن سعد (أى عن صلاة الجمعة في المدينة أو القرية) فقال : « كل مدينة أو قرية فيها جماعة أمروا بالجمعة ، فإن أهل مصر وسواحلها كانوا يجمعون الجمعة على عهد عمر وعثمان — رضى الله عنهما — بأمرهما وفيهما رجال من الصحابة » أورد ذلك اللفظ ابن حجر في (الفتح) .

وبعد : فإن صاحب السؤال لم يبين الأسباب التى دعت هؤلاء المصلين فى المنادر دون الصلاة فى مساجد القرية ، وكان ذلك من دواعى الإيجاز فى جواب الأستاذ هراس . إذ لا يصح ترك مساجد الله خاوية والصلاة فى غيرها من الأماكن ، لأن الصلاة فى المساجد هو مقصود الشارع أولاً ، إلا إذا كانت هناك ضرورة تمنع الصلاة فيها .

فقد جاءتنا رسائل عديدة من بعض الإخوان بالريف تطلب منا زيادة الإيضاح والبيان فافتضى الحال كتابة ما تقدم . والله ولى التوفيق .

محمد صالح - صمد

جميع منتجات الألبان الطازجة وأخر أنواع البقالة

نجدها عند شركة

شاكر القهيدشاوى وعبد المجيد الشريف

٤٥١ شارع بور سعيد (بين الصورين سابقا) بالقاهرة

سجل تجارى رقم ٧٥٦٩٣

تليفون ٩٠٧٤٠٤

سنة العيد وزكاة الفطر

روى البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى . فأول شيء يبدأ به الصلاة ، ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس ، والناس جلوس على صفوفهم ، فيوصيهم ويأمرهم .

وفى هذا دليل على الخروج إلى المصلى في العيد ، وأن صلاة العيد في المسجد لا تكون إلا لضرورة ، وأنها مستحبة في الصحراء ، وأن ذلك أفضل من صلاتها في المسجد ، لمواظبة النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك ، مع فضل الصلاة في مسجده ، وأنها بألف صلاة وروى البخارى عن أم عطية رضى الله عنها قالت « كنا نؤمر بأن نخرج يوم العيد ، حتى نخرج للبكر من خدرها ، وحتى نخرج الحيض فيكن خلف الناس فيكون تكبيرهم ويدعون بدعائهم ، يرجون بركة ذلك اليوم وطهرته » .

وهذا صريح الدلالة على الخروج إلى الصحراء لصلاة العيد وتأكيده حتى على النساء . .

وروى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يفتدوا إلى المسجد والعنزة^(١) بين يديه تحمل وتنصب بين يديه فيصل إلى بها . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم فطر أو أضحى ، فصلى ثم خطب ، ثم أتى النساء فوعظهن وذكرهن وأمرهن بالصدقة ، فرأيتن يهوين بأيديهن يقدفنه في ثوب بلال ، ثم انطلق هو وبلال إلى بيته .

ويجوز خروج الصبيان إلى المصلى يوم العيد ، سواء منهم من يصلى ومن لا يصلى

(١) العنزة : رمح صغير فيه زج .

ليشهدوا هذه الخيرات والبركات ، كما شرع هذا للحيض من النساء ليشهدن الخير ودعوة المسلمين .

وكان صلى الله عليه وسلم لا يصلّي العيد في المسجد إلا لعذر أو مطر . فمن أبي هريرة رضى الله عنه قال : أصاب الناس مطر في يوم عيد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم في المسجد .

زكاة الفطر

قال الله تعالى (قد أفلح من تزكى) أى أخرج زكاة الفطر وغيرها . (وذكر اسم ربه) أى كبر الله تعالى وهو ذاهب في طريقه إلى المصلى ، كما روى ذلك عن ابن عمر رضى الله عنهما (فصلى) أى صلاة عيد الفطر .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير على الحر والعبد والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين . وأمر أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة .

وروى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه كان يعطيها الذين يقبلونها ، وكان يعطونها قبل الفطر بيوم أو يومين .

وأخرج أبو داود أن ابن عباس رضى الله عنهما قال : فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث ، وطعمة للمساكين . فمن أداها قبل الصلاة ، فهي زكاة مقبولة . ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات . ويروى : « أغنوهم عن الطواف في هذا اليوم » أى اغنوا المساكين .

الاجتماع للعيد

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتل يوم الفطر ويوم الأضحي .

ويستحب التجميل يوم العيد بالثياب وغيرها لما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه كان يلبس أحسن ثيابه في العيدين . وعنه أيضاً : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يلبس يوم العيد بردة حمراء . وعن أبي رمثة قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم العيد وعليه بردان أخضران .

وكان صلى الله عليه وسلم لا يفدو يوم العيد — للصلاة — حتى يأكل تمرات ، ويأكلهن وتراً . وليس في العيد نداء ولا أذان ولا إقامة منذ زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا خلاف في ذلك .

وأما تكبيرات العيد فعن بن عباس رضى الله عنهما قال : حق على المسلمين إذا نظروا هلال شوال أن يكبروا حتى يفرغوا من عيدهم ، لأن الله تعالى ذكره يقول (ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم) .

وروى البخارى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم عيد خالف الطريق — أى رجع من غير الطريق الذى ذهب منه — ومن فاتته صلاة العيد صلى ركعتين .

وكذلك النساء ومن كان في البيوت والقرى يقول النبي صلى الله عليه وسلم « هذ عيدنا أهل الإسلام » . وأمر أنس بن مالك رضى الله عنه جميع أهله وبنيه وصلى بهم كصلاة أهل المصر وتكبيرهم . وليس من السنة صلاة شيء قبل العيد أو بعده — أى : ليست للعيد سنة قبلية أو بعدية .

وإذا اجتمعت الجمعة والعيد في يوم واحد فيجوز الاكتفاء بصلاة العيد عن الجمعة روى النسائي وأبو داود عن وهب بن كيسان قال : اجتمع عيدان على عهد بن الزبير فاخر الخروج — للصلاة — حتى تعالى النهار ثم خرج فخطب فأطال ثم نزل فص

ركعتين . ولم يصل الناس يومئذ جمعة فقال ابن عباس : أصاب السنة . وأخرج الإمام أحمد وأبو داود والدارمي وابن ماجه ، وفيه : سمعت معاوية سأل زيد ابن أرقم : أشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عيدين ^(١) ؟ قال : نعم . صلى العيد أول النهار ثم رخص في الجمعة . فقال « من شاء أن يجمع فليجمع » .

وروى البخاري عن عائشة رضى الله عنها قالت : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى جاريتان تغفئان بغفاء (بماث) ، وليستا بمغفئتين ، فاضطجع على الفراش وحول وجهه . ودخل أبو بكر فأنهزنى وقال : مزمارة الشيطان عند النبي ؟ فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « دعهما فإن لكل قوم عيد ، وهذا عيدنا » . فلما غفل غمزتهما فخرجتا ، وكان يوم عيد ، يلعب السودان بالهرق والحراب ، فأما سألت النبي ، وإما قال « تشبهين تنظيرين ؟ فقلت نعم ، فأقامنى وراءه خدى على خده وهو يقول : دونكم يا بنى أرفدة ، حتى إذا مللت قال : حسبك ؟ قلت نعم ، قال فاذهي » .

وفى رواية مسلم « وعندى جاريتان تلعبان بالدف » وفى رواية أنه قال « لتعلم يهود أن فى ديننا فسحة » .

وأخرج الإمام أحمد وابن ماجه عن قيس بن سعد بن عبادة أنه قال : مامن شئ كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وقد رأيت به ، إلا شيئاً واحداً . إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقلب له يوم الفطر .

والتعليس هو الضرب بالدف والغناء . فكان الصبية يجتمعون فى الطرقات يلعبون بالطبل فيراهم النبي صلى الله عليه وسلم فيقرمهم على ذلك .

كما أقر الجارية التى نذرت ضرب الدف بين يديه والجاريتين اللتين كانتا عند عائشة رضى الله عنها .

(١) أى الجمعة فى يوم العيد .

وشهد شاهد

بعد أن سجلت هذه المحاورة التي دارت بين فتاتين من العاملات في الوظائف العامة والتي انتهت نتيجتها إلى أن استقرار المرأة في بيتها هو الشيء الطبيعي لها . قرأت بجريدة (الأخبار) التي تصدر بالقاهرة آراء بعض كبار الأدباء في مصر ، فوجدتهم يرون عودة المرأة إلى البيت ، وأنه ليس من الطبيعي لها مزاحمة الرجال .

فالكاتب الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد يقول : إن المرأة مكانها البيت ، لأن الطبيعة أرادت لها البيت ، لأن تركيب جسم المرأة قد صنفته الطبيعة من أجل لإنسان آخر من أجل الطفل الذي ستحمله وترضعه وتربيته بعد ذلك . فدولة المرأة ومملكتها هي البيت ، ومهما حاولت المرأة أن تقمرد على هذا الوضع وتخرج من البيت ، فلا بد أن تعيدها الطبيعة إلى البيت مرة أخرى .

وأما الأستاذ توفيق الحكيم فيقول إنه موافق على كل كلمة قالها الأستاذ العقاد في المرأة ، ويزيد عليه فيقول : إن مجال المرأة في بيتها لأنها تصنع فيه الأجيال القادمة ، فإذا هي تركت البيت فمن الذي يربي الأطفال . ويقول إن هيئات كثيرة اعترضت على تشغيل الفتيات لأن إنتاجهن قليل ، فهي لا تسكاد تنزوج حتى يتناقص إنتاجها إلى الربع أو إلى العشر ، فهي مشغولة بالحمل والرضاعة والولادة وتربية الأطفال . وهو لا يمانع في اشتغال الفتيات المحتاجات أو الأرمل اللاتي يخشين الانحراف . الخ .

— وهكذا نجد أبها القارىء الكريم - أن الأدبيين الكبار يريان أن المرأة مكانها البيت ، وليس لها مزاحمة الرجال في الأعمال والارزاق ، وهذا ما سجلته هنا في هذه المحاورة :

* * *

« سعاد » فتاة من خريجي الجامعات تعمل على الآلة الكاتبة في إحدى المؤسسات العامة ، وراتبها الشهري اثنا عشر جنيهًا . تقدم للزواج منها شاب يعمل في إحدى

الشركات براتب قدره عشرون جنيهًا ، فقبلت ، وبعد فترة تم الدخول بها واستمرت في العمل بعد الزواج وفق رغبة زوجها .

و « زينب » صديقة لسعاد منذ أيام الجامعة ، وظروفها تشبه ظروف سعاد من كل وجه ، فهي تعمل في شركة قريبة من مؤسسة سعاد ، وتزوجت من شاب كزوج سعاد . كانت سعاد وزينب تتقابلان كثيراً ، أحياناً في الأوتوبيس ، وأخرى في الطريق ، وبعد نحو عام من زواجهما مضت فترة لم تتقابل فيها زينب مع سعاد . فرأت زينب أن تزورها في منزلها . وعند ما استقر بهما المجلس دار بينهما هذا الحديث :

زينب - لماذا لم أقابلك مدة طويلة ؟ .

سعاد - كنت حبيبة البيت ، فقد استولى على ضعف شديد لم أستطع معه الذهاب إلى العمل . ومن المصادفات التي لا أدري إن كانت سيئة أو حسنة أنني كنت أقلب منذ أيام في بعض الكتب والمجلات الدينية والاجتماعية ، فقرأت في بعضها مباحث غاية في الوضوح والبرهان العقلي ، وكلها تناقش موضوع (عمل المرأة خارج البيت) .

تناولت هذه المباحث المرأة من جميع جهاتها : العقلية والجسدية والصحية والأدبية والاقتصادية وانتهت جميعها بالاتفاق على أن المرأة بهذا التكوين الذي فطرها الله عليه لا يمكن أن نستطيع الجمع بين العمل خارج البيت والقيام بأعمال البيت .

وأصارحك القول يا صديقتي إنني كدت أقتنع بهذا الرأي لأنه يؤيده الواقع ، ولذلك بدأت أفكر في ترك العمل في المؤسسة .

زينب - صديقي يا سعاد أنه سبق لي الاطلاع على شيء من الآراء الإصلاحية ، ولكنني نسيتها في زحمة الأفكار المضادة التي كانت تنشر صباح مساء بأقلام مأجورة وأفلام مصورة ، وإذاعات مسمومة ، حتى وقعنا في هذه الشباك المنصوبة باسم الحرية والحضارة والمدنية .

سعاد - لم يبق أمامي لتنفيذ فكرة ترك العمل في المؤسسة إلا عقبة واحدة إذا استطعنا تذليلها فلن أتوانى عن تنفيذها .

زينب - وما هي تلك العقبة ؟ .

سعاد - هي كيف نعيش بمرتب واحد بعد أن كنا نعيش بمرتبين ؟ .

زينب - هذه عقبة هينة إذا صح العزم وتركتم المظاهر الخداعة ، وآثرتم الصحة والعافية على النفخة السكاذبة .

سعاد - إذا فهل يمكن الاستغناء عن مرتبي مع الاحتفاظ بمعيشة صحية معقولة ؟ .

زينب - بكل تأكيد إذا استغنيتم عن مظاهر الترف والكماليات التي لا ضرورة لها .

سعاد - أرجو أن ترسمي لي صورة للميزانية الجديدة للحالة الجديدة بمرتب زوجي فقط .

زينب - كم مرتبك ؟ .

سعاد - اثنا عشر جنبها .

زينب - حسن جداً ، لاشك في أن المواصلات تأخذ منك نحو الجنيه الواحد في الشهر ، والنثریات في أنشاء العمل للمشروبات والمرطبات والوجبات الخفيفة تستغرق نحو ثلاثة جنيهات ، وملابس الخروج من الفساتين التي تتغير كلما تغيرت المودة ، والمعاطف الخفيفة والشتوية والاحذية والجوارب .. الخ كل ذلك يستنفد أيضاً نحو ثلاثة جنيهات ، وأيضاً الفرق الذي تدفعونه في أسعار الأطعمة الجاهزة التي تشترونها أحياناً لعدم الفراغ ، لا يقل عن جنيهين اثنين ، فهذه تسعة جنيهات تنفق للحصول على اثني عشر جنبها . ويمكن للزوج أن يقتصد فرق الجنيهات الثلاثة الباقية من مصروفه الشخصي ، فيقلل من السجائر أو يقاطعها ، ويقلل من السهر أو يقاطعه فهل تعتقد أن زوجك على نصيبه من التضحية في هذه الحالة ؟

سعاد - بكل تأكيد لا سيما ووقتي كله سيصبح له وحده ولشئون يلقه ، وستعود إلى صحتي التي يفقدها بكل مرتخص وغال .

زينب - إعرضي عليه الأمر قبل تنفيذك له حتى لا يفاجأ به .

سعاد - إن شاء الله .
زكريا علي يوسف (الإمام)

بَابُ الْفَتَاوَى

سـؤال

حضرة الأستاذ الشيخ محمد خليل هراس — السلام عليكم ورحمة الله — وبعد :
نشرت مجلة الأزهر في عددها الصادر في رجب سنة ١٣٨٣ ، فتوى هذا نصها :
(قضاء الصلوات الفائتة واجب شرعاً ومتى كان للصلى قادراً على تأدية الصلاة من قيام فلا يجوز له أن يؤديها بالإيماء — أما عدد الصلوات الفائتة فيكفي فيه غلبة الظن فيقضى بعضها في كل يوم حسب إمكانه حتى يغلب على ظنه أنه قضى جميع ما فاتته —) هذا نص
ما جاء في مجلة الأزهر منسوباً إلى لجنة الفتوى بالأزهر . فما رأيكم وما الدليل الذي اعتمدت
لجنة الفتوى عليه ؟

وإني أنتظر إجاباتكم على صفحات مجلتكم والله يجزيكم خير الجزاء — محمد إسماعيل خليفة
بسم الله الرحمن الرحيم

الجواب

ما نشرته مجلة الأزهر منسوباً إلى لجنة الفتوى بالأزهر من وجوب قضاء الصلوات
الفائتة هو مذهب الجمهور من الأئمة الأربعة وغيرهم .. واحتجوا لذلك بأمر من
١ — قوله صلى الله عليه وسلم لمن سأل هل يحج عن أبيه: (فدين الله أحق أن يقضى)
قالوا والصلاة كالحج فإذا خرج الوقت كانت قضاءً ، فلا يصلح خروج الوقت مسقطاً
لوجوب القضاء .

٢ — قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه من رواية أنس بن مالك :
(من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك) ، وفي رواية المسلم :
إذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها فليصلها إذا ذكرها فإن الله عز وجل يقول :
(أقم الصلاة لذكري) .

قالوا فإذا وجب القضاء على الناس والنائم وما أخف حالا من العامد ، يجب القضاء على العامد بطريق الأولى ، والحق إن كلا الحديثين لا يصلح حجة لهم ، أما الأداء في الوقت يعتبر شرطاً في صحة الصلاة فإذا تعدد الترك حتى خرج الوقت لا يعتبر فعله لها بعد ذلك لقوات شرطه ولا يجوز قياس الصلاة في ذلك على الحج لأن غنصر الوقت ليس معتبراً فيه لاسيما عند من يقول إنه واجب على التراخي .

وأما الحديث الثاني فهو حجة عليهم لأنه شرط للأمر بأدائها بعد خروج الوقت أن يكون تركها عن عذر من نوم أو نسيان . فيدل هذا بمفهوم الخطاب أن العامد للترك ليس مأموراً بالقضاء وليس الحديث من باب التنبيه بالأولى على الأعلى كما يزعمون فإن النامي أو النائم لم يتعمد الترك بل خرج عنه الوقت وهو غير مكلف فلما تذكر أو استيقظ كان هذا هو وقت الأداء بالنسبة له لعدم تمسكه قبله ، فجعلت له فرصة لتدارك ما فاتته بغير اختيار منه ، وجعل أدائه للصلاة حينئذ كفارة له . فأين من هذه من يتعمد ترك الصلاة وهو ذاكر لوجوبها حتى يخرج وقتها ؟ وكيف يكون قضاؤه لها بعد مسقطاً للإثم عنه ؟ فالحق ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية وأئمة أهل الظاهر كداود وابن حزم وبعض أصحاب الشافعي أن الصلاة التي تترك عمداً لا تجبر بالقضاء ، بل الواجب على من ترك صلاة متعمداً أن يحدد إسلاماً فإنه قد كفر بهذا الترك ، وأن يكثر من الندم والاستغفار معترفاً بعظيم جرمه وإساءته ، عسى الله بئنه وكرمه أن يقبل توبته والله تعالى أعلم .

سؤال : من الأخ الهادي إبراهيم — من الخراطوم

اختلف الكثير من الناس في تفسير الآية الكريمة : (والمحصنات من الذين أتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتهم أجورهن ... الآية) سورة المائدة :

يفسرها البعض كالآتي : يحل زواج المسلم بالمحصنة من أهل الكتاب لو آمنت بما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم . وإن لم تؤمن فلا زواج . مستدلين بقوله تعالى (وتمسكوا بمعصم الكوافر) ويفسرها البعض الآخر بأنه يحل زواج المسلم بالمحصنة من أهل الكتاب ،

وإن لم تؤمن بما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم . بحيث يصير هو في دينه وهي في دينها مدى حياتهما . فترجوكم أن تفتونا بما يزيل الخلاف . إن الله يجزي الحسنين .

الجواب

قال الله تعالى من سورة المائدة: « اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب هل لكم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتهم أجورهم أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان ، ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين » .

تفيد هذه الآية الكريمة أنه يحل للمسلم أن يتزوج بالكتابية إذا كانت محصنة أى عفيفة ، سواء كانت يهودية أم نصرانية ولا يشترط في ذلك أن تهجر دينها وتدخل في دين الإسلام ، أذلو فعلت ذلك لم تكن كتابية بل مؤمنة .

وهذا الحكم استثناء من قوله تعالى (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) فإن الكتابية داخلة في عموم المشركات لقوله تعالى من سورة براءة : (وقالت اليهود عزير ابن الله قالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قل انهم الله أنى يؤفكون اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا ألا ليعبدوا إلها واحداً إلا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) .

ولهذا روى عن ابن عمر أنه لا يجوز نكاح الكتابية أخذاً بعموم هذه الآية ويقول : أى شرك أعظم من قولها المسيح ابن الله ، ولكن الصحيح رأى الجمهور في جواز الزواج بالكتابية وهي على دينها فإن آية المائدة متأخرة في النزول عن آية البقرة ، فهي مخصصة لها .

وأما قوله تعالى من سورة الممتحنة (ولا تمسكوا بمعصم الكوافر) فالمراد بهن المشركات من العرب غير الكتابيات ولهذا لما نزلت طلق عمر امرأتين منهما كانتا تحتة وكذلك فعل غيره من الصحابة والله أعلم .

أسئلة

من الأخ عمر الحاج قسم الله باليهود — سودان

س ١ — ما حكم الكلام في المقابر وزيارتها ؟ .

س ٢ — ما حكم القبض في الصلاة ، وإذا كان القبض سنة فما حكم تاركها عمداً ، وهل كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقبض أحياناً ويسدل أحياناً ؟ .

س ٣ — ما حكم رفع اليدين في الركوع والرفع منه ؟ .

س ٤ — ما حكم المأموم الذي لم يأت بفاتحة الكتاب ، هل صلاته صحيحة ويكفيه قراءة الإمام ، وكيف نوفق بين حديث « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب ؟ » .

س ٥ — ما الحكم فيمن أمر بحفاظ القرآن ليقرؤه ويهبوا ثوابه للميت ، هل يصله هذا الثواب ، وهل من أخذ الأجر على القراءة حلال له هذا الأجر ؟ ، أم الثواب للذي دفع الأجر فقط ؟ .

ج ١ — المقصود من زيارة القبور هو الاتعاظ بما صار إليه حال هؤلاء الموتى من السكون والهمود وسكنى الأجداث بعد القصور حتى يقصر العبد حبل الأمل ولا يفتر بما هو فيه من زينة الحياة الدنيا ونعيمها ويستعد بالعمل الصالح لمثل هذا المصير ثم يدعو للموتى بالمغفرة والرحمة ويسلم عليهم كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « إذا زرت القبور فقولوا: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين ، اللهم لا تحرمنا أجرهم ، ولا تفتننا بعدهم ، نسأل الله لنا ولكم العافية » .

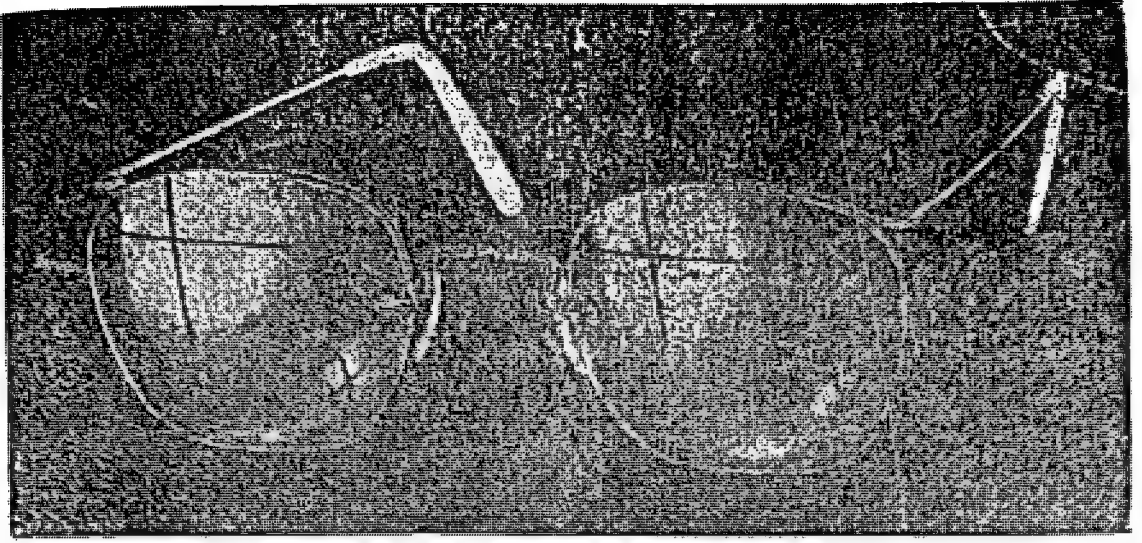
وعلى هذا قال الكلام في المقابر بما ينافي هذه الأغراض المقصودة من الزيارة غير جائز .

ج ٢ — اختلف العلماء في حكم القبض الذي هو وضع اليد اليمنى على اليسرى في الصلاة فذهب الجمهور إلى أنه سنة مؤكدة حيث ورد فيه عشرون حديثاً ولم يرد عن النبي

صلى الله عليه وسلم أنه أرسل يديه في الصلاة من طريق واحد حتى قال الحافظ ابن عبد البر إنه لم يأت عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه خلاف وقد روى أحمد والبخاري من طريق أبي حازم عن سهل بن سعد قال « كان الناس يؤمرون أن يضع الرجل اليد اليمنى على ذراعه اليسرى في الصلاة » ولا شك أن هذا الحديث في حكم المرفوع فإن قول الصحابي أمرنا بكذا أو نهينا عن كذا لا معنى له إلا نسبة ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم بل قد استدلل بعضهم بهذا الحديث على وجوب وضع اليدين في الصلاة لأن الأمر إذا أطلق ينصرف إلى الوجوب والله أعلم .

ج ٣ - أما رفع اليدين عند إرادة الركوع وعند الرفع منه فهو سنة كذلك ، فقد أخرج البيهقي من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : « كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة رفع يديه حتى يكونا بحذو منكبيه ثم يكبر فإذا أراد أن يركع رفعهما مثل ذلك وإذا رفع رأسه من الركوع رفعهما كذلك أيضاً وقال سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد » وهذا حديث متفق عليه رواه الشيخان وغيرهما . حتى قال علي بن المديني : (هذا الحديث عندي حجة على الخلق ، كل من سمعه فعليه أن يعمل به لأنه صحيح الأسناد جداً وقد صنف البخاري في هذه المسألة جزءاً مفرداً روى فيه عن الحسن وحيد بن هلال أن الصحابة كانوا يرفعون أيديهم في المواطن الثلاثة ولم يستثن الحسن أحداً) ، فدل هذا على أن الرفع هو مذهب جمهور الصحابة ولا عبرة بخلاف ابن مسعود . وقال محمد بن نصر المروزي : أجمع علماء الأمصار على مشروعية ذلك إلا أهل الكوفة يعني أتباع أبي حنيفة وأما مالك فلم يرو عنه ترك الرفع إلا ابن القاسم وقد نقل الخطابي وتبعه القرطبي أن الرفع هو آخر قول مالك . والله أعلم .

« بقية الأجوبة في العدد القادم إن شاء الله »



أحدث النظارات الرائعة تجدها عند الأخصائي

أحمد محمد خليل

المصري الوحيد خريج جامعة باريس

١ شارع الجوهري - ميدان العبة

س . ن . ٢٣٤٥ - تليفون ٩٠٨٢٦٢

شركة غريب للساعات والمجوهرات

إدارة : محمد الغريب محمد البار

بشارع محمد بك فريد رقم ١١٧ مصر عابدين

أحدث الساعات في المتانة ودقة الصناعة

والمجوهرات والنظارات — أسعار مذهشة

تساهل في الدفع على أقساط شهرية

المحل ورشة فنية للتصليح

﴿ أنصار السنة المحمدية لهم امتيازات خاصة ﴾

سدى القعدة

العدد ١١

سنة ١٣٨٣

المجلد ٢٨

خير الهى خدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهذى النبوى

تصدىها جماعة أنصار السنة المحمدية

مدير الإدارة

سليمانه مسونه

رئيس التحرير

عبد الرحمن الوكيل

٣٠ ملها

مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير
ت ٩٠٦٠١٧

الفهرس

صفحة

٣	التفسير	للاستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل
١١	نظرات في التصوف	» » » » »
٢٣	جولة في البحيرة للسيدة الجليلة حرم الدكتور محمدرضا (رحمه الله)	
٢٩	عقيدة القرآن والسنة	للاستاذ الشيخ محمد خليل هراس
٣٢	خطبة منبرية	للاستاذ سليمان رشاد محمد
٤١	الفتاوى	محمد خليل هراس
٥٠	أنا غير مؤمنة بالمساواة	للسيدة بلقيس عبد الله الحميمي

رجاء إلى السادة المشتركين والمتمهدين

نرجو من السادة المشتركين المتأخرين في سداد اشتراكاتهم أن يتفضلوا بالمبادرة إلى سدادها .

كما نرجو من المتمهدين بالفروع أن يتكرموا بإرسال مالههم من أثمان المجلة .
والمرجو إرسال جميع الحوالات وقيم الاشتراكات والذممات المتأخرة
باسم السيد / محمد رشدي خليل أمين صندوق الجماعة .

٨ شارع قوله بمابدين — القاهرة

رئيس التحرير

عبد الرحمن الوكيل

أصحاب الامتياز : ورثة

الشيخ محمد حامد الفقى

خير الهى خدى محمد حسن الله عليه وسلم

الهدى النبوى

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة انصار السنة المحمدية

مدير الإدارة

سليمان ممدون

الاشتراك السنوى

٣٠ - فى الجمهورية العربية

المتحدة والسودان

٤٠ - فى الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله . - عابدين القاهرة - تليفون ٧٦٥٧٦

المجلد ٢٨

ذو القعدة سنة ١٣٨٣

العدد ١١

نُورٌ مِنَ الْقُرْآنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال - جَلَّ ذكره - : (فانطلقا ، حتى إذا ركبا فى السفينة خرقها . قال :
أخرقتها ، لتفرق أهلها . لقد جئت شيئا إمرا . قال : ألم أقل : إنك لن تستطيع معى صبرا .
قال : لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا - السكف : ٧١ - ٧٣) .

« معانى المفردات »

انطلقا : قال الراغب : أصل الطلاق : التخلية من الوثاق . . . وانطلق فلان إذا مر
متخليا اعتبارا بتخلية سبيله .

خرقها : الخرق : قطع الشيء على سبيل الفساد من غير تدبر ولا تفكير ، وهو ضد
الخلق : فالخلق هو فعل الشيء بتقدير ورفق والخرق بغير تقدير .

« إمرا » : قال الراغب : شيئا إمرا ، أى منكرا من قولهم : أمر الأمر أى كبر
وكثر . وقال ابن الأثير عن الإمر الأمر العظيم الشنيع . وقيل : العجب . وقال البقرى :
الإمر فى كلام العرب : الداهية ، وأصله كل شئ شديد كثير .

« تَرْهَقْنِي » : رَهَقَهُ الأمر غشيهِ بغير .
 « عُسْرًا » : العسر هو الضيق والشدة والصعوبة .

المعنى

أخذ العبدُ الصالح على موسى — عليه السلام — عهداً ذكره الله سبحانه في هذه الآية : (قال : فإن اتبعتنى ، فلا تسألنى عن شيء حتى أحدث لك منه ذِكْراً . الكهف ٧٠) .

وسياق الآيات ، ومفهوماتها البينة تبين لنا أن موسى رضى بهذا ، وتطامنّت إليه نفسه ، وأقوى الأدلة على هذا اعتذاره مرتين ، عقب نقضه العهد مرتين . وأخذ العهد بهذه الصورة تدل على قوة نفسية من العبد الصالح تستمد من الله سلطانها وهداها . ألا تراه — وهو ليس من أولى العزم من الرسل — يشترط هذا الشرط القوي الذي لا يكون إلا بين أستاذ وتلميذه^(١) . وليس في هذا الشرط من حكم على موسى بإخضاع عقله ، أو عزله عن نقد المنكر ، فإن موسى يعلم أن العبد الصالح لن يفعل منكراً ، أو يعلم أن العبد الصالح يعمل عن أمر إلهي ، وما دام الأمر كذلك فَلْيَتَنَحَّ العقلُ رضىً طائعاً مختاراً ؛ لأن الوحي الإلهي هو الذي يدبر الأمر .

ورضاء موسى بهذا ، وخضوعه ، واستسلامه يدل على سمو أدب موسى وحبه للمعرفة ، وإيمانه بالله سبحانه . فلم تأخذه — وهو كلم الله — العزة بالإثم ، ولم يتعال — في سبيل أن يزداد إيماناً وعلماً — على رجل أقل منه مكانة ، وأدنى مقاماً . لقد أمره الله ، وعلمه ، وما كان لموسى إلا أن يخضع ، ويخضع ويحمد الله .

« فانطلقا » . من الآية نستطيع أن نفهم أن الانطلاق كان على سيف بحر أو ساحله ،

(١) بهذا يستدل الصوفية على أنه يجب على المريد أن يكون كذلك بين يدي الشيخ ويتناسى هؤلاء أن الأمر بين رسول ونبي يوحى الله إليهما لا بين مريد وشيخ يوحى إليه الشيطان .

ولقد جاء هذا الفهم مصرحاً بالفاظه في الحديث كما ورد في البخارى : « فانطلقا يمشيان على ساحل البحر » .

« حتى إذا ركبا في السفينة خرقها » هذا أول اختبار لموسى عليه السلام ، ويدل سياق الآية : أنه ظل سائراً هو والعبد الصالح حتى وجدا سفينة فركباها . وأظن أنه لم يكن في ركوب السفينة شيئاً يثير دهشة موسى أو محبه . أعنى كان الركوب أمراً طبيعياً عادياً يقصدان به جهة معينة ، كما بدا لموسى ، لأنه لم يقل مثلاً : ولماذا نركب السفينة ؟ أو لعل نفس هذا العمل — وهو ركوب سفينة — لم يستطع أن يفتن موسى عن عهده فلم يسأل عن علة ركوب السفينة^(١) ، واستسلم لصاحبه ، ومن حديث نستطيع أن نستدل على أن البحر الذى كانا سيمبران به غير وسيع أو غير بعيد ما بين الشطين ؛ فقد جاء في البخارى — رواية عن إبراهيم بن موسى « حتى إذا ركبا في السفينة وجدا معابر صفاراً^(٢) تحمل أهل هذا الساحل إلى أهل هذا الساحل » ، فلعلهما كانا سيمبران نهراً أو خليجاً ضيقاً ، والخليج والنهر يطلق عليهما في اللغة لفظ بحر . ولقد قلت في عدد رمضان عن مجمع البحرين : أظن أنه ملحق خليج السويس بخليج العقبة ، فلعلهما كانا سيمبران أحدهما .

مسألة السفينة وخرقها في الأحاديث : أفادتنا الآية العبرة أما الحديث ، فعنى بتفصيل

موضوع العبرة ، فلنذكر ماورد في الأحاديث عن هذه المسألة ، وسنعرض ماورد في بعض أبواب البخارى التى عنيت بتفصيل قصة موسى والعبد الصالح ، ففي الرواية عن عمرو بن محمد : « فانطلقا يمشيان على ساحر البحر ، فمرت بهما سفينة ، فكلوهم أن يحملوهم ، فعرفوا الخضر فحملوه بغير قول » .

ثم يتحدث عن خرق السفينة ، فيقول : « إذ أخذ الفأس فنزع لوحاً ، قال : فلم يفجأ موسى إلا وقد قلع لوحاً بالقدوم » .

وفي رواية عبد الله بن محمد : « فانطلقا يمشيان على ساحل البحر وليس لهما سفينة ، فمرت بهما سفينة فكلوهم أن يحملوهم ، فعرّف الخضر ، فحملوهم بغير قول » .

(١) هذا إذا فهمنا أنه لم يكن على علم بنية ركوب البحر من العبد الصالح .

(٢) والمعابر الصغيرة لا تخترق البحار الفسيحة من الساحل إلى الساحل .

ثم يتحدث عن كيفية خرق السفينة : « فعمد الخضر إلى لوح من ألواح السفينة ، فنزعه » .

ورواية البخاري عن الحميدي في « التفسير » توافق رواية عبد الله بن محمد في هذه المسألة ، غير أنه زاد أن الخضر استعمل « القدوم » في قلع لوح السفينة .
أما في الرواية عن إبراهيم بن موسى ، فقد جاء ما يأتي : « حتى إذا ركبا في السفينة وجدا معابر صغاراً تحمل أهل هذا الساحل إلى أهل هذا الساحل ، عرفوه ، فقالوا : عبد الله الصالح . قال : قلنا لسميد^(١) : خضر ؟ قال نعم : لا نحمله بأجر^(٢) ، فخرقها ووتد فيها وتدا » .

أما في الرواية عن قتيبة بن سعيد ، فقد جاء ما يلي : « فانطلقا يمشيان على الساحل ، فمرت بهما سفينة ، فعرف الخضر ، فحملوه في سفينتهم بغير قول . يقول : بغير أجر ، فركبا السفينة ... قال فلم يفجأ موسى إذ عمد الخضر إلى قدوم ، فخرق السفينة » .

تجمع الأحاديث على ما يأتي : أنهما انطلقا يمشيان على ساحل البحر — وكلمة بحر يقال على الخليج ، وعلى النهر — وأن أصحاب السفينة كانوا يعرفون العبد الصالح من قبل ، وأنهم حملوا موسى والعبد الصالح بغير أجر . ونجد في مسألة خرق السفينة اختلافاً يسيراً ، فرواية تذكر أن العبد الصالح عمد إلى لوح من ألواح السفينة فنزعه ، وأخرى تذكر أنه نزعه بقدوم ، وأخرى تذكر أنه وتد فيها وتدأ بعد الخرق . ولكنها لا تذكر كيف خرقتها ، وأخرى تذكر أنه خرق السفينة بقدوم ، وأخرى تذكر أنه أخذ الفأس ، فنزع لوحاً ، ثم تقول : فلم يفجأ موسى إلا وقد قلع لوحاً بالقدوم !! وحسبنا أن نعلم أنه خرق السفينة !!

ونلاحظ أن الآيات وبعض الأحاديث لم تذكر شأن الفتى مع موسى والعبد الصالح

(١) يعني سعيد ابن جبير أحد رواة الحديث .

(٢) هذا من كلام أصحاب السفينة التي ركبا العبد الصالح هو وموسى يرويه سعيد .

بعد أن لقي موسى العبد الصالح وقد قيل : إن المقصود بالسياق إنما هو قصة موسى مع الخضر، وذكر ما كان بينهما، وفقى موسى معه تبع، فلا ضرورة لذكره، ثم إن بعض روايات الحديث تذكر : « فمعلوم » بضمير الجمع .

والأرجح أن الفتى تركهما ، فالآيات كلها ، وكثير من روايات الحديث تسند الفعل إلى موسى وصاحبه « فانطلقا ، ركبا ، فانطلقا ، لقيا ، فانطلقا ، أتيا ، استطعا ، وَجَدَا » كل هذه الأفعال يسندها الله إلى موسى وصاحبه ، وهذا يؤكد لنا أن فتى موسى لم يكن معهما في كل هذا ، ولا نستطيع أن نترك كل هذا لإحدى الروايات ١١ .

وقد روى ابن جرير خرافة أسندها غيره إلى ابن عباس أن الفتى شرب من الماء فغله ، فأخذه الخضر فوضعه في سفينة ، ثم أرسله في البحر ، فإنها لتموج به إلى يوم القيامة ، لأنه لم يكن له أن يشرب من عين ماء الحياة ١١ وهي خرافة لا تستأهل مناقشة ١١ .

ونستطيع أن نستنبط من الآيات أن خرق السفينة حدث ، وهما في مكان يأمان فيه — هما وأهل السفينة — من الفرق ، فإما أنه حدث قبل أن تغلق^(١) ، أو حدث ، وهي على الساحل الآخر ، إذ ليس من المعقول أن يقوم العبد الصالح بخرق السفينة في مكان خطر يؤدي خرق السفينة فيه إلى أن يفرق هو وموسى وأهل السفينة ، أما الزعم بأن للسوء لم يدخلها عقب خرقها ، أو أن موسى سدها بشو به ، فليس بشيء .

وقول موسى « أخرقتها ، لتفرق أهلها » يفيد أمرين : أن الخرق يمكن أن يحدث الخرق منه ، وأنه خرقها في مكان لا تفرق فيه عن فوقها ، ولهذا قال : « لتفرق أهلها بدلا من : لتفرقنا ، فلما أنه أحدث فيها الخرق في مكان يمكن فيه أن تفرق بهم جميعا لقال : « لتفرقنا » .

(١) تدبر جمل « خرقها » جواباً للشرط في قوله سبحانه « حتى إذا ركبا في السفينة خرقها » فلمل هذا يفيد أن الخرق حدة مباشرة عقب الركوب .

ومن سياق الآيات أيضاً ، وما ذكر في بعض الأحاديث تفهم أيضاً أن خرق السفينة كان مفاجأة لموسى ، ولكن ماذا فعل أصحاب السفينة ؟ ولم تتعرض الآيات صراحة لموقفهم من عمل العبد الصالح ، وكذلك الأحاديث . ولكنك تستطيع أن تفهم أحد أمرين ، إما أن العبد الصالح أسراً إليهم بحكمة فعله ، فتركوا الخرق في السفينة كما هو ، ولم يقوموا بإصلاحه ، وإما أنهم لم تتح لهم الفرصة التي يعلمون فيها بنبأ الخرق^(١) ؛ إذ جاء الملك الغاصب ، أو جنوده عقب خرقها ، فوجدوها غير صالحة .

هذا أو ما قبله نفهمه من قول الله تعالى قاصاً قول العبد الصالح : « فأردت أن أعيبها ، وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا » إذن بقي العيب في السفينة ، أى بقي الخرق حتى مر الملك أو جنوده ، ولا نفعل أن أهل السفينة رأوا الخرق ، وتركوه كما هو دون سبب قوى ، وهذا السبب قد يكون — كما قلت — إسرار العبد الصالح لم بحكمة فعله ، أو إقبال الملك أو جنوده مباشرة عقب الخرق ، قبل أن يتبينوا أمره ، أو لعلمهم بتبينوه ، ولم تكن لديهم الفرصة الكافية لإصلاحه .

« قال : أخرقتها ، لتفرق أهلها ، لقد جئت شيئا إمرأ » ويأخذنا — نحن البشر عاطفة إشفاق قوية صافية على موسى إذ جعله ظاهر مارأى ينسى عهده مع العبد الصالح فيتهمه بالإتيان بعمل هدوانى فظيع ، يبدو أنه الجحود المقيت ، ويحكم بسرعة عليه ، أنه أتى داهية

(١) هذا إذا فهمنا — وهو الواضح — من كلمة « وكان وراءهم ملك » المعنى الظاهر ، وهو أن الملك كان خلفهم ، وسير بهم ، أما إذا فهمنا — كما يذكر بعض المفسرين — أن وراءهم بمعنى : أمامهم ، فيكون قصد العبد الصالح تعطيل أهلها عن الإبحار بها حتى لا يدركوا الملك في الطريق فيقتصبها ، ولا يمنع هذا الفهم من كونهم شاهدوا الخرق عقب إحداثه ، فوقفوا يصلحونه ، فلم يلحقوا بالملك . ولقد جاء في تفسير البغوى أن الخضر اعتذر إلى القوم ، وذكر لهم شأن الغاصب ، ولم يكونوا يعلدون بخبره . وقال : أردت إذا هي مرت به أن يدعها لعبها ، فإذا جاوزه أصلحوها ، فانتفعوا بها ! والله أعلم بما كان .

شنعاء . لقد اتهمه بأنه اقترف خرق السفينة ، ليفرق أهلها^(١) ، ثم حكم عليه بأنه جاء بإمر فظيع منكر . ولقد قلت من قبل عن هذا في عدد « رمضان » : « لقد رأى — موسى — من العبد الصالح الجحود بالجهل حيث ظن وجوب العرفان به ، والسمي في سبيل الكفاة عليه ، ثم تبين له أن هذا الذي ظنه جحوداً إنما هو البر الكريم ، والعمل الذي كان يجب أن يكون به وحده التعبير عن العرفان بالجهل » .

وكنيت أقصد بهذا القول أمر السفينة ، ففي مقياسنا — نحن البشر — أنه كان يجب على العبد الصالح أن يكافئ أهل السفينة ، لا أن يخرقها^(٢) ، ولكن ثبت لموسى بعد أن العبد الصالح أدى إلى أهل السفينة حملاً جليلاً عظيماً ، فليسجد العقل خاشعاً حين يأمر الله ، وليحذر من أن يمس جانب الوحي بنقد أو معارضة ، وليحذر أولئك الذين يظنون أنهم يعرفون كل شيء ، وأن العقل له الهيمنة على وحي الله^(٣) ، فيجب أن يخضع الوحي الإلهي لمقاييس العقل البشري ، أي مشيئة الخالق وحكمه لمشئته المخلوق وحكمه !! (قال : ألم أقل : إنك لن تستطيع معي صبراً^(٤)) ما أروع نبيل العبد الصالح ، وسكينة نفسه ، وسمو ألفاظه ، إنه يذكر موسى في رفق بالعهد الوثيق ، ويذكره بأن يأخذ نفسه بالصبر معه ، وفي ثنايا التذكير عتاب رقيق . وخطأ موسى هنا أنه اعترض على رجل يعلم أنه مأمور من الله سبحانه ، فما كان ينبغي له أن يعترض على أمر الله . أما لو كان

(١) ذكرت من قبل أن قوله : « ليفرق أهلها » يدل على أنه خرق السفينة إما في مكان ضحل ، وإما على الساحل بحيث لا يفرق الخرق السفينة بمن فيها ، ولو كان الأمر غير هذا لقال : « لتفرقنا » بدلاً من . لتفرق أهلها .

(٢) في حديث البخاري : « فقال له — أي للخضر — موسى : قد حملونا بغير قول — أي أحر — فعمدت إلى سفينتهم ، فخرقتهما ، لتفرق أهلها » .

(٣) أشباه هؤلاء أولئك الذين يؤولون آيات الصفات بتجريدتها من معانيها .

(٤) لا حظ أنه لا ينبغي مطلق الصبر عن موسى ، وإنما ينبغي صبره معه وحده ، لأن الذي سيقوم به مخالف للأعراف والتقاليد ومقاييس البشر ، لا لشريعة الله سبحانه .

الأمر غير هذا ، لـ كان مصيباً في موقفه ، لأنه ينهى عن منكر . ولهذا نجد أن موسى سرعان ما كان يعتذر وينيب حتى قال - كما قص الله .

« لا تؤاخذنى بما نسيتُ ، ولا تُزهِقْنى من أمرى عسرا » من أسلوب الآية نستبين أن موسى آمن بأنه يستحق المؤاخذة . ولهذا لهج بـرجاء العبد الصالح في ألا يؤاخذهُ وعقب بما يبيح له أن يلمح بهذا الرجاء ، وهو قوله : « بما نسيت » أى بنسيانى ، فتدبر أدب موسى !!

كان يمكن أن يقول : « لقد نسيت » ولو قالها ، لبدا لنا أنه لا يعترف بأنه مؤاخذ وكان يمكن أن يقول « لقد نسيت^(١) فلا تؤاخذنى » ولكنه بادر بالاعتراف بأنه يستحق المؤاخذة : ليمهد للرضا والعفو والمغفرة السبيل إلى قلب العبد الصالح ، وليستثير أكرم عواطفه وأسمحها .

ثم عقب موسى بـرجاء آخر هو ألا يحمل عليه ما يعهر حمله ، أى : ألا يضيق عليه ، وبشدد . وفى هذا ما فيه من خضوع جميل ، بل فيه ما يشعر بأن موسى أصبح يرى نفسه أقل شأنًا من هذا العبد الصالح ، فلا يرجو مثل هذا الرجاء مَنْ يشعر بأنه أعظم ، وإنما يقوم به من يشعر بأنه أقل ، يقوم به التلميذ ، يقوم به الابن .

أضرع إلى الله أن يهب لنا الخضوع لكلمة الحق والإيمان القوى بالحق إنه سميع مجيب

عبد الرحمن الوكيل

(١)المجيب أن يسند المفسرون إلى ابن عباس أنه قال عن موسى ؛ ما ندى ، وفى هذا

ما فيه من تكذيب لموسى ، وابن عباس لا يتردى فى مثل هذه المهلكة !

نظرات في التصوف

- ٢٩ -

تكلمت في العدد السابق عن التوحيد في نظر الغزالي ، وهنا أذكر رأى شيخ الإسلام ابن تيمية فيه ثم نأتى بنصوص تبين لنا أخطأ ابن تيمية في نقده أم أصاب .

رأى ابن تيمية في الغزالي . للغزالي أقنعة متباينة ، فهو كلامي أشعري ، وهو يذم علم الكلام^(١) ؛ وهو فيلسوف يقول بكثير عما كفر به الفلاسفة ، وهو يؤلف كتاب « التهاوت » ليهدم به الفلسفة ! وهو من مؤولة الصفات ، وأمور الآخرة ! وهو ينقد التأويل ، ويطلب منك أن تؤمن بأمور الآخرة كما وردت في القرآن والحديث في كتابه « الدرة الفاخرة » ، وهو باطنى يحرف الكلم عن مواضعه ، ويجرد الكلمات من مدلولاتها ويخترع لها معانى مبتدعة ، ثم هو يؤلف ضد الباطنية ! وهو صوفى يسلك مع الصوفية كل درب وتيه ، ثم هو ينقد القائلين بالحلل والاتحاد ، على حين يقول في بعض كتبه بما يجعله من دعاة الحلل والاتحاد : ويوغل وراءهما في كل مهلكة . بل تكاد تشعر أنه يجب أن تؤمن بأنه يدين بالاتحاد مشروطاً ألا تفضح سره ، ولهذا عبر عنه في كتبه بألفاظ ذات وجوه ! .

على أنه صرح في كتابه « المنقذ من الضلال »^(٢) أنه لم يجد الحقيقة إلا في الصوفية .

(١) يذكر في كتابه « إلبام الموام عن علم الكلام » أن مذهب السلف هو الحق ،

(٢) اقرأ اعترافات الغزالي للدكتور عبدالدايم أبو المطا بقري ، فقد أثبت فيه المؤلف مدى كذب الغزالي : في اعترافاته : يقول الدكتور : « إن الاعترافات التي سجلها بين صفحات المنقذ ليست باعترافات صادقة صريحة مطابقة للواقع ، وإنما هي اعترافات مثالية كان يتمنى الغزالي أن تكون حياته على شاكلتها ص ١٦

وأقول ما كان رسول الله صوفيا ، ولكن كان حنيفا مسلما ، وما كان من المشركين .
وما كان أحد من الصحابة وخيار التابعين ينتسب إلى ردة الصوفية .
وهكذا قطع الفزالي صلته بذي هذه الأمة ، وخيار سلفها الأبرار حين أقر بأنه لم يجد
غير الصوفية ديننا قويا يصح أن ينتسب إليه .

كان الفزالي يؤلف لكل فئة ما يجعلها تظن أنه منهم ! غير أنك تستطيع أن تعرف
حقيقة دينه في تلك الكتب التي سماها « المضمون بها على غير أهلها » وفي الإحياء من
موضوعاتها كثيرا .

والرجل الذي استطاع أن يكشف لنا حقيقة دين الفزالي ، ويهتك كل الأقنعة عن
وجهه هو الإمام الجليل « ابن تيمية » . وهذا هو رأي فيه .

هاجم ابن تيمية الملاحدة من أمثال الفاطميين ، وإخوان الصفا ، والصوفية كابن عربي
وابن سبعين ، ثم قال : « وفي كلام أبي حامد الفزالي في الكتب المضمون بها على غير
أهلها ، وغير ذلك من معاني هؤلاء قطعة كبيرة » (١) .

ويقول : إن كلامه برزخ بين المسلمين وبين الفلاسفة ، ففيه فلسفة مشوبة بإسلام ،
وإسلام مشوب بفلسفة .. وكان يعظم الزهد جدا ، ويعتق به أعظم من اعتنائه بالتوحيد
الذي جاء به الرسل ، ويقول : « ذاكرني مرة شيخ جليل له معرفة وسلوك وعلم . فقال :
كلام أبي حامد . يشوقك ، فتسير خلفه ، وهو يشوقك ، فتسير خلفه ، منزلا بعد منزل ،
فإذا هو ينتهي إلى لا شيء » ثم يحكم على كتابه المسمى : « المضمون به على غير أهلها »
بقوله : « وهو فلسفة محضة . قول المشركين من العرب خير منه ، دع قول اليهود
والنصارى بل قوم نوح وهود وصالح » ويقول : « وأبو حامد بين علماء المسلمين وبين
علماء الفلاسفة . علماء المسلمين يذمونهم على ما شارك فيه الفلاسفة مما يخالف دين الإسلام ،
والفلاسفة يسميونه عن ما بقي معه من الإسلام ، وعلى كونه لم ينسلخ منه بالكلية إلى قول
الفلاسفة ، ولهذا كان الخفيد بن رشد ينشد فيه :

بوما يمان إذا ماجئت ذا يمن وإن لقيت مَعَدِّيَا فَمَدَّنَا
وأبو نصر القشيري وغيره ذموا على الفلسفة ، وأنشدوا عنه أبياتا معروفة يقولون فيها:

برئنا إلى الله من معشر بهم مرض من كتاب الشفا
فاتوا على دين إرطالس وعشنا على سنة المصطفى^(١)

ولهذا كانوا يقولون : أبو حامد قد أمرضه الشفاء ، وكذلك الطرطرسى والمازرى وابن عقيل ، وأبو البيان ، وابن حدين ، ورفيق أبي حامد أبو نصر المرغينانى ، وأمثال هؤلاء لم يكلام كثير ، فى ذمه على ما دخل عليه من الفلسفة ، ولعلماء الأندلس^(٢) فى ذلك مجموع كبير ، كما يروى الإمام الجليل أن الغزالى قال لشيخ كبير : « أخلصت أربعين صباحا^(٣) » ، فلم يتفجر لى شيء ، فقال : يا بنى أنت أخلصت للمحكمة ، لم يكن الله مرادك : والإخلاص لله أن يكون الله هو مقصود المرء ومراده . »

ويقول عن موقف الغزالى من الفلاسفة : « وهو فى التهافت وغيره يكفرهم وفى المضمون به يذكركر ما هو حقيقة مذهبهم . حتى يذكر فى النبوات عين ما قالوه ، وكذلك فى الإلهيات^(٤) »
ويتكلم شيخ الإسلام عن طرق أصحاب الخلوات ثم يقول : « وأكثرهم يخرجون إلى أجناس غير مشروعة ، من ذلك طريقه أبى حامد ، ومن تبعه ، وهؤلاء يأمرؤن صاحب الخلوة ألا يزيد على الفرض ، لا قراءة ولا نظرا فى حديث نبوى ، ولا غير ذلك ، بل قد يأمرؤنه بالذكر . »

(١) الشفا يعنى به كتاب الشفاء للفيلسوف ابن سينا وإرطاس اعنى به أرسطو الفيلسوف اليونانى .

(٢) المعروف أن هؤلاء العلماء أفتوا بوجوب إحراق كتب الغزالى .

(٣) هذا لأن الصوفية تزعم كما يقول الطوسى فى اللع والقشيري فى الرسالة من زهد فى الدنيا أربعين يوما صادقا خلصا تظهر له الكرامات « أنظر باب إثبات الكرامات فى اللع ، ولهذا طمع الغزالى فى أن تظهر له الكرامات . »

(٤) أقرأ هذه النصوص فى كتاب النبوات للإمام الجليل ابن تيمية صفحات ٧٩ ، ٨٠ .

ثم قد يقولون مايقوله أبو حامد : ذكر العامة لا إله إلا الله ، وذكر الخاصة : الله الله وذكر خاصة الخاصة : هو هو ^(١) ، ثم يعرض لنفايات أصحاب هذه الخلوات وهى الدعوة إلى الإيمان بوحدة الوجود ، ثم يقول : « وأما أبو حامد وأمثاله ممن أمروا بهذه الطريقة ، فلم يكونوا يظنون أنها تنفض إلى الكفر ، لكن ينبغي أن يعرف : أن البدع يريد الكفر » ثم يقول : « ومنهم - أى أصحاب الخلوات - من يزعم أنه حصل له أكثر مما حصل للأنبياء ، وأبو حامد يكثر من مدح هذه الطريقة فى الإحياء وغيره ، كما أنه يبالغ فى مدح الزهد ، وهذا من بقايا الفلسفة عليه : وأبو حامد يقول : إنه سمع الخطاب كما سمعه موسى عليه السلام ، وإن لم يقصد هو بالخطاب ، وهذا كله لنقص إيمانهم بالرسول ، وأنهم آمنوا ببعض ما جاءت به الرسل ، وكفروا ببعض ^(٢) .

ونص مقاله الغزالي فى الإحياء ، وهو يتكلم عن الجبرية المحضة وعن التنزيه والتشبيه وعن المناسبة الباطنة بين العبد والرب - هو : « واطو الطريق ، فإنك بالواد للقدس طوى ،

(١) ذكر الغزالي هذا فى كتابه « مشكاة الأنوار » ص ١٢٥ ، وفى ميزان العمل ، وقد عد الذكر بلا إله إلا الله ذكرا للعوام ، لأن الذكر بها يثبت الإيمان بوجود ربوبية وعبودية ، ربوبية المذكور ، وعبودية المذكر ، فى هذا الذكر تثنية يغضها الصوفية وحجتهم الغزالي أما الذكر بالاسم المفرد « الله » فعده من ذكر الخاصة ، لأن فيه ذكر ملاحظة الحقيقة الإلهية وحدها ، والفناء عن غيرها ، غير أن هذا الاسم يشعر بوجود إله ومألوه ولهذا يرغب الصوفية عن الذكر به إلى الذكر بهو ، فإنه ذكر خاصة الخاصة ، لأنه ذكر يثبت وجود هوية واحدة ، أو حقيقة واحدة ، أو يستلزم الإقرار بوجود واحد فقط ، على أن بعض الصوفية يحمل أفضل الذكر « أنا أنا » ومنهم السهروردي المقتول ، لأنه يثبت العينية المطلقة .

(٢) وانظر ما ذكره ابن تيمية فى ص ٨٦ ، ٨٧ من الرسالة الخاصة من مجموعة الرسائل

والمسائل .

واستمع بسر قلبك لما يوحى ، فملكك تجدد على النار هدى ، ولملك من سرادقات العرش تنادى بما نودى به موسى : إني أنا ربك ^(١) : »

ولقد انتقد بعض الشيوخ على الغزالي هذا القول الذى نقلناه عنه ، فرد عليهم فى كتابه الذى سماه الإملاء ، وقد أكد فى رده أن الولي يسمع الوحي ، وقد ضرب مثلاً لهذا خلاصته . أن الملك قد يولى أحد رعاياه ولاية ، ثم يجلسه فى حضرة ، ويلقى إليه بأوامره وفى المجلس انسان آخر يسمع ما يأمر به الملك هذا الوالى ، ثم يقول :

« وكذلك هذا السالك المذكور إذا وصل فى طريقه ذلك بحيث يصل بالمكاشفة والمشاهدة واليقين التام الذى يوجب المعرفة والعلم بتفاصيل المعلوم ، فلا يمتنع أن يسمع ما يوحى لغيره من غير أن يقصد هو بذلك ، إذ هو محل سماع الوحي على الدوام ، وموضع الملائكة

ولقد ذكرت كلام الغزالي بنفس ألفاظه ، وهو يؤكّد صدق ما دفعه به ابن تيمية . يؤكّد أن الغزالي يدين بأن بعض الصوفية يسمعون وحى الله ! ! ومع وضوح كلامه هنا ، فإنه أبى إلا أن يزيده إيضاحاً وتوكيداً ، فذكر رأى من اعترض عليه وهذا نص كلام المعارض كما ذكره الغزالي : « أراك قد أوجبت له نداء الله تعالى ، ونداء كلامه والله تعالى يقول : (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ، ورفع بعضهم درجات) فقد نبه أن تكليم الله تعالى لمن كلمه من الرسل إنما هو على سبيل المبالغة فى التفضيل ، وهذا لا يصلح أن يكون لغيره ممن ليس بنبي ولا رسول » .

وقد رد الغزالي على هذا الاعتراض ^(٢) بقوله : « ليس فى الآية ما يرد ما قلنا ، ولا يكره ، لأننا ما أوجبنا أنه كلمه قصداً ، ولا توخاه بالخطاب عمداً ، وإنما قلنا : يجوز أن

(١) ص ٢١٦ ج ٤ الإحياء .

(٢) ثار العلماء المغاربة على كتاب الإحياء ، وأظهروا ما فيه من زيغ ، فألف الغزالي كتابه « الإملاء » برد فيه على العلماء المغاربة الذين انتقدوه .

يسمع ما يخاطب الله تعالى به غيره «^(١) هذا خرق يظنه الغزالي حجة له ١١ ، وما يأذن القلب المسلم لمثل هذا الكيد لدين الله حتى أن بطرق بابه.

وإني لأقول : إن الغاية من ترديد مثل هذه الخرافات هو القضاء على هدى القرآن ودفع القلوب إلى الإصغاء إلى ما يزعم الصوفية أنه وحى إلهي يوحى إليهم ، ولقد رأيت نتيجة هذا الوحي ! !

ويقول : المنقذ من الضلال ، « ومن أول الطريقة تبتدىء المكاشفات والمشاهدات حتى إنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة ، وأرواح الأنبياء ، ويسمعون منهم أصواتا ، ويقتبسون منهم فوائد ، ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق ، ولا يحاول معبر أن يعبر عنها إلا اشتمل لفظه على خطأ صريح » .

ويقول في « كيمياء السعادة » عن القفاكر : « إذا جلس في مكان خال ، وعطل طريق الحواس ، وفتح عين الباطن وسمعه ، وجعل القلب في مناسبة عالم الملكوت ، وقال دائما : « الله الله الله » بقلبه دون لسانه إلى أن يصير لا خيرة معه من نفسه ، ولا من العالم ، ويبقى لا يرى شيئا إلا الله سبحانه وتعالى انفتحت له تلك الطاقة ، وأبصر في اليقظة الذي يبصره في النوم ، فتظهر له أرواح الملائكة والأنبياء ، والصور الحسنة الجميلة الجليلة وانكشف له ملكوت السموات والأرض ، ورأى مالا يمكن شرحه ولا وصفه »^(٢) .

ويقول في الإحياء . « قال بعض المكاشفين : ظهر لي الملك ، فسألني أن أملئ عليه شيئا من ذكرى الخفي عن مشاهدتي من التوحيد ، وقال : ما نكتب لك عملا ، ونحن نجد أن يصمد لك بعمل تقرب به إلى الله عز وجل ، فقلت : ألسنا تكتبان الفرائض قالوا : بلى . قلت ، فيكيفكما ذلك » ويقص عن بعض العارفين قوله : « سألت بعض

(١) ص ١٤٣ وما بعدها الإملاء بهامش ج ١ من الإحياء .

(٢) ص ١٥ الجواهر الفوالى .

الأبدال عن مسألة من مشاهدة لليقين ، فالتفت إلى شماله ، فقال : ماتقول رحمك الله ، ثم التفت إلى يمينه ، فقال : ماتقول رحمك الله ، ثم أطرق إلى صدره ، وقال : ماتقول رحمك الله ، ثم أجاب بأغرب جواب سمعته ، فسأله عن التفاته ، فقال : لم يكن عندي في المسألة جواب عتيده ، فسألت صاحب الشمال ، فقال : لا أدري ، فسألت صاحب اليمين ، وهو أعلم منه ! فقال : لا أدري ، فنظرت إلى قلبي ، وسألته فحدثني بما أحببتك ، فإذا هو أعلم منهما^(١) .

لقد نقلت لك من كتب الغزالي بعض دينه ، وبهذا يتجلى لنا أن ابن تيمية كان في نقده مثلاً أعلى للصدق والأمانة والعدل والإنصاف ، فما نسب إلى الغزالي شيئاً لم يقله ، وما حكم عليه إلا بما حكم به القرآن على من يدعون بغير دعوته ، ويناهضون الحق الصراح منه . ويتجلى لنا أيضاً أن الغزالي ليس حجة الإسلام ، وإنما هو صنم للصوفية ! وإنما هو كما وصفه ابن تيمية ! !

العلة في انحراف الغزالي :

ثم يفصل ابن تيمية رأيه في الغزالي ، ويذكر علة انحرافه ، وبعده عن سواء السبيل ، فيقول : « وتجد أبا حامد الغزالي - مع أن له من علم الفقه والتصوف والكلام والأصول وغير ذلك . مع الزهد والعبادة وحسن القصد ، وتبحره في العلوم الإسلامية أكثر من من أولئك - يذكر في كتاب الأربعين ، ونحوه ، وكتابه المصنوع به على غير أهله ، فإذا طلبت ذلك الكتاب ، واعتقدت فيه أسرار الحقائق ، وغاية المطالب وجدته قول الصابئة المتفلسفة بعينه قد غيرت عباراتهم ، وترتيباتهم ، ولم يعلم حقائق مقالات العباد ، ومقالات أهل المال معتقداً أن ذاك هو السر القدي كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ، وأنه هو الذي يطلع عليه المكاشفون الذين أدركوا الحقائق بنور إلهي فإن أبا حامد كثيراً ما يحيل في كتبه على ذلك النور الإلهي وعلى ما يعتقد أنه يوجد للصوفية والعباد برياضتهم

ودياناتهم من إدراك الحقائق وكشفها لهم ، حتى يزنوا بذلك ماورد به الشرع وسبب ذلك أنه كان قد علم بذكائه وصدق طلبه ، مافى طريق المتكلمين والمتفلسفة من الاضطراب وآتاه الله إيماناً مجللاً ، كما أخبر به عن نفسه ، وصار يتشوق إلى تفصيل الجملة ، فيجد في كلام المشايخ والصوفية ^(١) ما هو أقرب إلى الحق ، وأولى بالتحقيق من كلام الفلاسفة والمتكلمين والأمم كما وجدته ، لـكن لم يبلغه من الميراث النبوى الذى عند خاصة الأمة من العلوم والأحوال ، وما وصل إليه السابقون الأولون من العلم والعبادة حتى نالوا من لكاشفات ^(٢) العلمية والمعاملات العادية ما لم ينله أولئك فصار يعتقد أن تفصيل تلك الجملة يحصل بمجرد تلك الطريق ، حيث لم يكن عنده طريق غيرها ، لانسداد الطريقة الخاصة السنية النبوية عنه بما كان عنده من قلة العلم بها ، ومن الشبهات التى تقلدها عن المتفلسفة والمتكلمين ، حتى حالوا بها بينه وبين تلك الطريقة ، ولهذا كان كثير القم لهذه الحوائل ولطريقة العلم . وإنما ذاك ^(٣) لعلمه الذى سلكه ، والذى حجب به عن حقيقة المتابعة للرسالة ، وليس هو بعلم ، وإنما هو عقائد فلسفية وكلامية ، كما قال السلف « العلم بالكلام هو الجهل » وكما قال أبو يوسف « من طلب العلم بالكلام تزندق » .

ولهذا صار طائفة ممن يرى فضيلته وديانته يدفعون وجود هذه الكتب عنه حتى كان الفقيه أبو محمد بن عبد السلام ^(٤) . فما علقه عنه - يفكر أن يكون كتاب « بداية الهداية » من تصنيفه ويقول : إنما هو تقوّل عليه ، مع أن هذه الكتب مقبولة أضعاف مردودها ، والمردود منها أمور مجملة ، وليس فيها عقائد ولا أصول الدين .

(١) يقصد بعض متقدمى الصوفية ، فقد كانوا - كما قلت من قبل - يخلطون باطلا بحق وحقاً بباطل .

(٢) لا يرتضى الحق التعبير بكلمة مكاشفات ، فهى فى الدين الصوفى مكاشفة الله سبحانه !

(٣) أى إن ذمه إنما يقع على علم خاص هو ما عرفه من العلوم الكلامية والفلسفية .

(٤) شهرته العز ، أو عز الدين .

وأما « المضمون به على غير أهله » فقد كان طائفة أخرى من العلماء يكذبون ثبوته عنه ، وأما أهل الخبرة به وبجأله ، فيعلمون أن هذا كله كلامه لعلمهم بمراد كلامه ومشابهة بعضه بعضاً ، ولكن كان هو وأمثاله — كما قدمت — مضطرين لا يثبتون على قول ثابت ، لأن عندهم من الذكاء والطلب ما يتشوفون به إلى طريقه خاصة الخلق ، ولم يقدر لهم سلوك طريق خاصة هذه الأمة الذين ورنوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم العلم والإيمان ، وهم أهل حقائق الإيمان والقرآن ، كما قدمناه ، وأهل الفهم لكتاب الله والعلم والفهم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأتباع هذا العلم بالأحوال والأعمال المناسبة لذلك ، كما جاءت به الرسالة ؛ ولهذا كان الشيخ أبو عمرو بن الصلاح يقول ، فيما رأيته بخطه : « أبو حامد كثر القول فيه ومنه ، فأما هذه الكتب — يعنى الخالفة للحق — فلا يلتفت إليها^(١) . وأما الرجل فيسكت عنه ويفوض أمره إلى الله .

ومقصوده^(٢) أنه لا يذكر بسوء ؛ لأن عفو الله عن الناس والخطيء وتوبة المذنب تأتي على كل ذنب ، وذلك من أقرب الأشياء إلى هذا وأمثاله ، ولأن مغفرة الله بالحسنات منه ومن غيره وتكفيره الذنوب بالمصائب تأتي على مغفرة الله بالحسنات منه ومن غيره وتكفيره الذنوب بالمصائب تأتي على محقق الذنوب — فلا يقدم الإنسان على انتفاء ذلك في حق معين^(٣) إلا ببصيرة ، ولا سيما مع كثرة الإحسان والعلم الصحيح والعمل الصالح والقصد الحسن وهو يميل إلى الفلسفة ولكنه أظهرها في قالب التصوف والعبارات الإسلامية^(٤) ؛ ولهذا فقد رد عليه علماء المسلمين حتى أخص أصحابه أبو بكر بن العربي ، فإنه قال : « شيخنا أبو حامد دخل في بطن الفلاسفة ، ثم أراد أن يخرج منهم فما قدر »

(١) ولكن ماذا نفعل وكتابه الإحياء مرجع الخاصة والعامة من الصوفية وسواهم ؟ .

(٢) أى مقصود أبو عمرو بن الصلاح .

(٣) ونحن جميعاً لا نحارب الغزالي ، فقد لقي ربه ، وإنما نحارب تراثه وكتبه الصارفة

عن الحق .

(٤) ومن هنا كان خطره لأنه جاء بالضلالة في ثوب هدى .

وقد حكى عنه من القول بمذاهب الباطنية ما يوجب تصديق ذلك في كتبه ، ورد عليه أبو عبد الله للآزري^(١) في كتاب ألفه ، ورد عليه أبو بكر الطرطوش ، ورد عليه أبو الحسن المرغيناني رفيقه ، ورد عليه كلامه في مشكاة الأنوار نحوه ، ورد عليه الشيخ أبو البيان والشيخ عمرو بن الصلاح ، وحذر من كلامه في ذلك هو وأبو زكريا النواوي وغيرهما ، ورد عليه بن عقيل وابن الجوزي وأبو محمد المقدسي وغيرهم .

ويتكلم عن مدى معرفته بالحديث ، فيقول : « فإن فرض أن أحداً نقل مذهب السلف كما يذكره ، فلما أن يكون قليل المعرفة بآثار السلف كآبي المعالي » الجويني عبد الملك الشهير بإمام الحرمين « وأبي حامد الغزالي ، وابن الخطيب » أبي عبد الله محمد ابن صهر الرازي « وأمثالهم ممن لم يكن لهم من المعرفة بالحديث ما يعدون به من عوام أهل الصناعة ، فضلا عن خواصها ، ولم يكن الواحد من هؤلاء يعرف البخاري ومسلماً وأحاديثهما إلا بالسمع كما يذكر ذلك العامة ، ولا يميزون بين الحديث الصحيح المتواتر عند أهل العلم بالحديث ، وبين الحديث المفترى المكذوب ، وكتبهم أصدق شاهد بذلك ، ففيها عجائب ، وتجد عامة هؤلاء الخارجين عن منهاج السلف من المتكلمة والمتصوفة يعترف بذلك ، إما عند الموت ، وإما قبل الموت ، والحكايات في هذا كثيرة معروفة^(٢) . وصدق شيخ الإسلام ، فقد بنى كتاب الإحياء على أحاديث أكثرها إما ضعيف بالغ الضعف ، وإما موضوع ، وقد أظهر عواره الحافظ العراقي وغيره .

وقد زعم الفلاسفة مثل الفارابي وابن سينا وغيرهما أن خاصة النبوة هي جودة تخيل الأمور المعقولة في الصور الحسوسة ، وأن موسى ومحمداً ما كان يمكنهما أن يبينوا الحقائق على ما هي عليه لقومهما ، لأنهم كانوا يمجزون عن فهم ذلك ، ولو أنهم فهموه على ما هم عليه لانحلت عزوماتهم عن الاتباع ، لأنهم لا يرون فيه من العلم ما يقتضي العمل ، ويعقب

(١) شارح مسلم .

(٢) من ص ٥٣ ، ٨٤ نقض المنطق .

ابن تيمية على هذا بقوله : « وهذا المعنى يوجد في كلام أبي حامد الغزالي وأمثاله ، ومن بعده طائفة منه في الإحياء وغير الإحياء .

هكذا لا مداهنة ولا مداجاة ، ولا بهت بباطل ، وفي روح سمح نقي تشعر من رفيفه بمدى الأسى البالغ على الغزالي ، وبأن ابن تيمية كان يهمني الخير للغزالي ، ولولا شدة اعتصام ابن تيمية بالحق لدافع عنه ، ولكنه دائماً جفدى من جنود القرآن .
للنظرات إن شاء الله — بقايا

عبد الرحمن الوكيل

تعليق : تمنى بعض الإخوة في سورية أن لو كان موقفي من الغزالي ليس في هذه الصورة التي يعجل فيها أنني أقطع فيها كل سبب بين الغزالي وبين خيار سلف هذه الأمة ، ويعترف هؤلاء الإخوة أن ما أدين به الغزالي هو حق لا ريب فيه .

ولهؤلاء الإخوة أقول : لا يجوز مطلقاً مداهنة تراث الغزالي ، فهو ليس بالتراث المجهول أو البغيض لدى الناس ، وإنما هو تراث حاول عشاقه أن يقدموه للمسلمين بديلاً عن القرآن والسنة ولو كان خطأ الغزالي — وهو ملقب بحجة الإسلام — في الفروع لحاولت شيئاً لا يثير عشاقه ، ولكنه أخطأ في التوحيد ، أي في الأصل الأول للدين ، ويقول بعض هؤلاء الإخوة : أيت موقفنا من الغزالي كان كموقف الشيخ جمال الدين القاسمي ، فقد اختصر كتاب الإحياء وترك ما فيه من شر ومخالفة . وأقول : بل هذا عمل خطير ، فهو يدفع بالمسلم — ولا شك إلى ترك المختصر الجميل ليقرأ الأصل أي نفس الإحياء فكأننا زينا له — المختصر — كتاب الإحياء . وهذه أحدث طريقة يقوم بها رواد الثقافات لدفع الناشئين إلى قراءة الأصول الأولى بعد أن يقدموها لهم في صورة مختصرات جميلة تحجب إليهم مطالعة الأصول ، بعد أن طالعوا المختصرات ، وكمن شاب كان لا يعرف شيئاً عن سيرة ابن هشام راح يلتمسها بعد أن قرأ « على هامش السيرة » للدكتور

طه حسين ، وكم من فتى كان يخشى مطالعة الإحياء ، ولكنه صابره حتى طالعه كله بعد أن نشرت له مختصرات جميلة تخيل إلى الناشئين أن الكتاب كله هكذا في هذا الجال . وأقول للأخ الكريم : إن خير ما في الإحياء ، نقل كما هو من كتاب « قوت القلوب » لأبي طالب المكي الصوفي على ما فيه من ضلالة ، فإذا بقي للغزالي . لا تخف يا أخى عشاق التراث الغزالي ، فإله سبحانه مع أوليائه ، جعلنى الله وإياك منهم .

عبد الرحمن الوكيل

يصدر قريباً

كتاب

صِرَاعُ بَيْنِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ

الكتاب الذى يكشف أقنعة الزيف التى وضعها دعاة الباطل على وجه الحق فأخفوا عن الناس معالم التوحيد والهدى . . .

الاشتراك قبل الطبع عشرة قروش وثمنه بعد الطبع خمسة عشر قرشاً .

يطلب من مؤلفه « سعد صادق محمد » بدار الجماعة رقم ٨ شارع قوله — عابدين .

جولة البحيرة^(١)

بقلم السيدة الجليلة مريم الدكتور محمد رضا رحمهم الله

أبحرت الباخرة في بحيرة « لوسيرن » وتقدمت بنا وهي تشق الماء، فترسم وراءها شريطاً من الفضة ورأينا من الجبال ما لا يخطر على بال، فالجبال متشابهة وغير متشابهة كما أن جمال الوجوه يختلف بالرغم من تشابهه في اتساع العينين وضيق الفم وصغر الأنف واستدارة الوجه . فكم من وجوه جميلة متشابهة وغير متشابهة ، رأينا على الجانبين جبلا تكسوها الغابات فتبدو كتلاً خضراء . وجبالا تنخفض ظهورها ويقل عرضها تدريجياً حتى تصل إلى سطح الماء فتبدو صفاءً من الجبال قد سجدت على ساحل البحيرة كأنها تهلى جماعة . ورأينا جبلاً أصلع الرأس عارى الصدر قد ارتدى سرواً من الشجر وجلس القرفصاء . وجبلاً قد انتصب في الماء وشمر عن نصفه الأسفل فبدأ عارياً أما نصفه الأعلى فتكسوه غابة غناء . وجبلاً يتفجر من ثقب تحت قمته ماء مزبد كالألبان على الحشائش الكثيرة الخضراء . وما أجمل شاطئ البحيرة عند ما ينبعرج بجباله وغاباته وما أجمل الشاطئ عند ما يقتربان حتى تكاد جبالهما تمانقان فنرى بعض الأشجار قد خاضت الماء وتقدمت بساقها داخل البحيرة على الجانبين كأنها تريد العبور لتلتقى ببعضها ولكنها وقفت خائفة مترددة . عاجزة جامدة .

ظلمات أظلم ما تحده الباخرة من تموجات في الماء الأخضر الشفاف فتتلاها كالزمرد وتنطلق إلى الجانبين حتى تصل إلى الشاطئ فتداعب حشائشها وتلم أقدام أشجاره . وهذه القصور والمقامى المسورة المبنية داخل الماء وهذه الجزر الصغيرة التي يعلوها مسكن واحد صغير تظله الأشجار وكيف تنعم بالاستقلال . وهذه الصخور المربعة النائمة في الماء

(١) هذا هو المقال الثالث الذى تحدثنا فيه السيدة الأدبية الجليلة عن جمال الله الذى

التي تظلها شجرة أو شجرتان . وهذه الهضبات الخضراء العالية المنحدرة وما فوقها من مساكن بالرغم من انحدارها الشديد وارتفاعها الكثير وتساوت كيف يصعد إليها القاطنون عليها وكيف يهبطون منها إلى الساحل بل كيف لا يخافون أن يتدحرجوا وهم يمشون عليها .

وكم أعجبني الأشجار باختلاف أنواعها وألوانها وشكل جذوعها وغصونها وأوراقها . فمنها الطويل النحيل . ومنها الضخم القصير . ومنها أبيض الساق لا تمتد غصونه إلا بالقرب من قمته . ومنها المستدير في نخافة وطول المدب القمة كأنه مآذن . فتصور غابة من مآذن خضراء متساوية الطول والحجم . أو من أشجار جذوعها نحيفة بيضاء تصطف معتدلة في نظام على انحدار الجبل من سفحه إلى رأسه كأنها جيش عرمرم لأنها متساوية الطول متماثلة الشكل واللون كالجنود . فيها للجمال هناقة وهناك هوه . وهنا واد وهناك ربوه . وهنا نبع وهناك فجوه . وهنا زرقه وهناك خضره . وهنا لمعة وهنا نضره . وما أجمل شجر السابان باختلاف ألوانه وغرابة أوراقه . فمنه الزاهي الأخضرار ومنه القاتم الضارب إلى البياض عند أطرافه ومنه الرمادي ومنه الضارب إلى الزرقه . وما يزيد في جماله هو شكل أوراقه وغصونه الأفقية المرصوفة المنتظمة حول جذعه . وكيف تحيط به أطول من الأسفل وأقصر من الأعلى حتى تنتهي بقمة هرمية . تغطي هذه الغصون بدل الأوراق أصابع طويلة من الشعر الأخضر كالشوك مرصوفة . بعض هذه الأصابع يشير إلى الأرض وبعضها يشير إلى الجانبين وبعضها يشير إلى السماء كأنها تحذر الناس من الدنيا وتذكرهم بالآخرة . وهناك شجر يعادها جمالا ويشبهها بشوك أغصانه إلا أن أصابع أغصانه طويلة جداً وتشير كلها إلى السماء كأنها توحد الله . فسبحان الخلاق العظيم . وأنه لمن الحال أن أصف كل أنواع الشجر ولا كل ما أراه لكثرة وتنوعه وعظمته . فإذا كانت الكاميرا لا تبدى كل هذا الجمال على حقيقته . فكيف بالقلم الضعيف كقلمي . . وأخيراً وصلنا نهاية بحيرة لوسيرن ورأينا أمامنا جبلاً شامخاً شاحب اللون يكلل رأسه الأشيب تاج من الماس مما تراكم على قمته من الثلج اللامعة . وقد أصتفت على جانبيه جبال خضراء أقصر منه وأصغر

كانها حاشية هذا الملك المعجوز . وانعكس هذا المنظر البديع على صفحة الماء الفضى واهتز على تموجاته فتضاعف جماله وزاد جلاله .

هبطنا من الباخرة وصعدنا إلى قطار صغير فتقدم بنا وبعد قليل بدأ يصعد الجبل فرأينا بين القضيبين قضيباً ثالثاً ذا أسنان كالمنشار وهذا القضيب تدور عليه مجلة ذات أسنان كذلك ليصعد القطار إلى القمة ولا ينزلق في الصعود وفي الهبوط . سار القطار سيراً بطيئاً فوق بساط أخضر وبين أحراش وغابات تنحدر على الجانبين وتمتد أسفل منا حتى زرقة البحيرة وأعلى منا حتى زرقة السماء وكلما علا القطار كلما رأينا جمالا أكثر من ذى قبل . وبعد ذلك اجتاز القطار غابة كثيفة الظلال حجبت عنا الأرض والسماء وبدأ المطر يهطل في غزارة وجرى الماء بين غصون الشجر وتدفق بين جذوعه ثم انحدر على الحشائش وتلوى بين الأحجار . وارتعشت أوراق الغصون ولمت عليها قطرات المطر ثم أخذت تنسكب من ورقة إلى ورقة فتتقاطر على الأرض وتنفثر كاللؤلؤ على سندس أخضر وإستبرق . وانهمرت هذه القطرات كالدموع على حدود الشمس المكفهرة الصفراء . وعلى حدود الخوخ والتفاح الحمراء . فاغتسلت وزادت نضرة ولمعة . كانت شجرة الخوخ أو التفاح الأحمر تنعجب قائمتها الرشيقة المشوقة وقد ارتدت من هذه الثمار الحمراء ثوباً غيب مانحته من أوراق فلمت كالياقوت لا يتلاها وكانت تلمع كذلك الأشجار الخضراء كالزبرجد . وكان التفاح بخذه الوردى المستدير تنوء به الغصون لكثرة ما حملت منه وتختفى نحته أوراقها إلا قليلا فيتخلل أخضرارها أحمراره .

وكانت الكمثرى الوردية المستطيلة تغدلى من الأغصان وتهتز لامعة بين الأوراق الخضراء كأنها مصابيح كهربائية تزين الأشجار . فسبحان المبدع . إن هذه المناظر تستوجب الخشوع وتدعو قلب المؤمن إلى تسبيح الخالق ، فكل شيء يلمع زهاء ونضارة ونظافة . الماء الشفاف يلمع صافياً كالبلور . وأوراق الشجر تلمع زاهية كالزبرجد ، ورؤوس الجبال تلمع عليها الثلوج متلائة كاللماس ، وصخور الجبال المبتلة تلمع معقولة كالرخام ، وحشائش الأرض المبتلة تلمع زاهية كخمل أخضر أو إستبرق . وغدران المياه تلمع متدفقة كسلاسل

من فضة . ورمال الطرق تلمع مبتلة كالذهب . وقطرات المطر تلمع فوق كل ذلك كحبات
الؤلؤ . .

وصلنا القمة واسكن لم نر شيئاً لأن الضباب أخفى كل شيء ، فعدنا من حيث أتينا
وركبنا الباخرة وسارت تحت وابل من المطر . وكما كان منظر هذا الوابل جميلاً .

هذا الوابل الذي كان يفمر الماء بالماء وينثر فوقه لآلىء لامعة فيجعل صفحة البحيرة
رقطاء مزركشة إذ كل قطرة من المطر ترمم حولها حلقة بعد ما تثير تحتها نقطة . فتري تحت
كل نقطة تسقط نقطة تقفز . رحول كل نقطة تقفز حلقة تنسج وتتلشى في مثيلاتها .

وهكذا تزينت صفحة البحيرة الفضية بزر كشة ورسمات رائعة متحركة راقصة .

إن الطبيعة جميلة حتى وهي تبكى . فاقدر رأيت من نافذة غرفتي التي تشرف على
البحيرة بعد ما عدت إليهما بعض الجبال قد اختمرت بخمار أبيض من السحب وضربت
بخمرها على صدورهما . وبعضها خلعت مسمترة فتدلى على بطنها . ومنها ما عمت رؤوسها
عمامة بيضاء ، ومنها ما يأتزر ويتدثر بدثار من السحب فلا يبدو إلا رأسه الأصلع مطلاً
من هذا السكفن الأبيض . فتبدو رؤوس مدببة قائمة تبرز من السحب البيضاء الناصعة .
أما ماء البحيرة فقد انعكس عليه بياض السحب فتلاًلاً؛ وصارت البحيرة قرصاً
من الفضة ، فتصور هذا الشريط الأخضر من الجبال يفحص بين بياضين ، بياض البحيرة
الفضي اللامع . وبياض الثلوج والسحب الفاصم . فسبحان من أبدع السموات والأرض
وما بينهما .

وفي الغد تحسن الجو فذهبنا إلى البحيرة وركبنا الباخرة إلى (ريحي) وما أدراك
ما ريحي ، إنها جنات فوق جنات ، وغابات فوق غابات ، وهضبات قد اكتمت بمخمل
أخضر تفحدر بين الخائل حتى البحيرة . صعدنا بالقطار على رف ضيق يمتد على حافة
الهاويات العميقة وسار يتبختر تحت الأغصان وبين الخائل حتى وصلنا محطة (ريحي كالتباد)
وجلسنا في سباط الفندق الذي يشرف على البحيرة فرأينا ما يقابلنا من جبال خضراء

ورؤوس ثلجية بيضاء ثم رؤوس الأشجار الباسقة تمتد صاعدة حتى سطح الفندق الذي يملو عن البحيرة ١٤٠٠ متر. وتحيط بالفندق غابة من شجر السابان فقمنا بعد قليل وسلكنا ممشى ضيقاً تظله الأغصان وتكثر على جانبيه الأشجار الباسقة الضخمة الجذوع العظيمة الفروع حتى تخجّب البحيرة عن العيون إلا قليلاً وتخجّب كذلك ضوء الشمس إلا بقعاً مختلفة الأحجام تزين الجازون من هنا وهناك وتلمع من خلال الفصوص فوق أوراقها ومما يزيد في جمال هذا المكان هو شجر السابان الهرمي الشكل يتصف بقوامه المعتدل ورأسه المدبب فوق بساط الحشائش الخضراء كبيراً ومتوسطاً وصغيراً. فنه الضخم الباسق المسن المعجوز قد تفضنت وتشققت جذوعه وشابت شعوره وتصلبت وبهتت غصونه. ومنه الشاب قد لمت وزهت جذوعه وغصونه، ومنه المراهق والطفل الفص في اختلاف سنه وأطواله وقصر غصونه ونعومة أوراقه وزهاء ألوانه، فنة شعب من هذه الأشجار ينتثر فوق انحدار الجبل صفوفاً أو محشداً. أو فرادى أو منى وثلاث ورباع. قصيراً وطويلاً. ضخماً وهزيلاً. زاهياً وباهتاً. ذابلاً ونضيراً. كأنه أمر وقبائل. وبعد ذلك هبطنا بالقطار المنحدر ومررنا فوق غدير يسقط على الصخور بين الأغصان ويجرى مزيداً تحت الظلال ثم يهبط في أخدود عميق قد تكاثفت عليه الأغصان حتى غاب بين ظلالها الوارقة، وكما هبطنا رأينا منظرأً يختلف ويتنوع على الجانبين حتى وصلنا السفح وانظرنا الباخرة على ساحل البحيرة ونحن نتمتع أنظارنا بلحمة الماء الصافي الشفاف كالبلور قد بدا فيه السمك يحوم لامعاً ويعوم عليه البط والجمع الأبيض وهو يجدف في رشاقة بكفيه المنبسطين.

ووصلت الباخرة ونحرت بين جنات معروشات وغابات منحدرات. ورؤوس شامخات ومياه لامعات، كانت تتبختر بيضاء كالعروس في ثوب الزفاف على صفحة خضراء تتلألأ كالزبرجد وقد ساد سكون لا تشوبه إلا زفرات الماء تهمس همسات أحلى من أنغام الموسيقى فلم أدر أنى يقظة أنا أم في منام وخشع قلبي فسبح باسم ربي وسالت دموعي.

لقد بكت عيناى انبهارا وشكراً لله على ما ممتعهما به من بديع صنعه فنطقنا بلسان الدمع
شكراً وثناء عليه .

إن هذه المناظر لآية لمن كان له قلب . إن هذا الجمال من صنع الله وهذه الأرض قد
أخذت زخرفها وأزينت لتراها أعين الناس فتقدر وتشكر . إن النظر إلى هذا الجمال وحده
مبدعه العظيم عبادة وإجلال لبدیع صنع الله وتقدير عظيم لما زينه وأحسن خلقه بيده الكريمة .
وهذه المناظر لا يمكن أن توصف بل أن العین لا تفهمها ولا تحصرها وتحار بمهولة
مبهورة متنفلة بين جمال وجمال حتى تسكل وترجع خاسئة وهى حسيرة .

أصبح صباح الغد وقد تلالأت الشمس على رؤوس الجبال فبدت الثلوج المتراكمة
فى الأخاديد بين القمم بيضاء كالقشدة وقد تزينت بمض الرؤوس والانحدارات بخطوط
بيضاء لامعة بما تراكم فى الشقوق الطويلة من ثلوج . فانطلقت الناس إلى البحيرة فى الزوارق
والدراجات المائية البيضاء تراحم ماعلى صفحتها من بواخر و « لانشات » وقوارب بيضاء
مختلفة الأحجام تروح وتغدو بين البط والأوز والبجع الأبيض فتزينت زرقة البحيرة بنقط
متحركة بيضاء متنوعة الأشكال متفاوتة الأحجام . وبعد قليل تجهم وجه السماء فأرعدت
وأبرقت على حين غرة وبصقت على كل ذلك وابلا من فيها ، فهرب الناس وختل
البحيرة إلا من البواخر والطيور وقد ابيض وجهها فتلالأت كالقضة إذ انعكس ماخيم
عليها من سحب بيضاء كالقطن .

جميع منتجات الألبان الطازجة وأنخر أنواع البقالة

تجدها عند شركة

شاكر القهيدشاوى وعبد المجيد الشريف

٤٥١ شارع بور سعيد (بين الصورين سابقا) بالقاهرة

سجل تجارى رقم ٧٥٦٩٣

تليفون ٩٠٧٤٠٤

توحيد الله عز وجل

سبق أن ذكرنا أن صفاته عز وجل تنقسم إلى صفات ذاتية لازمة لذاته لا تنفك عنها ولا تكون تابعة لمشيئته تعالى وقدرته مثل علمه وحياته وعظمته وكبريائه ومجده وجلاله . وإلى صفات فعلية لا تكون لازمة للذات أزلا وأبداً بل تحدث في ذاته بقدرته تبعاً لمشيئته تعالى وحكمته وتلك مثل محبته تعالى ورحمته ورضاه وغضبه وعفوه وانتقامه . ومثل صفات الخلق والرزق والإعطاء والمنع والإحياء والإماتة والإشقاء والإسعاد والإضلال والهداية الخ .

وقد اختلف الناس في صفات الأفعال هذه اختلافاً كبيراً ليس سببه أبداً اشتباهاً في النصوص ولا غموضاً في الإفهام والهدالة فإن النصوص في هذا الباب صريحة كل الصراحة لا تلتوى إلا على ذوى الأفهام المدخولة والبصائر المملولة التي تدنس بأرجاس الكلام الباطل والفلسفات الوثنية الجائرة فعميت عليها السبل ولم تهتد إلى الحق الصريح من كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم .

لقد اتفق المتكلمون من معتزلة وأشعرية على نفي صفات الأفعال فليس لله عندهم فعل يكون صفة له قائمة به فخلق الله تعالى الأشياء لا يستلزم أن يقوم به صفة هي الخلق ورزقه لعباده لا يستلزم أن يقوم به الرزق وهكذا في كل صفات الأفعال وحجتهم في ذلك أن هذه الأفعال إذا وجدت لا تكون إلا حادثة وبناء على ما أسسوه من قواعد الكلام الباطل يمنع عندهم قيام الحادث بالقديم فلا يتجدد عندهم في ذاته شيء ولا يحدث له معنى لم يكن بل هو الآن على ما عليه كان وسلطوا النفي والتأويل على كل ما تضمنته نصوص الكتاب والسنة من صفات الأفعال وأرجعوها إلى تعلقات وإضافات لصفتي القدرة والإرادة فهو عندهم لم يزل متكلماً بكلام هو معنى قائم بذاته ليس بحرف ولا صوت ولم يزل محباً لمن علم

أنه يموت مؤمناً ولم يزل ساخطاً على من علم أنه يموت كافراً، ولا معنى لمحبهته إلا إرادة الثواب ولا لكرههته إلا إرادة العقاب ولا لرحمته إلا إرادة النفع والإحسان إلى عباده إلى غير ذلك مما امتلأت به كتبهم ولا سيما طائفة الأشعرية الذين يزعمون أنهم أهل السنة والجماعة .

وإني أضع بين يديك أيها الأخ الكريم طائفة من نصوص الكتاب والسنة التي تثبت لله عز وجل الصفات الاختيارية والتي تشهد على هؤلاء المنكلمين بالزيغ والانحراف ومجانبة الحق في هذا الباب كما فعلوا بالنسبة للصفات الخيرية التي ورد بها النقل الصحيح كالوجه واليد والعين والاستواء والنزول لتعلم أن القوم إنما يتبعون أهواءهم وأنهم لا يرجعون في شيء من عقائدهم إلا إلى ما أسسه لهم أسلافهم في الضلال من الزنادقة والمتفلسفة وأن آراءهم لا تمثل العقيدة الإسلامية لا من قريب ولا من بعيد وأن الحق في هذا الباب لا يمكن أن يعدو الكتاب والسنة وأن الواجب الاعتصام بهما وحدهما في هذه المزالق الخطرة وأن من قال في الله بغيرها فقد افتري على الله الكذب وقال عليه مالا يعلم وجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، وإليك الآيات والأحاديث بغير تعليق إذ هي أوضح من كل تعليق . قال الله تعالى من سورة البقرة (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه) (قد نرى تقلب وجهك في السماء) . (ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد) .

وقال من سورة آل عمران (قل أن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الأرض) (قل أن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله و يغفر لكم ذنوبكم) (وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ولينحس الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) (لقد سمع الله قول الذين قالوا أن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا)

وقال تعالى من سورة النساء (يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم

ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا . وقال سبحانه من سورة المائدة (ومن يرد الله فتنته فلن تمتك له من الله شيئا) (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت) (لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم) (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا أنك أنت علام الغيوب إذ قال عيسى بن مريم أذكر نعمتي عليك وعلى والدتك) وقال جل شأنه من سورة الأنعام (من يشأ الله بضله ومن يشأ الله يمهده على صراط مستقيم) (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء) .

وقال سبحانه من سورة الأعراف (أن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا) (قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون الآية) (والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملى لهم أن كيدى متين) .

وقال تعالى من سورة الأنفال (ومن يؤلم يومئذ دبره ألا متحرقا لقتال أو متحيضا إلى فئة فقد باء بغضب من الله) (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) (إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا) (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويفقر لكم والله غفور رحيم) .

وإلى العدد القادم إن شاء الله لزمرد بقية الأحاديث والله سبحانه ولي النعمة والتوفيق.

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين ، الذى يرزقهم بنعمه وفضله وآلائه ، ومن أجل نعمه عليهم أنه سبحانه أرسل إليهم رسلا من أنفسهم ، وأنزل عليهم كتباً فيها الهدى والنور والرحمة ، ووجههم من العقول ما يفقهون به عن ربهم ليسعدوا فى الدنيا والآخرة .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، خلق السموات والأرض بالحق ، وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير . يعلم ما فى السموات والأرض ، ويعلم ما تسرون وما تعلنون ، والله عليم بذات الصدور .

وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله المصطفى المختار ، اصطفاه الله واختاره على علم بأنه أحق أهل الأرض وأجدرهم بحمل رسالته إلى الناس كافة ، والله أعلم حيث يجعل رسالته ، فبلغ الرسالة أصدق البلاغ ، وأدى الأمانة خير الأداء ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه مصابيح الهدى ، وشموس العرفان .

أما بعد : أيها المسلمون ، إن الله سبحانه وتعالى إنما فضل بنى آدم على كثير من خلقه بالعقل وبالعلم اللذين يميزون بهما بين الهدى والضلال ، والإيمان والكفر ، والحق والباطل والنافع والضار . فإذا جهل الإنسان وعطل عقله ، وكفر بنعمة السمع والبصر والفؤاد ، وغفل عما بين يديه من آيات الله ، فإنه يصبح حيواناً فى صورة إنسان ، بل أخط من الحيوان مساكاً وحياء . يقول الله تعالى : (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس ، لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون) .

إن الإسلام دين العلم الذى يحترم العقل ويرمى قواعده عليهم ، ويحارب الجهل فى جميع مبادئه وعقائده وشرائعه وأحكامه ، وكلنا نعلم أن أول كلمات أنزلها الله على نبيه من القرآن الكريم كانت لفتاً للنظر إلى مكانة العلم وفضله ، وإشارة منه سبحانه للسمى

في طلبه والحث على تحصيله ، وذلك في قوله تعالى : (اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم) . فهو سبحانه خلق الإنسان الأول وعلمه الأسماء كلها ، وفطره على النظر فيما حوله من الأشياء ليكتسب منها علماً ومعرفة وتجربة لأنها لازمة له في حياته لزوم الماء والهواء والغذاء .

إن القرآن يجعل العلم قرين الإيمان والهدى والنور والحياة ، ويجعل الجهل قرين الكفر والضلال والظلام والموت والعمى في كثير من آياته فيقول : (قل هل يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكرون ؟) ويقول : (قل هل يستوى الأعمى والبصير ، أم هل تستوى الظلمات والنور ؟) .

ويقول : (وما يستوى الأعمى والبصير . ولا الظلمات ولا النور ، ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحياء ولا الأموات ، إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور) ويقول : (مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلاً أفلا تتذكرون ؟) ويقول : (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟ إنما يتذكر أولو الألباب) .

وفي القرآن كثير من هذه الآيات التي تشيد بجلال العلم وقدره العظيم .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحث على طلب العلم ويجعله من فرائض الإسلام فيقول :

« طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » ويقول : « أطلبوا العلم ولو في الصين » ويعني بذلك التحريض إلى طلب العلم ولو كان في أقصى المعمورة ، وما أكثر ما كان يقول في سجوده : « يا معلم آدم وإبراهيم علمني » امتثالاً لقوله تعالى (وقل رب زدني علماً) . وقال عليه الصلاة والسلام : « من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع » وقال : « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة » . فهذا طريق الجنة مفتوح لطالب العلم ، فاقحموه ولا تحجموا عنه ، ولا تسأموا السير فيه مهما كان شاقاً طويلاً فإن ثمرة الجهد الذي يبذل فيه من أشهى الثمرات ، في نعيم الجنات ، وإن أرباحه لوفيرة ، وإن فوائده لكثيرة .

أيها المسلمون : إن أنفع العلوم جميعاً وأجداها على الإنسان ، هو ما يصل به إلى معرفة ربه بأسمائه وصفاته ، وبره ورحمته وعظمته وكبريائه ، ومعرفة رسوله صلى الله عليه وسلم وسيرته وهديه وخلقه وإيمانه وتقواه لربه ، ولا سبيل إلى معرفة الله ورسوله ، إلا من القرآن والسنة ، بتدبرهما وفهمهما والعمل بما فيهما ، وكلما ازدادت عملاً ازدادت علماً ومعرفة ، وإن العلم الذي يُرغَّب فيه القرآن ، ويبحث عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم هو هذا النوع من العلم ، فبه يزداد المسلم إيماناً وهدى وبصيرة في الدنيا وفلاحاً ونجاحاً في الآخرة . إن العلوم الأخرى من اللغة والتاريخ والجغرافيا والحساب وغيرها إنما ينبغي تعلمها لتكون أداة ووسيلة لفهم كتاب الله وسنة رسوله ، لا لتكون هي الغاية التي نقف عندها كما هي الحال اليوم ؛ وكما كانت حالها عند من وصفهم الله تعالى في كتابه بقوله : (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) .

إن في البحث والدرس والفهم لكتاب الله تعالى وحديث رسوله عليه الصلاة والسلام أعظم المتعة وأكبر اللذة للمؤمن الذي شرح الله صدره للإسلام ، بل إنه يجد في ذلك متعة ولذة أكثر بكثير مما يجده في المال والولد ، أو الجاه أو السلطان ، بل إنه يجد فيه قرة العين ، وسكينة النفس ، وراحة القلب ، وغذاء الروح . وإن الله سبحانه وتعالى إذا أحب العبد ، وكتب له السعادة ، وجهه إلى هذه الوجهة في البحث والدرس ، وحببه إليه بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » ويقول الله تعالى : (إنما يخشى الله من عباده العلماء) ويقول : (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) .

أيها المسلمون : ذكر الله تعالى في كتابه أنه لم يخلق الجن والإنس إلا ليعبدوه ، فقال : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) فإذا كانت عبادة الله هي الغاية التي وجدنا في هذه الدنيا من أجلها ، فجدد بنا أن نتعلم كيف تؤدي هذه العبادة على الصورة الصحيحة ، كما أمرنا الله وكما أمرنا رسوله ، ولا تكون العبادة صحيحة إلا إذا كانت عن علم ومعرفة ويقين ، ولا يقبلها الله إلا أن تكون كذلك . أما عبادة الجاهلين المقلدين

فإنها مردودة عليهم لأنها تكون على غير ما شرع الله من البدع والخرافات . ولذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الترمذى : « فضل العالم على العابد ، كفضلى على أدناكم » . ثم قال : « إن الله وملائكته ، وأهل السموات والأرض ، حتى النملة فى جحرها ، وحتى الحوت ، ليصلون على معلمى الناس الخير » أى العلم .

إن أول ركن من أركان الإسلام ، بل أساس أركان الإسلام كلها ، هى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وهذه الشهادة إما أن تكون عن علم أو عن جهل ، فإذا كانت عن علم قادتك إلى تجريد التوحيد لله سبحانه وتعالى ، وأن تنجوبها من خبائث الشرك وعقائد أهل الضلال ، وفهمت منها أنها تدعوك إلى أن تخلع من عنقك نير الذل والخضوع والخشوع لغير الله ، وأن تجتث من قلبك الحب والخوف والرجاء لغير الله ، فلا إله يجب أن تذل وتخضع له وتحبه وتخاف منه وترجوه إلا الله . وشهادتك أن محمداً رسول الله تملك أن لا تتخذ أسوة ولا قدوة ولا إماماً مطاعاً إلا رسول الله ، وذلك لأنك درست وتدبرت وفهمت وتعلمت من كتاب الله وسنة رسوله ، أن الله وحده هو خالقك ورازقك ومسدى النعم كلها إليك ، وأنه سبحانه إذا فتح لك باب خير ورحمة فلن يستطيع أحد فى الوجود أن يمسكه عنك ، وأنه سبحانه إذا أراد بك خيراً فلن يستطيع أحد فى الوجود أن يرده عنك ، فجميع الخلائق عبيد مخلوقون مربوبون مثلك ولا إله إلا الله وحده . ولأنك فهمت وتعلمت من كتاب الله وسنة رسوله أن كل ابن آدم يخطئ ويصيب ويطيع ويعصى وتغلبه نفسه وشهوته إلا من اصطفاه واختاره وعصمه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . أما الشهادة عن جهل فإنها تلاك باللسان وتردد بالشفاه آلاف المرات ، كما تفعل الببغاوات من غير أن تصل إلى القلب فتأتى ثمرتها على الجوارح والأعمال ، وما أكثر الذين يرددون شهادة الجهل بلا إله إلا الله وهم عاكفون على القبور يتخذون العشرات والمئات من الآلهة من دون الله يسألونهم ما لا يقدرون عليه من الرزق والولد والصحة ، وما أكثر الذين يرددون شهادة الجهل بمحمد رسول الله وهم غارقون فى ظلمات البدع والتقليد والمقائد الزائفة .

وقيسوا على ذلك باقى أركان الإسلام من الصلاة والزكاة والصوم والحج ، كيف يتصور أن يؤدى شيء من ذلك من غير علم . إن الصلاة والتطهر لها والمحافظة على أركانها تحتاج إلى علم كثير حتى تؤدى كما كان يؤديها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه قال : « صلوا كما رأيتمونى أصلى » وصلاته عليه السلام مشروحة بأكمل شرح وأتم بيان فى كتب السنة فينبغى تعلمها منها بتفصيلها حتى تخرج منها وكأنك ترى بعينيك صلاته عليه السلام ، ولا يجدى فى ذلك أبداً تقليد لأحد كائناً من كان الذى تقلده . وهكذا فى الزكاة والصوم والحج ، فإنها كلها مبسطة واضحة فى كتب السنة لمن طلبها وأراد النجاة باتباع الرسول فيها .

فاحرص أيها المسلم الذى تريد لنفسك الخير والهدى والعمل الصالح أن تتعلم عبادتك من كتاب الله وسنة رسوله إذا كنت تحب وترجو أن تقع صحيحة مقبولة عند ربك . وابدل كل الجهد للخروج من الجهل والجاهلية حتى لا تبطل أعمالك فتذهب هباء منثوراً فى يوم تكون فيه أحوج ما تكون إلى ذرة منها . واعلم يا أخى أن الأمية وعدم معرفة القراءة والكتابة ليس عذراً مقبولاً عند الله ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثر أصحابه رضوان الله عليهم أميون وكانوا مع ذلك من أعلم أهل الأرض ، ولم تمنعهم أميتهم من تلقى العلم والفقہ حتى كانوا كذلك ، وإنك نفسك تعلم للحياة الغانية الزائلة أدق الصناعات وأعصاها على الفهم فتتقنها بالتعلم والمران ، فلا أقل من أن تجعل نصيباً من ذكائك وصبرك على التعلم لدينك وعبادتك وآخرتك التى هى خير ألف مرة من الدنيا ، بل هى الأبقى والأمنع لو كنا نعقل .

اللهم إنا نسألك العلم النافع ، ونعوذ بك من علم لا ينفع ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وسلم .

الخطبة الثانية

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت ، وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ، وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما فى البر والبحر ، وما تسقط من ورقة

إلا يعلمها ، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين . وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ، ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وهو الذى خلق السموات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون ، قوله الحق ، وله الملك يوم ينفخ فى الصور ، عالم الغيب والشهادة ، وهو الحكيم الخبير .

وأشهد أن نبينا محمدا عبد الله ورسوله ، أرسله ربنا شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، فهدى من الضلال ، وبصر من العمى ، وأنقذ من النار . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الأبرار وأزواجه أمهات المؤمنين .

أما بعد : أيها المسلمون ، يقول الله تعالى وهو أصدق القائلين ، وخير الشاهدين مثينا على هذه الأمة الإسلامية : (كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله) فبماذا استحققت هذه الأمة هذا الثناء من الله العلى الكبير ؟ إننا نعلم أن الأمة العربية كانت قبل الإسلام شر أمة أخرجت للناس ، إنها كانت أمة مقطعة الأوصال ، منفصمة العرى ، لا يربط أفرادها ولا قبائلها حب ولا مودة ولا ولاء ، بل كانت كل قبيلة تنفير على الأخرى للسلب والنهب والقتل ، تستذل قوياً ضعیفها وتأكل كبيرها صغیرها ، لا يحكمها خلق ولا دين ولا قانون ، ويسودها الجهل وعبادة الأصنام ، والتفاخر الأجوف ، والصلف والتكبر ، والمنهجية الكاذبة . وما زالوا كذلك حتى من عليهم فبعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، فأخرجهم به من الضلال إلى الهدى ومن الظلمات إلى النور ومن الكفر إلى الإيمان ، ومن شر أمة إلى خير أمة أخرجت للناس . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل يتعاونون على البر والتقوى ويأمرون بالمعروف من مكارم الأخلاق وحميد الصفات والخلال وصالح الأعمال وتنهون عن المنكر من الجهل والفساد وسيء الأخلاق والأعمال . فنهلوا من المورد العذب

النمير من كتاب الله العلم والحكمة والمعرفة ، فسادوا على العالم بالعلم والخلق والإيمان . ولا زال عبير أعمالهم وشذى أخلاقهم يعطر تاريخ البشرية كمثل أعلى للإنسانية الكريمة ، والحكومة العادلة الفاضلة .

إن سلفنا الصالح هؤلاء عرفوا المعروف فأمروا به ، وعرفوا المنكر فنهوا عنه ، فإذا أردنا أن نسلك سبيلهم ، ونقتفى أثرهم ، وننال منزلتهم ، وننبأ مكانتهم . فيجب علينا أن نتعلم أولاً كما تعلموا ، ونفقه كما فقهوا ، ونعرف كما عرفوا . فالخيرية لا تنال إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا لا سبيل إليه إلا بالعلم . وكيف يمكنك أن ترشد الناس إلى الخير وتدلم عليهم من غير علم ؟ تعلم يا أخى وعلم الناس ، فإنه خير ما تدخره لنفسك وتورثه لخلفك .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من دعا إلى الهدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً » . وقال : « لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم » وفي رواية أخرى : « خير لك من الدنيا وما فيها » . وقال : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » فأى أجر أعظم من هذا الأجر الذى تناله من تعلم الدين وتعليمه ؟ نسأل الله أن يوفقنا جميعاً لذلك .

وهذا العلم ، أيها المسلمون ، لا ينال به الأجر والثوبة عند الله إلا إذا تعلمته لوجه الله وعلمته لوجه الله . لا تعلمه لدنيا ، ولا يقال لك عالم ، فإن من أول من أَسْعَرَ بهم النار يوم القيامة رجل تعلم ليقال له عالم ، كما روى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه أيضاً أنه قال : « من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله عز وجل ، لا يتعلمه إلا ليصيب عرضاً من الدنيا ، لم يجد ربح الجنة يوم القيامة » وفي الجهة المقابلة لا يحل لمسلم عرف شيئاً من دين الله ، وعلم حكماً من أحكامه أن يكتمه عن إخوانه من المسلمين ، وخصوصاً إذا سئل فيه ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم تواعد على ذلك أشد الوعيد فقال : « من سئل

عن علم فسكتمه أجمع يوم القيامة بلجام من نار» ويقول الله تبارك وتعالى : (إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم اللاعنون : إلا الذين تابوا وأصلحوا وينبؤوا ، فأولئك أتوب عليهم ، وأنا التواب الرحيم)
 إن أشرف ميدان يتنافس فيه المتنافسون ، ويتسابق إليه المتسابقون ، هو ميدان العلم ومجالات المعرفة ، وإن خزائنه لتمتلئ بالإنفاق ، وتنضب بالتقتير والإمساك والشح إنه ليسحذ ويلمع بالكرم ، ويُفَلَّ ويصدأ بالبخل به ، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه علىهلكته بالحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها » .

وليس من أهل العلم من يتعلمه ليتحدث به فقط ، بل أهل العلم من يعمل به هو أولاً قبل أن يعلمه لغيره ، ولا خير في علم من غير عمل ، قال أبو الدرداء رضى الله عنه :
 وبل للذى لا يعلم مرة ، وويل للذى يعلم ولا يعمل سبع مرات .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن علمه ماذا عمل فيه » وحدد عليه الصلاة والسلام موقف الناس حيال العلم الذى بعثه الله وأرسله إليهم به ، فقسمهم ثلاث طوائف ، فقال : « مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً . فكانت منها طائفة طيبة : قبلت الماء ، فأنبئت السكلاً والشجيرة الكثيرة . وكان منها أجادب : أمسكت الماء فنفخ الله بها الناس ، فشرّبوا منها وصقوا وزرعوا . وأصاب طائفة منها أخرى : إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً » .
 فذلك مثل من فقه في دين الله ، ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ، ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به » . ضرب رسول الله المثل لما بعثه الله به من العلم الذى أنزله من السماء بالمطر الذى ينزله من السماء أيضاً ، فبالعلم تحيي القلوب وتقضى النفوس وتثمر الأعمال الصالحة ، وبالمطر تحيي الأرض ويتغذى النبات وتثمر الحبوب

والقوا كه . ومثل الناس بالأرض التي خلقوا من ترابها وطينها . فما أعظم هذا المثل ومطابقته للحقيقة .

ثم إنه قسم الناس إلى ثلاث طوائف ، طائفة فقه في دين الله وعمل به وعلمه للناس ، وهم خير البرية ، وطائفة فقه وعلم واسكنه لم يعمل ، فأمن لسانه وكفر قلبه ، فانتفع الناس بعلمه ، ولم ينتفع هو به فكان وبالاً عليه ، وطائفة ثالثة لا علمت ولا عملت ، لا انتفعت ولا نفعت ، فكانت شر البرية ، وإن الحيوان الأعجم الذي يركب ظهره ، ويؤكل لحمه أو يشرب لبنه أو يلبس صوفه خير منه وأنفع . عاقبني الله وإياكم من الجهل والغفلة . اللهم إنا نسألك أن تيسر لنا سبيل العلم بكتابك وصلة نبيك ، ونسألك أن توفقنا للعمل بما نعلم . ونعوذ بك من علم لا ينفع ، وقلب لا يخضع ، ونفس لا تقنع ، وبطن لا يشبع . اللهم ووفقنا إلى إتباع نبيك في الدنيا ، واحشرنا في زمرة وتحت لوائه يوم القيامة وصلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله أجمعين .

رشاد سليمان محمد

من أمثال القرآن للإمام العلامة د ابن قيم الجوزية •

من الصدقات ما يبطلها : من المن والأذى . والربا . فالربا يمنع انعقادها سبباً للثواب ، والمن والأذى : يبطل الثواب الذي كانت سبباً له - فمثل صاحبها وبطلان عمله كمثل صفوان - وهو الحجر الأملس - عليه تراب ، فأصابه وابل ، وهو المطر الشديد . فتركه صليداً ، لا شيء عليه .

وتأمل أجزاء هذا المثل البليغ وانطباقها على أجزاء الممثل به ، تعرف عظمة القرآن وجلالته . فإن الحجر في مقابلة قلب هذا المرأى ، والمان ، والمؤذى . فقلبه - في قسوته عن الإيمان والإخلاص - بمنزلة الحجر . والعمل الذي عمل لغير الله بمنزلة التراب على ذلك الحجر . فقسوة ما تحته وصلابته تمنعه من الثبات والنبات عليه عند نزول الواابل . فليس له مادة متصلة بالرى تقبل الماء وتنبت السكلا . وكذلك قلب المرأى ليس له ثبات عند وابل الأمر والنهى ، والقضاء والقدر . فإذا نزل عليه وابل الوحى : انكشف عنه ذلك التراب اليسير الذى كان عليه ، فبرز ما تحته حجراً صليداً لا نبات فيه : وهذا مثل ضرب الله سبحانه سببانه لعمل المرأى ونفقته ، لا يقدر يوم القيامة على ثواب شيء منه أحوج ما كان إليه .

أَسْئَلَةٌ وَأَجْوِبَةٌ

الأستاذ الشيخ محمد خليل هراس — سلام عليكم ورحمة الله — وبعد :

إشارة إلى ما جاء بمجلة الهدى النبوى (عدد شهر رمضان ١٣٨٣) بخصوص السؤال الأول من الأخ الطاهر حسين سميد بالسودان .

كانت إجابتك للفقرة الأولى من السؤال قاطعة بحيث أعطيتك الدليل من قول الرسول صلى الله عليه وسلم وهو أن من ترك ثلاث جمع تهاونا طبع الله على قلبه — ولكن الإجابة على الفقرة الثانية من السؤال لم تجد الجواب الشافى لها وهو حسب السؤال إذا لم أتمكن من الذهاب إلى المسجد أصلياً ظهراً أم جمعة . فكان جوابك أن تصلها ظهراً حسب إجماع الأئمة الأربعة ولا تجب إلا بشرائط خاصة .

نحن جماعة أنصار السنة حسب ما قرأنا في مجلتنا الهدى النبوى ، أن الدين هو ما قاله الله وما قاله الرسول وبخلاف ذلك لا يعتبر ديناً لقوله تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً) ، وإن إجابتك على السائل ليصلها ظهراً لم تكن قول الله ولا من قول الرسول ، لذلك مثل هذه الإجابات التى لم تكن شافية نسب لنا كثيراً من المشا كل مع إخواننا الذين نعطيهم المجلة ليقرؤوها .

نحن جماعة أنصار السنة بالخرطوم وبقية مدن السودان الأخرى لازلنا نصلى الجمعة ركعتين إذا لم نحضرها فى المسجد لقول الرسول صلى الله عليه وسلم من حديث عمر بن الخطاب « الجمعة ركعتين وصلاة العيد ركعتين وصلاة المسافر ركعتين » ولم نعتز على أثر من أثار الرسول صلى الله عليه وسلم أن أمر النساء أو المرضى الذين لا يستطيعون الحضور للمسجد

أن يصلوها أربعاً ونحن مازلنا نصلى ركعتين حتى تعطينا الدلائل القاطع على صلاتها أربعاً إذا لم ندركم في المسجد والذي نرجوه منكم عندما يسأل أحد الناس سؤال يجب أن يكون الرد قاطع من قول الله أو من قول الرسول صلى الله عليه وسلم حتى لا تظهر لنا بلبلة من بعض الناس ونسأل الله أن يوفقكم لنشر الدعوة الإسلامية الصحيحة في جميع أنحاء العالم والسلام عليكم ؟

ميرغنى عمر عثمان

من جماعة أنصار السنة المحمدية — بالخرطوم

الجواب

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى :

أنى لم أكن حين أفقيت بوجوب صلاة الظهر لم يأت بشهد الجمعة مستهدياً إلا بهدى الكتاب الكريم والسنة المطهرة ولم يكن ذكرى لاجتماع الأئمة الأربعة وغيرهم من السلف إلا من قبيل الاستئناس بأراء السابقين . أما الكتاب فإن الله عز وجل يقول : (يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسمعوا إلى ذكر الله وذروا البيع) فأوجب الله السعى إلى الجمعة عند سماع النداء فمن لم يسمع إليها كما أمر الله لا يمكن أن يقال أنه أدها إذ لو كانت تؤدي في أى مكان ومن أى إنسان قادراً على السعى أو غير قادر لما كان هناك معنى لإيجاب السعى إليها ثم قال تعالى : (وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائماً) .

فأوجب البقاء في المسجد حتى يفرغ الخطيب وتنقضى الصلاة ، فمن لم يسمع إلى المسجد ويسمع الخطبة وينتظر حتى يفرغ الإمام ويصلى معه فكيف يكون مؤدياً للجمعة ؟

وأما الأحاديث في هذا الباب فهي كثيرة جداً وكلها تصرح بوجوب الرواح إلى

المسجد لسماع الخطبة وأداء الصلاة ولا معنى للجمعة إلا هذا ولذلك رخص الله لذوي الأعذار من المرضى والمسافرين في التخلف عن الجمعة فقال عليه السلام : (ليس على مريض ولا مسافر جمعة) ومعلوم أن من لا جمعة عليه لا يصلي جمعة بل ظهر أ .

وفي الحديث الصحيح : « إذا قلت لصاحبك والإمام بخطب يوم الجمعة أنصت فقد لغوت ومن أنا فلا جمعة له » فحمل قوله لصاحبه أنصت لغوا ملفياً للجمعة مع أنه سعى إليها وشهدها في المسجد فكيف الحال بمن لم يسع إليها ولم يشهدها !!

وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم توعد من يشهد الجمعة بأن يحرق عليهم بيوتهم وسماهم تاركين للجمعة ، فلو كان يجوز لكل أحد حيث كان أن يصلي جمعة لما سماهم تاركين لها ولما كان هناك موجب لهذا الوعيد الشديد ، وكذلك قوله عليه السلام : « من ترك ثلاث جمع نهاونا طبع الله على قلبه » ، دل على أن هناك أناساً يتركون الجمعة فلا يسمون إليها ولا يشهدونها . وعلى رأى هؤلاء الذين يقولون أن الجمعة هي فرصة الوقت بالنسبة لكل أحد لا يسمى أحد عندهم تاركاً للجمعة بل يلزم أن يكون كل الناس مؤدياً لها .

هذا ولا نحب من أخواننا أنصار السنة أن يتمسكوا بشواذ الآراء التي لا دليل عليها من كتاب ولا سنة وأن ينفذوا إلى الحق إذا تبين دون الحاجة في الجدل والله يهدينا جميعاً سؤال السبيل .

* * *

سؤال : من الأخ أمين السيد حسين — حوش عيسى — بحيرة

هل يصل ثواب القراءة للبيت ولو قرأ أحد أبنائه أم لا وهل تجوز قراءته عند القبور كما أفنى بهذا الأستاذ الشيخ محمد المدني في درس الجمعة بالأذاعة وهل إذا قرأ القارئ يجوز

له أن يأخذ أجراً على القراءة وله أن يؤثر نفسه ويشترط على قيمة ما يأخذ أم لا ؟ أفيدونا
أفادكم الله وختاماً ما تقبلوا منا احتراماً م

الجواب

اختلف العلماء في وصول ثواب القراءة إلى الميت إذا أهداه إليه القارئ ، فمنهم
الشافعي رحمه الله منما مطلقاً محتجاً بقوله تعالى (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) فإن هذه
هي القاعدة العامة في الجزاء ولا يستثنى منها إلا ماورد فيه النص مثل الهداء والصدقة
وكالحج عن الميت وقضاء ما فاتته من صيام النذر أو الكفارة ونحو ذلك .
وأما القراءة فلم يرد فيها شيء .

ولا يجوز قراءة القرآن عند القبور مطلقاً فإن ذلك لم يرد عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنه فعله أو أمر به ولا نقل عن أحد من السلف بل ورد النهي عنه في قوله عليه السلام
(اقرأوا القرآن في بيوتكم ولا تجعلوها قبوراً) .
ولا يجوز أخذ الأجرة على قراءة القرآن ولا أن تتخذ قراءة القرآن حرفة للتكسب
والعيش وبالأولى لا يجوز اشتراط قيمة ما يأخذه ثمناً لقراءته والله أعلم .

سؤال : من الأخ صالح محمد إسحاق — القاهرة

توفيت سيدة وليس لها أبناء ولا أب ولا أم إلا أن لها ثلاث أخوات شقيقات
وأولاد هذه الشقيقات ولها أيضاً أولاد عم أشقاء . فن من هؤلاء يرث هذه السيدة أفقتونا
والله يتولى جزاءكم م

الجواب

قال الله تعالى (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة أن امرؤ هلك ليس له ولد وله

أخت فلما نصف ماترك وهو يرثها أن لم يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وأن كانوا أخوة رجالا ونساء فلذاكر مثل حظ الأنثيين .

وبناء على ما يفهم من الآية الكريمة يكون للأخوات الشقيقات الثلثان يقسم بينهما بالسوية ويكون الباقي لأولاد العم لأنهم أقرب عصبية إلى الميت والله أعلم .

. * * *

الإجابة على أسئلة الأخ أبي بكر محمد أحمد طه — بالقضارف السودان

١ — الفتح في القراءة على الإمام إذا نسي آية أو التبست عليه جائز مشروع بل قال البعض بوجوبه والأحاديث فيه صحيحة .

فمن مسور بن يزيد المالكي قال « صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فترك آية فقال له رجل يا رسول الله كذا وكذا فقال : فهلا ذكرتها » رواه أبو داود وعبد الله بن أحمد في المسند وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة فقرأ فيها فلبس عليه فلما انصرف قال لأبي بن كعب أصليت معنا ؟ قال نعم قال فما منعك ؟ (رواه أبو داود .

وأما الحديث الذي رواه أبو داود عن الحرث الأعور عن علي أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لعلي « لا تفتح على الإمام في الصلاة » فهو حديث واه لا يقوى على معارضة الأحاديث السابقة للقضية بمشروعية الفتح على الإمام لاسيما وقد اتهم كثير من الأئمة الحرث الأعور بالكذب والله أعلم .

٢ — حديث : « لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي » حديث صحيح رواه — لم وأبو داود والترمذي والحاكم وابن حبان وغيرهم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وأسانيده كلها صحيحة .

وإنما نهاه صلى الله عليه وسلم عن مصاحبة غير المؤمنين لأن الطبع سراق فلا يأمن

أن تنقل إليه عدوى هؤلاء المجرمين في رذائلهم وشرورهم ، وفي الحديث : « المرء على دين خليله فلينظر أحداًكم من بخال » .

وأما قوله : « ولا يأكل طعامك إلا تقي » فهذا بالنسبة لطعام الدعوة أو الوليمة يجب أن لا يدعى إليها إلا الأتقياء . وأما طعام الحاجة أو الضرورة فهذا يجوز أن يطعم منه كل أحد ولو كافراً كما قال عليه السلام « أطعموا الجائع وعودوا المريض وفكوا العاني » .

٣ - حديث : « إذا أحب الله عبداً أخبر جبريل أن يحبه إلخ . » ، رواه أبو نعيم في كتابه : « حلية الأولياء » والديلمي في مسنده من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه وهو حديث ضعيف جداً والعهد بهذين الرجلين أنهما يكثران من رواية الأحاديث الضعيفة فلا ينبغي أن يلتفت إلى ما فيهما إلا إذا كان له شواهد في الصحيح .

٤ - حديث : « أنه صلى الله عليه وسلم نهى عائشة رضي الله عنها أن تأكل في اليوم مرتين وقال لها أما لك شغل إلا بطنك » يشبه أن يكون من وضع الصوفية لأنهم هم الذين يدعون إلى التقليل من الطعام وسائر الشهوات جرياً منهم وراء تلك الرهبانية التي يقلدون فيها رهبان النصارى وفقراء الهنود من البراهمة والبوذيين ويسمون ذلك رياضة ومجاهدة وتصفية للباطن من كدورات الجسم ، وإذا كان المسلم حتى في أيام صومه يأكل أكلتين أكلة الفطر وأكلة السحور فكيف ينهى الرسول صلى الله عليه وسلم زوجته الشابة القوية أم المؤمنين عن أكلتين في اليوم ، وإذا كان في ذلك خير فلماذا خص به عائشة ولم يجعله أمراً للأمة كلها وقد كان المعروف المعتاد أن السلف رضي الله عنهم كان لهم أكلتان واحدة تسمى الغذاء والأخرى تسمى العشاء والله أعلم .

* * *

الإجابة على أسئلة الأخ عبد ربه سلامة الحديدي — بيور سعيد

ج ١ - أباح الله عز وجل للمسلمين ليلة الصيام الرفث إلى نسائهم وأن يأكلوا ويشربوا حتى يتبين لهم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، وقد ذكر علماء

العربية أن حتى تفيد أن مابدها غاية لما قبلها فهي هنا تفيد إباحة الأكل والشرب والجماع إلى أن يقبين لهم الخيط الأبيض من الخيط الأسود يعنى بياض النهار من سواد الليل وذلك حين يطلع الفجر ويؤذن له وقد جهد علماء الفلك أن يضعوا مواقيت للصلوات تكون مطابقة لما حددته الشريعة فإن المسلمين في الصدر الأول كانوا يتحيزون أوقات الصلاة ويقدرّون ابتداءها ونهايتها بمراقبتهم للشمس وظل الأجسام فيصلون الظهر مثلاً عند ما تزول الشمس عن كبد السماء وتميل إلى جهة المغرب والعصر حين يصير ظل كل شيء مثليه أو مثله والمغرب عند ما يغيّب قرص الشمس والعشاء حين يغيّب الشفق الأحمر والفجر حين ينشق الليل عن ذلك البياض الذي يبدو معترضاً في الأفق فيجبل سفوح الجبال ويملاً الروابي والقلول ، فلما تقدمت الدراسات الفلكية وعرف حساب الهيئة واخترعت الساعات قام علماء الفلك بهذا الجهد المشكور في بيان مواقيت الصلاة حسب قواعد في غاية الضبط يعرفون بها مقدار الليل والنهار وأوقات الطلوع والغروب وينزلون ذلك على ما في أيدي الناس من ساعات يحسبون بها الأوقات فلا يتقدم وقت عن مواعده ولا يتأخر ، فوقت الفجر الذي جعله الشارع غاية للإمساك وموعداً لصلاة الصبح يدخل شرعاً حين تشير الساعات إلى اللحظة التي حددها الفلكيون له لأنهم لا يضعون ذلك اغتباطاً من أنفسهم بل يراعون في ذلك تعليلات الشريعة والله أعلم .



الإجابة على سؤال الأخ سليمان عيسى صديقه — بالقضارف — السودان
ج — قال الله عز وجل : (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا
العدة ، واتقوا الله ربكم — الآية) .

فالطلاق الذي أمر الله به وبينه رسوله صلى الله عليه وسلم أن يطلق امرأته طلاقاً
واحدة رجعية ويكون ذلك في طهر لم يجامعها فيه مع مراعاة أن يكون الطلاق ناجزاً غير

أحسن ما قرأت

أنا غير مؤمنة بالمساواة

بين الرجل والمرأة!

أنا إحدى بنات حواء - ولكنى مع ذلك لا أؤمن بالمساواة بين المرأة والرجل .. فالرجل رجل ، والمرأة امرأة .. والله سبحانه وتعالى أعلم بنا منّا حينما خلقنا جنسين مختلفين
لماذا نطالب المساواة بالرجل .. ألكى نشعره بأنه خير منا ، ولذا نريد أن نساوى أنفسنا به ؟ ..

أم لأننا جنس غير مرغوب فيه فهو يحاول التمثيل بمن هو أحسن منه وأعلى ؟ .
ثم لنفرض جدلاً أن المرأة حصلت على هذه المساواة المزعومة .. فهل هذا شيء جميل؟!
هل تريد للمرأة أن تشارك الرجل في الأعمال الشاقة المتعبة كي تكون لها عضلات قوية ؟
أو هل تريد ترك بيتها وأطفالها لزوجها الذى ينظرها فى البيت وقد غسل الصحون وطبخ الطعام واعتنى بالأولاد ؟ .

أو هل تريد الجلوس على المقاهى للاستراحة فترة من الزمن بعد عناء النهار ؟ !! ماذا تريد من هذه المساواة ؟ ! .

وأيهما أحسن ، والطف ، وأجل فى نظر المجتمع ؟ الأنثى الرقيقة ، اللطيفة الوديمة ..
الأنثى التى تستقبل زوجها المتعب المسكود وتزيح عنه عبء النهار . الأم الرؤوم التى تحنو على أطفالها تفذومهم من عطفها وحنانها وتحل مشاكلهم وتمسح دموعهم ، وتعمل من بيتها جنة سميدة ... أم تلك التى تخرج من الصباح تاركة بيتها كما هو ، ثم تعود ظهرأ مع زوجها أوروبما بعده ، فتعد الطعام السريع ، ثم تأخذ قسطها من الراحة ، وبعد ذلك تعود

لمغادرة الدار ثانية ، لا تعلم عن أطفالها شيئاً ولا نسأل زوجها عن متاعبه ومشاكله ، لأنها
هى الأخرى لديها من المشاكل كل ما يكفيتها !
بربكن يا بنات جنسى : أيتها أحسن ؟ .

أنا لا أرى بأساً من اشتغال المرأة بعمل يناسبها ويناسب تكوينها الجسماني وطبيعتها
الأنثوية ولكن حذار من مجرد التفكـك في المساواة بالرجل . . . لأن الرجل يختلف
بتكوينه الجسمي عن المرأة اختلافاً لا تنفكره . . . فالأنثى أنثى بطبيعتها الحلوة الجميلة ،
وقوامها المشوق الذى لا يجوز أن تشوهه العضلات أو بشرتها التى تفدها الشمس
والتراب والتعب والسم ، ولا أظن امرأة ترضى أن تضعى إناقتها وجمالها فى حين أن غايتها
القصوى أن تكون موضع إعجاب الرجل لأن تكون مساوية له فيقال عنها :
أنهارجل ؟ .

فلتكف المرأة عن حديث المساواة وحسبها فخراً أنها هى التى تصنع الرجال
و بإمكانها أن تخوض غمار الحياة كمرأة لها كيانتها وشخصيتها لا كشبه رجل أو ذيل رجل . . .

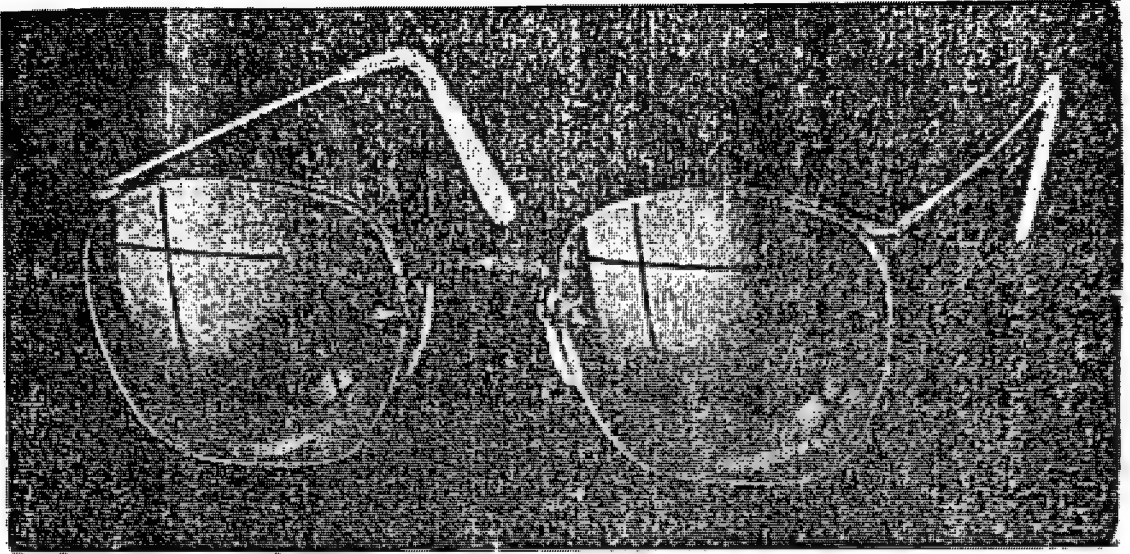
بلفيس عبد الله الحميدى

بغداد — أ عظمية — شيوع

نقلا عن مجلة الشرق العربى (عدد شوال ١٣٨٣)

رجاء إلى السادة المشتركين بالمجلة

نرجو السادة المقدمين التـكـرم بضرورة سرعة إرسال الفدية المتأخرة طرـفـهم عن
سنة ١٣٨٣ باسم السيد محمد رشدى خليل أمين صندوق الجماعة ٨ شارع قوله عابدين .
القاهرة وشكراً .



أحدث النظارات الرائعة تجدها عند الأخصائي

أحمد محمد خليل

المصري الوحيد خريج جامعة باريس

١ شارع الجوهري - ميدان العبة

س . ت . ٢٣٤٥ - تليفون ٩٠٨٢٦٢

شركة غريب للساعات والمجوهرات

إدارة : محمد الغريب محمد البار

بشارع محمد بك فريد رقم ١١٧ مصر عابدين

أحدث الساعات في المتانة ودقة الصناعة

والمجوهرات والنظارات - أسعار مذهلة

نسهل في الدفع على أقساط شهرية

بالحل ورشة فنية للتصليح

﴿ أنصار السنة المحمدية لهم امتيازات خاصة ﴾

العدد ١٢

المجلد ٢٨

ذى الحجة

سنة ١٣٨٣

خير الهدي قدس في قديمه صلى الله عليه وسلم

الهدي النبوي

صدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير

عبد الرحمن الوكيل

مدير الإدارة

سلجمانه م-ون

٣٠ ملبا

مطبعة السنة المحمدية

١٧ شارع شريف باشا الكبير

ت ٩٠٦٠١٧

صفحة	
٣	التفسير الأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل
١٢	عقيدة القرآن والسنة الأستاذ الشيخ محمد خليل هراس
١٧	نظرات في النصوص » » عبد الرحمن الوكيل
٢٦	إبراهيم . . . معلم الخير لأستاذنا الجليل الشيخ محمد حامد الفقي رحمه الله
٣٤	غزوات الرسول الأستاذ سعد صادق محمد «
٤٥	صلاة المسافر للدكتور تقي الدين الهلالي
٥٠	الجهاد الأكبر والجهاد الأصغر للأستاذ محمد نجيب المطيعي

صلاة العيد

بمعونه تعالى ستؤدي جماعة أنصار السنة المحمدية صلاة عيد الأضحى في ميدان الجمهورية
كماداتها في كل عام . وكل عام وأتم بخير .

الحمد لله رب العالمين

أصدر سيادة وزير الأوقاف وشؤون الأزهر قراره العادل بإسناد منصب مراقب
الدعوة إلى فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد الغزالي مع ندبه أيضاً لإدارة قسم المساجد
بعد طول إبعاد بغير حق .

ونحن إذ نرف هذه البشرية السعيدة إلى جميع إخواننا الغيورين على الدعوة الإسلامية
نهنيء فضيلة الشيخ الغزالي بكرامة الله تعالى وتلك عاجل بشرى المؤمن .

الهدى النبوي

رئيس التحرير

عبد الرحمن الوكيل

أصحاب الامتياز : ورثة

السبح محمد حامد الفقى

خير المولى على محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوى

مجلة شهرية دينية

صدرها جماعة انصار السنة المحمدية

مدير الإدارة

سليمانه ميمون

الاشتراك السنوى

٣٠ - في الجمهورية العربية

المتحدة والسودان

٤٠ - في الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله - عابدين القاهرة - تليفون ٧٦٥٧٦

المجلد ٢٨

ذى الحجة سنة ١٣٨٣

العدد ١٢

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال جل ذكره : (فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيََا غُلَامًا فَقَتَلَهُ ، قَالَ : أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ ، لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا . قَالَ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا . قَالَ : إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي . قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ، فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبْوَأُنَا ، يَضِيفُوهُمَا ، فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ ، فَأَقَامَهُ ، قَالَ : لَوْ شِئْتُ ، لَاتَّخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا . قَالَ : هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا . الْكَهْفَ (٧١ - ٧٨) .

معانى المفردات

« غلاماً » : هو الذى طرأ « نبت » شارب له والأتى غلاماً .

« زَكِيَّةٌ » : أصل الزكاة النمو الحاصل عن بركة الله تعالى . وقال ابن الأثير عن الزكاة إنها الطهارة والنماء والبركة والمدح .

« نَكَّرًا » : قال الراغب : النكر : الأمر الصعب الذي لا يعرف ، والهداء ، وزاد ابن الأثير ، فقال عنه : إنه الأمر المنكر .

« لَدُنِّي » : لدن أخص من عند ، لأنه يدل على ابتداء نهاية نحو أقت عنده من لدن طلوع الشمس إلى غروبها ، فيوضع لدن موضع نهاية الفعل ، وقد يوضع موضع عند فيما حُكِيَ . وجاء في المختار لدن الموضع الذي هو الغاية ، وهو طرف بمنزلة عند . وقد أدخلوا عليه « مِن » وحدها من حروف الجر .

١ « اسْتَطَعَمَا » : طلبا منهما طعاماً . وقد يستعمل طعمت في الشراب .

« يضيفوها » قال الراغب : أصل الضيف الميل . . والضيف من مال إليك نازلاً بك ، وصارت الضيافة متعارفةً في القرى ، وأصل الضيف مصدر ، ولذلك استوى فيه الواحد والجمع .

« ينقض » : قال الراغب : النقض انتثار العقد من البناء والحبل والعهد وهو ضد الإبرام .

« تأويل » : قال الراغب : التأويل من الأول أى الرجوع إلى الأصل ، أى رد الشيء إلى الغاية المرادة منه علماً كان أو فعلاً . « يوم يأتي تأويله » أى بيانه الذي هو غايته المقصودة منه .

المعنى

مضى أمر السفينة الذي لم يصبر عليه موسى ، واتهم صاحبه بأنه جاء بعمل مفكر وتأتى في هذه الآية قصة الغلام .

(فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله) .

هذا يفيد أنها غادرا السفينة بعد أن خرقتها العبد الصالح ، وأنها مرّاً بإحدى

الحواضر ، أو القرى ، فلقيا الغلام^(١) ، وقد جاء في بعض الأحاديث : « ثم خرجا من السفينة ، فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان » وفي بعضها الآخر جاء : « ثم خرجا من السفينة فانطلقا ، حتى إذا أتيا أهل قرية ، فإذا غلمان يلعبون خلفها ، فيهم غلام ليس في الغلمان غلام أعرف منه ، ولا أنرى ولا أوضاً منه » فأخذه بيده ، وأخذ بيده حجراً ، فضرب به رأسه ، حتى دمهغه ، فقتله » وهذه رواية عبد الرزاق عن معمر .

مسألة قتل الغلام : يؤكد القرآن أن العبد الصالح قتل الغلام ولم يذكر كيفية القتل ، ولا الوصف المفصل للغلام . وحسبنا ، فالعبرة تؤخذ مما ذكر القرآن . ولكن ورد في بعض الأحاديث ما يبين كيفية القضاء على الغلام ، وقد بينت من قبل ما رواه عبد الرزاق ، وإليك بعض ما رواه البخاري .

ففي رواية عبد الله بن محمد عن الغلام : « فانطلقا فإذا غلام يلعب مع الغلمان ، فأخذ الخضر برأسه من أعلاه ، فاقتلع رأسه بيده » .
ورواية البخاري عن الحميدى توافق هذه الرواية .

وفي الرواية عن إبراهيم بن موسى : « لقيا غلاماً فقتله ، قال يعلَى . قال سمعيد : وجد غلماناً يلعبون ، فأخذ غلاماً كافراً ظريفاً ، فأضجمه ، ثم ذبحه بالسكين وقد ورد اسمه في هذه الرواية وهو « جَيْسُور مَلِك » .

وفي رواية عمرو بن محمد : « فلما خرجا من البحر مروا بغلام يلعب مع الصبيان ، فأخذ الخضر برأسه فقلعه بيده هكذا وأوماً سفيان بأطراف أصابعه كأنه يقطف شيئاً » .
فرواية عبد الرزاق تثبت أن العبد الصالح قتل بحجر ، ورواية البخاري عن عبد الله ابن محمد والحميدى وعمر بن محمد تثبت أن العبد الصالح اقتلع رأس الغلام بيده ١١ .

(١) إذ لا يعقل أن يوجد مثل هذا الغلام في مكان قفر ليس فيه من يسكنه .

فكيف اقتلعه^(١) ؟ أذبحه ، ثم فصل الرأس عن الجسد بيده ؟ .

إن كلمة بيده تعارض هذا الفهم . أخذه ؟ ثم ظل يلوى رأسه حتى اقتلعه ؟ .

أما روايته عن إبراهيم بن موسى فتثبت أنه أضجعه ، ثم ذبحه بالسكين . ولكن لو كان الأمر كذلك لجاء في القرآن ذكر الذبح صريحاً كما جاء : (يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك - الصافات : ١٠٢) (لأعذبه عذاباً شديداً أولاً ذبحه - النمل) : (يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم . البقرة : ٤٩) .

أقرب الروايات إلى المفهوم من القرآن رواية عبد الرزاق التي تذكر أنه قتله بحجر . ففي الاقتلاع عنف في القسوة^(٢) . واحتياج إلى زمن طويل ، وحسبنا أن نؤمن بأن العبد الصالح قتل الغلام . ولقد قلت في عدد « رمضان » « ورأى موسى - القتل يحدث حيث كان يجب - في ظنه - أن يكون الحب دافعاً هنا إلى الحرص البالغ على حياة القتل وصونها من كل ما قد ينال من نضرتها الحلوة الزاهية . ثم تبين له - أي موسى - أن هذا القتل الذي أثار سخطه ، وأنساه الوفاء بوعده ، والحفاظ على عهده ما هو إلا أصدق تعبير عن حنو الحب وشفافيته الرقيقة الرفيقة الصافية ، وروحانيته التي تقدست بقدسية الغيب ، وعن تجسد قوة الإيمان في عمل يحتاج إلى مجاهدة للعاطفة البشرية حين تهفو بصاحبها إلى العطف على جميل رائع الصبأ ساحر الفطنة » نعم ، فيما نزن به الأمور كان يجب على العبد الصالح أن يحرص على حياة هذا الغلام الجميل الوضيء ؛ لأنه لم يأت بما يستحق به القتل ، ولكن في مقياس

(١) جاء القلع مفسراً في الرواية عن عمرو بن محمد ، فقد جاء ما يلي : « فأخذ الخضر برأسه ، فقلعه بيده هكذا ، وأوماً سفيان بأطراف أصابعه كأنه يقطف شيئاً » يريد سفيان أن الخضر فعل برأس الغلام كما يفعل الرجل بشيء يقطفه !! .

(٢) ثم هي تحتاج إلى قوة عارمة فوق الوقت الطويل والعبد الصالح يقتل وهو يحب ألا يراه أحد حتى يمضي في سبيله . ولهذا جاءت الفاء في قوله سبحانه « لقياً غلاماً فقتله » فجاء الفاء في « فقتله » دليل على أن قتله عقب لقائه مباشرة دون إبطاء .

الحقيقة التي يفرض سلطانها وحى الله شيء آخر غير مافى مقاييسنا ، ثم إن القيام بفعل الغلام الجميل الوضى يحتاج فعلاً إلى مجاهدة جاهدة لمواطننا التي تأبى أن تقدم على هذا العمل الذى يصنع دنياها بالمأساة ، ويلون أحلامها بالسواد الرهيب والفرع الأسود ولكن قام العبد الصالح بكل ما أمره الله أن يقوم به ، فخرق السفينة ، وقتل الغلام ، وأقام الجدار وعرض نفسه لنقد رسول عظيم ، ولم يبال بشيء لأنه يعمل لله ، وفى سبيل رضاه^(١) . وقيامه بكل هذا يشهد له بقوة الإيمان الذى لا تغمره عاطفة هوجاء ، ولا تستميله شهوة من الدنيا أولئك من الجسد !!.

« قال : أقتلت نفساً زكية بغير نفس ، لقد جئت شيئاً نكراً » ينكر موسى على العبد الصالح أن يقترب جريمة القتل ضد غلام وضىء جميل لم يره اقترب ما يستحق عليه القتل وهو صبي لم يبلغ الحفث ، ثم حكم موسى على صاحبه بأنه اقترب أمراً صعباً يستنكره الشرع ، والطبع . أرأيت إلى موسى كيف خدعته مقاييسه ، وهو من أولى العزم من الرسل ؟ أرأيت إليه ينسب إلى نفس الغلام أنها زكية ، وهى نفس دنسة مظلمة خبيثة^(٢)

(١) أعظم من عمله كم إبراهيم بذبح ولده الحبيب إسماعيل ، فالعبد الصالح قتل غلاماً جميلاً . أما إبراهيم فهم بذبح ولده الحبيب .

(٢) فى حديث رواه البخارى ذكر سعيد بن جبير أن ابن عباس كان يقرأ : « وأما الغلام ، فكان كافراً ، وكان أبواه مؤمنين » وما أظن إلا أن ابن عباس كان يقوله تفسيراً من عنده . فمن الخطر المبين أن نظن أن كلمة واحدة سقطت من القرآن . وفى حديث متفق عليه أن الغلام الذى قتله الخضر طبع كافراً ، ولو عاش لأرهق أبويه طغياناً وكفراً ، قيل : كان يقطع الطريق ، ويأخذ المتاع ، ويلجأ إلى أبويه - أما اللجوء إلى أبويه ، فلا نستطيع أبداً تصديقه ؛ لأن القرآن وصف أبويه بأنهما مؤمنين ، والمؤمن لا يرضى بسرقة ، ولا يخفى مسروقاً . اللهم إلا إذا فهمنا أن الغلام كان لا يطلعهما على ما يسرق ، وقيل : كان غلاماً يعمل الفساد ، ويتأذى منه أبواه .

وبكفى فى هذا القرآن ، فقد وصفه بصفتين هما : الطغيان والكفر .

فهل يمتري أحدٌ ما في أن العقل لا يمكن أن يستقل بالهداية ، وأن البشرية في حاجة ماسة إلى الوحي تأخذ عنه هداها ؟

ولقد خدعت موسى مقاييسه خداعاً بعيداً حتى لقد حملته على نسيان وعده ونقض عهده ، واتهام العبد الصالح بأنه اقترف جريمة منكرة . إنه لتأديب بالغ الزجر ، وإخضاع في قوة وقهر وغلبٍ قادرٍ لهذه القوة النفسية التي كان يتمتع بها موسى عليه السلام ، حتى تخشع تماماً وتسكن سكون البحر بعد العاصفة . ولقد قلت في عدد رمضان : « هذا رسول عظيم استطاعت ظواهر الأشياء أن تصرفه عن حقيقة ، فحكم على العرفان بالجميل أنه جمود ، وعلى الفضيلة أنها رذيلة ، وعلى الطاعة أنها معصية ، وعلى القيام بالواجب أنه ذل وامتهان » وأكرره هنا ؛ لأؤكد أننا نحن البشر لا نستطيع مطلقاً أن نعلم هذه الدنيا ، ونسلك السبيل السوي في هذه الحياة إلا بهدى الله وحده ، لا بالقوانين المستمدة من شهواتنا ، وأهوائنا ؟!

وقول موسى « أقيمت نفساً زكية بغير نفس » إشارة إلى أنه لا يجوز قتل النفس إلا قصاصاً . وبهذا يبدو لنا أن موسى عليه السلام قد نسي شيئاً آخر ذكر في التوراة وقد بينه القرآن : (من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس ، أو فساد في الأرض ، فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومن أحياها ، فكأنما أحيا الناس جميعاً المائدة : ٣٢) لقد أخذ موسى على العبد الصالح أنه قتل نفساً زكية بغير نفس ، ولم يكن قتل النفس الواجب محصوراً في هذا وحده : إذ كان من الواجب أيضاً قتل المفسدين في الأرض . وكان الغلام كذلك !! وقوله : « لقد جئت شيئاً نكراً » . يفيد أن موسى حكم على قتل الغلام بأنه أشد نكراً من خرق السفينة ، فالخرق يمكن تداركه ، أما هذا الذي وقع بالغلام ، فلا يمكن تداركه فقد قُتل ، وانتهى الأمر .

« قال : ألم أقل لك : إنك لن تستطيع معي صبراً » ومرة أخرى في هدوء ووقارٍ

يذكر العبد الصالح موسى بمعهده . غير أنه زاد في هذه المرة شيئا لم يذكره في المرة الأولى؛ وهو قوله : « لك » وفي زيادتها زيادة جلييلة للمعنى ، ففي المرة الأولى ذكر القول مطلقا ، وفي هذه ذكره مقيدا بقوله : « لك » وفي هذا مافيه من تأنيب شديد ، ولوم قوى ، لأنه نقض العهد مرتين .

(قال : إن سألتك عن شيء بعدها ، فلا تصاحبني)

في التعبير بقوله : « سألتك » ما يكشف عن أدب موسى وحيائه وعن بسط نوع من العذر ؛ إذ يؤكد بهذا للعبد الصالح أنه لا ينتقد ، ولا يعترض عليه ، وإنما هو يسأل ، فحسب . وقوله : « فلا تصاحبني » فيه ترك للامر بين يدى العبد الصالح ، وإيماض إلى أن موسى لم يَمَلْ من مصاحبة العبد الصالح ، وإنما بقيت فيه رغبة قوية إلى مصاحبته ، إذ يقول : « فلا تصاحبني » بدلا من « فلا أصاحبك » ، أو « لن أصاحبك » والإتيان بكلمة « شيء » في عمومها وهى نكرة تكشف لك عن شدة الحياء التى أخذت بموسى ؛ ولهذا جاء في الحديث عن موسى : « لولا أنه عجل ، لرأى العجب ، ولكن أخذه من صاحبه ذمامة » أى حياء وإشفاق من الذم واللوم .

« قد بلغت من لدنى عذرا » أى بلغت أقصى ما يُتطلب منك من تلمس العذرلى ، وبذلك العذر واضحاً في مفارقتي . وهو بهذا يضمن قوله مدحا للعبد الصالح ؛ إذ احتمله مرتين مع قرب ما بينهما ، وفي كل مرة نسيان وعد ، ونقض عهد !! وما أعظم أدب موسى هنا مع العبد الصالح ، فهو لم يثر ، وقد لومه العبد الصالح مرتين ، ولم تستوفز نفسه إلى التمرد على رجل أقل منه شأنا ، بل اعترف اعترافا صريحا جھيلا بخطئه ، وقوة احتمال صاحبه . « فانطلقا ، حتى إذا أتيا أهل قرية ^(١) استطعا أهلها ، فأبوا أن يضيفوهما » يبدولك

(١) حسب المؤمن هذا ، غير أن المفسرين أبوا إلا أن يذكروا اسم هذه القرية شطحا . فبعضهم يزعم أنها أنطاكية ، أو الآبله ؛ أو برقة ، أو بأجروان أرمينية ، ولا أكلف نفسى ولا القارىء هذا . إنها قرية من القرى ، ولا سيما وقد ذكرت نكرة في الآية ، فلم يقل أهل بالانف واللام

واضحاً أنهما كانا في حاجة ماسة إلى طعام ، حتى اضطررتهما هذه الحاجة إلى طلب الطعام من أهل هذه القرية ، وأن يأذنا لهما بالنزول عندهم . ولكن هل القرية أبوا الأمرين ، فلم يطعموهما ، ولم يضيفوهما . وقوله تعالى « فأبوا أن يضيفوهما » أضاف حقيقة إلى الاستطعام ، فقد فهمنا من هذا أن موسى وصاحبه طلبا الأمرين ، وأن أهل القرية رفضوا الأمرين « فوجدوا فيها جداراً يريد أن ينقض ، فأقامه » إسناد الإرادة إلى الجدار تصوير له بالكائن الحي الشاعر فكأنما هو إنسان يريد أن ينقض ، وهذا يبين لنا أن الليل في الجدار كان شديداً ؛ وأن الجدار كان يريد أن ينقض .

« فأقامه » كيف أقامه ؟ يسكني أن نعم وتؤمن بأنه أقامه . غير أني أعرض عليك ماورد في بعض الأحاديث عن مسألة إقامة الجدار ، ففي رواية عبد الله بن محمد : « فأقامه » قال الخضر بيده ، فأقامه « وفي رواية الحميدى » : فقام الخضر ، فأقامه بيده « وفي رواية إبراهيم بن موسى : قال : فمسحه بيده فاستقام » وفي رواية قتيبة بن سعيد « فقال بيده هكذا ، فأقامه » .

وفي رواية عمرو بن محمد : « فوجدوا فيها جداراً يريد أن ينقض - مائلاً - أوماً بيده هكذا ، وأشار سفيان كأنه يمسح شيئاً إلى فوق ، فلم أسمع سفيان يذكر مائلاً إلا مرة » قد نلح في المذكور أن إقامة الجدار كانت بطريقة خارقة للعادة ، ولا سيما في مثل « فمسحه بيده فاستقام » وقد نلح أن إقامة الجدار كانت بالطريقة المألوفة المعروفة . والقرآن يثبت أنه أقام الجدار ، وحسبنا هذا . وجعل مايقوله « الطبرى » في تفسيره عن مسألة إقامة الجدار : « وجائز أن يكون ذلك بصلاح بعد هدم ، وجائز أن يكون كان برفع منه له بيده ، فاستوى بقدرة الله ، وزال عنه ميله باطفيه . ولا دلالة من كتاب الله ، ولا خبر للمعذر قاطع بأى ذلك كان من أى » أى ليس في الكتاب والسنة دليل يقطع بحدوث أحد الأمرين بعينه .

« قال : لو شئت لاتخذت عليه أجراً » ونلاحظ هنا موسى عقب على عمل العبد الصالح

بمحر شديد فيه روح الخوف من إغضابه ؛ فما حمل عليه حملته في الأولى والثانية ، بل أسند المشيئة إليه ، وجاء بأجر نكرة . ماظنها نقدا ، أو اعتراضا . ولكن كان ظنه غير صحيح ، فصار للعبد الصالح أن يتركه . ونلاحظ أيضاً أن العبد الصالح ظل مع موسى ، حتى قال موسى بنفسه « لاتصاحبني » كان له أن يتركه في الأولى ، وفي الثانية ، ولكن تركه حتى يطلب هو بنفسه هذا ، ويحكم على نفسه بما يستحقه من عقوبة .

« قال : هذا فراق بيني وبينك » هذا وقت فراق ، أو هذا الإنكار على تركي أخذ الأجر هو المفرق بيني وبينك . ولقد ذكر في الحديث تعليق على عمل موسى في ثلاث المرات : « كانت الأولى من موسى نسيانا ، والوسطى شَرْطًا ^(١) ، والثالثة عَمداً » . وموسى — كما يبدو من نسق الآية — كان يظن أن للعمد ليس فيه نقض لعهد . إذ جاء بكلامه في سياق جميل لاتبدو فيه أنارة من نقد عنيف . وكان موسى عند عهده هذه المرة ، فلم يلح على العبد الصالح أن يعفو عنه .

« سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا » .

وكان العبد الصالح كرم ما خبيرا بالتأديب ، فوعد موسى بأنه سيخبره بتفسير مالم يستطع صبرا عليه . وهذه الأخيرة فيها لوم أخ لأخيه ، وتعليم لموسى بأنه يجب عليه أن يكون أقوى صبرا . لأنه حينما يعرف حقيقة الأمر سيندم ندما قويا على أنه لم يصبر . ولهذا جاء في حديث رواه البخاري قوله صلى الله عليه وسلم : « وددنا أن موسى كان صبرا حتى يقص الله علينا من خبرهما » هذا جانب من القصة العظيمة الجليلة ، فلنتدبر شأن موسى ، وشأن العبد الصالح ؛ ولنضرع إلى الله سبحانه أن يكلنا دائما إليه ، وإلى هداه ، وأن يفمر نفوسنا بتقواه ، وأن يجعل من حياتنا تعبيرا صادقا عن حبه ، وأن يهب لنا العلم الصحيح ؛ والصبر المتين ؛ والإيمان القوى الذي لا يخشى إلا جانب الله سبحانه . إنه سبحانه على ما يشاء قدير وهو وحده المدعو ؛ وهو وحده القاهر فوق عباده وهو السميع البصير .

عبد الرحمن الوكيل

(١) لانه قال فيها « ن سألتك عن شيء بعدها ، فلا تصاحبني »

توحيد الله عز وجل

وعدنا في المقال السابق أن نذكر بقية الآيات والأحاديث الدالة على ما اتصف به سبحانه من صفات الأفعال الاختيارية المتعلقة بمشيئته وقدرته والتي نفاها علماء الكلام الباطل من المعتزلة والأشعرية بناء على أصلهم الفاسد في امتناع قيام الحوادث بذاته والتزموا من أجل ذلك تأويل ما لا يحصى من نصوص الكتاب والسنة ونحن نفي أن شاء الله بما وعدنا به ونذكر بقية الآيات المتعلقة بهذا الموضوع ثم نتبعها بما صح من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

يقول الله تعالى من سورة الأنفال (وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون) ويقول سبحانه من نفس هذه السورة (إذ يفشيكم الغساس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألني في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان)

ويقول من هذه السورة كذلك (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) .

ويقول منها أيضاً (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم) .

ويقول سبحانه من سورة براءة (أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون) .
ويقول منها كذلك (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فنبطهم وقيل أقعدوا مع القاعدين) .

ويقول منها أيضاً (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون . وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم والذين أنخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد أنهم لكاذبون . لا تقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) .

ويقول سبحانه من سورة يونس عليه السلام (إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذن ذاك الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون . إليه مرجعكم جميعاً وعد الله حتماً إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا و عملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) .

ويقول منها كذلك (قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله ، قل أفلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون . قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون) .

ويقول جل شأنه من سورة هود عليه السلام حكاية عما خاطب به نوح قومه
(ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم
وإليه ترجعون) .

ويقول تعالى من سورة يوسف عليه السلام (وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من
تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم
واسحق إن ربك عليم حكيم) .

ويقول من نفس السورة (كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك
إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم) .

ويقول عز اسمه من سورة الرعد (الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تفيض الأرحام
وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ، سواء منكم من أسر
القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وصارب بالنهار له معقبات من بين يديه ومن
خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله
بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال) .

ويقول من نفس السورة (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية
وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بأذن الله لكل أجل كتاب يحو الله ما يشاء ويثبت
وعنده أم الكتاب) .

ويقول من سورة إبراهيم عليه السلام (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في
الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) .

ويقول سبحانه من سورة النحل (إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم
منكرة وهم مستكبرون لاجرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون أنه لا يحب المستكبرين) .

ويقول من نفس السورة (إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله وأولئك هم الكاذبون . من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون) .

ويقول جل شأنه من سورة بنى إسرائيل (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) .

ويقول من نفس السورة (ومن يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكيا وصمما مأويهم جهنم كلما خبت زدناهم سميرا) .

ويقول سبحانه من سورة مريم عليها السلام (واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا وكان رسولا نبيا . وناديناه من جانب الطور الأيمن وقر بناه نجيا ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا) .

ويقول جل وعلا من سورة طه (وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا ألهى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى فلما أتاها نودى ياموسى إني أنا ربك فاخلع نعليك إناك بالواد المقدس طوى . وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى) .

ويقول من نفس السورة (وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عيني إذ تمشى أخذك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجمناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا فلبثت سنين في أهل مدين ثم جئت على قدر ياموسى واصطنعناك لنفسى - إلى قوله لا تخافا إني معكما أسمع وأرى) .

ويقول سبحانه من سورة الشعراء (وإذ نادى ربك موسى أن أثت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون) .

ويقول من نفس السورة فى آخرها (وتوكل على العزيز الرحيم الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين إنه هو السميع العليم) .

ويقول من سورة النمل فى شأن قوم صالح عليه السلام (ومكروا مكرا ومكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين) ،
ويقول من سورة القصص (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمنن لهم فى الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) .

ويقول من نفس السورة (وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك)
ويقول كذلك (ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين) .
ويقول من سورة العنكبوت (ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) .
ويقول من آخر هذه السورة (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وأن الله لمع الحسنيين) .

ويقول من سورة محمد عليه السلام (والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم) .
ويقول من سورة الفتح (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) .
ويقول من سورة الحجرات (ولكن الله يحب إلىكم الأيمان وزينه فى قلوبكم وكره إلىكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة) .
ويقول من سورة المجادلة (قد سمع الله قول التى تجادلن فى زوجها وتشتهى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير) .

وإلى العدد القادم إن شاء الله لأذكر الأحاديث المتعلقة بهذا الباب والله ولى التوفيق .

نظرات في التصوف

الغزالي وابن تيمية ورشيد رضا

الشيخ رشيد رضا والغزالي : نقلت لك من الإحياء وغيره من كتب الغزالي دينه في الحب والتوحيد ، وغيرهما ، وقد تبين لنا مما سطره الغزالي في الإحياء عن التوحيد والحب أن ما قاله لا ينسب إلى هدى نبوة ، ولا يصادق روح القرآن ، وتبين لنا كذلك أن ابن تيمية لم يتجن على الغزالي حين حكم عليه بأن كلامه شر من كلام مشركي العرب ، وملاحظة الفلاسفة ، وزنادقة الصوفية ، وقد جئت بك بالنصوص التي تشهد بصدق ابن تيمية وعدالته في الحكم ، وقد خصصت الإحياء بكثير ؛ لأنه الكتاب الذي يقدره عشاق الغزالي ، ولتجلى لهؤلاء أن الغزالي حتى في أعظم كتبه لم يكتب عن الإسلام ، وإنما كتب عن أمشاج متباينة من ديانات عتيقة وضعية .

غير أن العالم السلفي الكبير الشيخ « رشيد رضا » رحمه الله لم يرضه هذا الحكم الصادق من ابن تيمية على الغزالي ، فراح يحاول الدفاع عنه ، ويتهم شيخ الإسلام ابن تيمية بالتعامل على الغزالي ، ويحاول التشكيك فيما نقله عنه ابن تيمية^(١) . وقد تبين لي

(١) انظر ص ٨٧ وما بعدها من تعليقات الشيخ رشيد على الرسالة الخامسة من مجموعة الرسائل والمسائل فستجده رحمه الله يجعل هذا العنوان لصفحة من الصفحات (تعامل الشيخ على الغزالي وعدم تثبته فيما نقله عنه هنا) ص ٩١ ، ثم يذكر في تفسير المنار اعتذار الغزالي عن الحلاج في قوله : (أنا الحق) ويذكر ما قاله ابن القيم في مدارج السالكين عن الغناء الصوفي . ثم يعقب بقوله : (ومنه تعلم ما في كلام الغزالي في الانوار الإلهية مبنياً على أساس التوحيد والقواعد الشرعية) ص ٥٧٣ تفسير الجزء السابع ط ٢ مع أنه في هذا الجزء نفسه كتب عنواناً لصفحة من صفحاته هو (وثنية قريش بالوسطاء والشفعاء) وسنرى الغزالي في كتبه من هؤلاء .

أن السبب في هذا هو أن الشيخ رشيد — عفا الله عنى وعنه — ظن أن ابن تيمية ينقل ما ينقل عن كتاب « الإحياء » وحده ، وثبت لم يجد في الإحياء بعض ما نقله شيخ الإسلام ، فظن أن ابن تيمية قد تحمل على الغزالي ، ورماه بغير ما قاله ، على حين يصرح ابن تيمية أنه ينقل عن الإحياء وغيره .

وأمر آخر جعل الشيخ « رشيد رضا » يظن بأبن تيمية هذا الظن ، هو عدم استيعابه لما سجل الغزالي في الإحياء ، وإلا فكيف يسكت الشيخ رشيد عما زعمه الغزالي من أن السالك الصوفي يسمع كلام الله ، كما سمعه موسى ؟ كيف مر بهذه الكبيرة — وكما من كبيرة في الإحياء — دون أن ينقمها منه ؟ ذكرت هذا ، ليقبلى مدى سطوة الغزالي ونفوذه ، وسلطان كتابه « الإحياء » على الناس . فهذا هو الشيخ الجليل رشيد الذى كان رحمه الله من أصدق تلاميذ الإمام « ابن تيمية » ، ومن الزائدين فى قوة وحق عن مكانته ، ومن المناضلين فى سبيل إحياء السنة وإماتة البدعة . هذا هو يسحره وشى البيان من كتاب الإحياء ، فيتجامل هو على ابن تيمية من أجل الغزالي ، وهو الخبير بأبن تيمية فى صدقه وأمانته العلمية العالية الفائقة التى شهد له بها عدوه قبل صديقه ومن يراجع كل ما نقله ابن تيمية عن الفلاسفة والصوفية والكلاميين وأرباب النحل المختلفة والفقهاء فسوف تعثر به الدهشة البالغة ، ويستحوذ عليه الإعجاب الرائع بأبن تيمية . إنه سيجد كل ما نقله مسطورا بكلماته وحروفه فيما أخرجت المطبعة من كتب لمن ينقل عنهم دون زيادة أو نقص أو تحريف كلمة . ويمجد الفهم الدقيق للمستوعب لكل ما نقله . ويمجد العدل والانصاف الشاملين فيما يفسر به هذه النصوص ، ويمتقب به عليها ويمجد نصاعة الحجج ، وقوة الأدلة وإذا ضم القارئ إلى هذا عرفانه بأن هذه الكتب الضخمة التى كان ينقل عنها كانت مخطوطة لا مطبوعة — إذ لم تكن المطبعة قد اخترعت بعد — رآه هذا الجهد الضخم الشاق المعنى الذى كان يبذله الإمام ، ورآه أن تستوعب حافظاته مئات من النصوص بألفاظها — وكان جل ما ينقله عن حافظته — ورآه أن يكون

ابن تيمية على هذه الثقافة الشاملة والخبرة الدقيقة بكل أنواع المعارف في عصره ، مع إيمان وثيق متين وتدبر دائم سوى المنهج لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . بل اشتهر عنه حتى بين خصومه أنه كان أعظم خبرة بالمذاهب الفقهية من أصحاب هذه المذاهب أنفسهم هذا إلى بطولة فذة تسمى في حب وإيمان إلى حلبة التضحية والفداء . موقفه من التتار . نضاله في سبيل كسر شوكتهم ، حفضه المسلمين وأولى الامر على منا هضتهم ، موقفه في حرب النصيرية ، وزجه بنفسه في أتون المعركة . صراعه الدامي المرير لخصوم الاسلام في عصره . حربه المشتعلة الأوار دائما ضد البدع والخرافات التي كان يبنها المنتسبون إلى الدين من كبار الشيوخ في زمنه ، تألب كل الفرق عليه ، وتكالبهم على هدمه من الفقهاء والصوفية والكلاميين والفلاسفة والمفسرين وبعض رجال الحكم وصبره وثباته وشجاعته وجهره بالحق ضدّهم واحتماله الكريمة لعذاب السجون في سبيل دينه . كل هذا وغيره يجعلنا نؤمن بأن هذا الرجل كان أمة في إيمانه وعلمه وجهاده . ويدفعنا إلى التساؤل عما قدمه الغزالي لدين الله وأمة مما يشبه من بعيد أو قريب جزءا قليلا مما قدمه ابن تيمية ؟

لا شيء سوى دعوته المسلمين إلى الفرار من الحياة وإحاطته نفسه بأساطير تجعل منه قديس الخلود . وخرب الصليبيون بيت المقدس في زمنه ، فما حركه منه هذا حتى سن قلم ، أو استمال منه حنو عاطفه بل ظل عاكفا على صوفيته في صومعته يكتب ضخام المجلدات عن قداسة الصوفية وسموها ويقترف الجدل المحموم ؛ ليثبت أن من السالكين من يشهد الحقيقة الالهية ، ويسمع منها الخطاب !! أو يكشف بالغيوب ، وأسرار القدر والربوبية ، ويسمع تسبيح كل ذرة في الأرض وفي السماء ، ويسمع أصوات الرسل والملائكة . فلتتخذ لنا من موقف الشيخ الجليل « رشيد رضا » عبرة هادية شافية ، فهو — على فضله وسعة علمه ، وشمول ثقافته — قد خدعه زيف التاريخ الذي خلع على الغزالي تاج الملك في دولة العلماء ، فظن أنه حجة إسلام !!

الغزالي وعبادة الموتى : عاش الشيخ رشيد رضا يكافح في صدق عن إخلاص التوحيد

لله ، ويدعو إليه في جد وعزم وقوة ، ويحارب في صبر وشجاعة كل باغ عليه ، ويأطال له حمل حملات صادقة على عابدى الموتى والقبور . ودمغهم بالشرك في صراحة محمودة وحبّة قاهرة من الكتاب والسنة . ولهذا نذكر رأى الغزالي فيما حكم عليه الشيخ رشيد رحمه الله بأنه شرك .

قال الغزالي : «أما التقرب لمشاهد الأنبياء والأئمة عليهم الصلاة والسلام ؛ فإن المقصود منه الزيارة والاستعداد عن سؤال المغفرة وقضاء الحوائج من أرواح الأنبياء والأئمة عليهم السلام والعبادة عن هذا الإمداد والشفاعة ، وهذا يحصل من جهتين الاستعداد من هذا الجانب والإمداد من الجانب الآخر ولزيارة المشاهد أثر عظيم في هذين الركنين . أما الاستعداد فهو بانصراف همه صاحب الحاجة باستيلاء ذكر الشفيع والمزور على الخاطر حتى تصير كلية همته مستغرقة في ذلك ، ويقبل بكلية على ذكره وخطوره بباله وهذه الحالة سبب منه لروح ذلك الشفيع أو المزور حتى تمتد تلك الروح الطيبة بما يستمد منها » ثم يتكلم عن أثر مشاهدة تربة الميت فيقول : «تؤثر مشاهدة ذلك الميت ومشاهدة تربته التي هي حجاب قلبه . . . ومن استعان في الغيبة بذلك الميت لم تسكن هذه الاستعانة جزافا ، ولا تخلو من أثر ما » ثم يقول عن التوسل بحسد الرسول صلى الله عليه وسلم : « فالتقرب بقلبه الذي هو أخص الخواص به وسيلة تامة مقاضية للشفاعة والتقرب بولده الذي هو بضعة منه ولو بعض توأله وتفاضل والتقرب بمشهوده ومسجده وبلدته وعصاه وسوطه ونعله وعضاداته والتقرب إليه بعبادته وسيرته والتقرب بكل ماله منها مناسبة تقرب موجب للتقرب إليه مقتضى لشفاعته . . . والركن الأعظم في هذا الباب الإمداد والاهتمام من جهة المدد ، وإن لم يشعر صاحب الوسيلة بذلك المدد ؛ فإنه لو وضع شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عضادته أو سوطه على قبر عاصي أو مذنّب نجما ذلك المذنّب ببركات تلك الذخيرة من المذاب ، وإن كان في دار إنسان أو بلدة لا يصيب تلك الدار وأهلها وتلك البلدة وسكانها ببركاتهم بلاء » (١)

رموز وسرية : ويلج بعض التلاميذ على الغزالي في بيان ما هو أعمق من ذلك من أسرار الدين ولكن الغزالي يجنب قليلا مخافة سيف الشرع ، فيقول : « وسأهدى إليك من بعد أن وفقني الله تعالى علما مضنونا آخر اسمه : « المضنون به على أهله » أحق وأولى من هذا المصنف ؛ فإن في هذا مسائل قررناها في عدة مواضع ومسائل لم أقررها إلا في ذلك المصنف . أما المضنون الموجود فقد كان عزيزي على تقرير أشياء فيه لم أقررها في شيء من كتبي اللهم إلا في إحياء العلوم ؛ فإن فيه تلويحات وإشارات إلى رموز لا يعرفها إلا أهلها » رأيتم ؟ أويقول : « ليس كل سر يفشى ، ولا كل حقيقة تعرض ، وتجلي . واقد قال بعض العارفين إفشاء سر الربوبية كفر »^(١) .

ويقول عن معارفه الصوفية : « وأمثال هذه المعارف التي إليها الإشارة لا يجوز أن يشترك الناس فيها ولا يجوز أن يظمها من انكشف له شيء من ذلك لمن لم ينكشف له . بل لو أشترك الناس فيها لخربت الدنيا »^(٢) ... رأيتم إلى الباطني الماكر ؟

وأقرأ بعد هذا الخرف قول الله لنبيه (ليس لك من الأمر شيء) وقوله سبحانه : (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ، ويوم القيامة يكفرون بشرككم ، ولا ينبئك مثل خبير : ٣٥ : ١٣ ، ١٤) .

(١) أقرأ تلك النصوص في كتاب المضنون به على غير أهله طبع المطبعة الإعلامية بالقاهرة سنة ١٣٠٣ من ض ٤١ إلى ص ٤٥ و ص ١١١ مشكاة الأنوار وفي ص ٣٥ هامش الجزء الأول من الإحياء يقول العبدروس « ومن مشهورات مصنفاتك ... المضنون به على غير أهله ومشكاة الأنوار ، .

(٢) ص ٢٨٩ ج ٤ إحياء .

وقوله لنبيه : (٣٥ : ٢٢) وما يستوى الأحياء ولا الأموات . إن الله يسمع من يشاء
وما أنت بمسمع من في القبور ^(١) (٤٠ : ٢٠) والله يقضى بالحق ، والذين يدعون من دونه
لا يقضون بشيء . إن الله هو السميع البصير (٧ : ٩٤) إن الذين تدعون من دون الله عباد
أمثالكم فادعوم ، فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين (٢٠ : ١٩٦) والذين تدعون من
دونه لا يستطيعون نصركم ، ولا أنفسهم ينصرون (١٣ : ١٤) له دعوة الحق ، والذين
يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ؛ ليبلغ فاه ، وما هو
ببالغه ، وما دعاء الكافرين إلا في ضلال .

يقول عبدة الموتى : إن الله لم يحرم إلا عبادة الأصنام ، أو دعاءها . أما نحن فندعو أولياء
ولا نعبدكم .

يظن هؤلاء أن عبادة الصنم أو دعاءه شرك ، أما عبادة أو دعاء ما ليس صنما من ملك
أو نبي أو ولي فإنه ليس شركا . من أين جاءوا بهذا إلا فك الخلق ؟ تدبروا تلك الآيات
الحكمة ، تجدوا تحريم عبادة غير الله أو دعائه أيا كان ذلك الغير . فكلمة « الذين » في
شمولها وعمومها تفيد هذا اليقين .

ترى أنهم في قوله سبحانه : (إن تدعوم لا يسمعون دعاءكم) أو قوله جل شأنه : (والذين
يدعون من دونه لا يقضون لهم شيء) أنهم أن هذا ، يتعلق بدعاء الأصنام !؟ إنها مكابرة
لضرورة العقل والفطرة واللغة والدين . ثم ما قولكم في قوله تعالى : (١٧ : ٥٦ ، ٥٧ : قل : ادعوا
الذين زعمتم من دونه ، فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون
إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ، ويرجون رحمته ؛ ويخافون عذابه . إن عذاب ربك
كان محذورا) .

(١) يقول الداعون إلى عبادة الموتى : المقصود بمن في القبور الكفار تشبيها لهم
بالموتى ؟ وأقول : وهذا أبلغ في الدلالة على الحقيقة إن اعتبروها مجازا . فلو لا ثبوت أن
الموتى لا يسمعون ما شبه الله الكفار بهم .

فهل توصف الأصنام بأنها ترجو الرحمة وتخاف العذاب ، وتبتغى الوسيلة ^(١) ؟ إن معنى كلام الله : إن الذين تدعونهم لا يملك أحدهم أن يكشف الضر عن أحد ، أو يحوله ، وإنهم عباد الله يتقربون إليه بالطاعة رجاء رحمته وخوف عذابه ، فكيف يرجو مسلم من لا يملك تحقيق رجاء ، أو يخاف من ينزل به الخوف ، فلا يستطيع رده عن نفسه .

(١) كل عابد لصنم يعرف جيدا المادة التي صنع منها الصنم . يعرف أنه من حجر أو شجر أو غير ذلك مما صور الناس منه أصنامهم ، بيد أن الشيطان — وقد أجن العابد الوثني عقله وراء حجب التقاليد — سخر به ، إذ جعله يتخيل أن دعاء الصنم هو دعاء لمن أقيم باسمه الصنم ، وأن تقديسه هو تقديس لمن شيد من أجله ، وأن روح الولى الميت ترف عليه وتبارك من يطوف حوله . فما عبد أحد الصنم لذاته ، وإنما عبد باعتباره ظنه وتخيلاته التي ظنها أو تخيلها فيه ، فهو عابد ظن وعابد تخيل أو عابد هوى . إن عابد اللات كان يعرف معرفة تامة أن صنم اللات حجر أصم ، غير أنه ظن أن هذا الحجر قد باركته روح الولى الصالح الذى يمثله الصنم ، وأن روح هذا الولى تشعر بمن يطوف حوله وتسمعه وتراه . وهذا الذى يقبل الأضرحة ويستنشق ترابها . إنه يعرف معرفة تامة تلك المادة التي صنعت منها هذه الأشياء التي يقبلها ، ولكنه يعتقد أن روحانية صاحب الضريح قد غمرت هذه الأشياء وتلبست بها . وهؤلاء الذين يطوفون حول « الصارى » — وهو عمود طويل من الخشب مثبت فى قاعدة من الأسمنت — فى مولد السيد . إنهم يعرفون أنه خشب وأسمنت : غير أنهم يعتقدون أن القطب الغوث يطوف حوله فى اللية الخائمة للمولد ، فيقتاتل الناس على الطواف حول « الصارى » وتقبيله . وفى غير أيام المولد ، قد يبولون على الصارى : قالونح التي كانت تلبسه . قد ذهبت ، لعمود مرة ثانية فى المولد القادم وهذا سماهم الله نجيفا عباد أصنام وأوثان وظن وهوى ، لأنهم لا يدعون — إذ يدعون — إلا للهوى نجس . فى ذلك الصنم .

ثم تدبر قوله سبحانه : (إن الذين تدهون من دون الله بآمالكم) فهل يظل عبدة القبور عاكفين على وثيقتهم التي تزعم أن الله لم يحرم إلا دعاء الأصنام ، فحسب ؛ أما دعاء الموتى من الناس ، فلم يحرمه الله .

ثم من قال إن الدعاء غير العبادة ورسولنا صلى الله عليه وسلم يقول « الدعاء مخ العبادة » ؟ وما قال رسول الله ذلك من عنده ، وإنما قاله مطابقاً لهدى القرآن ، فكم من آيات تجدها فيها التسوية المطلقة بين مفهوم الدعاء ومفهوم العبادة ، ووضع أحدهما مكان الآخر والحكم بالشرك على من يدعو غير الله ، اقرأ قوله سبحانه : (٤٦ : ٤) — قل أرايتم ماتدعون من دون الله . أروني ماذا خلقوا من الأرض ، أم لهم شرك في السموات ؟ انثوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من عليم . إن كنتم صادقين . ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة . وهم عن دعائهم غافلون . وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء . وكانوا بعبادتهم كافرين) حكم بالشرك على من يدعو غير الله . وتسوية مطلقة بين مفهوم الدعاء ومفهوم العبادة . فقد جاء في الآية الأولى « تدعون » وفي الثانية « يدعو ، ودعاء » . وفي الآية الثالثة — وهي تبين مآل الداعين وموقف من دعواهم منهم يوم القيامة جاء قوله سبحانه (وكانوا بعبادتهم كافرين) وما تقدم في الآيات إلا ذكر « الدعاء » مما يدل على أن الدعاء هو العبادة ، وقرأ قوله سبحانه في قصة إبراهيم مع أبيه (١٩ : ٤٨ ، ٤٩) اعتزلكم ، وماتدعون من دون الله ، وأدعو ربى عسى ألا أكون بدعاء ربى شقياً ، فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحق ويعقوب . وكلا حملنا نبياً) تسوية تامة بين مفهوم الدعاء ومفهوم العبادة ، فمن دعا غير الله ؛ فقد عبد غير الله . سواء ، كان المدعو صنماً أم ملكاً ، أم رسولاً ؛ فالغيرية عامة مطلقة شاملة . ولو أن الشيخ الجليل رشيد رضا — رحمة الله ، وأجزل له الثوبة — استوهب ما كتب الغزالي ، لتبين له أنه أشد خطراً من ابن عربى ، فهذا الطاغوت تحيط به شبهات معتمدة ، وتعلمظ في كتبه غفوصية صريحة الأحقاد ، وفي القلوب منه خوف

وحذر !! أما الغزالي ، فتحيط به هاله قدسية تفتح له آلاف القلوب بتقديسه وتعظيمه باعتباره حجة الإسلام وغنوصيته ينفلقها بأسلوب ساحر ما كر . لو أنه رحمه الله قرأ هنا الذي نقلناه عن الغزالي ، لعلم جيداً أن شيخ الإسلام ابن تيمية لم يتجن على الغزالي ، وإنما نصح المسلمين وأخلص الصبح الكريم !!

فرحمه الله بواسع رحمته ما
عبد الرحمن الوكيل
« للنظرات بقايا إن شاء الله »

السبع المهلكات

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا : يا رسول الله ، وما هن ؟ قال الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » رواه البخارى ومسلم ،

قوله : « والتولى يوم الزحف » أى الادبار عن الكفار وقت التحام القتال ، وإنما يكون كبيرة إذا فر إلى غير فئة أو غير متحرف لقتال . كما جاء فى سورة الأنفال (٨ : ١٥ و ١٦) يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفوا زحفا فلا تولوهم الأدبار ؛ ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله) .

إبراهيم . . . معلم الخير

بقلم أستاذنا الجليل الشيخ محمد حامد الفقى (رحمه الله)

قال سبحانه جل ذكره (إن إبراهيم كان أمة ، قانتاً لله حنيفاً . ولم يك من المشركين . شاكراً لأنعمه . اجتباؤه وهداه إلى صراط مستقيم . وآتيناه في الدنيا حسنة ، وإياه في الآخرة لمن الصالحين . ثم أوحينا إليك : أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً . وما كان من المشركين) .

سمى الله خليله إبراهيم « أمة » لأنه كان قائماً في عبادة الله مقام جماعة المسلمين . و « المشرك » من أشرك مع الله رب العالمين أحداً ، أو شيئاً ، في إخلاص حبه وتقديسه وتعظيمه ، خوفاً ورجاء ، ورغباً ورهباً ، فدعا غيره — وسماه توسلاً — وحلف بغيره ، وسماه حبا وتعظيماً ، أو نذر لغيره ، أو ركن بقلبه إلى غيره من الموتى ، أيّاً كانوا — وسمى ذلك تبركاً — معتمداً عليه ؛ ومتوكلاً في قضاء حاجاته ؛ وتفرّجاً بكرامته .

و « الشكر » حسن الانتفاع بالنعمة والاستفادة منها ، حتى تظهر آثارها متحدثة عن فضل المنعم وإحسانه ، بأن له الأسماء الحسنى . ولن يكون ذلك ولا يتحقق إلا بمعرفة النعم على وجهها وصفاتها ومزاياها وخصائصها ووقتها ؛ وكيفية الانتفاع بها ، ووضعها موضعها ، الذى أحبه المنعم به بها وارتضاه لعبده . وذلك لا يكون إلا بالعلم الصحيح بأسماء الله وصفاته ، والتفكير فى آيات الله وسننه الكونية ، والفقه والتدبر لآياته القرآنية ، واليقظة التامة فى تحمى الاقتداء بأئمة الشاكرين : إبراهيم والمصطفين بالرسالة من ذريته ، وبالأخص خاتمهم محمد صلى الله وسلم عليه وعليهم أجمعين .

و « الأنعم » جمع « نعمة » أى شاكراً لكل نعم الله عليه .

و « اجتنباه » اصطفاؤه واختاره . وخصه بأنواع من الإحسان والإنعام والمنوبة المعطى جزاء شكره : وذلك فضل الله الذى يجزى به الشاكرين ؛ المنوء عنه فى قوله تعالى (١٤ : ٧) لأن شكرتم لأزيدنكم) وقوله (١٠ : ٢٦) لاذين أحسنوا الحسنى وزيادة) وقوله (٥٣ : ٣١) ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى) وقوله عن يوسف الصديق عليه السلام - وقد أحسن فى نعم ربه عليه فيما امتحنه ورباه به فى بيت عزيز مصر ، الذى كان مجمع البنى والفساد والكفر والفسوق والعصيان ؛ فتأثر به يوسف تأثراً حاكسياً ؛ إذ أراد الله أن يصلح به مصر وينقذها من هلاك القحط والجوع . فاستفاد من الغنى الرشد ، ومن السفة الحكمة ، ومن الفسوق والانحلال والتعبد للشهوات الشيطانية : الاستقامة للقامة والعفاف الوثيق ، وازداد هدى على هداه ، فقال الله (١٢ : ٢٢) ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين) .

وكذلك الشأن فى موسى عليه السلام - وقد أراد الله العليم الحكيم أن يريه فى بيت فرعون ؛ وفى ظل تبنيه وكفالته ، ليعينه إليه رسولا قوياً يهرب فرعون ولا يرهبه . ويخوفه وينذره عاقبة وثنيته وكفره وبغيه ، واستعباده المصريين ، وتحميلهم من مشاق الأعمال ما يموتون تحت أثقاله لاشباع أهوائه وشهواته الطاغية .

ولانقاذ بنى إسرائيل مما كان يسومهم فرعون من سوء العذاب .

لذلك رباه الله فى هذه البيئة الباغية الكافرة ؛ فاستفاد منها - بإحسانه فى الاستفادة من نعم ربه عليه وشكرها بذلك - حكمة ورشداً ، وقوة عزيزة فى الحق ، وشدة بأس فى دفع الظلم وانصاف المظلوم . فقال الله ربنا (٢٨ : ١٤) ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً . وكذلك نجزي المحسنين) ،

يعنى ربنا سبحانه : أن ذلك جزاؤه الحق ، ووعدته الحق الذى لا يخلفه لسكل من أحسن الانتفاع والاستفادة بنعم ربه ، وقدرها حق قدرها ، وشكرها بحسن استعمالها على الوجه الذى أحبه ربه وارتضاه ، وجعلها به واه نعمة .

وكان إبراهيم عليه أفضل الصلاة والسلام كذلك — وقد نشأ وتربى في البيئة الوثنية الكافرة الباغية التي يرؤسها ويمثلها أبوه آزر — قد استفاد من وثنيتهما الصارخة ، ومن كفرها المريع : هدى فطرياً إلى تجريد توحيد الله ربه ، ومن ظلمها الغاشم ، وقسوتها الأثيمة : شفقة بالضعفاء الذين كان أبوه آزر وإخوانه — من المستكبرين الطغاة — يستعبدونهم بدجلهم ؛ وطاغوتيتهم الجاهلية . وكان قد تعلم الحكمة والعدل من سفيه آزر أبيه وبغيه — إذ كان آزر غارقاً في بحر من أهوائه وشهواته — كلاً عليهم .

وكان ذلك سبباً في فرار إبراهيم عليه السلام من وسطهم ، وذهابه يبعد النجعة في رعى الغنم ، ليعيش على الحلال الطيب ، ويرى في رعايته للغنم من آيات الله في الغنم ، وفي معيشتها ، وفيما تنتاب — من مساقط المطر ، ومنابت العشب والكلأ — مازاد هدى فطرته جلاء وصفاء .

وما زال إبراهيم يسمو ويترقى على معارج شكره لأنعم ربه ، وإحسانه الأخذ لها ، وتقديرها قدرها ، وتحريره الإحسان في وضعها مواضعها ، حتى اصطفاه ربه واجتباها . فأرسله يدعو أباه والناس إلى هذا الإحسان والشكر — بوضع كل شيء موضعه ، وإعطاء كل ذي حق حقه — الذي لا يكون إلا بعد معرفة الله بأسمائه وصفاته وسننه وآياته في الأنفس وفي الافاق ، والمعرفة التي تشرق على القلوب بها أنوار الحكمة والرشد . فتعرف أن الله ربها هو الحى القيوم ، وهو الذى يجدر بها أن تعبد ، وأن تخلص له العبادة . فإنها بجميع أنواعها — حق خالص لله بمقتضى أسمائه وصفاته . وكل مخلوق — بمقتضى صفاته — لحق عليه أن يجرد هذه العبادة لربه ، وبإخلاص العبادة تعرف المخلوق من الانسان وغيره في الأرض والسموات . فتأخذ منه ما جعله الله لك ، وسخره فيها وسخرها به ، وتمطيه حقه اللائق به وبمخلوقيته ، من شمس وقمر ، وكواكب ، وإنسان وحيوان وغيرها .

وهكذا كان إبراهيم ، وكان إخوانه المرسلون السابقون ، وأبناؤه اللاحقون للمصطفون ، رسل الله ، وبالأخص خاتمهم وإمامهم محمد صلى الله عليه وسلم .

كانوا كذلك في شأنهم وتربيتهم ، وشكرهم لكل ما أنعم عليهم ربهم به من هدى الفطرة ، وما ابتلاهم به ، وامتحنهم من بيئاتهم الوثنية الكافرة ، الفارقة في ظلمات الجاهلية وما كانت جاهليتهم هذه تقدر أن تحجب بظلماتها نور فطرتهم وهداها ، وما كانت وثنياتهم وخبائثها ، تستطيع أن تنال من صفاء قلوبهم ، ولأن تمس طهر نفوسهم ، بما أحاطهم الله به من قوة حصون الفطرة السليمة ، وشديد يقظتها وحياتها السامية الكريمة ، حتى دفعهم أن يهربوا من هذه الأوساط إلى مخالطة الغنم ورعايتها - وفي صحيح الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم « مامن نبي إلا رعى الغنم » -

كان إبراهيم ، وإخوانه من الأنبياء السابقين ، وأبناءؤه من الأنبياء المصطفين - عليهم الصلاة والسلام - شاكرين لأنعم ربهم ؛ من أول يوم وساعة عقلوا فيها ، وعرفوا قلوبهم وأعينهم وآذانهم وإنسانيتهم الكريمة ، التي تفضل الله عليهم بها . ونفخها فيهم من روحه ، وعرفوا بذلك أسباب العلم الصحيح ، وسبيل المعرفة الحقة لكل ماتع عليه حواسهم ، وتمقله قلوبهم ، لا يقلدون أباً ولا شيخاً ، ولا يصفون لمن انسلخوا من آيات ربهم وباعوها رخيصة في سوق التقليد الجاهلي الأعمى للطفاة المستكبرين ، وللآباء والأجداد المستضعفين .

لما كان إبراهيم - عليه وعلى نبينا وجميع المرسلين أفضل الصلاة والسلام - شاكرًا لأنعم رب به كذلك : اجتباه ربه واصطفاه ، وشكره على شكره . والله غفور شكور .

« وهداه إلى صراط مستقيم » زاده هدى على هدى (٤٩ : ١٧) والذين اعتدوا زاده هدى ، وآتاهم تقواهم) فلما احتفظ بهدى الفطرة - في سمه وبصره وعقله وتفكيره ، وكل أسباب علمه ومعرفته - نفمه الله بذلك . فزاد في هدى فطرته قوة وجلالة ، وقدرة على استكناه الحقائق في هذا الخلق ، ومعرفتها على أوضاعها السليمة التي خلقها الله عليها ولها ؛ وزاده الله انتفاعاً بها ، وهكذا كان في كل نعمة يشكرها كذلك فيزداد بها نعمة

وهدى ، ويزداد بها حياة روح ويقظة ، وقوة فيما آتاه الله من أسباب التقوى ، وحرصاً على أن يتقى ما يخاف في النعمة من سوء إذا هو أساء استعمالها بفصلته ونسيانه ، وجهله لما فيها من حق ثابت في ذاتها وصفاتها وأوضاعها . فيفر إلى الله ، ويفزع إليه من شر نفسه البشرية ، وظلمها وجهلها ، ويستمد منه العون والتوفيق لتفذية وتقوية الروح الانسانية العاقلة المفكرة الكريمة التي خصه الله ، وميزه بها عن سائر المخلوقات وجعله بها خليفة في الأرض .

وما زال هذا شأنه — كما كان هو شأن المرسلين جميعاً — حتى اجتبه رب العالمين واصطفاه ، وهداه هدى الرسالة ، وأوحى إليه العلم الأصح الأحكم الأرشد . فاهتدى في كل شأنه ، وفي كل سبيل من سبل هيشه وحياته الأولى إلى « صراط مستقيم » فكان — في طعامه وشرابه ، وزوجته ، وبره لأبيه ، ومعاشرته للناس — على طريق قويم نير ، لا ظلام ولا عوج فيه بمكر سىء ولا ضغن ولا حقد ولا حسد ، ولا التواء فيه بمخاتلة ومداهنة ونفاق . فكان ينتهى في كل خطواته إلى فلاح دائم ونجاح مستمر .

ألم تر إلى ما صور لنا ربنا سبحانه من موقفه الأكرم مع أبيه آزر ، إذ يقول (١٩: ٤٣-٤٩) يا أبت ، لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ، ولا يغنى عنك شيئاً ؟ يا أبت إنى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك ، فاتبعنى أهدك صراطاً سوياً . يا أبت ، لا تعبد الشيطان . إن الشيطان كان للرحمن عصياً . يا أبت إنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن ، فتكون للشيطان ولياً . قال : أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم ؟ إئن لم تنته لأرجنك . واهجرنى ملياً . قال سلام عليك . سأستغفر لك ربى . إنه كان بى حفيماً . وأعتزلكم وما تدعون من دون الله ، عسى أن لا أكون بدعاء ربى شقياً .

وما خسر مرة واحدة ، ولا خاب فى أى خطوة خطاها ، حتى كانت أوسع خطوة وأشقها على كل نفس بشرية ، إلا على إبراهيم وإخوانه وأبنائه من المرسلين أولى العزم والقوة القوية فى أخذ ما آتاهم ربهم .

تلك الخطوة الخطيرة : التي قصر ربنا شأنها في كثير من سور القرآن الكريم. اختار منها ما جاء في سورة الأنبياء . إذ قال ربنا (٢١ : ٥١ - ٧٣) ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل ، وكتابه عالمين . إذ قال لأبيه وقومه : ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ؟ قالوا : وجدنا آباءنا لها عابدين . قال : لقد كنتم وآباؤكم في ضلال مبين . قالوا : أجبنا بالحق أم أنت من اللاعبين ؟ قال : بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن ، وأنا على ذلكم من الشاهدين . وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين . فجعلهم جذاذاً — إلا كبيراً لهم — لعلمهم إليه يرجعون . قالوا : من فعل هذا بآلهتنا ؟ إنه لمن الظالمين . قالوا : سمعنا فتى يذكرهم يقال له : إبراهيم : قالوا : فائتوا به على أعين الناس لعلمهم يشهدون . قالوا : أنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم ؟ قال : بل فعله كبيرهم هذا ، فاسألوهم ، إن كانوا ينطقون فرجوا إلى أنفسهم فقالوا : إنكم أنتم الظالمون . ثم نكسوا على رؤوسهم ، لقد علمت ما هؤلاء ينطقون . قال : أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم ؟ أف لكم ولما تعبدون من دون الله . أفلا تمقلون ؟ قالوا : حرقوه . وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين . قلنا : يا نار ، كوني برداً وسلاماً على إبراهيم . وأرادوا به كيداً . فجعلناهم الأخسرين . ونجيناهم ولو طأ إلى الأرض التي باركنا فيها العالمين . ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة ، وكلا جعلنا صالحين . وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا . وأوحينا إليهم فعل الخيرات ، وأقام الصلاة ، وإتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين) .

من يقرأ هذه الآيات بتدبير ، ويتلوها وأخواتها حق تلاوتها — مستضيئاً بهدى الله في فطرته وفي سنن الله من حوله — يفهم جيداً كيف كان هدى إبراهيم إلى صراط الله المستقيم . وكيف كان ينتهى به في كل عمل . وفي كل شأن ، وفي كل خطوة إلى الفلاح والنجاح ، والفوز بالعزة والكرامة ، والنصر على الأعداء .

فإن يسر الله هذا ، ورفقك إلى فهم هذا . فاحرص — حتى تسأل الله ربك الهداية

إلى الصراط المستقيم في صلاتك — أن تكون لك القدوة الحسنة بإبراهيم وبأصدق بنيه وأشكرهم خاتم المرسلين محمد ، عليه وعلى جميع المرسلين أفضل الصلاة والسلام .

ومن أوضح وأبين الأدلة على هدى الخليل الكريم إبراهيم إلى الصراط المستقيم: هدى الله له أن يرفع — هو وابنه الذبيح إسماعيل — قواعد البيت المحرم ، وأن يكون هو أول من يقيم لله بيتاً على الأرض مطهراً من كل مظاهر الشرك والوثنية وطقوسهما وتساويرهما وبهزجهما وزورهما (٣ : ٩٦ و ٩٧) إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة ، مباركاً وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم . ومن دخله كان آمناً) .

وأن يكون هو أول من أذن في الناس بحج هذا البيت المبارك ، ليأتوه رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم — ويألها من منافع لو عقلوا وأحسنوا الانتفاع وجاءوا ضيوفاً صادق العقائد والقلوب والأقوال والأعمال — ويذكروا أمم الله الرحمن الرحيم الرزاق ذي القوة المتين ، على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ، وما فرش لهم من الأرض ، وجعلها مهاداً ، ومن كل شيء خلق لهم زوجين اثنين لعلمهم يذكرون .

وهذا بعض ما آتى ربنا خليله إبراهيم من « الحسنة » فإنها صفة لازمة لكل أعماله وأقواله وأحواله الظاهرة والباطنة . وإنها كانت عاقبة ونتيجة حتمية لكل خطوة في أي شأن من شئونه . فالزوجة حسنة ، والأولاد حسنة ، وأكله وشربه حسنة — إذ كان أحب ما إليه في ذلك : الضيفان — فضلاً عن غير ذلك مما كان يصدر فيه كله عن علم صحيح وبصيرة وعقيدة نقية صافية ، وحرص تام على ابتغاء مرضاة ربه ، وتقدير نعمه وشكرها . ولذلك جعل ربنا للمستهجيبين الصادقين لدعوة إبراهيم إلى الضيافة — عند البيت المبارك — من الدعاء في الطواف بين الركنتين — اليماني والحجر الأسود (٢ : ٢٠١) ربنا آتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة . وقنا عذاب النار) ومن وفق لأن تكون عقيدته ، وأعماله وأقواله ، وأحواله الظاهرة والباطنة كلها حسنة ليس فيها ما يسوء ولا يقبح : فإنه في الآخرة لمن الصالحين لجوار الرحمن الرحيم ، في دار الكرامة والنعيم المقيم .

ولذلك كان من أهم ما أوحى ربنا إلى رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم : الأمر المؤكد باتباع ملة ودين خليله إبراهيم .

وقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في آخر سورة الأنعام التي تخصصت لتقويض أوهام الوثنيين المشركين ، وإشادة بناء صرح التوحيد الذي هو ملة إبراهيم (٦ : ١٦١ - ١٦٤) قل : إني هداى ربي إلى صراط مستقيم . ديناً قيميا ملة إبراهيم حنيفاً . وما كان من المشركين . قل : إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لا شريك له . وبذلك أمرت . وأنا أول المسلمين) فإن هذا هو سبيل الله القاصد ، الذى ضمن به ربنا رب العالمين لمن سلكه متحريراً لصُؤاه ومناره ، ومتقبلاً لخطوات أنبيائه ورسله : أن يحياه الحياة الحسنة الآمنة الطيبة ، وأن يجعله فى الآخرة من الصالحين لورثة جنات عرضها السموات والأرض . أعدت للمتقين .

أما الذين تركوا السبيل المقاصد عمياً وبكاً وصماً . وذهبوا يتلمسون فى ظلمات التقاليد الجاهلية دين الآباء والشيوخ ، فإنهم إنما وقعوا فى ذلك لاختلافهم فى الكتاب الذى أنزله الله لهم هدى وفرقاناً ، ثم كان : أن خالفوه . ثم كان : أن أعرضوا عنه واتبعوا أهواء متبعيهم ومقلديهم فخللوا ما لم يحل الله . وحرمو ما لم يحرم الله فكانوا - بذلك العدوان - فى عيش نسكد ، وحياة كلها فزع وهم وحزن . وأذاقهم الله الخزي فى الحياة الدنيا .

والله المقلب للقلوب والأبصار ، هو المسئول - من فضله وبره وإحسانه - : أن يهدينا الصراط المستقيم ، وأن يعيذنا ويبعدنا عن كل الأسباب المقربة ، أو المنفضية إلى طريق المغضوب عليهم والضالين . وأن يجمعنا من المحسنين الصالحين ، الذين أحسنوا الاقتداء بعباد الله وخليله ورسوله إبراهيم ، وعبدته وحبيبه وخاتم رسله محمد . اللهم صل وسلم وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت وباركت على إبراهيم . وعلى آل إبراهيم فى العالمين . إنك حميد مجيد .

جمعها واختصرها : محمد رشدى خليل

سَعْدُ صَارِمٌ مُحَمَّدٌ

غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم

امتداد سلطان الاسلام : بعد أن تم النصر لرسول الله صلوات الله عليه على هوازن وتقيف في حنين والطائف لم تعد في شبه الجزيرة العربية ناحية إلا وكانت تعيش تحت سلطان المسلمين ، ويرفرف في سماءها علم الاسلام خفاقا بالحق والسلام والمحبة والتوحيد . وإذا حدث أن قاومت قبيلة ما - وهذا ما كان يحدث نادرا بعد الطائف - فإن الرسول كان يبعث إليها من يحملها على الطاعة ودفع الخراج ، والبقاء على دينها ، والاذعان لدعوة الاسلام ، والدخول في حظيرته ، ودفع الزكاة .

وبينا الرسول في مكة . ولم يطل به المقام فيها بعد إذ اتصل به من يخبره بأن الروم تنوى غزوه . فقد كانت الروم تخشى من سلطان المسلمين الزاحف في كل اتجاه يوما بعد يوم ، أن يمتد أكثر وأكثر فيتأخم بلادهم ، فيضيع ملكهم وتزول دولتهم .

الاعلان بغزو الروم : وما أن علم الرسول صلوات الله عليه بذلك النبأ حتى قرر غزوها بنفسه . فأمر الناس بالتهيؤ للغزو ، كما أرسل إلى القبائل جميعها يدعوها لهذا الغزو . وطالهم جميعاً بما اعتزمه ، حتى يأخذوا عدتهم وأهبتهم . فقد كان المسير إلى الروم بعيدا وخاصة أنهم كانوا في فصل الصيف . وشدة القيظ وسوء الجو ، ومشقة السفر . وكل ذلك يتطلب التجهز وأخذ الأهبة . وقد أخبر الرسول الناس بذلك مخالفا في ذلك سابق عاداته في غزواته حين كان يخرج دون أن يعرف أحد وجهته الحقيقية .

رتلقى المسلمون دعوة النبي بتأريب تغمرها اليقين والإيمان والتضحية رغم ما سببوا من مشقة السفر والإرهاق البدني وخاصة أنهم كانوا قد عادوا لوزهم من الطائف ، فضلا عن تركهم الأهل والولد والديار والأموال .

مواقف المنافقين وغيرهم من الغزوة : أما المنافقون فقد تهاوسوا بقصد التخلف عن الغزوة ، وتنبهوا لهم المسلمون . وقال بعضهم لبعض : لا تنفروا في الحر : فنزل فيهم قوله تعالى (فرح الخلفون بتقدمهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا : لا تنفروا في الحر ، قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون) التوبة : ٨١ وأثناء انتحيز للغزو سأل الرسول صلى الله عليه وسلم ، الجدي بن قيس فقال « هل لك في في جلاد بنى الأصفر » ؟ قال : يا رسول الله أو تأذن لي ولا تنفني ، فقد عرف قومي أنه ما من رجل أشد إعجابا بالنساء مني ، وإني أخشى إن رأيت نساء بنى الأصفر ^(١) إلا أصبر فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم معرضا عنه « قد أذنت لك » وفيه نزل قوله تعالى : (ومنهم من يقول أئذن لي ولا تنفني ألا في الفتنة سقطوا) التوبة : ٤٩ .

أما أهل اليسار فقد أسرعوا بمد يد الإنفاق احتسابا لوجه الله حين طلب منهم رسول الله الإنفاق منهم . : عثمان بن عفان ^(٢) (رضى) الذى أخرج نفقة عظيمة بلغت ألف دينار وثلاثمائة بدير بعدتها .

وأبى سبعة من الأنصار — وهم البسكاهون — إلى رسول الله ليحملهم معه وكانوا أهل حاجة وفقير ، فقال لهم رسول الله « لا أجِد ما أحملكم عليه » فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون . وهؤلاء نزلت في شأنهم الآية الكريمة (ليس على الضعفاء من سبيل) إلى قوله تعالى (ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد

(١) أى الروم (٢) ويروى أن رسول الله (ص) قال لعثمان بن عفان عندما أخرج تلك النفقة : اللهم أرض عن عثمان فإنه عنه راض ، راجع مختصر سيرة ابن هشام ص ٤٤٣ ج ٢

ما احملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون — التوبة : ٩١ ، ٩٢ .

وجاء قوم من بدو العرب المنافقين إلى رسول الله ينتحلون الأعذار ليأذن لهم في التخلف ، ولم يكن عندهم عذر مقبول ، فلم يعذرهم الله تعالى ، وقد ذكر أنهم من بنى غفار ، وهم الذين سموا « المعذرون » .

وعندما جاء هؤلاء القوم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم دفاعا عن أنفسهم من التخلف . فقالوا : يا نبي الله إن نحن غزونا معك تغير أعراب طى على حلائلنا وأولادنا ومواشينا .

وعندما فضل هؤلاء أولادهم وأنفسهم على الجهاد في سبيل الله قال لهم النبي « قد أنبأني الله من أخباركم وسيغنى الله عنكم » وهؤلاء هم الممينون في قوله تعالى (وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم — التوبة : ٩٠)

وقعد فريق غير المعذرين عن القتال ، بل ولم يعتذروا لرسول الله أيضا — وكلا الفريقين كان مسيئا : قوم تكلفوا عذرا بالباطل وهم الذين عناهم الله تعالى بقوله (وجاء المعذرون) وقوم تخلفوا من غير عذر فقعدها جرأة على الله تعالى وهم المنافقون . فأوعدهم الله بقوله (سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم)^(١) .

وتناقل عن الخروج نفر من ثقات المسلمين من غ——ير أن يكون في قلوبهم شك أو ارتياب ، منهم : كعب بن مالك ، وهلال بن أمية . ومرارة بن الربيع . وأبو خثيمة السامي . كما تناقل نفر ممن سمعوا لليهود . وهؤلاء وردت الآية الكريمة في توبيخهم وتقبيح موقفهم لتباطؤهم عن الخروج مع النبي والمسلمين طلبا للراحة فقال تعالى موجهما إليهم اللوم

(١) راجع تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا ص ٥٨٥ ج ١٠ ط المنار

(يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثناقلتم إلى الأرض ، أَرْضَيْتُمْ بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل ، الا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تفروه شيئاً والله على كل شيء قدير - التوبة . ٣٨ ، ٣٩).

أما أبو خثيمة فقد رجع إلى رسول الله وشهد معه غزوة تبوك . : وما يجدر ذكره أن أبا خثيمة دخل على أهل بيته في يوم حار بعد أن سار النبي إلى تبوك . فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائط ، وقد رشت كل واحدة منهما عريشها . وبردت له فيه ماء ، وأعدت له طعاماً ، فلما دخل عليها أبو خثيمة ورأى ما صنعتا زوجتهما قال : رسول الله في الضَّحِّ والريح والحر . وأبو خثيمة في ظل بارد ، وطعام مهيب ، وامرأة حسناء ؟ ما هذا بالنَّصَف . والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبياً لي زاداً . . فلما هياً تاه له ارتحل إلى رسول الله ولحق به في تبوك .

مسيرة الجيش إلى تبوك : وقبل أن يسير جيش المسلمين إلى تبوك استخلف رسول الله محمد بن مسلمة الأنصاري على المدينة لتدبير شئونها . كما خلف على بن أبي طالب على أهله ليرعاهم .

وخرج رسول الله قاصداً تبوك بجيش جرار قوامه : ثلاثون ألفاً وعشرة آلاف فارس سار وسط صهيل الخيول . ولمعان السيوف ، وقد وقفت نساء المدينة شاخصات أبصارهن إلى الجيش وهو يضرب أرض الصحراء الفسيحة بأقدام ثابتة . وقلوب قد ملأها الإيمان واليقين تصميماً وهزماً على أن تكون كلمة الله هي العليا ، وأن ينتصر دين الإسلام ، وتعلو مبادئه على كل مبدأ مهما بلغ الثمن .

إيمان المسلمين في ساعة العسرة : كانت ساعة خروج الجيش إلى تبوك ساعة عسرة - كما وصفها القرآن - كان عسرة في الزاد ، إذ كان الوقت في انتهاء فصل الصيف ، وقد نفدت فيه مؤنهم من التمر ، وكان بداية فصل الخريف ، وطاب ثمار الموسم الجديد ، وحن

قطافه ، ويحلوللناس البقاء فى ثمارهم والتمتع بطيبياتها ، ولا يمكن حمل شىء منه فى تلك الساعة ، فـكان الواحد منهم يكتبى بواحدة من النمر .

وكان عسرة فى الماء حتى كانوا ينحرون البعير ليعتصروا الفرشا من كرشه ، ويبلون به ألسنتهم .

وكان عسرة فى الزمن ؛ حيث كانوا فى فصل الصيف والحر شديد .

وكان عسرة فى الظهر . إذ اضطر العشرة منهم أن يتعقبوا بعيراً واحداً.. هكذا كانت ساعة العسرة. ولكن المسلمين ألقوا كل تلك الصعاب وراء ظهورهم ، فإن كل شىء فى الدنيا يتضامل فى حساب التضحيات والكفاح أمام رغبة النفس الأبية الراغبة فى تحقيق ما تريد مهما أحاطت بهذه النفس ألوان الصعاب وشتى الفوائى والأهوال . فليذهب إذن كل نعيم وترف ولذة ، لقاء رضوان الله ومرضاته فى سبيل هذا المراد السامى .

بهذا المنظر المحفوف بجلال الحق وقوته وروعته ، سار رسول الله بالمسلمين صوب الشام..

إلى تبوك .

على بن أبى طالب والمرجعون : وعقب أن خرج الرسول إلى تبوك أرجف المنافقون بعلى وروجوا فى شأنه الأقاويل الكاذبة ، فقالوا : ما خلفه إلا استنقالا له . وتحففا منه .

وسمع على بهذه التهمة الباطلة ، فغضب وثارت نفسه البريئة ، فتقلد سلاحه ولحق برسول الله وهو بجهة الجرف^(١) وقال له : يا نبى الله زعم المنافقون أنك ما خلفتنى إلا استنقالا ، فقال النبى : « كذبوا ولكنى خلفتك لما تركت ورأى . فأرجع فاخلقنى فى أهلى وأهلك .

(١) موضع على بعد ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام .

أولا ترضى أن تسكون منى بمنزلة هارون من موسى ؟ إلا أنه لا نبي من بعدى » فرجع على إلى المدينة .

النزول بالحجر : وتابع جيش المسلمين مسيره أن بلغ الحجر^(٢) وبها بقايا لمنازل نمود قوم صالح فأمر الرسول الناس بالنزول فيها . فاستقروا من ثمرها ، فلما دنوا من البئر لبشر بها قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تشر بها من مائها شيئا . ولا تقوضوا منه للعداء ، وما كان من عجيب عجزتموه فاعلفوه الابل ، ولا تأكلوا منه شيئا ، ولا يخرج من أحد منكم القليلة إلا ومعه صاحب له » وسبب ذلك أن للسكان لم يكن ممرأ لأحد ؛ وكانت تهب فيه عواصف رملية تظمر السائر فيه ، فخرج رجلان من بنى ساعدة ، خرج أحدهما لحاجته ، والثاني في طلب بهير له ، أما الأول فقد طمرته الريح ، وأما الآخر فاحتملته الريح حتى طرحته بجبل طى فأخبر بذلك رسول الله صلوات الله عليه ، فدعى للذى طمرته الريح فشفي بأذن الله . أما الآخر فإن طيما أهدته إليه حين فرغ من تبوك .

فلما أصبح الناس ألغوا الرمال قد غطت البئر فخلا من الماء ، ففزع الناس إلى رسول الله وشكوا إليه . فدعا النبي صلى الله عليه وسلم . فأرسل الله تعالى سحابة أمطرت حتى ارتوى الناس . فاحتملوا حاجتهم من الماء .

ناقة رسول الله : وحدث أن ضلت ناقة رسول الله فخرج أصحابه في طلبها ، فقال رجل من المنافقين — هو زيد بن اللصيت القمينقاعى وكان رجلا عمارة بن حزم — قال هذا المنافق لبعض الناس : « ليس محمد يزعم أنه نبي ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقة ؟ » فقال رسول الله صلوات الله عليه وعمارته بن حزم — الذى كان زيد بن اللصيت في رحله — في مجلسه « إن رجلا قال : هذا محمد يخبركم أنه نبي ويخبركم بأمر السماء وهو لا يدري أين ناقة . وإني والله ما أعلم إلا ما علمنى الله . وقد دلتنى الله عليها . وهى في هذا »

الوادي في شعب كذا وكذا قد حبستها شجرة بزمامها ، فانطلقوا حتي تأتونى بها .
 فانطلقوا إلى ذلك المكان فجاءوه بها ، فلما رجع عمارة بن حزم إلى رحلة قال : والله
 لمعجب من شيء حدثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم آنفا عن مقالة قائل أخبره الله عنه
 بكذا أو كذا — وهو ما قاله زيد — فقال رجل ممن كان في رحل عمارة ولم يحضر
 رسول الله : زيد والله قال هذه المقالة قبل أن تأنى ... فأقبل عمارة على زيد يمجأ في عنقه^(١)
 ويقول : إلى عباد الله ، إن في رحل لهداية وما أشعر ! أخرج أى عدو الله من رحل
 فلا تصحبنى .

وهذه آية في صدق النبوة جديرة بأن تبعث في نفس الجاهل الجحود الايمان واليقين
 بصدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم . وحجة بالغة للمماندين بسمو دين الإسلام وصفاء
 عقيدته ، وقوامه منهجه ، وبأنه دين عدل ورحمة وهداية لجميع شعوب الأرض قاطبة .
في الطريق إلى تبوك : ثم مضى رسول الله سائرا إلى تبوك . فكان هناك أناس
 يتخلفون عنه في الطريق فحين ما يقولون له : يا رسول الله تخلف فلان : فيقول « دعوه
 فإن يك فيه خير فسيلحقه الله تعالى بسكم وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه » ويقال
 إن الصحابة أخبروا رسول الله بتخلف أبي ذر فقال عنه رسول الله كما قال عن غيره من
 المتخلفين . وكان أبو ذر قد أبطأ به بغيره فتركه ، وحمل متاعه على ظهره وخرج يتبع أثر
 رسول الله ماشيا .

انسحاب الروم : وانتهى رسول الله صلوات الله عليه إلى تبوك ، وكانت الروم قد بلغها
 خبر جيش المسلمين وقوته فأثرت التراجع بجيشها عما كانت تعزمه ، وعندما علم رسول الله
 بانسحاب جيش الروم لما أصابهم من الذعر والخوف اكتفى بالوقوف عند مداخل بلادهم
 يناجز من تسول له نفسه بالمقاومة .

(١) يطمئن فيها .

كتاب المعاهدة : وجاء يوحنا بن رؤبة صاحب أيلة إلى رسول الله مذهباً طائفاً ، فصالحه وأعطاه الجزية . كما أتاه أهل جرباء وأذرح مذعنين طائعين . فأعطوه الجزية فكتب لهم الرسول كتاب أمن وسلام هذا نصه « بسم الله الرحمن الرحيم : هذه أمانة من الله ومحمد النبي رسول الله ليوحنا بن رؤبة وأهل أيلة ، سفنهم وسياراتهم ^(١) في البر والبحر ، لهم ذمة الله وذمة محمد النبي ومن كان معهم من أهل الشام ، وأهل اليمن ، وأهل البحر ، فمن أحدث منهم حدثاً فإنه لا يحول ماله دون نفسه ، وأنه طيب لمن أخذه من الناس ، وأنه لا يحل أن ينعوا ماء يردونه ، ولا طريقاً يريدونه من بر أو بحر »

غزو خالد بن الوليد لدومة : وبعد انسحاب الروم ومجيئهم إلى رسول الله طائعين وقبولهم دفع الجزية وكتابة عهد الأمان لم يعد للرسول ما يدعو إلى الحرب أو البقاء في بلاد الروم ، ولكنه خشي أن يلجأ الروم إلى أكيدر بن عبد الملك الكندي أمير دومة فيؤتى من ناحيته بمساعدته . لذلك بعث النبي خالد بن الوليد إلى أكيدر أمير دومة — وكان نصرانياً — في أربعمائة وعشرين فارساً ، وأمرع خالد إلى دومة فانقض على أميرها في غفلة منه ، وكان أميرها قد خرج في ليلة مقمرة ومعه أخ له يدعى حسان يطاردان بقر الوحش ، فلقياهما رجال خالد وقتلوا أخاه ثم أخذوه أسيراً وغنموا ما كان معه ، فبعث به خالد إلى رسول الله بالمدينة قبل قدومه عليه وعندما قدم أكيدر على رسول الله صلوات الله عليه نظر المسلمون إلى ملابسه وكان من الديباج فجعلوا يلمسونه تعجباً ، فقال لهم رسول الله « أتعجبون من هذا . فوالذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا » وقد حقن رسول الله دم أكيدر وصالحه على الجزية ، وخلي سبيله ، فرجع إلى بلاده .

عودة النبي إلى المدينة : أقام رسول الله والمسلمون بقبولك بضع عشرة ليلة ، ثم انصرف قافلاً إلى المدينة وبعد عودة الرسول إلى المدينة ظافروا بن منصرفين لئلا أن تنسأل : ما إذا

كان من خروج النبي وهذه الألوف المؤلفة متحملين في سبيل تلك الغزوة ما تعرضوا له من الآلام النفسية وغيرها من المصاعب دون أن يدخلوا في حرب . أو يعودوا بمغنم . . هل كان في هذا العمل شيئاً مشيناً استحق أن يهزأ به المنافقون ويشمت فيه الحاقدون ؟

الحق إن خروج الرسول إلى تبوك بالإضافة إلى خروج خالد بن الوليد إلى أمير دومة كان عملاً له أكثر من معنى جليل . ومفزى هاماً . فإنه بعد أن غدت شبه الجزيرة العربية خاضعة لسلطان المسلمين . كان لابد من تأمين حدود شبه الجزيرة حتى لاتأتى من تلك الجهات الشمالية - وهى الشام - من المشاغبات والغارات العدوانية ما يعكر صفو المسلمين في بلادهم . وبصرفهم عن سياستهم في نشر دين الاسلام في الأقطار الأخرى . وبناء على هذه النظرة نجاه هذا العمل الجليل . كان ما فعله النبي وخالد نصراً حروبياً عظيماً وعملاً سياسياً بارعاً عاد بالكسب الأكيد على المسلمين دون أن تكون في المعركة ضحايا أو تراق في ساحتها قطرة دم واحدة . بعكس ما اشاعه المنافقون والحاقدون حول عمل الرسول بعد عودته .

الذين تناقلوا عن الخروج : وما أن استقر النبي صلوات الله عليه بالمدينة حتى بدأ الذين تخلفوا عن الخروج يظهرون . أما المنافقون - فقد كان يشوب اعتذارهم الكذب والخبث واللؤم فأعرض الرسول عنهم موكلأ أمرهم إلى الله تعالى . ولكنه بدأ يشتد في معاملته لهم حتى يجث جرثومتهم من المدينة . وحتى لا يتمكنوا من فتنة المسلمين . وكان هؤلاء المنافقون قد بنوا مسجداً^(١) بذي أوان لاتخاذهم مقلاً للجماعة من المنافقين بقصد الاضرار بدعوة

(١) سبب بناء هذا المسجد أن أبا عامر الأوسى كان من سكان المدينة ، وكان قد تنصر في الجاهلية . فلما هاجر النبي إلى يثرب ظاهره بالعداوة . وفي غزوة أحد تقدم أبو عامر إلى صفوف الأنصار ليستميلهم إلى نصرته . فلما كشفوا أمره قالوا له : لا أنعم الله بك عينا فاسق . ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد ورأى أبو عامر أن الاسلام بدأ يظهر وينتشر اتصل بهرقل ملك الروم يستنصره على النبي . فوعده هرقل ومناه . فكتب أبو عامر إلى جماعة

الاسلام . وقتنة أهله . ولما تجهز الرسول إلى تبوك طلبوا منه أن يصلى فيه ليباركه
 ويحتجوا بصلاته فقال لهم النبي « إني على جناح سفر . ولو قدمنا إن شاء الله لآتيناكم » .
 ولما قدم النبي من تبوك نزل بذي أوان ، فأناد خبر السماء بحقيقة مسجد الضرار .
 فدعا إليه مالك بن الدخشم . ومعين بن عدي العجلاني . وقال لهما : انطاقا إلى هذا
 المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرقاه » ففعلوا ففزع المنافقون هدم مسجدهم وانزوا ، وقد
 نزل فيه قوله تعالى (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا
 لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون .
 لا تقم فيه أبدا ، لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال
 يحبون أن يقطروا والله يحب المطهرين - التوبة : ١٠٦ ، ١٠٨)

الثلاثة الذين خلفوا : أما الثلاثة الذين تماثلوا عن الخروج وهم : وهم كعب بن مالك
 وهلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع ، فقد بدأوا يتعرضون لمواجهة نفسية شديدة . عندما
 صحت ضمائرهم ، واستيقظ في نفوسهم الاحساس بالذنب ، والشعور بالخطيئة ، فإن
 الرسول بعد عودته من تبوك لم يمد ينظر إليهم ، ولا يكلمهم كما هجرهم المؤمنون ،
 وقاطعوا محادثتهم ومجالستهم ، فصاروا في ضيق بحياتهم ، وفي ضيق من أرضهم - على
 اتساعها لغيرهم - خوفا من العقوبة . وتألما من إعراض النبي والناس لهم . لذلك امتلأت
 قلوبهم بالحزن والحزن . وتبدد سرورهم . واستحالت حياتهم إلى ظلام كثيف . وعندئذ
 اضطروا إلى اللجوء إلى الله تعالى يستغفرونه ويرجون رحمته فتاب الله عليهم وعفا عنهم
 لأن ما فعلوه كان بمقتضى ما ركب في أنفسهم من طباع البشرية . ولأنهم بادروا إلى
 التوبة النصوح . وقد نزل فيهم قوله تعالى (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار

== من قومه - من الأنصار المنافقين - يعدم ويمنهم : أنه سيقدم عليهم بجيش يقاتل به رسول الله
 ويغلبه ويرده عما هو فيه . وأمرهم أن يتخذوا له معقلا ليكون منزلا لمن يرسلهم من عنده
 إلى المدينة . وليكون مرصدا له أيضا . فبنوا مسجدهم بجوار مسجد قباء .

الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم . وعلى الثلاثة الذين خُلّفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو الغواب الرحيم - التوبة : ١١٧ ، ١١٨)

وعندما عاد النبي عليه السلام إلى المدينة خرج الناس يستقبلونه . وأخذ النساء والصبيان والولائد ينشدن قائلات ^(١) :

طلع	البدر	عليها	من	ثنيات	الوداع
وجب	الشكر	عليها	مادعا	الله	داع

من وصايا النبي صلى الله عليه وسلم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لان يحمل أحدكم حبله فيأتى بحزمة حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله به وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه »
رواه البخارى

قال عليه الصلاة والسلام « ما يزال الرجل يسأل الناس ، حتى يأتى يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم » .
رواه البخارى

(١) يقول بعض الرواة أن هذا النشيد قيل عند مقدم النبي صلى الله عليه وسلم من مكة - في يوم الهجرة - لا عند قدومه من تبوك .. راجع زاد المعاد للإمام ابن القيم ص ٢٠ ح ٣ ط مطبعة السنة المحمدية

الصباح السافر

في حكم صلاة المسافر

- ١ -

بقلم الدكتور نقي الدين الهلالي

الحمد لله الذي أوجب على جميع العالمين اتباع رسوله المصطفى ، وأصحابه والتابعين أهل الصفا والوفاء ، وحذرنا من مخالفته ، وأوعد أهلها بالفقمة والبذاب الأليم ، في آخر سورة النور من كتابه الكريم ، وصلاته وسلامه على محمد وآله ومن قفاهجه القويم .

أما بعد . فقد التمس مني تلامذتي المقيمون في البلاد الألمانية ، أخص بالذكر منهم الشاب الصالح قصي شنشل ورفقاه ، من طلاب الهندسة في جامعة (آخن) ومثنى شنشل ومن معه من المسلمين في جامعة (شتوتنكارت) أن أكتب لهم رسالة يعتمدون عليها في حكم صلاة المسافر ، فأجبتهم إلى ماطلبوا . ومن الله أستمد العون ، وهو حسي ونعم الوكيل .

الفصل الأول في حكم صلاة المسافر

اعلم أيديك الله بتوفيقه أن أئمة الإسلام قد اختلفوا في هذه المسألة ، أهي رخصة أم عزيمة ؟ والذين قالوا أن القصر رخصة اختلفوا في وجوب قبول هذه الرخصة وجوازها . وسأنتقل لك من كلامهم ما يروى الفليل ، ويشفي العليل من غير أطناب ولا تطويل ، وعلى الله قصد السبيل .

قال صاحب فتح العلام ، شرح بلوغ المرام . (ج ١ . ص ١٩٠) عن عائشة قالت : ول ما فرضت الصلاة ركعتين ، فأقرت صلاة السفر ، وأتمت صلاة الحضر . متفق عليه . (يعني اتفق على روايته البخاري ومسلم) وللبخاري ، ثم هاجر ففرضت أربعاً ، وأقرت

صلاة السفر على الأول . زاد أحمد . إلا المغرب فإنها وتر النهار ، والا الصبح فإنها تطول فيها القراءة .

قال : شارحه ، في الحديث دليل على وجوب القصر في السفر ، لأن فرضت بمضى وجبت . ووجوبه مذهب الحنفية وغيرهم .

وقال الشافعي وأحمد وجماعة ، أنه رخصة ، والتمام أفضل ، قال مؤلف هذه الرسالة كيف يكون التمام أفضل ويتركه النبي صلى الله عليه وسلم في جميع أسفاره ، ولا يفعله ولا مرة واحدة ، ثم قال شارح . أخرج الطبراني في الصغير من حديث ابن عمر موقوفا ، صلاة السفر ركعتان نزلتا من السماء فإن شئتم فردوها ، قال الهيثمي : رجاله موثقون ، وهو توقيف لا مسرح فيه للاجتهاد . وأخرج عنه أيضاً في الكبير برجال الصحيح ، صلاة السفر ركعتان ، من خالف السنة كفر . وفي قوله السنة دليل على رفعه كما هو معروف .

قال ابن القيم : في الهدى النبوي ، كان صلى الله عليه وسلم يقصر الرباعية فيصلحها ركعتين من حين يخرج مسافراً إلى أن يرجع إلى المدينة . ولم يثبت عنه أنه أتم الرباعية في السفر البتة ، وفي قولها إلا المغرب دلالة على أن شرعيتها كانت في الأصل ثلاثاً لم تتغير وقولها أنها وتر النهار ، أي صلاة النهار كانت شفعاً ، والمغرب ^(١) آخرها لوقوعها في جزء من النهار ، فهي وتر لصلاة النهار ، كما أنه شرع الوتر لصلاة الليل ، والوتر محبوب إلى الله تعالى كما تقدم في الحديث . أن الله وتر يحب الوتر ، وقولها إلا الصبح ، تريد أنه أنه لا تغيير في صلاتها ، وأنها ركعتان حضراً وسفراً . وعن عبد الله بن عمر ، قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته . رواه أحمد وصححه ابن خزيمة وابن حبان .

وفي رواية ، كما يجب أن تؤتى عزائمه . فسررت محبة الله برضاه ، وكرهيته بخلافها .

(١) قوله أخرجها غير منسجم ، ولعل صوابه آخرها .

وعن أنس قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة ، وكان يصلي ركعتين حتى رجعنا إلى المدينة . متفق عليه . واللفظ للبخارى .

ثم قال الشارح ، وفيه دليل على أن نفس خروجه من البلد بنية السفر يقتضى القصر ، ولو لم يجاوز من البلد ميلاً ولا أقل ، وأنه لا يزال يقصر حتى يدخل البلد ، ولو صلى وبيوتها بمرأى منه قال مؤلف هذه الرسالة : الحديث يدل على أن المسافر يقصر الرباعية من حين خروجه من بلده الذى يستوطنه ، أى يقيم فيه إقامة غير محدودة حتى يرجع إلى بلده .

وقال القنوجى فى شرحه للدرر البهية ، تأليف الإمام الشوكانى ما نصه : المتن ممزوج بالشرح ، (يجب القصر) لحديث عائشة الثابت فى الصحيح . فرضت الصلاة ركعتين ، فزيدت فى الحضر وأقرت فى السفر . فهذا يشعر بأن صلاة السفر باقية على الأصل . فمن أتم فمكانه صلى فى الحضر الثنائية أربعاً والرباعية ثمانى عمداً . وثبت أيضاً فى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته . وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقتصر فى أسفاره على القصر .

وقال الإمام أبو محمد على بن حزم الأندلسى كتاب الخلى ج ٥ ص ١ مسألة ومن خرج عن بيوت مدينته أوقريته ، أو موضع سكناه ، فمشى ميلاً فصاعداً ، صلى ركعتين ولا بد ، إذا بلغ الليل ، فإن مشى أقل من ميل صلى أربعاً .

وقال ابن القيم فى زاد المعاد : ج ١ ص ١٢٨ . وكان صلى الله عليه وسلم يقصر الرباعية فيصلحها ركعتين من حين يخرج مسافراً إلى أن يرجع إلى المدينة . ولم يثبت عنه أنه أتم الرباعية فى سفره البتة .

وأما حديث عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقصر فى السفر ويتم ويفطر ويصوم فلا يصح .

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول : هو كذب على رسول الله .

ومما يؤكده ما تقدم عن ابن حزم من أن المسافر فور انفصاله عن بلده يقصر الصلاة وإن كان يرى بيوت بلده ماجاء في صحيح البخاري في أبواب التقصير قال :

باب ، يقصر اذا خرج من موضعه . وخرج على فقصر وهو يرى البيوت ، فلما رجع قيل له هذه الكوفة ، قال لا حتى ندخلها ، قوله لا حتى ندخلها ، أى لا ندع التقصير حتى ندخل الكوفة ، وفيه إشارة إلى ما يأتي إن شاء الله في الفصل الثالث من هذه الرسالة ، وهو أن المسافر لا يصلي الرباعية إلا ركعتين من حين يخرج من بلده حتى يعود إليه . وإن الإقامة الطارئة في أثناء السفر لا ترفع حكم التقصير ، وإن كانت طويلة ومقصودة .

وقال ابن حزم ج ٤ ص ٢٦٤ مسألة - وكون الصلوات المذكورة في السفر ركعتين فرضاً سواء كان سفر طاعة أو معصية ، أولاً طاعة ولا معصية ، أمناً كان أم خوفاً ، فمن أتمها أربعاً عامداً ، فإن كان عالماً بأن ذلك لا يجوز بطلت صلاته ، وإن كان ساهياً سجد للسهم وبعد السلام فقط . ثم قال : وقال أبو حنيفة ، قصر الصلاة في كل سفر طاعة أو معصية فرض ، فإن أتمها فإن لم يقعد بعد الاثنتين مقدار التشهد بطلت صلاته وأعاد .

وعن كعب بن عجرة قال ، قال عمر بن الخطاب ، صلاة الأضحى ركعتان ، وصلاة الفطر ركعتان ، وصلاة الجمعة ركعتان ، وصلاة المسافر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم ، وقد خاب من افتري ، رواه النسائي ، وابن حزم وغيرهما . وصح عن ابن عمر أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة السفر ركعتان ، من ترك السنة كفر . هكذا رواه مرفوعاً . ورواه هو والطبراني من قول ابن عمر ، وهو في حكم المرفوع ، لأن المراد بالسنة ، سنة النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن حزم ج ٤ ص ٢٦٧ - فصيح أن الصلاة فرضها الله تعالى ركعتين ، ثم بلغها في الحضر بعد الهجرة أربعاً . وأقر صلاة

السفر على ركعتين . وصح أن صلاة السفر ركعتان بقوله عليه السلام ، فاذ قد صح هذا
فهي ركعتان لا يجوز أن يتعدى ذلك ، ومن تعداه فلم يصل كما أمره ، فلا صلاة له ، إذا
كان عالماً بذلك ، ولم يخص عايه السلام سفره من سفر ، بل عم ، فلا يجوز لأحد تخصيص
ذلك ، ولا يجوز رد صدقه الله تعالى التي أمر عليه السلام بقبولها ، فيكون من لا يقبأها
عاصياً . وأخرج ابن حزم بسنده عن ابن عباس : ج ٤ ض ٢٧٠ - أنه قال : من صلى في
السفر أربعاً مكن صلى في الحضر ركعتين : ثم روى ابن حزم عن علي بن أبي طالب أنه
دعى ليصلي بالناس في منى نيابة عن عثمان لمرضه أربع ركعات فأبى ، وقال لا أصلي إلا ركعتين
صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وروينا عن عمر بن عبد العزيز ، وقد ذكر له
لأتمام في السفر لمن شاء . فقال لا ، الصلاة في السفر ركعتان حتماً لا يصح غيرها .

وروى ابن حزم عن ابن عباس قال : فرض الله الصلاة على لسان نبيكم صلى الله عليه
وسلم في الحضر أربعاً ، وفي السفر ركعتين ، وفي الخوف ركعة .

الدكتور تقي الدين الهلالي

« يقيم »

جميع منتجات الألبان الطازجة وأنقر أنواع البقالة

تجدها عند شركة

شاكر القمبشاوي وعبد الحميد الشريف

٤٥١ شارع بور سعيد (بين الصورين سابقاً) بالقاهرة

سجل تجاري رقم ٧٥٦٩٣

تليفون ٩٠٧٤٠٤

الجهاد الأكبر والجهاد الأصغر

روينا عن عبد الله بن المبارك أنه قال :

رأيت الذنوب تميمت القلوب وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها .
وما ضر بالدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها .

وقال جبر الأمة عبد الله بن عباس رضى الله عنه : صنفان من الناس إذ صلحا صلاح
الناس وإذا فسدا فسد الناس ؛ قيل من هم ؟ قال : الأمراء والعلماء .

إن جهل العلماء بحديث النبي صلى الله عليه وسلم هو في حقيقته جهل بالدين ولا يغنيهم
فتيلا حفظهم للقرآن وتلاوتهم له . فإن الحديث ترجمان القرآن وبيانه .

أقول هذا ولا يزال يرن في أذني صوت خطيب يردد مازعم وزعم غيره أنه حديث
قاله الرسول صلى الله عليه وسلم : « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر قيل
وما الجهاد إلا كبر يارسول الله ؟ قال : جهاد النفس » .

ويمكنني أن أقول إن هذا الكلام المزعوم ليس بحديث ألبتة (١) . ولم يجر على لسان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يرو في كتاب من كتب الحديث من مصاحم وصحاح وسنن
ومسانيد ومستدركات لأبي إمام من أئمة الحديث . يعني أن هذا الكلام لم يرق إلى درجة
الحديث الموضوع (المكذوب) بل الضعيف .

والحق أن الصوفية الذين تعاملوا بهذا الحديث المزعوم وتعاطوه فيما بينهم والذين يمكن
أن يرجع إليهم جريمة اختلاق من هذه الأحاديث لم يكونوا حصفاً في سياغتهم لمثل هذا
الكلام فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « المجاهد من جاهد نفسه والمهاجر من هجر
ما نهى الله عنه » رواه الشيخان من حديث : ولكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقل إن جهاد
العدو جهاد أصغر لأن جهاد العدو لا يتأني على الوجه المطلوب ، لا إذا عد المرء إعداداً

(١) أنظر كتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان للإمام ابن تيمية .

نفسياً وعيياً. تعبئة معنوية وصقل بالإيمان الكامل والوعي النامي بالحق الذي يعيش فيه وبالهدف الذي يجاهد من أجله فهو لا مشاحة قد مر على مرحلة من جهاد النفس في ذروتها، ومن تطويعها للإقبال على الشهادة في قتها .

على أن المتصورة حينها كوا (١) هذا الحديث قصدوا من ورائه أن يقتلوا روح الجهاد العملي في المسلمين وأن يذيموهم تحت تأثير هذا الخدر من جهاد النفس حتى يركنوا إلى هذا الضرب السلبي من الاقتناع بأن هذا هو الجهاد الأكبر . كيف يكون جهاد العدو والغزو في سبيل الله وحماية الدعوة والذب عن الوطن والدفاع عن قضايا التحرر وعن الأحرار من عباد الله وطلب الشهادة من أجل هذه المثل العليا جهاداً أصغر وهو قوة الجهاد وما الجنة إلا تحت ظلال السيوف . على أننا لا نقصد من هذه الكلمة إلا الحث على الالتفات إلى الحديث والعناية به ونحري نصوصه ومتونه وأسانيدها وإحياء فنونه التي كادت تعجم من طول ما دجرت .

هدانا الله جميعاً إلى سواء السبيل ووفقنا إلى إحياء سنة نبيه وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم

محمد نجيب المطيعي
بمكتبة المطيعي بالعباسية

تذنيه السادة المشتركين والمتمهدين

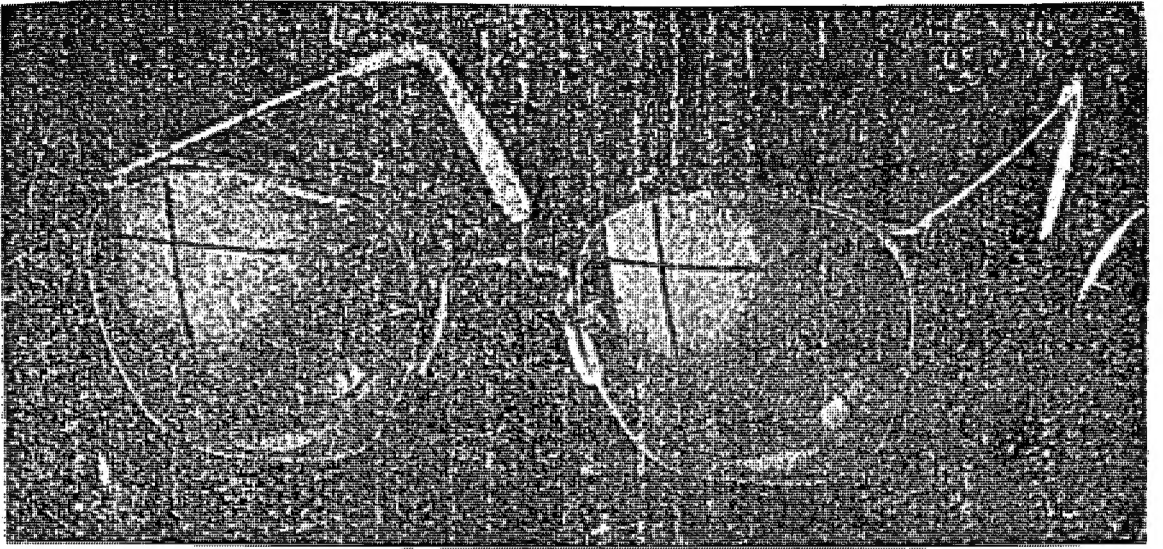
نرجو من السادة المشتركين أن يتفضلوا بتجديد اشتراكهم لعام ١٣٨٤ كما نرجو السادة المتمهدين أن يكرموا بإرسال مالدتهم من أثمان المجلة . هذا وفي حالة عدم التسديد سنضطر آسفين لقطع المجلة

وقيمة الاشتراك السنوي ٣٠ قرش ثلاثون قرشاً بالجمهورية العربية المتحدة و ٤٠ قرش أربعون قرشاً في الأقطار الأخرى .

وترسل قيم الاشتراكات باسم السيد / محمد رشدي خليل أمين صندوق الجماعة .

٨ شارع قوله . عابدين

(١) على رأس هؤلاء المروجين لهذا الحديث المزعوم الغزالي في إحيائه ومعارج القدس له أيضاً وغيره ممن لا بصير لهم بالحدث ولا علم لهم بفنونه .



أحدث النظارات الرائعة تجدها عند الأخصائي

أحمد محمد خليل

المصري الوحيد خريج جامعة باريس

١ شارع الجوهري - ميدان العبة

س . ت . ٢٣٤٥ - تليفون ٩٠٨٢٦٢

شركة غريب للساعات والمجوهرات

إدارة : محمد الغريب محمد البار

بشارع محمد بك فريد رقم ١١٧ مصر عابدين

أحدث الساعات في المتانة ودقة الصناعة

والمجوهرات والنظارات - أسعار مذهلة

تساهل في الدفع على أقساط شهرية

بالحل ورشة فنية للتصليح

﴿ أنصار السنة المحمدية لهم امتيازات خاصة ﴾